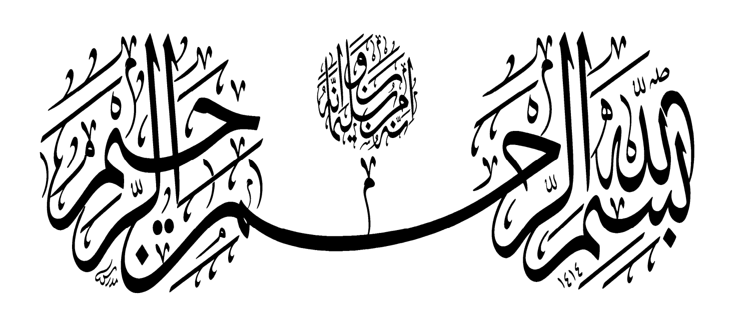


معاوية

تأليف

عبد الباقي قرنة الجزائري


مركز المستبصرين
التابع لمؤسسة الامام الهادي عليه السلام

روى البلاذري بإسناده عن إسحاق [..] عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت عند النبي(ص) فقال: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت على غير ملّتي. وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء، فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء، قال فطلع معاوية فقال النبي(ص) : هو هذا [1].

(١) أنساب الأشراف (الكبير)، ج٥ ص١٣٤، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع ١٩٩، تحقيق سهيل زكار والدكتور رياض زركلي.

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على خير خلقه أجمعين، محمّد وآله الطيبين الطاهرين ؛

كنا ذات ليلة من ليالي شهر رمضان منذ أكثر من عشرين عاما جلوسا في المسجد، وأحسست ساعتها من الحاضرين شيئا من الصّفاء ونحن في شهر صفّدت فيه الشياطين، فخطر لي أن أتحدّث عن شيء طالما وددت الحديث عنه؛ فذكرت للحاضرين أنّني إلى ليلتنا تلك لم أتقبّل تصرّفات معاوية بن أبي سفيان في حقّ الإمام عليّ(ع) مع أنّي قرأت عن ذلك ما قرأت، وأبديت عجزي عن الجمع بين سلوك معاوية وبين ما يسكن خيالنا حول من صحبوا النّبيّ(ص) وعاينوا الوحي وشهدوا المعجزات؛ وكأنّني كنت أرفض إضفاء الشّرعيّة على سلوك معاوية. كنت أتوقّع من الحاضرين أن يدلوا بما لديهم لعلّي أستفيد شيئا يبدّد الإبهام والغموض، لكنّني فوجئت بتصرّف ما كان يخطر ببالي، فقد انبرى لي أحدهم وهو من الكبار الذين يتصوّرون أنّ شهادة أحدهم تعدل شهادة خزيمة بن ثابت الأنصاريّ، وقال لي بكلّ صرامة وحزم: ″ لولا أنّنا نعرفك لكان لنا معك شأن، و ـ ابتداء من اليوم ـ لا حقّ لك في أن تطرح مثل هذه المواضيع، وهذا أوّل إنذار وآخر إنذار″!! وأنا الذي كنت أتصوّر أنّني سأجد في طرحي للقضيّة ما يبرّر ما كنت قد اطّلعت عليه من أعمال معاوية التي تشمئزّ منها النّفوس، مع أنّني لم أزد على أن استبعدت سهولة تقبّل سلوك معاوية، لأنّ اعتقاد عدالة جميع الصّحابة لا يسمح بالقدح في واحد منهم، ولم يكن القصد من سؤالي قدحا ـ شهد الله ـ وإنّما كنت أريد إرضاء ضميري والتوفيق بين معتقدي وسلوكي؛ وقد كنّا أيّامها نشنّع على الحاكمين بأعمال لا تبلغ عُشر ما صدر من معاوية. كلّ ما في المسألة أنّ وجداني لا يسمح لي بالكيل بمكيالين.

لقد كان إنذار صاحبنا في محلّه، لأنّه أيقظني من نومٍ ونبّهني من غفلة، وشعرت ساعتها أنّني في سجن فكريّ كبير، وتداعت الأفكار، ورحت أفكّر في

الخروج من الوطن! لأنّه إذا كان هذا هو الرّدّ، ولا حقّ لي ابتداء من ذلك اليوم في طرح الإشكالات، فمعناه أنّ البحث ممنوع، وأنّ الحوار النّزيه المتحرّر من التقليد الأعمى ممنوع، ولا أدري ما الفرق حينئذ بين ذلك وبين استبداد العسكريّين الذي طالما ندّدنا به، وما قيمة الحياة إذا كان أمس المرء خيرا من يومه وغده؟ هنالك رحت أسائل نفسي متعجّبا من حال هؤلاء الذين يردّدون لنا دائما "متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا "وفي نفس الوقت يمارسون في حقّنا وصاية فكريّة ما أنزل الله بها من سلطان، وقد نصبوا أنفسهم حماة للشّريعة مدافعين عن السّنّة. ومرّت السّنون، وكتب الله في العمر بقيّة، فرأينا حماة الشّريعة المدافعين عن عدالة جميع الصّحابة يسبّ بعضهم بعضا ويطعن بعضهم في بعض وهم يتنافسون في الانتخابات، ويتسابقون إلى مصافحة من كانوا يسمّونه الطّاغوت! ولله في خلقه شؤون .

لا أعتقد أنّ صاحبنا كان مقتنعا بما يقول حينما أجابني بتلك الطريقة، ولا أعتقد أنّه كان لديه معلومات كافية عن معاوية والذين في قلوبهم مرض، لكنّه ـ فيما يبدو ـ ردّد ما علّموه من أنّ الخوض في مثل تلك الأمور يؤثّر على عقائد النّاس، ويزرع الفرقة، ويفتح الأبواب أمام الزّنادقة وأعداء الدّين. ولست أدري كيف صار الحديث عن معاوية من عقائد المسلمين! ولعلّ أساتذته يدرون؛ لكنّني اليوم ، بعد مرور أكثر من عشرين عاما، أدرك سبب تصرّفه بتلك الطّريقة وفي وسعي أن أثبت له أنّ الحديث عن الصّحابة لا علاقة له بالعقائد، وأنّه هو نفسه ضحيّة لعبة شرع فيها في حياة النّبيّ(ص) ، ولم ينقض منها إلاّ شوط أو بعض شوط.

الحديث عن معاوية بن أبي سفيان، لا يعني الحديث عن شخصيّة تاريخيّة معيّنة فحسب، بل هو يعني الحديث عن حقبة من تاريخ المسلمين تجلّت فيها التّضاربات والتّناقضات بين المعتقد والسّلوك، كما يعني الحديث عن أشخاص كان لهم دور في تثبيت الاستبداد ووصول معاوية إلى ما وصل إليه ورسم

صورته الحكوميّة التي عرفها النّاس بعد رحيله. هذا مع أنّ القرآن الكريم حرص على قرن الإيمان بالعمل، وجعل العمل الصالح دليلا على صحّة الإيمان، والعمل الفاسد دليلا على فساد قلب صاحبه. ويمكن القول إنّ مثقفي المسلمين لم يختلفوا في معاوية بن أبي سفيان جهلا بحقيقته وواقع أمره، لأنّ أخباره أوسع من أن تخفي، وإنّما اختلفوا فيه لكونه يمثّل عند طائفة منهم حارس الحدود في قضيّة عدالة جميع الصحابة. وسيبقى معاوية بن أبي سفيان حارس الحدود طالما بقي شيء اسمه عدالة جميع الصحابة. وقد كنت أيّام كنت على المذهب السّابق أجد في كتب التّاريخ أعمالا لمعاوية بن أبي سفيان تدعني في حيرة من أمري أبحث عن حلّ، لأنّني من جهة ملزم بالاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة، ومن جهة أخرى ملزم بتقديم كلام النّبيّ(ص) على كلام كلّ آدميّ، وطالما ردّدوا لنا قول مالك — ونحن في المغرب العربي على مذهب مالك -: "كلّ واحد يؤخذ من قوله ويردّ إلاّ صاحب هذا القبر"[1]، وقول أحد كبار رؤساء المذاهب الإسلاميّة: " إذا صحّ الحديث مخالفا لكلامي فاضربوا بكلامي عرض الحائط"، وهذه من عويصات القضايا، وليس يسلم منها إلاّ من رحم الله. وأذكر على سبيل المثال قصّة وقعت لي مع بعض من درسوا في جامعات المملكة العربية السعودية من الحريصين على الدّقّة في التّعبير، وهو نفسه ذكر لنا مرّة حديث "لو سرقت فاطمة بنت محمّد لقطعت يدها". ولأنّني مولع بمطالعة كتب التّاريخ وتتبّع قصص الشّخصيّات المؤثّرة فقد وقعت عيني على شيء رهيب في أحد مجلدات تاريخ ابن كثير، ولا أبالغ إن قلت إنّه صدمني! نعم، يروي ابن كثير قصّة سارق جيء به ليقام عليه الحدّ فاستعطف معاوية ومدحه بأبيات فعفا عنه وأمر بتخلية سبيله![2]

---

(١) يعني النّبيّ(ص) .

(٢) القصة مذكورة في البداية والنهاية، ج٨ ص١٥٤، نقلها ابن كثير عن الماورديّ، وستأتي مفصلة لاحقا.

بعد قراءتي للقصّة أكثر من مرّة لم يكن همّي إلاّ ملاقاة صاحبنا لعلّه يبدّد الشكوك التي داهمتني، لأنّ هذا العمل مناف تماما لحديث "لو سرقت فاطمة بنت محمّد لقطعت يدها"[1]. وكنت أرجو أن يكون لدى الأستاذ المذكور دليل أو شبه دليل، والتقينا، ورويت له القصّة، وفوجئت بأنّه لم يطّلع عليها، وقبل أن يتحقّق من ذلك ويتثبّت قال لي بكلّ بساطة: "هذا غير صحيح! ووعدني أن ينظر في المسألة. وانتظرت يوما، فأسبوعا، فشهرا، فسنة، فإلى يومنا هذا.

والحديث عن معاوية يمثّل أيضا الصّراع القائم بين أنصار القيم والمبادئ السّامية، وبين أنصار المنافع والمصالح الشخصيّة. ولا أعتقد أن يكون معاوية لدى العقلاء صالحا ليعرض نموذجا للمسلم المعتدل المؤتمن على الدّين؛ بل قد تحقّق عندي ـ وعند كثير ممّن عرفت ـ أنّ الرّجل مع تأخّر إسلامه لم يترك حرمة من حرمات الإسلام إلاّ هتكها أو مهّد لهتكها، وأظهر استخفافه بأحاديث النّبيّ(ص) في كثير من المواطن، وإنّما شفع له عند كثيرين كونه استلم القيادة وتربّع على كرسيّ الحكم. ولأنّ مسألة الحكم عند المسلمين تمثّل أهمّ قضيّة سلّت لأجلها السيوف فإنّ الحقّ يصير دائرا مدارها. وخير دليل على ذلك أنّ فيهم من يقول عن الخارج على الحاكم إنّه إذا تغلّب صار هو الحاكم الشرعيّ[!] وتجب مبايعته، ولا يحلّ الخروج عليه، هذا مع أنّه استحلّ الخروج ونقض البيعة وقاتل الحاكم، وهذا لعمري مما تحار له العقول. فمسألة الاستيلاء على الحكم سهّلت كثيرا من الأمور، ولمّعت كثيرا من الوجوه، وما أكثر ما همّشت كلام النّبيّ(ص) وفعله وتقريره. ترى أكان معاوية بن أبي سفيان يحظى بكل هذا التّسامح عندهم لو لم يكن حاكما؟!

---

(١) مسند أحمد، ج٣ ص ٣٨٦ ، وسنن الدارمي، ج٢ ص١٧٣ ، وصحيح البخاري، ج٤ ص١٥١ ، وصحيح مسلم، ج٥ ص١١٤ ، وسنن ابن ماجه، ج٢ ص٨٥١ ، وسنن أبي داوود ، ج٢ ص٣٣٢، وسنن الترمذي، ج٢ ص٤٤٢، وسنن النسائي، ج٨ ص٧١، والمستدرك، ج٤ ص ٣٧٩، والسنن الكبرى للبيهقي، ج٨ ص٢٥٤، وصحيح ابن حبان، ج١٠ ص٢٤٨ .

إنّه لا خلاف بين المسلمين في تأخّر إسلام معاوية بن أبي سفيان، ولا خلاف بينهم في سفكه لدماء كثير من الصّحابة والتابعين، وتعدّيه على حرمة النّبيّ(ص) في ما يصعب تبريره، ولكنّه الخليفة! ولابدّ من المحافظة على مقام وسمعة الخليفة، لأنّه رمز الشّريعة وظلّ الله تعالى في الأرض! ومن تجرّأ وذكره بما لا يناسب مقام الخلافة دفع ثمن ذلك كائنا من كان، ولا يشفع له عمل صالح ولا سابقة جهاد.[1]

وقد بيّن الله تعالى في القرآن الكريم الهدف من جعل الخليفة في الأرض فقال في سورة "ص": (**يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب**). فتبيّن من ذلك أنّ الهدف هو الحكم بالحقّ واجتناب الهوى، ويعجز المؤرّخون وعلماء الرّجال عن إثبات شيء من ذلك لمعاوية. إضافة إلى أنّه خرج على من لا يختلف المسلمون في أنّه من رسول الله(ص) بمنزلة هارون من موسى، لم يعارضه إلاّ بنو أميّة، وبنو أميّة معروفون ومواقفهم من الإسلام معلومة. فإذا كان الدّفاع عن الحاكم المسلم دفاعا عن الشّريعة فإنّ معنى ذلك أنّ الشّريعة متقلّبة ذات أطوار، لأنّ العقلاء يفهمون معنى الدّفاع حينما يتعلّق الأمر برجل يحاول جهد طاقته أن يهتدي بهدي النّبي(ص) في كلّ أموره، ولا يتجرّأ على المقدّسات ولا يتجاسر على الحرمات؛ أمّا حينما يصبح الحاكم معلنا باستخفافه بالدّين فإنّ الدّفاع عنه ليس من الإسلام في شيء .

ولا يعجل القارئ الكريم في الحكم عليّ قبل أن يطّلع على ما في الصفحات التّالية، ولا يتصوّر أنّني ورثت بغضا لمعاوية، فإنّ ولادتي وتربيتي ودراستي كلّها كانت في مجتمع سنّيّ، والمجتمع السّنّيّ ـ في الغالب ـ لا يذكر معاوية إلاّ بخير،

---

(١) خير دليل على ذلك أبو الأعلى المودوديّ بعد صدور كتابه (الخلافة والملك) وسيّد قطب بعد صدور كتابه (كتب وشخصيات).

ولا يذكر أبا طالب إلاّ بالموت على الكفر. ولا يفوتني هنا بالمناسبة أن أخبر القارئ الكريم أنّني كنت دائما أشعر بمرارة تعترض حلقي حينما أمرّ أثناء مطالعاتي بذكر أبي طالب عمّ النّبيّ(ص) ، لأنّ الحسرة كانت تعصر قلبي إذ أرى رجلا مثله يبذل ما بذل من نصرة للنبيّ(ص) ودفاع عنه، ويتولّى كفالته ويقدّمه على أولاده ويفضّله عليهم، ومع ذلك لا يستحقّ التفاتة ممّن وسعت رحمته كلّ شيء ويموت على غير الإسلام! أليس هذا أشبه بجزاء سنمّار؟! بينما لا يألو أبو سفيان جهدا في محاولة إطفاء نور الله تعالى، فيجيّش الجيوش ويدبّر المؤامرات ليل نهار، ويهتف هتافه المعلوم"اعل هبل"، ويقول يوم حنين ما قال، ويقول يوم اليرموك ما قال، ومع ذلك يسلم ويحسن إسلامه ويموت على الإسلام!! لقد قالوا لنا إنّها حكمة الله يهدي من يشاء، ولكن، أليس غريبا أن تكون حكمة الله دائما تصبّ لمصلحة بني أميّة دون غيرهم؟!

قلت: إنّ الحديث عن معاوية يقتضي الكلام عن(بني أميّة)لأنّهم عشيرته، وعن أبي سفيان وهند بنت عتبة لأنّهما والداه، وعن(يزيد) ابنه لأنّه يمثّل محطّة مهمّة في مسار المسلمين. كما يقتضي ذلك الحديث عن أيّام ملكه وما جرى فيها من الأحداث التي لا تزال آثارها تمزّق المسلمين وتشتّت صفوفهم إلى اليوم. وقد اعتمدت في البحث على كتب المخالفين لأهل بيت النّبيّ(ص) من باب "شهد شاهد من أهلها " وخصصت بذلك منهم من لا يشكّ في مخالفته للإماميّة كابن تيمية، وابن قيّم الجوزية، وابن كثير، والذّهبيّ، وابن خلدون، وابن حجر العسقلانيّ؛ أخذت على نفسي ألاّ أرجع إلى كتب أتباع مدرسة الإماميّة إلاّ في ما تقتضيه الضّرورة الملحّة التي لا مفرّ منها، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وأنبّه إلى أنّ بعض الأحاديث الواردة في الكتاب تعدّدت بألفاظ مختلفة طالت بعضها أيدي المحرّفين من المتقدّمين أو المتأخّرين، والخوض في ذلك أبعد ممّا تقتضيه الضّرورة يخرجنا عن موضوع الكتاب، ويحوّل البحث إلى أخذ وردّ ليسا من غرض الكتاب، على أنّني أشير إلى ورود الحديث بلفظ آخر

ويبقى لمن أراد التحقّق والتثبّت والبحث أكثر أن يطالع ويخلص بنفسه إلى النّتيجة التي ترضي ضميره؛ كما لا يفوت التّنبيه إلى حذف الأسانيد الطويلة روما للاختصار، مع ذكر أوّل الإسناد وآخره بينهما علامة [..]، ويبقى لمن يريد التّأكّد والتحقيق أن يطالعها كاملة في المراجع المشار إليها بالهامش.

ولا يخفى أنّ لمعاوية بن أبي سفيان شخصيّة جذبت اهتمام الباحثين، فكتب حوله من كتب، من مدارس وانتماءات مختلفة، إسلاميّة وغير إسلاميّة؛ منهم من خصّص له بحثا مستقلاّ كما هو شأن العقّاد وابن عقيل، ومنهم من خصّص له فصلا أو فصلين ضمن إطار بحث معيّن؛ وكتب عنه المستشرقون أيضا، فكان منهم من التزم بمنهج معيّن اضطرّ معه إلى مناقشة الحقائق بما يناسب القواعد التي تبنّاها، وكان منهم من دفعته عداوته للإسلام إلى ممارسة التحريف والتزييف؛ والنّقد العلميّ النزيه كفيل بالغربلة والتّصفية ليذهب الزّبد جفاء ويبقى ما ينفع النّاس. وأتصوّر ـ والله أعلم ـ أنّه ينبغي للمستبصرين الملتحقين بأهل البيت عليهم السلام أن يكتبوا حول معاوية ويحقّقوا ، لأنّهم كانوا ضحاياه يوما من الأيام، ولا يليق بهم أن يتفرّجوا على ذويهم وأصدقائهم وهم يستطيعون أن يسدوا إليهم خدمة ولو من باب إقامة الحجّة. وقولي "ضحاياه" لا يعني أنّني أحكم على الرّجل من البداية، وإنّما هو تعبير عن تجربة شعوريّة يعرفها كلّ من سار على ذلك الدّرب ، وإخبار عن آثار تيّار فكريّ عمل قرونا متطاولة لجعل عداوة آل النّبيّ(ص) شيئا مقبولا لدى أهل القبلة، وهو أخطر ما وجدت إلى الآن ، نظرا لما تؤول إليه عاقبة معتقده ومن يعمل على نشره.

ثمّ إنّ من المتقدّمين من وقع في شبهة مفادها أنّ الدّفاع عن معاوية هو دفاع عن الإسلام ، ورووا لذلك أمورا منها ما ذكره المزّيّ[1] [..]عن أبي الحسن عليّ بن محمّد القابسيّ، قال" : سمعت أبا عليّ الحسن بن أبي هلال يقول : سئل أبو

(١) تهذيب الكمال، المزّيّ، ج١ ص٣٣٩ .

عبد الرحمن النسائيّ عن معاوية بن أبي سفيان صاحب النّبيّ(ص) ، فقال: إ نّما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصّحابة، فمن آذى الصّحابة إنّما أراد الإسلام، كمن نقر الباب إنّما يريد دخول الدّار، قال: من أراد معاوية فإنّما أراد الصحابة"[1].

وهذا لعمري مما يحيّر عقول المتدبّرين، لأنّ قائله مطّلع على أعمال معاوية فكيف يقول بعد ذلك عمّن فرّق المسلمين وجعل بأسهم بينهم "إنّ من أراده فقد أراد الدّين"؟! وهل أراد الدّين غيره؟ وهل ترك معاوية حرمة من حرمات الدّين لم يستخفف بها ؟وكيف يكون لذلك معنى وقد ثبت أنّ اليهود كانوا يستخفّون بشخص النّبيّ(ص) في مجلس معاوية ولا يغيّر بقول ولا فعل؟

ثمّ إنّ هذا الكلام لا ينفع معاوية لأنّه حجّة عليه؛ فإنّ معاوية ينطبق عليه أنّه آذى الصّحابة، بل آذى خيرة الصّحابة عليّا والحسن والحسين و أبا ذرّ وعمّارا وعمر وبن الحمق وحجر بن عديّ وقائمة طويلة. فمن آذى الصّحابة إنمّا أراد الإسلام، ومعاوية قد آذى الصّحابة فمعاوية قد أراد الإسلام إذاً. ولا يجرمنّكم شنآن قومٍ على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى.

وليت شعري كيف يهضم النّاس مثل هذا بعد أن علم المسلمون أنّ النّبيّ(ص) سمّى جماعة معاوية "القاسطين" وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: "**وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا**"؟! وسمّاهم الفئة الباغية والبغي محرّم بنصّ الكتاب العزيز(**قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحقّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**)[2]. على أنّه يفترض أن يكون تراث المسلمين أبعد ما يكون من المجاملة والانسياق خلف الهوى والعواطف، لأنّ الحقّ لا يعرف بالرّجال وإنّما يعرف الرّجال بالحقّ.

---

(١) العلامة (اهـ) تشير إلى نهاية النص.

(٢) سورة الأعراف: ٣٣.

وللحقّ قوانين وقواعد يستوي فيها الكبير والصّغير والعربيّ والأعجميّ. وقد تتابعت الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة تحثّ على اتّباع الحقّ وتحرّيه ولو على النّفس، وتحذّر من الحكم بغير الحقّ ومن اتّباع الهوى لما في ذلك من اضطراب الحال في الدّنيا وسوء المآل في الآخرة ، لكنّ نخبة المسلمين من محدّثين ومؤرّخين ورجاليّين ومفسّرين لم يلتقوا حول هذه النّقطة، إلاّ من رحم الله، وصار بعضهم يصرّح أنّ الحقّ ما عليه هو وجماعته، وماعدا ذلك من آية أو حديث فهو إمّا منسوخ أو مؤوّل! وصار النّبيّ(ص) بذلك تابعا لا متبوعا. ولا يفوتني هنا أن أؤكّد أنّ الذين نهوا النّاس عن الحديث عمّا جرى في صدر الإسلام زعما منهم أنّ ذلك أسلم لدين المرء إنّما أسدوا إلى الشّيطان خدمة وحرموا أجيالا من المسلمين من إعمال الفكر والتدبّر والتبصّر، وهذا بنفسه يكشف عن تعصّبهم وانسياقهم خلف الهوى، وعدم مبالاتهم بمصير من يأتي بعدهم، إذ لو أنّ البحث في ذلك بدأ من القرن الأوّل ثمّ أثراه من جاء فيما بعد لكان بين أيدينا اليوم مادّة علميّة غزيرة كفيلة بتبديد كثير من الشّبهات واستئصال كثير من العداوات والحزازات؛ لكن يظهر أنّ أولئك كانت تهمّهم مراكزهم ومواقعهم الاجتماعيّة وما ينالونه من جاه وهميّ أكثر مما يهمّهم تاريخ الإسلام والمسلمين ونصرة الحقّ ومباينة الباطل وأهله؛ وقد مرّ على النّاس زمان كان نجاح الفقيه فيه متوقّفا على مدى دفاعه عن معاوية وطائفته، ومحاربة شيعة أهل البيت عليهم السلام[1]، وتعاظم ذلك في القرن الثامن حتّى أنتج لنا أمثال ابن تيمية، وابن قيّم الجوزيّة، وابن كثير، والذّهبيّ، وابن خلدون، وآخرين يأتي الحديث عنهم إن شاء الله تعالى. واليوم أيضا تتعالى أصوات مشابهة ناسية أو متناسية أنّ حولها من وسائل الاتّصال ما يسمح للمرء أن يطّلع على كثير ممّا جرى وما يجري دون مغادرة بيته، وبدل أن يستفيد أصحاب تلك الأصوات من ذلك تراهم

---

(١) المقصود بنجاح الفقيه شهرته واستقرار وضعيته الاجتماعية وربّما تقلّب في المناصب الرفيعة .

يقلّدون أسلافهم ويدعون إلى التّعامي والتّغافل وتجاهل القيم وتهميش من يدعو إلى الدّفاع عنها، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا. لقد وردت في صحاح المسلمين أحاديث تدعو إلى طاعة الحاكمين وإن فجروا وفسقوا، ووردت أيضا أحاديث تدعو إلى محاربة الحاكم الجائر وتحذّر من الرّكون إليه، والقسم الثّاني أقرب إلى التّعاليم القرآنية التي تؤكّد أنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين. وتحذّر من الرّكون إلى الظالمين[1]؛ والأمّة في زماننا أحوج ما تكون إلى أحاديث العزّة والإباء؛ ومن بين الأحاديث ما جاء في صحيح ابن حبان[2]قال: [..]عن عامر بن السمط عن معاوية بن إسحاق بن طلحة قال حدثني ثمّ استكتمني أن أحدّث به ما عاش معاوية فذكر عامر قال سمعه وهو يقول حدثني عطاء بن يسار وهو قاضي المدينة قال سمعت ابن مسعود وهو يقول قال النّبيّ(ص) : سيكون أمراء من بعدي يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، لا إيمان بعده. قال عطاء فحين سمعت الحديث منه انطلقت به إلى عبد الله بن عمر فأخبرته فقال: أنت سمعت ابن مسعود يقول هذا ؟ كالمدخل عليه في حديثه! قال عطاء فقلت: هو مريض فما يمنعك أن تعوده؟ قال: فانطلق بنا إليه. فانطلق وانطلقت معه فسأله عن شكواه ثم سأله عن الحديث قال فخرج ابن عمر وهو يقلّب كفّه وهو يقول: ما كان ابن أمّ عبد يكذب على النّبيّ(ص) [3].

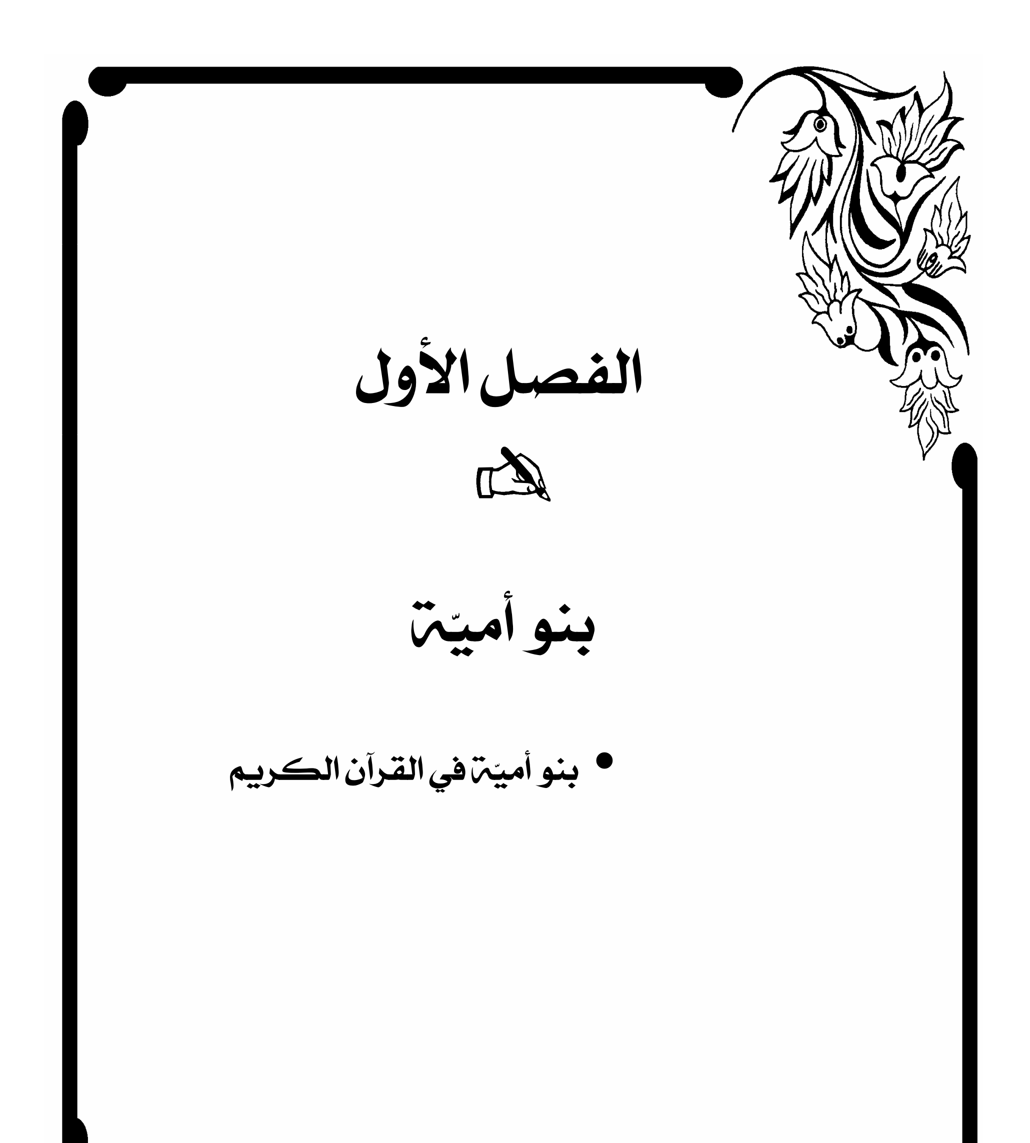
أقول: وأنت ترى في هذا الحديث كيف يستكتم الصّحابة والتّابعون بعضهم بعضا في الحديث تقيّة من معاوية ما عاش.

---

(١) ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون (هود ١١٣).

(٢) صحيح ابن حبان – ابن حبان ، ج١ ص٤٠٣ ، مؤسسة الرسالة ١٤١٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٣) علامة (اهـ) أو(انتهى) إشارة إلى نهاية النص .



الفصل الأول

بنو أميّة

- بنو أميّة في القرآن الكريم

- الشجرة الملعونة في القرآن
- بنو أمية في الأحاديث والآثار
- بنو أمية في أشعار العرب
- صفات بني أمية و أعمالهم
  - الرقابة والحظر
  - التحريف
  - الفجور

بنو أميّة

معاوية بن أبي سفيان من بني أميّة، وبنو أميّة قبيلة من قريش عرفت على وجه الخصوص بعداوتها لبني هاشم قبيلة النّبي(ص) ، وقد وردت أحاديث في مستدرك الحاكم وتفسير القرطبيّ وكتاب الفتن[1] تفيد أنّهم لم يكونوا يستثنون النّبي(ص) من تلك العداوة. قال ابن أبي الحديد: وبنو أميّة صنفان: الأعياص والعنابس. فالأعياص فالأعياص العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص. والعنابس: حرب، وأبوحرب، وسفيان، وأبو سفيان. فبنو مروان وعثمان من الأعياص، ومعاوية وابنه من العنابس، ولكلّ واحد من الصّنفين المذكورين وشيعتهم كلام طويل واختلاف شديد، في تفضيل بعضهم على بعض [2].

وفي لسان العرب: والعنابس من قريش أولاد أميّة بن عبد شمس الأكبر، وهم ستّة: حرب، وأبو حرب، وسفيان، وأبو سفيان وعمرو، وأبو عمرو؛ وسمّوا بالأسد. والباقون يقال لهم الأعياص.[3]

وقد جاء في وصف أميّة جدّ القبيلة أقوال من بينها أنّه كان صاحب عهار وفجور، وأنّه كان فيه نكد. قال ابن أبي الحديد[4]: إنّ عثمان بن عفان تمنّى رجلا يحدّثه عن الملوك وعمّا مضى فذكر له رجل بحضرموت، فأحضره وكان له معه حديث طويل كان منه أن سأله: أرأيت عبد المطّلب؟فقال: نعم، رأيت رجلا قعدا أبيض طويلا مقرون الحاجبين بين عينيه غرّة يقال إنّ فيها بركة، وإنّ فيه بركة، قال: أفرأيت أميّة؟ قال:

---

(١) مستدرك الحاكم، ج٤ ص٥٣٤، تفسير القرطبي، ج١٤ص٢٣٩، كتاب الفتن، ص١٣١ .

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١ ص٣٣٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٦ ص١٢٩ .

(٤) شرح النهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٣ ص٤٦٧ .

نعم رأيت رجلا آدم دميما قصيرا أعمى يقال إنّه نكد ـ وإنّ فيه نكدا ـ فقال عثمان: يكفيك من شرّ سماعه، وأمر بإخراج الرّجل[١].

والإنصاف يقضي أن نتساءل عن مدى شرعية تصرّف عثمان ههنا، فإنّه يخالف ما عليه الأديان والأعراف والثّقافات ممّا ينبغي أن يعامل به الضّيف. فالحضرميّ شيخ كبير لم يأت من تلقاء نفسه وإنّما أحضره الخليفة عثمان من حضرموت، فهو ضيفه. وحضرموت باليمن، وقطع مثل تلك المسافة ليس بالشيء اليسير على شيخ كبير وفي مثل مناخ الحجاز واليمن. ولعلّ الشيخ اعتبر هذه الدّعوة شرفا أدركه في آخر عمره، إذ ليس كلّ واحد في اليمن يحظى بأن يوجّه إليه الخليفة دعوة. ترى، أكان عثمان يأمر بإخراج الرّجل لو أنّه حرّف وزخرف في وصف أميّة وادّعى له من الأوصاف ما يدّعيه المتملّقون ؟!

وفي تاريخ مدينة دمشق[٢]: قال أبو حاتم قال ابن الكلبيّ سمعت أبي يقول أدرك ثوب بن تلدة[٣] معاوية فدخل عليه فقال له: ما أدركت وكم عمرك؟ قال: لا أدري، إلا أنّي أدركت بني والبة ثلاث مرّات يريد أفنيت ثلاثة قرون. قال: فكيف بصرك اليوم؟ قال: أحدّ ما كان قطّ كنت، أرى الشّخص واحدا فأنا أراه اليوم شخصين. قال: فكيف مشيك؟ قال: أمشي ما كنت قطّ، كنت أمشي تائدا فأنا اليوم أهرول هرولة. فقال: أدركت أميّة بن عبد

(١) وأمية ابن أخي هاشم بن عبد مناف جد النبي(ص) قال ابن هشام : « فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطلب وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية قال ابن هشام: وولد لعبد مناف أيضا أبو عمرو وتماضر و قلابة وحية وريطة وأم الأخثم و أم سفيان ».
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١١ ص١٨١ .
(٣) اختلفوا في ضبط اسمه .

شمس؟ قال: نعم، وهو أعمى وعبد له يقوده. قال له معاوية: كفّ فقد جاء غير ما ذكرت! ثمّ قال معاوية: ليس في البيت إلاّ أمويّ فأنظر أيّ هؤلاء أشبه بأميّة. قال: هذا لعمرو بن سعيد بن العاص وهو عمرو الأشدق وقيل له الأشدق لأنّه كان خطيبا مفلقا[١].

وقد سبق كلام الرّجل الّذي قال لعثمان ما قال بخصوص أميّة، والعبارتان تتّفقان على أنّ أميّة كان أعمى. والمتمعّن في القصّتين يجد موقف الخليفة عثمان وموقف معاوية متشابهين متناغمين.

وعلى فرض أنّ أميّة لم يكن أعمى فيه نكد، وعلى فرض أنّه كان في جمال يوسف(ع) ، فهل ينفعه ذلك وهو صاحب عهار وفجور؟ ثمّ إنّ المرء لا يعاب بالعمى إذ ليس العمى بنفسه عيبا قادحا في المروءة، وقد عمي جماعة من الصّحابة والتّابعين[٢]، وإنّما يظهر النّقص إذا انضمّ إلى العمى سفاسف الأخلاق وما تشمئزّ منه النّفوس، فيجتمع العميان عمى الظّاهر وعمى الباطن. ولماذا ينزعج عثمان ومعاوية من عمى أميّة والحال أنّ لدى الجمهور روايات تشير إلى أنّ من الأنبياء من كان فاقدا للبصر!

على كلّ حال، ليس في كتب التّاريخ والأدب والتّراجم ما يشير إلى فضائل تحلّى بها أميّة، ولم تنفع الأموال العريضة في اختلاق شيء من ذلك ونشره، ولا يملك العاقل المنصف إلاّ أن يضع أميّة حيث وضع أميّة نفسه. وقد جرت العادة عند

(١) عمرو الأشدق هذا هو الذي ذبحه عبد الملك بن مروان بعدما أعطاه الأمان. طالع شذرات الذهب، ج١ ص٧٧.

(٢) كان عبد الله بن أمّ مكتوم أعمى، وكان النبيّ (ص) يستخلفه على المدينة.

العرب أنهّم يفتخرون بمآثر آبائهم وأجدادهم، ويعتبرونها رصيدا مهمّا في سجلّ الشّرف يتوارثونه جيلا بعد جيل، وليس في آباء النّبي(ص) إلاّ من هو فخر لا يضاهى، وعزّ لا يتناهى، أقرّ لهم بالفضل موال ومخالف، وإنّما لا أبسط القول في ذلك لأنّ الموضوع يتعلّق بمعاوية وبني أميّة.

وقد ذكر المؤرخون والأدباء من أخبار أميّة وأوصافه ما تمجّه الأسماع، وأعرضت عن إيراد ذلك لأنّه لا يصحّ محاكمة بني أميّة بما كان في الجاهليّة، وإن كان فيه ما يعين على تشخيص ما يندرج تحت مقولة العرق الدّسّاس؛ وأمّا ما يستوي في الموقف منه المسلم والكافر فلا أرى حرجا في ذكره.

١ـ و امّ ي ال ران ال ر م

قال القرطبي[1]: وقال في رواية ثالثة إنّه(ص) رأى في المنام بني مروان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فقيل إنّما هي الدّنيا أعطوها فسري عنه؛ وما كان له بمكّة منبر ولكنّه يجوز أن يرى بمكّة رؤيا المنبر بالمدينة. وهذا التّأويل الثّالث قاله أيضا سهل بن سعد رضي الله عنه. قال سهل إنّما هذه الرّؤيا هي أنّ رسول الله(ص) كان يرى بني أميّة ينزون على منبره نزو القردة فاغتمّ لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتّى مات(ص) ، فنزلت هذه الآية مخبرة أنّ ذلك من تملّكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للنّاس وامتحانا.

---

(١) تفسير القرطبيّ، ج١٠ ص ٢٨٢ـ٢٨٣ .

وفي الدرّ المنثور: أخرج ابن مردويه عن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما أنّ النّبيّ(ص) أصبح وهو مهموم فقيل مالك يا رسول الله؟ فقال: إنّي رأيت في المنام كأنّ بني أميّة يتعاورون منبري هذا، فقيل: يا رسول الله لا تهتمّ، فإنّها دنيا تنالهم. فأنزل الله وما جعلنا الرّؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للنّاس. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه و البيهقيّ في الدّلائل وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه قال رأى النّبيّ(ص) بني أميّة على المنابر فساءه ذلك فأوحى الله إليه إنّما هي دنيا أعطوها فقرّت عينه؛ وهي قوله: (**وما جعلنا الرّؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للنّاس**) يعني بلاء للنّاس..[1]. وحديث رؤيا النّبي(ص) بني أميّة ينزون على منبره مذكور في شعب الإيمان (ج٣ص٣٢٤)عن يوسف بن مازن الرّاسبيّ.

وفي تفسير القرطبيّ: روي أنّ النّبيّ(ص) رأى بني أميّة في منامه يلون النّاس فخرج الحكم من عنده فأخبر بني أميّة بذلك فقالوا له: ارجع فسله متى يكون ذلك. فأنزل الله تعالى: (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين). يقول لنبيّه(ص) قل لهم ذلك[2].

وقال ابن كثير في تفسيره عند ذكر الآية من سورة القدر: قال أبو عيسى التّرمذيّ عند تفسير هذه الآية حدّثنا محمود... عن يوسف بن سعد قال قام رجل إلى الحسن بن عليّ بعدما بايع معاوية فقال سوّدت وجوه المؤمنين أو يا مسوّد وجوه المؤمنين

---

(١) الدّرّ المنثور، السيوطي، ج٥ ص٣١٠ .

(٢) تفسير القرطبيّ، ج١١ ص٣٥١.

فقال لا تؤنّبني رحمك الله، فإنّ النّبي(ص) أري بني أميّة على منبره فساءه ذلك، فنزلت إنّا أعطيناك الكوثر يا محمّد يعني نهرا في الجنّة. ونزلت إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بعدك بنو أميّة[1]. أقول: وقد تعقّب ابن كثير هذا بكلام جرى فيه على عادته في الدّفاع عن بني أميّة، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم[2]. والدّليل على بطلان كلام ابن كثير رواية الحاكم للقصّة في المستدرك (ج٣ص١٨٦)وقوله بعد ذلك«هذا إسناد صحيح »[3].

ولم يختلف المفسّرون في أنّ سورة «المسد » نزلت في حقّ أبي لهب وزوجته. وأرباب السّير والتّراجم متّفقون أنّ زوجة أبي لهب حمّالة الحطب هي أمّ جميل بنت حرب بن أميّة، أخت أبي سفيان، وهي عمّة معاوية بن أبي سفيان. وقد كان حنقها على النّبي(ص) من شدّته لا يكاد يوصف، حتّى إنّها كانت تسمّي النّبي(ص) مذمّما!! قال السّيوطيّ[4]: امرأته امرأة أبي لهب أمّ جميل العوراء بنت حرب بن أميّة. وقال البغويّ في تفسيره[5]: وامرأته أمّ جميل بنت حرب بن أميّة أخت أبي سفيان حمّالة الحطب. قال زيد والضّحّاك كانت تحمل الشّوك والعضاه فتطرحه في طريق النّبيّ(ص)

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٥٣٠ .

(٢) " قولهم شنشنة أعرفها من أخزم " يضرب مثلا للرجل يشبه أباه (جمهرة الأمثال / العسكري ج١ ص٥٤١).

(٣) نعم، لخص الذهبي المستدرك وضعف في تلخيصه كل ما من شأنه أن يقدح في آل أمية وحزب السقيفة، وعليه أن يعد لذلك عدّته يوم الحساب.

(٤) الإتقان ـ السيوطي، ج٢ ص٣٩٥ ، تحت رقم٥٧٧٢ .

(٥) تفسير البغوي، ج٤ ص٥٤٣ .

وأصحابه لتعقرهم وهي رواية عطيّة عن ابن عبّاس. وقال قتادة ومجاهد و السّديّ: كانت تمشي بالنّميمة وتنقل الحديث، فتلقي العداوة بين النّاس وتوقد نارها كما توقد النّار الحطب؛ يقال فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به. وقال سعيد بن جبير حمّالة الخطايا دليله قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم. وقال الشوكاني في الفتح[1]:«وقد ذهب جمهور المفسّرين إلى أنّهم كفّار مكّة وأنّ الآية (**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار. . الآية**) نزلت فيهم وقيل نزلت في الذين قاتلوا النّبيّ(ص) يوم بدر، وقيل نزلت في بطنين من بطون قريش بني مخزوم وبني أميّة».

وفي فتح القدير أيضا: أخرج البخاريّ في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطّاب في قوله ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة، فأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين. وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس عن عمر نحوه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطّبرانيّ في الأوسط والحاكم وصحّحه وابن مردويه من طرق عن عليّ في الآية نحوه أيضا. وأخرج عبد الرّزاق والفريابيّ والنّسائيّ وابن جرير وابن أبى حاتم وابن الأنباريّ والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقيّ عن أبي الطّفيل أنّ ابن الكوّاء سأل عليّا عن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا قال هم الفجّار من قريش كفيتهم يوم بدر[2].

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج٣ ص١٠٨ .

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج٣ ص١١٠ـ ١١١ .

والعجب من البخاريّ يرويه في تاريخه ولا يرويه في صحيحه، ولعلّ القارئ يتصوّر أنّ شرط الصّحيح لم يتوفّر فيه، وتلك ذريعة طالما تترّسوا بها، فقد استدركه عليه الحاكم ضمن عدد هائل مما تعمّد تركه من الأحاديث؛ قال الحاكم في المستدرك:«حدّثنا أبو العبّاس محمّد ... عن عمرو ذي مرّ عن عليّ رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ وأحلّوا قومهم دار البوار قال هم الأفجران من قريش بنو أميّة وبنو المغيرة. فأمّا بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر، وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »[1].

وفي زاد المسير: فأمّا الأحزاب فهم الكفّار الذين تحزّبوا على النّبيّ(ص) بالمعاداة وفيهم أربعة أقوال أحدها أنّهم اليهود والنّصارى قاله قتادة. والثّاني أنّهم اليهود والنّصارى والمجوس قاله ابن زيد. والثالث بنو أميّة وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزّى قاله مقاتل. والرّابع كفّار قريش ذكره الماورديّ[2].

وقال السيوطي: أخرج ابن مردويه و البيهقيّ في الدّلائل من وجه آخر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنّ أمّ جميل دخلت على أبي بكر وعنده النّبيّ(ص) فقالت يا ابن أبي قحافة ما شأن صاحبك ينشد فيّ الشّعر؟ فقال: والله ما صاحبي بشاعرٍ وما يدري ما الشّعر. فقالت أليس قد قال في جيدها حبل من مسد، فما يدريه ما في جيدي؟ فقال النّبيّ(ص) قل لها هل ترين عندي أحدا؟ فإنّها لن تراني، جعل بيني وبينها حجابا. فقال لها أبو بكر رضي الله عنه فقالت : أتهزأ بي؟ والله ما أرى

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج٢ ص٣٨٣، تحت رقم ٣٣٤٣ .

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ج٤ ص٣٣٥ .

عندك أحدا. وأخرج ابن مردويه عن أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه قال كنت جالسا عند المقام والنّبيّ(ص) في ظلّ الكعبة بين يديّ إذ جاءت أمّ جميل بنت حرب بن أميّة زوجة أبي لهب ومعها فهران[(١)] فقالت: أين الذي هجاني وهجا زوجي؟ والله لئن رأيته لأرضّنّ أنثييه بهذين الفهرين وذلك عند نزول تبّت يدا أبي لهب قال أبو بكر رضي الله عنه فقلت لها: يا أمّ جميل ما هجاك ولا هجا زوجك. قالت: والله ما أنت بكذّاب، وإنّ النّاس ليقولون ذلك؛ ثمّ ولّت ذاهبة فقلت: يا رسول الله إنّها لم ترك فقال النّبيّ(ص) :حال بيني وبينها جبريل. وأخرج ابن أبي شيبة والدّارقطني في الأفراد وأبو نعيم في الدّلائل عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لمّا نزلت تبّت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله لو تنحّيت عنها فإنّها امرأة بذيّة فقال: إنّه سيحال بيني وبينها فلا تراني فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك[(٢)].

وقال ابن كثير[(٣)]: وامرأته حمّالة الحطب وكانت زوجته من سادات نساء قريش! وهي أمّ جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أميّة، وهي أخت أبي سفيان، وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنّم، ولهذا قال تعالى حمّالة الحطب في جيدها حبل من مسد يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، وهي مهيّأة لذلك مستعدّة له.

---

(١) الفهر الحجر قدر ما يدقّ به الجوز ونحوه أنثى. لسان العرب ج٥ص٦٦.

(٢) الدّرّ المنثور، السيوطي، ج٥ ص٢٩٦ .

(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص٥٦٥ .

وقال السيوطي[1]: وأخرج ابن جرير عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأى النّبيّ(ص) بني فلان[2] ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتّى مات ؛ وأنزل الله (**وما جعلنا الرّؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للنّاس**). وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النّبيّ(ص) قال: رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة وأنزل الله في ذلك (**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للنّاس والشّجرة الملعونة**) يعني الحكم وولده. وأخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرّة عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله(ص) أريت بني أميّة على منابر الأرض وسيتملّكونكم فتجدونهم أرباب سوء. واهتمّ النّبيّ(ص) لذلك فأنزل الله (**وما جعلنا الرّؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للنّاس**). وأخرج التّرمذيّ والحاكم عن الحسن بن عليّ أنّ النّبيّ رأى بني أميّة على منبره فساءه ذلك فنزلت إنّا أعطيناك الكوثر، ونزلت إنّا أنزلناه في ليلة القدر. . . الحديث. لكنّ المزّيّ يقول: هو حديث منكر، ولا عجب من قول المزّيّ[3] وغيره من الشاميّين، فكم من حديث صحيح عدّوه في الموضوعات، وكم من حديث موضوع أحاطوه بهالة من التّقديس.

---

(١) الدّرّ المنثور السيوطي، ج ٥ ص٣٠٩ .

(٢) « بني فلان » ليس فيه تصريح باسم القبيلة، فإن كان تعمّدا فهو من كتمان العلم، وإن كان تقيّة فإنّما يدلّ على إرهاب فكري رهيب في زمن الصحابة!

(٣) المزّيّ نسبة إلى المزّة قال ياقوت الحموي في معجم البلدان، ج ٥ ص١٢٢، قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ و بها فيما يقال قبر دحية الكلبي صاحب النّبيّ(ص) ويقال لها مزة كلب.

قال البيضاويّ[1]: والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب. روي أنّها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أميّة تعبّد في الجاهليّة والتمس الدّين فلمّا جاء الإسلام كفر. وفي تفسير الطّبريّ[2]: ...عن ابن عبّاس قال كان أبيّ بن خلف يحضر النّبيّ(ص) فزجره عقبة بن أبي معيط فنزل(**ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلا**)إلى قوله(**خذولا**).قال«الظّالم»عقبة«و» **فلانا خليلا** « أبيّ بن خلف. حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا جرير عن الشّعبيّ في قوله (ليتني لم أتّخذ فلانا خليلا)قال كان عقبة بن أبي معيط خليلا لأميّة بن خلف فأسلم عقبة فقال أميّة: وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمّدا فكفر؛ وهو الذي قال ليتني لم أتّخذ فلانا خليلا. حدّثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرّزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزريّ عن مقسم في قوله (**ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلا**) قال اجتمع عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف وكانا خليلين فقال أحدهما لصاحبه:« بلغني أنّك أتيت محمّدا فاستمعت منه، والله لا أرضى عنك حتّى تتفل في وجهه وتكذّبه»، فلم يسلّطه الله على ذلك، فقتل عقبة يوم بدر صبرا، وأمّا أبيّ بن خلّف فقتله النّبيّ(ص) بيده يوم أحد في القتال؛ وهما اللّذان أنزل الله فيهما (**ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلا**). والقصّة مذكورة في زاد المسير(ج٦ص٨٦). وقال القرطبيّ في قوله تعالى(**وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم**...): وقيل نزلت في المغيرة بن وائل من بني أميّة كان بينه وبين عليّ بن أبي

(١) تفسيرالبيضاوي، ج٤ ص١٩٣ .
(٢) تفسير الطّبريّ، ج ١٩ ص ٨ .

طالب خصومة في ماء وأرض فامتنع المغيرة أن يحاكم عليّا إلى النّبيّ(ص) وقال إنّه يبغضني فنزلت الآية، وذكره الماورديّ وقال ليحكم ولم يقل ليحكما لأنّ المعنيّ به الرسول (ص)، وإنّما بدأ بذكر الله إعظاما لله، واستفتاح كلامٍ[1].

وقال في تفسير قوله تعالى (**ويوم يعضّ الظّالم على يديه. .**) قوله تعالى ويوم يعضّ الظّالم على يديّه الماضي عضضت وحكى الكسائيّ عضضت بفتح الضّاد الأولى وجاء التوقيف على أهل التفسير منهم ابن عبّاس وسعيد بن المسيّب أنّ الظّالم ها هنا يراد به عقبة بن أبي معيط وأنّ خليله أميّة بن خلف ؛ فعقبة قتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أنّه كان في الأسارى يوم بدر فأمر النّبيّ(ص) بقتله فقال أأقتل دونهم؟ فقال نعم بكفرك وعتوّك. فقال من للصّبية؟ فقال النّار فقام عليّ رضي الله عنه فقتله. وأميّة قتله النّبيّ (ص) فكان هذا من دلائل نبوّة رسول الله(ص) لأنّه خبّر عنهما بهذا فقتلا على الكفر ولم يسمّيا في الآية لأنّه أبلغ في الفائدة، ليعلم أنّ هذا سبيل كلّ ظالم قبل من غيره في معصية الله عزّ وجلّ. قال ابن عبّاس وقتادة وغيرهما وكان عقبة قد همّ بالإسلام فمنعه منه أبيّ بن خلف وكانا خدنين وأنّ النّبيّ(ص) قتلهما جميعا؛ قتل عقبة يوم بدر صبرا وأبيّ بن خلف في المبارزة يوم أحد. ذكره القشيريّ والثّعلبيّ والأوّل ذكره النّحّاس. وقال السّهيليّ: ويوم يعضّ الظّالم على يديه هو عقبة بن أبي معيط وكان صديقا لأميّة بن خلف الجمحيّ ويروى لأبيّ بن خلف أخي أميّة، وكان قد صنع وليمة فدعا إليها قريشا، ودعا النّبيّ(ص) فأبى أن يأتيه إلاّ أن

---

(١) تفسير القرطبيّ، ج ١٢ ص٢٩٣ .

يسلم، وكره عقبة أن يتأخّر عن طعامه من أشراف قريش أحد فأسلم ونطق بالشّهادتين. فأتاه النّبيّ(ص) وأكل من طعامه فعاتبه خليله أميّة بن خلف أو أبيّ بن خلف وكان غائبا، فقال عقبة رأيت عظيما ألاّ يحضر طعامي رجل من أشراف قريش! فقال له خليله: لا أرضى حتّى ترجع وتبصق في وجهه وتطأ عنقه وتقول كيت وكيت، ففعل عدوّ الله ما أمره به خليله، فأنزل الله عزّ وجلّ (**ويوم يعضّ الظّالم على يديه**). وروى مثله البغويّ في تفسيره[1]. وفي تفسير ابن كثير عند قوله تعالى (**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار. .**): قال البخاريّ قوله ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا ألم تعلم كقوله ألم تر كيف ألم تر إلى الذين خرجوا البوار الهلاك بار يبور بورا وقوما بورا هالكين. حدّثنا عليّ بن عبد الله حدّثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عبّاس ألم ترّ إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا قال هم كفّار أهل مكّة وقال العوفيّ عن ابن عبّاس في هذه الآية هو جبلة بن الأيهم والذين اتّبعوه من العرب فلحقوا بالرّوم[2] . والمشهور الصّحيح عن ابن عبّاس هو القول الأوّل، وإن كان المعنى يعمّ جميع الكفّار فإنّ الله تعالى بعث محمّدا(ص) رحمة للعالمين ونعمة للنّاس، فمن قبلها وقام بشكرها دخل الجنّة ومن ردّها وكفرها دخل النّار. وقد روي عن عليّ نحو قول ابن عبّاس الأوّل. وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي[..] أبي الطّفيل أنّ ابن الكوّاء سأل عليّا عن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا

---

(١) تفسير البغويّ، ج٣ ص٣٦٧ .

(٢) هذا مما لا يصحّ ، لأنّ جبلة بن الأيهم أسلم في خلافة عمر، ثم ارتدّ بعد ذلك إثر قصّة له معه، ولم يعرف أهل الشّام الإسلام على عهد النّبي(ص) .

قومهم دار البوار قال هم كفّار قريش يوم بدر. حدّثنا المنذر بن شاذان . . . عن أبي الطّفيل قال جاء رجل إلى عليّ فقال: يا أمير المؤمنين من الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار؟ قال: منافقو قريش. وقال ابن أبي حاتم حدّثنا أبي حدّثنا ابن نفيل قال قرأت على معقل عن ابن أبي حسين قال قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا أحد يسألني عن القرآن فو الله لو أعلم اليوم أحدا أعلم به منّي وإن كان من وراء البحار لأتيته، فقام عبد الله بن الكوّاء فقال: من الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار؟ قال: مشركو قريش، أتتهم نعمة الله فبدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار. وقال السديّ في قوله (**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا**.. الآية) ذكر مسلم المستوفي عن عليّ أنّه قال: هم الأفجران من قريش بنو أميّة وبنو المغيرة. فأمّا بنو المغيرة فأحلّوا قومهم دار البوار يوم بدر، وأمّا بنو أميّة فأحلّوا قومهم دار البوار يوم أحد. وكان أبو جهل يوم بدر وأبو سفيان يوم أحد. وأمّا دار البوار فهي جهنّم. وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا محمّد بن يحيى . . عن عمرو بن مرّة قال سمعت عليّا قرأ هذه الآية (**وأحلّوا قومهم دار البوار**) قال: هم الأفجران من قريش بنو أميّة وبنو المغيرة. فأمّا بنو المغيرة فأهلكوا يوم بدر، وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين. وروى أبو إسحاق عن عمرو ذي مر عن عليّ نحوه. وروي من غير وجه عنه. وقال سفيان الثوريّ عن عليّ بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطّاب في قوله(**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا**) قال: هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة؛ فأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين. وكذا رواه حمزة الزّيّات عن عمرو بن مرّة قال: « قال ابن عبّاس لعمر بن الخطّاب: يا أمير المؤمنين

هذه الآية (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار)قال: هم الأفجران من قريش أخوالي وأعمامك. فأمّا أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأمّا أعمامك فأملى الله لهم إلى حين ».

وفي زاد المسير[1]: قوله تعالى (ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا)في المشار إليهم سبعة أقوال أحدها أنّهم الأفجران من قريش بنو أميّة وبنو المغيرة روي عن عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب. والثاني أنّهم منافقو قريش رواه أبو الطّفيل عن عليّ. والثالث بنو أميّة وبنو المغيرة ورؤساء أهل بدر الذين ساقوا أهل بدر إلى بدر رواه أبو صالح عن ابن عبّاس. والرّابع أهل مكّة رواه عطاء عن ابن عبّاس و به قال الضّحّاك. والخامس المشركون من أهل بدر قاله مجاهد وابن زيد. والسّادس أنّهم الذين قتلوا ببدر من كفّار قريش قاله سعيد بن جبير وأبو مالك. والسّابع أنّها عامّة في جميع المشركين قاله الحسن.

وفي تفسير الطّبريّ: وقيل إنّ الذين بدّلوا نعمة الله كفرا بنو أميّة وبنو مخزوم. ذكر من قال ذلك: حدّثنا ابن بشّار وأحمد بن إسحاق قالا حدّثنا أبو أحمد قال حدّثنا سفيان عن عليّ بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطّاب في قوله ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار جهنّم قال هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة؛ فأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين[2]. وروى مثله في ص ٢٢٠ و ص ٢٢٢.

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ج٤ ص٣٦٢ .
(٢) تفسير الطّبريّ، ج١٣ ص٢١٩ .

وقال السّيوطيّ: وأخرج البخاريّ في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في قوله (**ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا**)قال هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة؛ فأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين [١]. و أخرج ابن مردويه عن عليّ رضي الله عنه أنّه سئل عن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا قال بنو أميّة وبنو مخزوم رهط أبي جهل[٢].

٢- ال ر الملعو ي ال ران:

هذا تعبير ورد في القرآن الكريم، وذكر أكثر المفسّرين أنّ المقصود به بنو أميّة، والذين ذكروا ذلك غير متّهمين على بني أميّة إذ ليس فيهم من ينسب إلى التّشيّع. وقد جرت العادة لدى المفسّرين أن يذكروا أكثر من قول ليرجّحوا واحدا في آخر الأمر أو يتركوا الاختيار للقارئ، لذلك تراهم في تفسيرهم للآية ذكروا أيضا أشجارا احتملوا أن تكون مقصودة باللّعن، والسؤال: ما ذنب شجرة لم تخلق نفسها، ولم تختر لونها ولا مكانها ، ولم تكلّف ولم تخالف التكليف أقول ـ ما ذنبها حتّى تلعن؟ واللعن هو الطّرد والإبعاد من رحمة الله، ولا يكون إلاّ باستحقاق! وعلى كل حال، بناء على القول الذي يشير إلى بني أميّة يكون أخذ الحيطة والحذر منهم أمرا مطلوبا لأنّه لا يرجى من الملعون خير. وإليك بعض ما قاله المفسّرون :

---

(١) الدّرّ المنثور، السّيوطيّ، ج٥ ص٤١.

(٢) نفس المصدر، ج٥ ص٤٢ .

قال الشوكاني:«وقيل إنّ الشجرة الملعونة هي الشّجرة التي تلتوي على الشّجر فتقتلها وهي شجرة الكشوث، وقيل هي الشّيطان، وقيل اليهود، وقيل بنو أميّة. (**ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغيانا كبيرا**) أي نخوّفهم بالآيات فما يزيدهم التّخويف إلا طغيانا متجاوزا للحدّ متماديا غاية التّمادي»[١].

وقال السيوطيّ:« أخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله(ص) يقول لأبيك وجدّك إنّكم الشّجرة الملعونة في القرآن»[٢].

وفي فتح القدير:« أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر أنّ النبي(ص) قال رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنّهم القردة فأنزل الله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للنّاس والشّجرة الملعونة يعني الحكم وولده» [٣].

وقال ابن الجوزي[٤]: « وروى ابن الأنباريّ أنّ سعيد بن المسيّب قال: رأى النّبيّ(ص) قوما على منابر فشقّ ذلك عليه، وفيه نزل(**والشّجرة الملعونة في القرآن**). وفي الدّرّ المنثور[٥]: أخرج ابن مردويه عن عليّ قال سورة محمّد آية فينا وآية في بني أميّة. وفي تفسير الصّنعانيّ في حوار طويل بين عليّ بن أبي طالب(ع) وابن الكوّاء:« قال: فمن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار؟ قال: الأفجران من

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج٣ ص٢٣٩ .
(٢) الدّرّ المنثور، السيوطي، ج٥ ص ٣١ .
(٣) فتح القدير،الشوكاني،ج٣ ص٢٤٠ .
(٤) زاد المسير ـ ابن الجوزي ـ ج٥ص٥٤ .
(٥) الدّرّ المنثور ـ السيوطي ـ ج ٧ ص٤٥٦ .

قريش. بنو أميّة وبنو مخزوم كفيتهم يوم بدر»[1]. وفي تفسير الثّوريّ:«حدّثنا أبو حذيفة حدّثنا سفيان عن أبي إسحق عن عمرو عن عليّ بن أبي طالب في قوله ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار جهنّم قال هما الأفجران من قريش بنو أميّة وبنو المغيرة فأما بنو المغيرة فقطع الله أدبارهم وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين»[2]. وفي تفسير أبي السّعود:« وعن عمر وعليّ رضي الله عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة. أمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر. وأما بنو أميّة فمتّعوا إلى حين. كأنّهما يتأوّلان ما سيتلى من قوله عزّ وجلّ قل تمتّعوا الآية»[3].

وفي لباب النّقول:« أخرج التّرمذي والحاكم وابن جرار عن الحسن بن عليّ قال إنّ النّبيّ(ص) رأى بني أميّة على منبره فساءه ذلك، فنزلت (**إنّا أعطيناك الكوثر**) ونزلت (**إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**) تملكها بعدك بنو أميّة. قال القاسم الحرّانيّ فعددنا وإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. قال التّرمذيّ غريب. وقال المزنيّ وابن كثير منكر جدّا »[4].

أقول : ليست هذه أوّل مرّة يقول فيها ابن كثير «منكر جدّا » إذا تعلّق الأمر بذمّ بني أميّة، لأنّ ابن كثير على أثر شيخه ابن تيمية، وابن تيمية ردّ أحاديث صحيحة لأنّها تهدم مبانيه، ومن يشابه شيخه فما ظلم!

---

(١) تفسير الصنعاني، ج ٣ ص ٢٤٢ .
(٢) تفسير الثّوريّ، ج١ ص ١٥٧ .
(٣) تفسير أبي السّعود ج٥ ص٤٥ .
(٤) لباب النّقول ـ السيوطي ـ ج١ ص ٢٣٣ .

وقال السيوطي: أخرج الخطيب في تاريخه عن ابن عبّاس قال رأى النّبيّ(ص) بني أميّة على منبره فساءه ذلك فأوحى الله إليه إنّما هو ملك يصيبونه ونزلت (**إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**). وأخرج الخطيب عن ابن المسيّب قال: قال النّبيّ (ص): أريت بني أميّة يصعدون منبري فشقّ ذلك عليّ فأنزل الله(**إنّا أنزلناه في ليلة القدر**). وأخرج التّرمذيّ وضعّفه وابن جرير والطبرانيّ وابن مردويه و البيهقيّ في الدّلائل عن يوسف بن مازن الرؤاسيّ قال: قام رجل إلى الحسن بن عليّ بعد ما بايع معاوية فقال سوّدت وجوه المؤمنين! فقال: لا تؤنّبني رحمك الله، فإنّ النّبيّ(ص) رأى بني أميّة يخطبون على منبره فساءه ذلك فنزلت (**إنّا أعطيناك الكوثر**) سورة الكوثر(الآية) يا محمّد يعني نهرا في الجنّة ونزلت (**إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدارك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**) يملكها بعدك بنو أميّة يا محمّد. قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما[1].

وفي زاد المسير[2]: « والثاني أنّه أري بني أميّة على المنابر فساءه ذلك، فقيل له إنّها الدّنيا يعطونها فسري عنه. وفي تفسير أبي السعود[3] عند قوله تعالى ﴿ووصّينا الإنسان بوالديه حسنا. . ﴾: والآية نزلت في سعد بن أبي وقّاص رضي الله تعالى عنه عند إسلامه حيث حلفت أمّه حمنة بنت أبي سفيان بن أميّة أن لا تنتقل من الضّح إلى الظّلّ ولا تطعم ولا تشرب حتّى يرتدّ، فلبثت ثلاثة أيّام كذلك».

---

(١) الدّرّ المنثور ـ السيوطي ـ ج ٨ ص٥٦٩ .
(٢) زاد المسير ـ ابن الجوزي ، ج٥ص٥٤ .
(٣) تفسير أبي السعود، ج٧ص٣١ .

وفي تفسيرالبغويّ[١]: وقال عمر بن الخطّاب هم الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أميّة؛ أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أميّة فمتّعوا إلى حين. وفيه أيضا[٢]:« قال مقاتل نزلت هذه الآية(**حتّى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه. . . الآية**) في عتّبة بن ربيعة بن أميّة، كان يلتمس الدّين في الجاهليّة ويلبس المسوح، فلمّا جاء الإسلام كفر. والأكثرون على أنّه عامّ في جميع الكفّار».

وفي فتح القدير[٣]: وأخرج ابن أبي خثيمة وابن عساكر عن الرّبيع بن أنس قال لما أسري بالنّبيّ(ص) رأى فلانا وهو بعض بني أميّة على المنبر يخطب الناس فشقّ ذلك على النّبيّ(ص)، فأنزل الله (**وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين**) يقول هذا الملك.

٣- و امّ ي ا حاد وا ار:

قال المقريزي في كتاب « النّزاع والتّخاصم »[٤]: وقد أخرج الحاكم من حديث سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مر عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ: واحلّوا قومهم دار البوار قال: هما الأفجران من قريش، بنو أميّة وبنو

---

(١) تفسير البغويّ، ج ٣ ص ٣٥.
(٢) نفس المصدر، ج٣ص٣٥٠.
(٣) فتح القدير ـ الشوكاني، ج ٣ ص٤٣٣.
(٤) النزاع والتخاصم ـ المقريزي ـ ص٧٢.

المغيرة ؛ فأمّا بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر، وأمّا بنو أميّة فمتّعوا إلى حين. قال الحاكم: هذا حديث صحيح[١].

وفي معجم الصّحابة:«حدّثنا محمّد بن إسماعيل البندار. . . عن عبد الله بن بدر عن أبيه عن جدّه أنّ سالما قال سمعت النّبيّ(ص) يقول ويل لبني أميّة ثلاثا »[٢]. وهذا جدير بالتأمّل والتّمعّن، فإنّ قوله(ص) «ويل لبني أميّة » يدلّ على سوء مصيرهم، وكلمة « ويل » وردت في القرآن الكريم في حقّ الكفار والمنافقين وأهل العاقبة السّيّئة. وفي معجم الصّحابة: «... عن عبد الله بن مطرف قال: كان أبغضَ النّاس إلى النّبيّ(ص) أو أبغض الأحياء بنو أميّة و ثقيف وبنو حنيفة »[٣]. وهو في مجمع الزوائد كما يلي: «عن أبي برزة قال كان أبغض النّاس أو أبغض الأحياء إلى النّبيّ(ص) ثقيف[٤] وبني حنيفة. رواه أحمد وأبو يعلى وزاد إلاّ أنّه قال بنو أميّة و ثقيف وبنو حنيفة. وكذلك الطبرانيّ. ورجالهم رجال عبد الله بن مطرف بن الشخير وهو ثقة»[٥].

قلت: لعلّ أبا برزة حدّث به في زمان دولة بني أميّة، فكان عليه أن يتغاضى عن أن يصرّح باسم القبيلة الحاكمة حقنا لدمه، وقد كان أبو هريرة يقول: وأمّا الوعاء الثّاني

---

(١) الحديث في المستدرك ج٢ص ٣٨٣ تحت رقم ٣٣٤٣ قال في ذيله الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه!
(٢) معجم الصحابة ـ ابن قانع ـ ج ١ص ٢٨٤ .
(٣) نفس المصدر ج٢ص ١٢٩ .
(٤) كذا في مجمع الزوائد.
(٥) مجمع الزوائد ـ الهيثمي ، ج ١٠ص ٧١.

فلو حدّثت به لقطع منّي هذا البلعوم. وقد بقي أبو برزة إلى أيّام الحرّة التي كان فيها ما كان وتوفّي بعدها. قال ابن حبّان: «أبو برزة الأسلميّ اسمه نضلة بن عبيد بن الحارث من المتعبّدين، مات في إمارة يزيد بن معاوية بعد الحرّة في المفازة بين سجستان و هراة غازيا »[١].

ويؤيّد ما قلته بخصوص خوف أبي برزة على نفسه ما جاء في كتاب الفتن:« حدّثنا محمّد بن جعفر[..]عن بجالة بن عبد أو عبد بن بجالة قال قلت لعمران بن حصين حدّثني عن أبغض النّاس إلى النّبيّ(ص) فقال تكتم عليّ حتّى أموت؟ قال: قلت نعم. قال: بنو أميّة و ثقيف وبنو حنفية»[٢]. وفي كتاب الفتن أيضا[٣]: حدّثنا بقيّة بن الوليد وعبد القدّوس ...عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال سمعت النّبيّ(ص) يقول إذا بلغت بنو أميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلا وكتاب الله دغلا. وأيضا تحت رقم ٣١٥: حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث [..] يزيد بن شريك أنّ الضّحّاك بن قيس أرسل معه إلى مروان بكسوة فقال مروان: من على الباب؟ فقال: أبو هريرة؛ فأذن له، فسمعته يقول بعد ما دخل: سمعت النّبيّ(ص) يقول يكون هلاك هذه الأمّة على يدي أغيلمة[٤] من قريش. وقال المقريزيّ[٥]: وقد جاء من طرق عن أبي هريرة رضي

---

(١) مشاهير علماء الأمصار ، ابن حبّان ، ص ٦٨ .

(٢) الفتن ، نعيم بن حماد ، ج١ص١٣٢ تحت رقم ٣٢٠ .

(٣) نفس المصدر السابق، ج١ص ١٣٠ تحت رقم ٣١٤ .

(٤) الغلام معروف ، وتصغيره غليم ، والجمع غلمة وغلمان . واستغنوا بغلمة عن أغلمة . وتصغير الغلمة أغيلمة على غير مكبره ، كأنهم صغروا أغلمة وإن كانوا لم يقولوه ، كما قالوا أصيبية في تصغير صبية . وبعضهم يقول غليمة على القياس . (الصحاح ، الجوهري ، ج ٥ ص ١٩٩٧).

(٥) النزاع والتخاصم ، لمقريزي ، ص ٨٢ .

الله عنه أن النّبيّ(ص) قال : (رأيت في النّوم بني الحكم أو بني أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة) قال: فما رؤي النّبيّ(ص) مستجمعا ضاحكا حتى توفّي. [الحديث في مسند أبي يعلى ج١١ ص٣٤٨ تحت رقم ٦٤٦١ صحيح ، وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣]. وعن سعيد بن المسيب قال: رأى النّبيّ (ص) بني أميّة على منابرهم فساءه ذلك فأوحي إليه: إنّما هي دنيا أعطوها فقرّت عينه؛ وهي قوله تعالى: (**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**) يعني بلاء للنّاس. [الحديث في تاريخ بغداد، ج٩ص٤٥وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٣].

وفي مستدرك الحاكم: «حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب حدّثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحجازي بحمص حدّثنا بقيّة بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال سمعت النّبيّ(ص) يقول: ثمّ إذا بلغت بنو أميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولا ومال الله نحلا وكتاب الله دغلا »[(١)]. وهذا الحديث بحقّ من دلائل النّبوّة، فإنّهم لمّا بلغوا أربعين رجلا كان منهم ما كان، واستولوا على الخلافة وفعلوا بالمسلمين الأفاعيل، وأرسل بعضهم جاريته سَكرى جُنبا تصلّي بالنّاس!!

وقد روى الحاكم هذا الحديث في الجزء الرّابع من المستدرك، وذكر له شواهد لا تروق للذّهبيّ. قال الحاكم: قال أبو بكر بن أبي مريم وحدّثني عمّار بن أبي عمّار أنّه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت النّبيّ(ص) يقول هلاك هذه الأمّة على يدي أغيلمة من قريش. هذا حديث صحيح على شرط الشّيخين ولم يخرجاه. ولهذا

---

(١) المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، ج٤ص٥٢٥تحت رقم ٨٤٧٥ .

الحديث توابع وشواهد عن النبي(ص) صحابته الطّاهرين والأئمّة من التّابعين لم يسعني إلاّ ذكرها، فذكرت بعض ما حضرني منها. (فمنها ما حدّثناه) أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن عبد الحميد الصّنعانيّ بمكّة حرسها الله تعالى(قالوا) حدّثنا عبد الرّزاق بن همّام الإمام قال حدّثني أبي عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: كان لا يولد لأحد مولود إلاّ أتى به النّبي(ص) فدعا له ، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ومنها ما حدّثناه أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عقبة الشّيبانيّ بالكوفة [..] عن حلام بن جذل الغفاريّ قال سمعت أبا ذرّ جندب بن جنادة الغفاريّ يقول سمعت النّبيّ(ص) يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتّخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا قال حلام فأنكر ذلك على أبي ذرّ فشهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إنّي سمعت رسول الله(ص) يقول ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ وأشهد أنّ النّبيّ(ص) قاله.

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وشاهده حديث أبي سعيد الخدريّ (حدّثنا) أبو بكر محمّد بن أحمد بن بالويه ...عن عطيّة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النّبيّ (ص) إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتّخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا .

هكذا رواه الأعمش عن عطيّة . حدّثنا أبو بكر بن بالويه ...عن الأعمش عن عطيّة عن أبى سعيد رضي الله عنه قال: قال النّبيّ(ص) إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولاً ودين الله دغلا وعباد الله خولا [١].

ومنها ما حدّثناه أبو بكر محمّد بن أحمد بن بالويه ...عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة الأسلميّ قال ثمّ كان أبغض الأحياء إلى النّبيّ (ص) بنو أميّة وبنو حنيفة وثقيف. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٢].

ومن أمعن النّظر تحقّق لديه صحّة هذا الحديث، فإنّ أعمال بني أميّة في حياة النّبي(ص) وبعد وفاته لم تكن لتثير في نفسه الشريفة إلاّ الاشمئزاز والنّفور.

وفي كتاب الفتن [..] راشد بن سعد « أنّ مروان بن الحكم لما ولد دفع إلى النّبيّ(ص) ليدعو له فأبى أن يفعل ثمّ قال: ابن الزّرقاء هلاك عامّة أمّتي على يديه ويدي ذرّيّته»[٣]. وفيه أيضا عن ابن موهب أنّ معاوية بينا هو جالس وعنده ابن عبّاس إذ دخل عليهم مروان بن الحكم في حاجة، فلمّا أدبر قال معاوية لابن عبّاس أما تعلم أنّ النّبيّ(ص) قال إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله تعالى بينهم دولا وعباده خولا وكتابه دغلا؟ قال ابن عبّاس اللّهم نعم. ثمّ إنّ مروان ردّ عبد الملك إلى معاوية في حاجته، فلمّا أدبر عبد الملك قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عبّاس أما تعلم أنّ النّبيّ(ص) ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الأربعة؟ قال اللّهمّ نعم. فعند

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج ٤ ص ٤٧٩ .
(٢) نفس المصدر السابق، ج ٤ ص ٥٢٩ تحت رقم ٨٤٨٢ .
(٣) كتاب الفتن، ج١ص١٢٩ (باب آخر من ملك بني أميّة).

ذلك ادّعى معاوية زياد بن عبيد[١].

وفي كتاب الفتن عن مكحول قال بلغني أنّ النّبيّ(ص) قال يكون من قريش أربعة زنادقة[٢]. قال أبوه: فسمعت سعيد بن خالد يذكر عن ابن أبي زكريّا نحو ذلك ثمّ قال هو مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وسعيد بن خالد الذي كان بخراسان[٣].

أقول: ذكر هؤلاء الأربعة لا ينفي وجود غيرهم ، فقد كان عبد الملك بن مروان راضيا بأقوال الحجّاج التي يفضّله فيها على النّبي(ص) ، وكان مروان راسخا في الباطل حتّى سمّوه « خيط باطل »، وقال معاوية بن أبي سفيان للمغيرة بن شعبة: «وإنّ ابن أبي كبشة ليهتف باسمه كلّ يوم خمس مرّات أشهد أنّ محمّدا رسول الله»؟!

وفي سنن الترمذيّ عن يوسف بن سعد قال قام رجل إلى الحسن بن عليّ بعد ما بايع معاوية فقال: سوّدت وجوه المؤمنين أو يا مسوّد وجوه المؤمنين. فقال لا تؤنّبني رحمك الله فإنّ النّبيّ أري بني أميّة على منبره فساءه ذلك، فنزلت(**إنا أعطيناك الكوثر**) يا محمّد يعني نهرا في الجنّة ونزلت(**إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**) يملكها بنو أميّة يا محمّد، قال القاسم فعددناها فإذا هي ألف لا يزيد يوم ولا ينقص .

---

(١) كتاب الفتن ، ج١ص١٣٠.

(٢) في تداول مفردة الزندقة على عهد النّبيّ نظر . . . طالع لسان العرب ج١٠ص١٤٧وتاج العروس ج٦ ص٣٧٣ وشرح شافية ابن الحاجب ج٢ ص١٨٨ .

(٣) كتاب الفتن، ج١ص١٣٣.

قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة وثّقه يحيى بن سعيد وعبد الرّحمن بن مهديّ ويوسف بن سعد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه[(١)].

وفي مسند الشاميين: عن راشد بن سعد قال: قال أبو ذرّ سمعت النّبيّ(ص) يقول ثم إذا بلغت بنو أميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولا ومال الله دخلا وكتاب الله دغلا[(٢)].

وفي مسند أبي يعلى عن أبي إسحاق عن عبد الله بن الزّبير قال قال النّبيّ(ص) ثمّ لا تقوم السّاعة حتى يخرج ثلاثون كذّابا منهم مسيلمة والعنسيّ والمختار وشرّ قبائل العرب بنو أميّة وبنو حنيفة وثقيف. وفيه أيضا[(٣)]: حدّثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي قال حدّثني حجّاج بن محمّد حدّثنا شعبة عن أبي حمزة جارهم عن حميد بن هلال عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة قال: ثمّ كان أبغضَ الأحياء إلى النّبيّ(ص) بنو أميّة وثقيف وبنو حنيفة [(٤)].

---

(١) سنن التّرمذي، ج١ص ٤٤٤تحت رقم ٣٣٥٠.
(٢) مسند الشاميّين ، الطبراني، ج٢ص٣٣٨.
(٣) نفس المصدر، ج١٣ص٤١٧ .
(٤) مسند أبي يعلى، ج١٢ص ١٩٧ .

وفي المستدرك: . . . عن عمرو بن مرة الجهنيّ وكانت له صحبة أنّ الحكم بن أبي العاص استأذن على النّبيّ(ص) فعرف النّبيّ(ص) صوته وكلامه فقال: إيذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم وقليل ما هم. يشرفون في الدّنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة يعطون في الدّنيا وما لهم في الآخرة من خلاق . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [1].

وقد ختم الحاكم حديثه في هذا الباب بعبارة يفتقر إليها الذّهبيّ وابن كثير ومن على شاكلتهما، قال: قال الحاكم رحمه الله تعالى ليعلم طالب العلم أنّ هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روي، وأنّ أوّل الفتن في هذه الأمّة فتنتهم، ولم يسعني فيما بيني وبين الله تعالى أن أخلي الكتاب من ذكرهم [2].

وعبارة «فيما بيني و بين الله تعالى » كاشفة عن مدى تحكّم تقوى الرّجل في علمه، فإنّه برّر إيراده للأحاديث في بني أميّة مع أنّه غير محتاج إلى تبرير، ولعلّه من وراء هذه الكلمة يريد تذكير الباحثين والمحقّقين بمضمون قوله تعالى (**ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتّقوى**).

غير أنّ الذّهبيّ وابن كثير وابن القيّم وابن حجر وابن تيمية لم يلتفتوا إلى ذلك، فتحكّمت فيهم أمزجتهم وانتماءاتهم المذهبيّة، وجنحوا إلى أساليب صرّح القرآن الكريم أنها من أعمال اليهود، ولم تجن الأمّة من أساليبهم إلاّ المزيد من الشحناء والبغضاء بين المسلمين، وخلفهم في ذلك خلف أضاعوا الحقّ واتّبعوا الباطل وسنّوا

---

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري ، ج ٤ص ٤٨١.
(٢) المستدرك، ج ٤ص ٤٨٢.

للنّاس سنّة تسخط الله تعالى، ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها.

وفي تفسير الطّبريّ: وقال آخرون في ذلك ما حدّثني أبو الخطّاب الجاروديّ سهيل [. .] عن عيسى بن مازن قال: قلت للحسن بن عليّ رضي الله عنه يا مسوّد وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرّجل فبايعت له يعني معاوية بن أبي سفيان فقال: إنّ النّبيّ(ص) أري في منامه بني أميّة يعلون منبره خليفة خليفة فشقّ ذلك عليه فأنزل الله (إنّا أعطيناك الكوثر) و(**إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر**) يعني ملك بني أميّة قال القاسم فحسبنا ملك بني أميّة فإذا هو ألف شهر[1].

وفي الفائق: عن علي بن أبي طالب (ع) : إنّ بني أميّة لا يزالون يطعنون في مسحل ضلالة سحل، ولهم في الأرض أجل ونهاية حتى يهريقوا الدّم الحرام في الشّهر الحرام؛ والله لكأنّي أنظر إلى غرنوق من قريش يتشحّط في دمه؛ فإذا فعلوا ذلك لم يبق لهم في الأرض عاذر ولم يبق لهم ملك على وجه الأرض بعد خمس عشرة ليلة[2].

ولعلّ قائلا يقول: إنّ شهادة عليّ بن أبي طالب(ع) في حقّ بني أميّة غير جائزة، لأنّه خصم لهم، وشهادة الخصم لا تجوز باتّفاق. والجواب على ذلك من جهات :

---

(١) تفسير الطّبريّ، ج٣٠ص ٢٦٠ ط [دار الفكر ١٤٠٥ هـ].

(٢) الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ج٢ص ١٦١ .

أولاها أنّ النّبي(ص) قد أخبر أنّ عليّا(ع) دائما مع الحقّ والحقّ دائما معه، يدور معه حيث دار، وسواء كان الضمير في «يدور» عائدا إلى عليّ(ع) أم إلى الحقّ، فإنّ ذلك يجعل شهادة عليّ(ع) نافذة غير قابلة للنّقاش أيّا كان الطّرف المشهود عليه. ومن عجائب الدّهر أنّ ابن تيمية أنكر في منهاجه وجود هذا الحديث في كتب المسلمين، وقال «لم يروه أحد لا بإسناد صحيح ولا ضعيف » ، مع أنّه موجود في عشرين مصدرا من بينها مستدرك الحاكم والرياض النضرة[1]، وكلّ أصحابها إمّا معاصر لابن تيمية أو متقدّم عليه !

الجهة الثانية أنّ عليّا(ع) لم يؤثر عنه تناقض في الكلام أو فتراء على بريء، وهذا إن لم يكن دليلا على عصمته فهو على الأقلّ دليل على بلوغه مرتبة عالية من التحلّي بمكارم الأخلاق. ويكفي لتأكيد ذلك أن أعدى أعدائه الذين سبّوه ولعنوه على المنابر لم ينسبوا إليه كذبا أو زورا، ولو أنّهم وجدوا شيئا من ذلك لشنّعوا به عليه. ولم يشكّك أحد في كلامه بخصوص بني أميّة، والأصل تصديق المخبر الذي لم يعهد عنه الكذب، فيستصحب صدقه .

(١) حديث ″ علي مع الحق ورد في مستدرك الحاكم ج٣ص١٣٤ومجمع الزوائد ج٧ص٢٣٥وتاريخ بغداد، ج١٤ص٣٢٠وسنن الترمذي ج٥ص٦٣٣ومسند البزار، ج٣ص٥٢وفيض القدير، ج٢ص٢٣٦وج٤ص١٣وتذكرة الحفاظ ج٣ص٨٤٤وسير أعلام النبلاء ج١٥ص٢٧٩والكامل في ضعفاء الرجال ج٦ص٤٤٥وضعفاء العقيلي ج٤ص٢١٠وكتاب المجروحين ج٣ص١٠وتهذيب الكمال ج١٠ص٤٠٢والعلل المتناهية ج١ص٢٥٥والرياض النضرة ج١ص٢٤٣وقال المحبّ الطّبريّ بعده أخرجه الترمذي و الخلعي وابن السمان.

الجهة الثالثة: أنّ النّبي(ص) قال عن عليّ(ع) إنّه مع القرآن والقرآن معه ولن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض، ومن كانت هذه حاله فكيف تردّ شهادته؟ أليس في ردّها ردّ للقرآن الكريم؟!! فإنّه معه لا يفارقه، فمن ردّ عليّا(ع) ردّ القرآن الكريم ـ و العياذ بالله تعالى من ذلك ـ

الجهة الرابعة: أنّ قرآنا نزل في حقّ بني أميّة يشهد عليهم بالضّلال، وأنّهم الشّجرة الملعونة، وهذا يؤكّد حديث النّبي(ص) أنّ عليّا مع القرآن والقرآن معه.

الجهة الخامسة: أنّ الأحاديث المأثورة عن النّبي(ص) بخصوص بني أميّة تشهد بضلالهم، ومعنى ذلك أنّ الغرض من كلام علي(ع) في حقّ بني أميّة متحقّق من طرف النّبي(ص) ، وبذلك ينتفي الغرض من إبطال شهادة عليّ(ع) .

الجهة السادسة: أنّ كلام عليّ(ع) في حقّ بني أميّة تضمّن قضايا غيبيّة، حدثت بعد رحيله من الدنيا بسنين طويلة، وهذه دون إبطالها خرط القتاد أو الانسلاخ من القيم والأعراف الآداب.

الجهة السابعة: أنّ أعمال بني أميّة في حياة الإمام علي(ع) وبعده تطابق أقواله فيهم انطباق الظلّ على شخصه، ومن تتبّع ما جرى على أيديهم لم يشكّ في صدق ذلك.

الجهة الثامنة: أنّ أقوال صحابة ممّن ثبتت تزكيتهم من طرف النّبي(ص) تنضمّ إلى شهادة عليّ(ع) ، ويلزم من ردّها نفي تزكية النّبي(ص) لهم، وفي ذلك تكذيب له(ص) .

الجهة التاسعة: أنّ كتب المفسّرين حافلة بما نزل في حقّ عليّ(ع) من المدح والثّناء، وليس في وسع العاقل أن يردّ شهادة من مدح في السماء قبل الأرض. لأنّ الله تعالى لا يمدح كاذبا.

الجهة العاشرة: أنّه أفضل من خزيمة بن ثابت الأنصاريّ ذي الشّهادتين من جميع الحيثيّات باتّفاق المسلمين، فيلزم منه أن يكون له ثلاث شهادات وإلاّ كان مساويا له. ولازم كونه كذلك أنّه على فرض ردّ شهادة تبقى شهادتان ، وقد اقتصر الشّارع على شهادتين في الدّين والوصيّة والطّلاق.

٤- و امّ ي ا عار العر :

من الأشعار التي قيلت في بني أميّة ما جاء في تاريخ السيوطي[1]:

يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد   جرّبتم الغدر من أبناء مروانا

أمسوا وقد قتلوا عمرا وما رشدوا   يدعون غدرا بعهد الله كيسانا

ويقتلون الرجال البزل ضاحية   لكي يولوا أمور الناس ولدانا

تلاعبوا بكتاب الله فاتخذوا   هواهم في معاصي الله قرآنا

وفي شرح القصائد الهاشميات [2]:

فقل لبني أميّة حيث حلّوا   وإن خفت المهنّد و القطيعا

(١) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ج١ص٢١٨ .
(٢) شرح القصائد الهاشميات ، الكميت بن زيد الأسدي، ص ٨٠.

ألا أفٍّ لدهر كنت فيه هـدانا طائـعا لكم مطـيعا
أجاع الله من أشبعتــمـوه وأشبع من بجوركم أجيعا

و قال عبد الرحمن بن الحكم [أخو مروان]:

سميّة أمسى نسلها عدد الحصا * وبنت رسول الله ليس لها نسل

وقال غيره [(1)]:

لـعن الله مــن يســبّ عــلـيّا وحــسيــنــا من ســوقة وإمــام

وقال أبو دهبل الجمحي ، في حمية سلطان بني أميّة وولاية آل بني سفيان :

تبيت السّكارى من أميّة نوّما وبالطّفّ قتلى ما ينام حميمها

وقال أبو الفضل محي الدين يحيى بن محمّد بن علي القرشيّ الدمشقيّ ، المتوفى سنة ٦٦٨. وكان شيعيا يفضل عليّا على عثمان، مع كونه ادّعى نسبا إلى عثمان [(2)]:

أديــن بــما دان الوصـــيّ ولا أرى سواه وإن كانت أمــيّة مــحــتدي
ولو شهدت صفّين خيلي لأعذرت وساء بني حرب هنالك مشهدي

وروى البلاذري أيضا في عن يزيد ابن مقرع قوله[(3)] :

ألا أبلغ معاوية بن حــرب * مغلغلة من الرّجل اليماني

---

(١) هو كثير عزّة لم يصرّح به.
(٢) توجد ترجمته في مرآة الجنان،ج ٤ ص ١٦٩ و النجوم الزاهرة،ج ٧ ص ٢٣٠ و البداية والنهاية، ج ١٣ ص٢٥٧ و شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢٥.
(٣) أنساب الأشراف ج٤ص٧٨.

أتغضب أن يقال أبوك عفّ * وترضى أن يقال أبوك زاني
فأقسم إنّ رحمك من زياد * كرحم الفيل من ولد الأتان[1]

وقال في عبيد الله بن زياد[2]:

شهدت بأن أمّك لم تباشر * أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

قال المقريزي في كتابه النزاع والتخاصم ص ٥٠: . . . . . . قال نفيل بن عبد العزى جدّ عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أميّة وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال :

أبوك معاهر وأبوه عفّ * وذاد الفيل عن بلد حرام

وذكر أيضا قصّة يقول فيها وهب بن عبد مناف بن زهرة :

مهلا أُمَيّ فإنّ البغي مهلكة * لا يكسبنّك ثوبا شرّه ذكر
تبدو كواكبه والشمس طالعة * يصب في الكأس منه الصّاب والمقر

وأورد ابن منظور في لسان العرب ج٥ص١٤٨وصفا لحال بني أميّة على لسان الفرزدق فقال : ومنه قول الفرزدق :

هيهات قد سفهت أميّة رأيها * فاستجهلت حلماءها سفهاؤها

---

(١) الأتان: الحمارة، والجمع آتن مثل عناق و أعنق وأتن و أتن [لسان العرب ، ابن منظور، ج١٣ ص ٦].
(٢) أنساب الأشراف، ج٤ ص ٧٩ .

حرب تردد بيـنها بتشاجر * قد كفرت آباءها أبناؤها

والأشعار في هذا الباب كثيرة تراجع في كتب الأدب، وإنّما ذكرت منها ما ذكرت وتركت ما قيل في مدح بني أميّة لأنّه لا يعبّر عن مواقف إنسانيّة مشرّفة، ولا يصّور فضائل تحلّى بها الممدوحون حقّا، وإنّما تزلّف به الشعراء لبني أميّة طمعا في ما في أيديهم، وليس فيهم من عرف بتديّن أو ورع، فكان ترك ذلك أولى من إيراده.

٥- صفات بني أميّة وأعمالهم:

كان بنو أميّة على علم تامّ بنقائص جدّهم الذي ينتمون إليه، والذي كان خاليا من مكارم الأخلاق، لذلك أنفقوا الكثير من الأموال في شراء المديح من الشّعراء، وعرف المرتزقة ذلك فتسابقوا إليهم يصفونهم بما ليس فيهم رجاء النّوال. ومع ذلك فقد بقيت صورة بني أميّة مشوّهة مصدّقة قول الشاعر: وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر[١]. فلم تنفع الأموال والهبات في تبييض الصّورة. روى ابن الأثير من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر[٢] أنّ الحكم بن أبي العاص بن أميّة أبا مروان كان يجلس خلف النّبيّ(ص) فإذا تكلّم اختلج بوجهه فرآه فقال له: كن كذلك. فلم يزل يختلج حتّى مات.

وفي رواية: فضرب به شهرين ثمّ أفاق خليجا، أي: صرع، ثمّ أفاق مختلجا قد أخذ لحمه وقوّته. وقيل: مرتعشا. وروى ابن حجر في الإصابة من طريق الطبرانيّ

(١) **تمام البيت** : وراحت إلى العطّار تبغي جمالها***وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر.
(٢) النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ، ج١ص ٣٤٥ .

والبيهقيّ في الدلائل، والسيوطيّ في الخصائص الكبرى (ج٢ص٧٩)عن الحاكم وصحّحه وعن البيهقيّ و الطبرانيّ عن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصدّيق قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس إلى النّبيّ(ص) فإذا تكلّم النّبيّ(ص) اختلج بوجهه فقال له النّبيّ: كن كذلك. فلم يزل يختلج حتّى مات . . وفي الإصابة: أخرج البيهقيّ من طريق مالك بن دينار حدثني هند بن خديجة زوج النّبيّ(ص): مرّ النّبيّ(ص) بالحكم فجعل الحكم يغمز النّبيّ(ص) بأصبعه فالتفت فرآه فقال: اللّهم اجعله وزغا. فزحف مكانه [1].

وقال القرطبيّ: فقد آذى بنو أميّة النّبيّ(ص) في أحبابه وناقضوه في محابّه[2]. وروى الحاكم حديثا تركه الشّيخان تعمّدا كما جرت عادتهما بخصوص ما من شأنه كشف حقيقة بني أميّة فقال(ص): أخبرني محمّد بن المؤمل بن الحسن حدّثنا الفضل بن محمّد حدّثنا نعيم بن حماد حدّثنا الوليد بن مسلم عن أبي رافع إسماعيل بن رافع عن أبي نضرة قال: قال أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال النّبيّ(ص): إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمّتي قتلا وتشريدا وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضا بنو أميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(اهـ). وفي هذا تصريح من النّبي(ص) أنّ بني أميّة يبغضونه، فإنّه(ص) قال «وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضا » ولم يقل «وإنّ أشدّ قومنا بغضا لأهل بيتي « كيما يتأوّل متأوّل. ومعلوم أنّ بغض

(١) الإصابة ، ابن حجر ، ج ١ص٣٤٦ .
(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج١٤ص٢٣٩.

النّبي(ص) يخرج صاحبه من دائرة الإيمان، فكيف يسوغ الدّفاع عن بني أميّة بعد أن علم المسلمون بغضهم للنّبي(ص) ؟!

والحديث نفسه في كتاب الفتن: [..] عن أبي رافع إسماعيل بن رافع قال: قال أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال النّبيّ(ص) إنّ أهل بيتي سيلقون من أمّتي بعدي قتلا شديدا وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضا بنو أميّة وبنو المغيرة من بني مخزوم[1].

ويقول الإمام عليّ(ع): . . حتى يظنّ الظّانّ أن الدّنيا معقولة على بني أميّة تمنحهم درّها. وتوردهم صفوها. ولا يرفع عن هذه الأمّة سوطها ولا سيفها. وكذب الظّانّ لذلك، بل هي مجّة من لذيذ العيش يتطعّمونها برهة ثم يلفظونها جملة[2].

ويفهم منه أنّه كان لبني أميّة على الأمّة سيف وسوط، والتّاريخ يشهد بصحّة ذلك، وهذا منهج الجبابرة لا غير، لأنّ العاقل المتّصف بمكارم الأخلاق لا يسوق النّاس بسوطه وسيفه، وإنّما يحاكمهم إلى العقل.

ومن ذلك أيضا قوله[3]: « ألا إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أميّة، فإنّها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطّتها وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها. وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدنّ بني أميّة لكم أرباب سوء بعدي كالنّاب الضّروس تعذم بفيها وتخبط بيدها، وتزبن برجلها، وتمنع درّها. لا يزالون بكم حتى

(١) كتاب الفتن، ص ١٣١ تحت رقم ٣١٩.

(٢) نهج البلاغة، ج ١ ص ١٥٤.

(٣) نهج البلاغة ، ج١ص١٨٣ .

لا يتركوا منكم إلاّ نافعا لهم أو غير ضائر بهم. ولا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ كانتصار العبد من ربّه والصّاحب من مستصحبه. ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشبة وقطعا جاهليّة. ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة. ثم يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا، ويسقيهم بكأس مصبّرة لا يعطيهم إلا السّيف. ولا يحلسهم إلاّ الخوف. فعند ذلك تودّ قريش بالدّنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني.

ويفهم ممّا سبق أنّ بني أميّة أصحاب فتنة شوهاء مخشية ترد قطعا جاهليّة، وقد عظّم القرآن أمر الفتنة فجعلها أشدّ من القتل، وآثار فتنة بني أميّة لا تزال إلى اليوم، لأنّهم ما تركوا شيئا من مجالات الحياة لم يتدخلوا فيه بهواهم وطيشهم، حتى صلّى بعضهم بالناس سكران[١].

ومن ذلك قوله(ع) :« والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرما إلاّ استحلّوه، ولا عقدا إلاّ حلّوه. وحتّى لا يبقى بيت مدر ولا وبرٍ إلاّ دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم. وحتىّ يقوم الباكيان يبكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه. وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه. وحتّى

---

(١) يأتي فصل خاص بأعمال بني أميّة لاحقا إن شاء الله تعالى .

يكون أعظمكم فيها غناء أحسنكم بالله ظنّا. فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوا. وإن ابتليتم فاصبروا. فإنّ العاقبة للمتّقين»[١].

قال الشيخ محمّد عبده بخصوص هذه الخطبة: الكلام في بني أميّة. والمحرّم ما حرمه الله. واستحلاله استباحته(اهـ).

وأنت ترى قول الإمام عليّ(ع) «حتّى لا يدعوا محرما إلا استحلّوه» وقوله(ع) : «حتّى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلاّ دخله ظلمهم»، وهذا تصوير لمن أبعد في الظّلم والباطل، ولم يستثن(ع) منهم أحدا، وقوله«حتى يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه»، وهو تصوير لحياة لا تطاق، لا ينجو فيها صاحب الدّين ولا صاحب الدّنيا. ومع ذلك نجد في زماننا هذا وفي الأزمنة السّابقة من يدافع عن بني أميّة ويزعم أنّهم خدموا الإسلام، وإن تعجب فعجب ما دفع الشاعر أحمد شوقي ـ سامحه الله ـ إلى أن عثر عثرة الجمل في قصيدته في دمشق حيث يقول:

مررت بالمسجد المحزون أسأله ❊ هل في المصلّى أو المحراب مروان

فمتى كان مروان صاحب مصلّى ومحراب؟! وهل يعقل أن يجهل أمير الشّعراء أحمد شوقي أحاديث النّبي(ص) في مروان؟!

سيأتي لاحقا في الفصل الخاصّ بأنصار معاوية ما يصوّر بعض جوانب شخصيّة مروان بن الحكم ودوره في الفتنة التي مزّقت صفوف المسلمين. ولا يفوت الباحث ما ذكره المؤرّخون بخصوص قضيّة قتل طلحة بن عبيد الله من قبل مروان يوم الجمل أخذا بثأر عثمان، ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصر المسعوديّ في مروج الذّهب،

---

(١) نهج البلاغة، ج ١ص ١٩٠ .

وابن عبد ربّه في العقد الفريد، والحاكم في المستدرك وابن الأثير في الكامل وأسد الغابة، وابن حجر العسقلانيّ في تهذيب التهذيب وابن الجوزي في صفة الصّفْوة وابن كثير في تاريخه وسبط ابن الجوزيّ في تذكرته واليافعيّ في مرآة الجنان.

وفي المستدرك[١] من طريق عبد الرحمن بن عوف- وصحّحه- أنّه قال: كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلاّ أتى به إلى النّبيّ(ص) فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون. وذكره أيضا ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص ١٠٨.

وقال مروان بن الحكم: ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ، فقيل له: ما لكم تسبّونه على المنابر ؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك[٢].

وهذا من أعجب ما يطرق أسماع العقلاء، فإنّ الدّول إنّما تستقيم أمورها بالقوّة العسكريّة والقوّة الاقتصاديّة والانسجام بين الحاكم والمحكوم، وردع المجرمين والمفسدين؛ أمّا أن تستقيم بسبّ رجلٍ قد خرج من الدّنيا فلم يقل به أحد ممّن يعتمد قوله، خصوصا إذا أضفنا إلى ذلك قول النّبي(ص) « من سبّ عليّا فقد سبّني » .

قال ابن حجر الهيتميّ في تطهير الجنان: وبسند رجاله ثقات أنّ مروان لما ولي المدينة كان يسبّ عليّا على المنبر كلّ جمعة، ثمّ ولي بعده سعيد بن العاص فكان لا يسبّ، ثمّ أعيد مروان فعاد للسبّ، وكان الحسن يعلم ذلك ولا يدخل المسجد إلاّ

(١) مستدرك الحاكم، ج٤ ص ٤٧٩ .

(٢) الصواعق المحرقة ، ابن حجر الهيتمي، ص٣٣ .

عند الإقامة، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن في بيته بالسبّ البليغ لأبيه وله ، ومنه : ما وجدت مثلك إلاّ مثل البغلة يقال لها : من أبوك؟ فتقول: أبي الفرس. فقال للرسول: ارجع إليه فقل له: والله لا أمحو عنك شيئا ممّا قلت بأنّي أسبّك، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت كاذبا فالله أشدّ نقمة، قد أكرم جدّي أن يكون مثلي مثل البغلة. الخ[١].

أقول: إنّ من بلغه أنّ النّبي(ص) قال عن الحسن والحسين إنهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وإنّهما ريحانتاه من الدّنيا، لا يسمح له دينه أن يشبّه أحدهما بالبغلة، ومدرسة الجمهور لا تقبل مجرّد انتقاد من رأى النبي(ص) وسمع منه ولو ساعة من نهار، لكنّها تلتزم الصمت حينما يتعلّق الأمر بسبّ سيّدي شباب أهل الجنّة وإهانتهما وتشبيههما بالبغال !!

ثمّ إنّ فقهاء المسلمين لم يختلفوا في أنّ سبّ الإمام عليّ(ع) ولعنه من الموبقات، وإذا صحّ ما قاله ابن معين كما حكاه عنه ابن حجر[٢]من أنّ كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحدا من أصحاب النّبيّ(ص) دجّال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين فما بال مروان يلعن عليّ بن أبي طالب(ع) ويبقى يتمتّع بحصانة ويروى عنه الحديث مع أنّ حكم الأمثال في ما يجوز و ما لا يجوز واحد. ؟!

وقال ابن عساكر: أبى مروان أن يدفن الحسن في حجرة النّبيّ(ص) وقال ما كنت

---

(١) تطهير الجنان (بهامش الصواعق المحرقة) ، ابن حجر الهيتميّ، ص ١٤٢ .

(٢) تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج ١ص٥٠٩ .

لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله، قد دفن عثمان بالبقيع. ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك ، فلم يزل عدوّا لبني هاشم حتى مات[١].

ومن حقّ كلّ مسلم أن يسأل مروان عن علاقة دفن عثمان بدفن الحسن(ع) ، هل كان الحسن من قتلة عثمان؟وما ذنب الحسن(ع) إذا كان المهاجرون والأنصار وعلى رأسهم طلحة بن عبيد الله والزّبير بن العوّام يرفضون دفن عثمان في مقبرة المسلمين؟

وفي هذا الباب أيضا ما ذكره ابن حجر العسقلانيّ في فتح الباري حيث يقول: « قلت وذكر ابن سعد من طرق أنّ الحسن بن عليّ أوصى أخاه أن يدفنه عنده إن لم يقع بذلك فتنة فصدّه عن ذلك بنو أميّة فدفن بالبقيع»[٢].

أقول: الدّين دين محمّد(ص) ، والمدينة مدينته، والبيت بيته، والتّصرّف لبني أميّة الذين حاربوه ولم يدخلوا في الإسلام إلاّ لحقن دمائهم!

ولم يكن للصّحابة عند مروان حرمة لا في دولة عثمان ولا في دولة معاوية ولا في دولته هو. ففي حلية الأولياء: «. ثمّ قال [أي النّبي(ص)] أنا وأصحابي حيز والنّاس حيز، ولا هجرة بعد الفتح. قال أبو سعيد: فحدّثت بهذا الحديث مروان بن الحكم وكان أميرا على المدينة فقال كذبت وعنده زيد بن ثابت ورافع بن خديج وهما معه على السّرير. فقال أبو سعيد: أما إنّ هذين لو شاءا لحدّثاك ولكن هذا يخشى على عرافة قومه[!] وهذا يخشى أن تنزعه عن الصّدقة[!] يعني زيد بن ثابت فرفع عليه

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٤ ص٢٢٧ .
(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١٣ص٣٠٨ .

الدّرّة فلمّا رأيا ذلك قالا صدق. رواه النّاس عن شعبة[١].

هذا بخصوص الأحياء من الصحابة، أمّا الأموات فقد جاء في تاريخ المدينة ما يلي: قال أبو غسّان، وأخبرني عبد العزيز، عن الحسن بن عمارة، عن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر، قال: كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه من أوّل من مات من المهاجرين، فقالوا يا رسول الله أين ندفنه؟قال: بالبقيع. قال، فلحد له النّبيّ(ص)، وفضل حجر من حجارة لحده، فحمله النّبيّ(ص) فوضعه عند رجليه. فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مرّ على ذلك الحجر، فأمر به فرمي به وقال: والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به. فأتته بنو أمية فقالوا: بئس ما صنعت ؟عمدت إلى حجر وضعه النبي(ص) فرميت به. بئس ما عملت به فأمر به فليردّ. قال: أما والله إذ رميت به فلا يردّ[٢]!

وفي تاريخ دمشق: في سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان فحاصرهم فسألوه الأمان على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا فقتلهم كلّهم إلاّ رجلا واحدا[٣].

قلت: أمير جيش المسلمين يعطي الأمان ثمّ يغدر ويخفر الذّمّة، ولا يعنّفه الخليفة، ولا يعزله ولا يعزّره لأنّ المهمّ هو تقوية أمر بني أميّة، ولازمه التّغاضي عن كلّ سوء يصدر منهم. ولا يخفي أنّ دماء المعاهدين معصومة، وقد سأل أهل طبرستان أمير الجيش الأمان على ألاّ يقتل منهم رجلا واحدا، ولم يقولوا على أن يقتلهم جميعا إلاّ

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم، ج٤ص٣٨٥.
(٢) تاريخ المدينة، ابن شبة النميري، ج١ص ١٠١.
(٣) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢١ ص ١٢٤ .

رجلا واحدا فإنّ مثل ذلك لا يصدر إلاّ من معتوه؛ وفيه انتفاء الغرض إذ ما فائدة طلب الأمان إن كانوا يريدون أن يقتلوا جميعا!!

ومن جانب آخر فإنّ النكرة في سياق النّفي تفيد العموم، وكلمة «واحدا » هنا صفة أريد بها التّوكيد، فإنّ الجملة معها أبلغ في بيان المطلوب، كما لو قال قائل: لا أعطيك درهما واحدا أو قال لا أبقى هنا دقيقة واحدة، فهل يفهم منه أنّه يعطي عشرين درهما أو يبقى خمسين دقيقة ؟! وكيف يجوز مثل هذا التّصرّف من أمير الجيش في دينٍ من مقاصده حفظ النّفس ؟بل كيف يحلّ مثل هذا مع قوله تعالى(**من قتل نفسا بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعا ومن أحياها فكأنّما أحيا النّاس جميعا**)؟!

وفي شرح نهج البلاغة: لمّا بنى عثمان قصره طمار بالزّوراء ، وصنع طعاما كثيرا، ودعا النّاس إليه، كان فيهم عبد الرّحمن[1]، فلمّا نظر للبناء والطّعام قال: يا ابن عفّان ، لقد صدقنا عليك ، ما كنّا نكذب فيك ، وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك . فغضب عثمان وقال : أخرجه عنّي يا غلام[2]، فأخرجوه، وأمر النّاس ألاّ يجالسوه؛ فلم يكن يأتيه أحد إلاّ ابن عبّاس، كان يأتيه فيتعلّم منه القرآن والفرائض. ومرض عبد الرّحمن فعاده عثمان، وكلّمه فلم يكلّمه حتّى مات[3].

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف الزّهريّ.

(٢) ههنا يأمر بإخراج عبد الرحمن بن عوف وقد مرّ بك سابقا أمره بإخراج الرّجل الحضرميّ الذي استدعاه من اليمن . ولم يثبت أنّ النّبيّ(ص) أمر بإخراج مسلم .

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١ص ١٩٦.

أقول: هذا أحد العشرة المبشّرين بالجنّة مات لا يكلّم عثمان، وهو الذي فضّله يوم الشّورى على عليّ بن أبي طالب(ع) ، وقال يومها «إنّي قد نظرت وشاورت النّاس فإذا هم لا يعدلون بعثمان »[(١)]. ومن العجائب والعجائب جمّة أنّ الذين كانوا لا يعدلون به أحدا رفضوا أن يدفن في مقابر المسلمين ومنعوا ذلك بشدّة!!

وهناك أمر آخر ينبغي لفت الانتباه إليه، وهو أنّ عثمان أمر النّاس ألاّ يجالسوا عبد الرّحمن بن عوف، وعمل النّاس بأمر عثمان فلم يكن يأتي عبد الرّحمن إلاّ ابن عبّاس، وهذه عقوبة قاسية بمنزلة إسقاط العدالة، ولم يأت عبد الرّحمن بن عوف الصحابيّ البدريّ المبشّر بالجنّة عملا يستحقّ به هذه العقوبة إلاّ أنّه استعاذ بالله من بيعة عثمان، وشهد عليه بالتصرّف في أموال المسلمين بطريقة لا تقرّها الشّريعة.

ولامناص من إعادة النّظر في مسألة شرعيّة خلافة عثمان بعد الذي حدث، فإنّها تستند إلى مبايعة عبد الرّحمن إيّاه يوم الشّورى، وقد قال عبد الرّحمن بن عوف بصريح العبارة «وإنّي أستعيذ بالله من بيعتك » وهي عبارة تشعر بندمه وتراجعه واعترافه بالخطإ، فإذا كان مؤسّس البيعة لم يعد يؤمن بشرعيّتها ، بل صار يستعيذ بالله منها على مرأى ومسمع من أهل المدينة فأين يكون محلّها من الإعراب ؟ !

وفي معجم ما استعجم: دير سمعان هو بنواحي دمشق حواليه قصور وبساتين لبني أميّة، وهناك قبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله [(٢)].

---

(١) تاريخ الطّبريّ، ج٣ص٢٩٧ .

(٢) معجم ما استعجم، ج٢ص ٥٨٥ .

وشاهدنا منه أنّ بني أميّة كانوا أصحاب قصورٍ وبساتين في الوقت الذي كان آل النّبي(ص) فيه مضايقين محاصرين من كلّ جهة .

ومن بين ما يطّلع عليه من أحوال بني أميّة قضيّة تشمئزّ منها النّفوس ولا يستسيغها صاحب مروءة ، قال القرطبيّ : وقد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرّجل على امرأة أبيه [!] كانت هذه السّيرة في الأنصار لازمة وكانت في قريش مباحة مع التّراضي. ألا ترى أنّ عمرو بن أميّة خلف على امرأة أبيه بعد موته فولدت له مسافرا وأبا معيط وكان لها من أميّة أبو العيص وغيره فكان بنو أميّة إخوة مسافر وأبي معيط وأعمامهما [!!][1].

وفي كتاب الفتن [..] عن الزّهريّ عن ابن المسيّب قال ولد لأخي أمّ سلمة غلام فسمّوه الوليد فذكر ذلك للنّبيّ(ص) فقال سمّيتموه بأسماء فراعنتكم؛ ليكوننّ في هذه الأمّة رجل يقال له الوليد هو شرّ على هذه الأمّة من فرعون على قومه. قال الزّهريّ إن استخلف الوليد بن يزيد فهو هو وإلاّ فالوليد بن عبد الملك[2].

أقول: والوليد بن عبد الملك هو الذي كان فرحا مستبشرا حينما اعتلّ أبوه وتبيّن في وجهه الموت . قال السّعديّ في عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء: قال يوسف بن إبراهيم حدّثني عيسى بن حكم عن أبيه أنّ جدّه أعلمه أنّه كان حمى عبد الملك بن مروان من شرب الماء[3] في علّته التي توفّي فيها وأعلمه أنّه متى شرب الماء قبل نضج علّته

(١) تفسير القرطبي، ج٥ص١٠٢ .

(٢) كتاب الفتن، نعيم بن حماد، ج١ص١٣٣.

(٣) من الحمية والحمية منع الطبيب المريض من تناول أمور معينة أثناء العلاج. وقد ورد حديث : المعدة بيد

توفّي. قال فاحتمى عن الماء يومين وبعض الثّالث ، قال فإنّي عنده لجالس وعنده بناته إذ دخل عليه الوليد ابنه فسأله عن حاله وهو يتبيّن في وجه الوليد السّرور بموته فأجابه بأن قال:

ومستخبر عنّا يريد بنا الرّدى * ومستخبرات والدّموع سواجم. (انتهى كلام السّعديّ)

أقول :والذي يبعث السّرور في قلب الوليد لموت والده عبد الملك بن مروان هو ولاية الأمر من بعده؛ فبعد أن يغمض عبد الملك عينيه ويلفظ آخر أنفاسه يصبح الوليد خليفة على المسلمين. ولنا أن نتساءل عن هذا الّذي يتبيّن منه السّرور بموت والده ليستلم الخلافة، إذا لم يرحم والده ولم يشفق عليه ولم يحزن لفقده – والقرآن الكريم يقول وبالوالدين إحسانا- فكيف يرحم الآخرين؟!

قال القرطبيّ: كان النّبيّ(ص) وادع أهل مكّة سنة وهو بالحديبية فحبسوه عن البيت ثمّ صالحوه على أن يرجع فمكثوا ما شاء الله ثمّ قاتل حلفاء النّبيّ(ص) من خزاعة حلفاء بني أميّة من كنانة فأمدّت بنو أميّة حلفاءهم بالسّلاح والطّعام فاستعانت خزاعة بالنّبيّ(ص) [1].

والشّاهد قوله « فأمدّت بنو أميّة حلفاءهم بالسّلاح والطّعام» مع أنّ بينهم وبين النّبي(ص) معاهدة تتضمّن عدم الاعتداء على حلفائه. وما ذكر سابقا لا يقول أمدّت

الداء والحمية رأس كل دواء.

(١) تفسير القرطبي، ج ٨ ص ٨٥ .

قريش و لكن يقول أمدّت بنو أميّة ؛ فيكون الغدر عادة لدى بني أميّة قبل فتح مكّة وبعده.

ولبني أميّة أعمال سافلة كثيرة، تبيّن فيها إلحادهم وجهلهم واستخفافهم بالدّين، أختار منها هذه على سبيل المثال لا الحصر ـ وأنا معتذر ممّا يجده القارئ من الاشمئزاز فإنّ ناقل الكفر ليس بكافر ـ، قال الأصفهانيّ في فصل خاص بطرب الوليد : عن محمّد بن سلام عن أبيه عن شيخ من تنوخ ولم يقل عمر بن شبّة في خبره محمّد بن سلام عن أبيه ورواه عن محمّد عن شيخ من تنوخ قال: كنت صاحب ستر الوليد بن يزيد فرأيت ابن عائشة عنده وقد غناه: **إنّي رأيت صبيحة النفر * حورا نفين عزيمة الصبر* مثل الكواكب في مطالعها******بعد العشاء أطفن بالبدر**** **وخرجت أبغي الأجر محتسبا******فرجعت موفورا من الوزر.** قال إسحاق في خبره: والشّعر لرجل من قريش والغناء لمالك هكذا في خبر إسحاق [..] قال فطرب الوليد حتى كفر وألحد وقال يا غلام اسقنا بالسّماء الرابعة!!وكان الغناء يعمل فيه عملا ضلّ عنه من بعده؛ ثمّ قال أحسنت والله يا أميري أعد بحقّ عبد شمس! فأعاد ثم قال أحسنت والله يا أميري أعد بحقّ أميّة! فأعاد ثم قال أعد بحقّ فلان أعد بحقّ فلان حتى بلغ من الملوك نفسه فقال أعد بحياتي فأعاده قال فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبّله وأهوى إلى هنه[1] فجعل ابن عائشة يضمّ فخذيه عليه فقال: والله العظيم لا تريم[2]حتى أقبّله! فأبداه له فقبّل رأسه[1]. ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقي مجرّدا[2]إلى

(١) قال أبو الهيثم : هي كناية عن الشيء يستفحش ذكره، (لسان العرب،ابن منظور، ج١٥ ص ٣٦٥).
(٢) لا تريم: أي لا تبرح.

أن أتوه بمثلها. ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة وقال: اركبها بأبي أنت وانصرف، فقد تركتني على مثل المقلى من حرارة غنائك. فركبها على بساطه وانصرف[٣].

الرّقابة والحظر:

من الأساليب التي استعملها المستبدّون من الحكّام على مرّ التّاريخ أسلوب الرّقابة والحظر، وهو يتمثّل في منع تسرّب كلّ خبر يكشف عن انحرافاتهم الحسّيّة والمعنويّة، ويقدح في كفاءتهم وأهليّتهم للحكم. والشّواهد على ذلك في عصرنا أوضح من نار على علم ، ويمكن القول أنّه أقسى ما يتعرّض له مثقّفو الأمّة العربيّة على وجه الخصوص. ويعتبر بنو أميّة من السّباقين في هذا المجال، وأخبارهم في ذلك موزّعة في كتب التّاريخ والأدب والسّير والتّراجم، ولو توفّر لديهم في ذلك العهد ما هو متوفّر اليوم من وسائل وتقنيّات لكانت العواقب والآثار أضعاف ما هي عليه اليوم ؛ فقد بلغ بهم الأمر أنّهم كانوا يدفنون بعض المعارضين أحياء يتنفّسون ، وفي نفس الوقت يبذلون من بيت المال لمن ينسب إلى النّبي(ص) أحاديث وأخبارا لا أصل لها ،

---

(١) الضمير في (رأسه) يعود على (هنه) ومعنى الكلام أنّ الخليفة قبّل رأس ذكَر المغنّي.

(٢) مجرّدا أي عاريا كما ولدته أمّه.

(٣) الأغاني، الأصفهاني، ج٢ص٢١٨.

ويختلق لهم ولأسلافهم فضائل لا تنسجم مع ما اقترفته أيديهم. وهذه أقوال صحابة وتابعين تشهد على بني أميّة بتلك الممارسات المنافية لمبادئ الإسلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال حفظت من النّبيّ(ص) وعاءين، أمّا أحدهما فبثثته وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم. وغرضهم عدم إمكان التّعبير عنه وخوف مقايسة السّامعين الأحوال الإلهيّة بأحوال الممكنات فيضلّوا بسوء الظّنّ في قائلها فيقابلوه بالإنكار. قلت[1]: المراد بالوعاء الآخر أخبار دولة بني أميّة كما صرّح به أهل الحديث ومن قال بخلافه لم يأت بما يشفي الغليل فإن شئت الاطّلاع على تمام الكلام في ذلك فارجع إلى القسطلانيّ ولا تغترّ بأقوال هؤلاء الذين ليسوا من علم السّنّة المطهّرة في ورد ولا صدر[2].

وفي المستدرك عن شهر بن حوشب قال: لمّا جاءت بيعة يزيد بن معاوية قلت لو خرجت إلى الشّام فتنحّيت من شرّ هذه البيعة. فخرجت حتّى قدمت الشّام فأخبرت بمقامٍ يقومه نوف[3] فجئته، فإذا رجل فاسد العينين عليه خميصة، وإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فلمّا رآه نوف أمسك عن الحديث فقال له عبد الله: حدّث بما كنت تحدّث به. قال: أنت أحقّ بالحديث منّي، أنت صاحب رسول الله(ص). قال: إنّ هؤلاء قد منعونا عن الحديث يعني الأمراء [!!!]قال: اعزم عليك إلاّ

---

(١) القائل هو القنوجي.

(٢) أبجد العلوم ـ القنوجي ـ ج١ص٢٤٧ .

(٣) قال ابن ماكولا في في إكمال الكمال ج١ص ٥٦٩ : وأما نوف أوله نون وآخره فاء فهو نوف بن فضالة البكالي أبو يزيد ابن امرأة كعب روى عنه نسير بن ذعلوق قاله البخاري.

ما حدّثتنا حديثا سمعته من النّبيّ(ص). قال سمعته يقول: إنّها ستكون هجرة بعد هجرة يجتاز النّاس إلى مهاجر إبراهيم لا يبقى في الأرض إلاّ شرار أهلها، تلفظهم أرضهم و تقذرهم أنفسهم، والله يحشرهم إلى النّار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلّف. قال وسمعت النّبيّ(ص) يقول سيخرج أناس من أمّتي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلّما خرج منهم قرن قطع حتّى يخرج الدّجّال في بقيّتهم[1].

وشاهدنا من الحديث قوله «إنّ هؤلاء قد منعونا عن الحديث يعني الأمراء» فإنّ فيه اعترافا صريحا بممارسة الدّولة الأمويّة للرّقابة والحظر. ولم يدرك عبد الله بن عمرو بن العاص ولا غيره من الصّحابة دولة بني العبّاس لأنّ آخرهم موتا وهو عامر بن الطّفيل توفّي قبل قيامها بأكثر من عشرين سنة. وأمّا عبد الله بن عمرو بن العاص فقد ذكر ابن حجر في موته ثلاثة أقوال كلّها دون سنة ثمانين. قال ابن حجر: « قال الواقديّ مات بالشّام سنة خمس وستّين وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين وقال ابن البرقيّ وقيل مات بمكّة وقيل بالطائف وقيل بمصر ودفن في داره. قاله يحيى بن بكير. وحكى البخاريّ قولا آخر أنّه مات سنة تسع وستّين وبالأوّل جزم ابن يونس وقال ابن أبي عاصم مات بمكّة وهو ابن اثنتين وسبعين وقيل مات سنة ثمان وستين وقيل تسع وستين »[2].

وفي الطبقات عن يوسف بن يعقوب الماجشون قال: كنت مع أبي في حاجة فلما انصرفنا قال لي أبي: هل لك في هذا الشّيخ فإنّه بقيّة من بقايا قريش وأنت واجد

---

(١) مستدرك الحاكم، ج٤ ص٤٨٦.

(٢) الإصابة، ابن حجر العسقلانيّ، ج٤ص١٦٧ .

عنده ما شئت من حديث ونبل رأيٍ، يريد عبد الله بن عروة. قال: فدخلنا عليه، فحادثه أبي طويلا ثمّ ذكر أبي بني أميّة وسوء سيرتها وما قد لقي النّاس منهم وقال: انقطع آمال النّاس من قريش. فقال عبد الله: أقصر أيّها الشّيخ فإنّ النّاس لن يبرح لهم أمر صالح في قريش ما لم يل بنو فلان، فإذا وليت بنو فلان انقطعت آمالهم. فقال له سلمة الأعور صاحبنا بنو هاشم؟ فقال برأسه أي نعم[١].

لعلّه يريد ببني هاشم الحاكمين من « بني العبّاس» وهذا أمر لا غبار عليه، فقد ظلموا وتجاوزوا كلّ الحدود حتّى قال الشّاعر: يا ليت ظلم بني مروان دام لنا * وليت عدل بني العبّاس في النّار. لكنّ ذلك لا يعفي بني أميّة ولا يبرّر ظلمهم، و لك أن تتأمّل قوله« ثمّ ذكر أبي بني أميّة وسوء سيرتها وما قد لقي النّاس منهم وقال انقطع آمال النّاس من قريش » فإنّها شهادة من معاصر معاين، يشهد على بني أميّة بسوء السّيرة وأنّ النّاس قد لقوا منهم. أمّا أن يكون القصد من ذلك حكم بني هاشم على الإطلاق فواضح البطلان لأنّ أفضل دولة تكون على الأرض هي دولة المهديّ عليه السلام الذي يملأ الأرض عدلا وهو من صميم بني هاشم.

وروى نعيم عن ناعم مولى أمّ سلمة قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إنّ السّلطان لا يكلّم اليوم وذلك في زمن معاوية[٢].

هذا في ما يتعلّق بممارسة بني أميّة للرّقابة والحظر، وفرضهم الحصار على الفكر وحيلولتهم دون نقل التّراث بأمانة كما يقتضيه الواجب الدّيني ، فإنّ عامّة فقهاء

---

(١) الطبقات الكبرى (القسم المتمم)، ج١ص٢٢٧.

(٢) كتاب الفتن، ج١ص ١٣٠ .

المسلمين ومحدّثيهم لا يزالون يردّدون« بلّغوا عنّي ولو آية » وبنو أميّة ينهون عن ذلك ويعاقبون من لا يلتزم بنهيهم.

التحريف:

قال المقريزي: ليس من الغريب تحريف حديث سدّ الأبواب[١]: أخرج أحمد في المناقب وابن راهويه في المسند وعبد الرّزاق في المصنّف عن معمر قال : سألت الزّهريّ من كان كاتب الكتاب يوم الحديبية ؟فضحك وقال: عليّ، ولو سألت هؤلاء قالوا: عثمان. يعني بني أميّة[٢].

أقول: إنّ ابن شهاب الزّهريّ كان معروفا بانحرافه عن عليّ بن أبي طالب(ع) ، وقد شهدت عليه أخته رقيّة بذلك أمام الجعفريّ وعيّرته بأخذ جوائز بني أميّة وكتمان فضائل آل محمد، وذكّرته بما روى لها ابن المنكدر[٣]. وإنّ شهادة مثله على بني أميّة من قبيل « شهد شاهد من أهلها »؛ فإذا كان هذا رأي من يأخذ جوائزهم، فكيف بمن

(١) النّزاع والتّخاصم ، المقريزي ، ص ١٢٧

(٢) فضائل الصحابة أحمد بن حنبل، ج ٢ ص ٥٩١، ح ١٠٠٢؛ مناقب علي وراجع الهامش ، والمطالب العالية، ج ٤ص ٢٣٤ ح ٤٣٤٦ ، باب الحديبية ، والمصنّف لعبد الرّزاق، ج ٥ص ٣٤٣، ح ٩٧٢٢ . اهـ

(٣) قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٢٢٧: أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين نا سليمان بن أحمد الحافظ نا محمد بن إسحاق الحافظ إسماعيل بن أبي أويس نا جعفر بن إبراهيم الجعفري قال كنت عند الزّهريّ أسمع منه فإذا عجوز قد وقفت عليه فقالت يا جعفري لا تكتب عنه فإنه مال إلى بني أمية وأخذ جوائزهم فقلت من هذه قال أختي رقية خرفت قالت خرفت أنت كتمت فضائل آل محمد قالت وقد حدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال أخذ النّبيّ(ص) بيد علي فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه = =وانصر من نصره واخذل من خذله [* * * *] قالت وحدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال النّبيّ(ص) أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

يتعرّض للأذى من قبلهم. وفي هذا بيان لمن أراد معرفة حقيقتهم من أفواه أنصارهم. ولا شكّ أنّ لتلك الأعمال التي أقدموا عليها أثرها على تراجع مستوى التعليم والتديّن في المجتمع الإسلامي آنذاك، لأنّ الأفكار لا تنمو إلا في ظلّ الحرّية. وقد سمحت أساليب بني أميّة بظهور متملّقين لا يهمّهم إلا الحصول على حطام الدنيا وتصدّر المجالس، ونتج عن ذلك اختلاط الحقّ بالباطل في قضيّة الحديث النبويّ الشّريف، واحتيج إلى علم يميّز صحيح الحديث من سقيمه؛ إلا أنّ ذاك العلم نفسه لم يسلم أربابه من الهوى وتقديس الانتماءات والترويج لها، فانفتح باب القدح وتكوّنت معسكرات وراج التبديع والتكفير، وصار حبّ أهل البيت عليهم السلام الذي نزل به قرآن يتلى[1] عيبا قادحا في معتقد الرّاوي مسقطا لعدالته. وتفاقم الأمر إلى أن لم يعد أهل الشأن أنفسهم يستسيغونه، وهو ما حدا بابن حجر العسقلاني أن يقول: « وقد كنت أستشكل توثيقهم الناصبيّ غاليا وتوهينهم الشّيعة مطلقا، ولا سيما أنّ عليّا ورد في حقّه لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلا منافق»[2]، وهي شهادة من خبير، ولا ينبئك مثل خبير، وإن كان قد برّر الاستشكال فيما بعد بما يناسب مبانيه. وعلى العموم فإنّ الضّرر الذي نتج عن ممارسة بني أميّة للتّحريف والتّزوير والرّقابة لا يصحّ إنكاره وتجاهله، بل ينبغي اعتباره عاملا أساسيا في تفريق الأمّة وخلق الصّعوبات والعقبات في طريق الباحثين، ومنع العاملين في الساحة العلمية من اختصار الطريق في سيرهم وتكاملهم. ويحزّ في نفس كل غيور على

---

(١) ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكور. [الشورى ٢٣].

(٢) تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني، ج ٨ص ٤١١ .

تراث الأمّة الإسلاميّة أن يرى المغرضين من المستشرقين والعلمانيّين يستغلّون حصاد بني أميّة لتلفيق الشّبهات والتهم، وإذكاء نيران الفتن، وتشكيك شباب الأمّة في أصول ثقافته. لقد قدّم بنو أميّة لأعداء الإسلام خدمة كبيرة كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد. ولو أنّ بني أميّة اكتفوا بالاستحواذ على الحكم ولم يتدخّلوا في كلّ صغيرة وكبيرة من شؤون الأمّة لكان الضّرر أخفّ، ولكان استدراكه أسهل. وقد صرّح جماعة من أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي برزة الأسلمي وأبي هريرة أنّ الحاكمين من بني أميّة منعوهم من تحديث النّاس بأحاديث النّبي(ص) ، وفي هذا ما فيه من أثر سلبيّ على التراث ، هذا مع أنّ النبي(ص) تقدّم لهم في ذلك وحذّر من كتمان العلم. فالذي يصحّ اعتماده في المسألة هو أنّ بني أميّة ـ وعلى رأسهم معاوية ـ وإن لم يكونوا أوّل من مارس الرّقابة والحظر، وحاسب النّاس على ما يقولون، إلاّ أنّهم طوّروا الأساليب وتخطّوا كل الحدود و الخطوط بحيث يصل بهم الأمر أحيانا إلى دفن المعارضين أحياء. ولاشكّ أنّ تعدّد أشكال الإرهاب الفكريّ يجعل همّ اغلب النّاس منحصرا في الإبقاء على النفس وتجنّب كل ما من شأنه أن يؤسس شبهة أو تهمة، وبذلك تمهّد السّبل للانتهازيين والمتملّقين وتسدّ الأبواب في وجوه العاملين من أهل الضمائر الحيّة. ولمن أراد التمعّن في ذلك أكثر أن ينظر في حال شعوب دول العالم الإسلاميّ والمستوى الذي وصل إليه المثقفون الذين آثروا البقاء في أوطانهم ؛ فالخيارات محدودة، والنّتائج متوقّعة سلفا، إمّا أن ينضووا تحت راية الحاكمين ليصبح التملّق جزءا من حياتهم اليوميّة، وإمّا أن يصبروا على المضايقات والهوان صبرا يجعل الولدان شيبا.

كلّ ذلك لأنّ الحاكمين يمارسون الرقابة والحظر ويمنعون الألسن التي هي ودائع الله تعالى أن تقول كلمة لا تناسب مزاجهم وهواهم.

الفجور:

والفجور في بني أميّة معلوم ، وأوفرهم حظّا فيه آل أبي سفيان؛ وكيف لا يكونون كذلك ومعاوية يشهد على أبيه بالزّنا في قضيّة استلحاق زياد بن عبيد كما هو مذكور في محلّه. وقد كان جدّهم أميّة صاحب عهار وفجور. وكان يزيد يمارس الفجور ويشجّع عليه. قال المقريزي: ولم يكن أميّة في نفسه هناك وإنّما رفعه أبوه وبنوه وكان مضعوفا، وكان صاحب عهار يدلّ على ذلك قول نفيل بن عبد العزّى جدّ عمر بن الخطّاب حين تنافر إليه حرب بن أميّة وعبد المطّلب بن هاشم فنفر عبد المطّلب وتعجّب من إقدامه عليه وقال: أبوك معاهر وأبوه عفّ * وذاد الفيل عن بلدٍ حرام؛ وذلك أنّ أميّة كان يعرض لامرأة من بني زهرة فضربه رجل منهم ضربة بالسّيف وأراد بنو أميّة ومن تابعهم إخراج زهرة من مكّة، فقام دونهم قيس بن عديّ السّهميّ وكانوا أخواله، وكان منيع الجانب شديد العارضة حميّ الأنف أبيّ النّفس، فقام دونهم وقال وصاح(أصبح ليل) فذهبت مثلا و نادى « ألا إنّ الظّاعن مقيم»؛ ففي هذه القصّة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة:

مهلا أميّ فإنّ البغي مهلكة * لا يكسبنّك ثوبا شرّه ذكر

تبدو كواكبه والشّمس طـالعـة * يصبّ في الكأس منه الصّاب والمقر[١].

وصنع أميّة في الجاهليّة شيئا لم يصنعه أحد من العرب: زوّج ابنه أبا عمرو بن أميّة امرأتـه فـي حيـاة منـه، والمقتيّـون فـي الإسـلام هـم الـذين أولـدوا نـساء آبـائهم واستنكحوهنّ من بعد موتهم، وأمّا أن يتزوّجها في حياته ويبني عليها وهـو يـراه فـإنّ هذا لم يكن قطّ[٢].

وفي المستطرف: لمّا دخل الفيل من دمشق واجتمع النّـاس لرؤيتـه صـعد معاويـة في مكان مرتفع ينظر إليه؛ فبينما هو كذلك إذ نظر في بعض الحجر من قصره رجـلا مع بعض حرمه [!!] فأتى الحجرة ودقّ الباب ، فلم يكن من فتحـه بـدّ ، فوقعـت عينـه على الرّجل. فقال له: يا هذا فـي قـصري وتحـت جنـاحي تهتـك حرمتـي وأنـت فـي قبضتي ما حملك على هذا؟ قال فبهت الرّجل وقال حلمك أوقعني؛ فقال لـه معاويـة: فإن عفوت عنك تسترها عليّ؟ قال: نعـم. فعفـا عنـه وخلّـى سـبيله ، وهـذا مـن الحلـم الواسع أن يطلب السّتر من الجاني[٣].

أقـول: لـيس هـذا مـن الحلـم الواسـع وإنّمـا هـو مـن الدّياثـة، والله تعـالى يقـول(ولا تأخـذكم بهمـا رأفـة فـي ديـن الله)وهـو أرأف بعبـاده مـن أنفـسهم. ولا أدري إن كـان

---

(١) الصاب بتخفيف الباء عصارة شجر مر[الصحاح ـ الجوهري ـ ج١ ص١٥٦] .١
قيل: المقر السم ، وقال أبو عمر: المقر شجر مر . السكيت : أمقر الشيء ، فهو ممقر إذا كان مرا . ويقـال للـصبر: المقر[لسان العرب ، ابن منظور، ج٥ ص ١٨٢] .
(٢) النزّاع والتخاصم، المقريزي، ص ٥٠ .
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ـ الأبشيهي ـ ج١ص ٤١١ .

الأبشيهي يعمل بالحلم الواسع لو حصل في بيته مثل الذي حصل في قصر معاوية!!

وفي جمهرة خطب العرب قول الحسن بن عليّ(ع) لعتبة بن أبي سفيان: وأما أنت يا عتبة فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك. وما عندك خير يرجى ولا شرّ يتّقى. وما عقلك وعقل أمتك إلاّ سواء. وما يضرّ عليّا لو سببته على رؤوس الأشهاد. وأمّا وعيدك إيّاى بالقتل فهلاّ قتلت اللّحيانىّ إذ وجدته على فراشك [!!] أما تستحي من قول نصر بن حجّاج فيك:

يا للرّجال وحادث الأزمان ولسبّة تخزي أبا سفيان

نبّئت عتبة خانه في عرسه جنس لئيم الأصل من لحيان

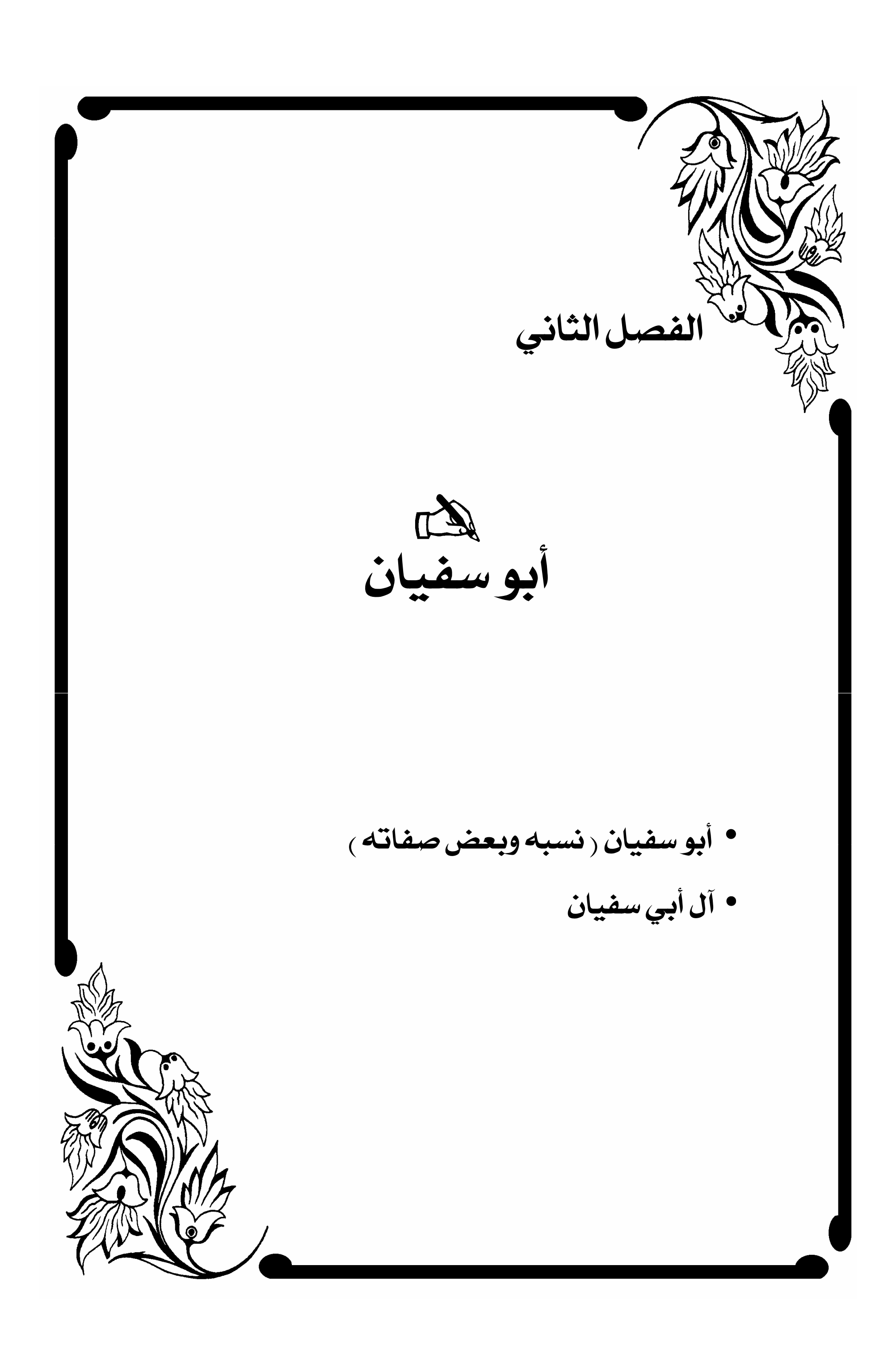
وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه. فكيف يخاف أحد سيفك ولم تقتل فاضحك؟![1].

وكثير من بني أميّة محدودون في الخمر وغيرها. قال محمّد بن حبيب البغدادي[2]: وحدّ عمرو بن سعيد بن العاص عبد العزيز بن مروان [والد عمر بن عبد العزيز خامس الرّاشدين في نظر الشافعي والذّهبيّ] في الخمر فقال يحيى بن الحكم بن أبي العاص: **وددت وبيت الله أنّي فديته ** وعبد العزيز وهو يجلد في الخمر**. وحدّ عبد الله بن الزبير حين بويع خالد بن المهاجر بن الوليد المخزوميّ في خمر وجدت معه، وحدّ عبد الملك بن مروان هاشم بن المسوّر بن مخرمة وكان افترى على رجل

(١) جمهرة خطب العرب، ج٢ص٢٢ .

(٢) المنمّق، محمّد بن حبيب البغدادي، ص ٣٩٨.

من قريش بالمدينة فكتب عامل عبد الملك على المدينة يخبر عبد الملك بذلك، فكتب إليه حدّه كما حدّ أبوه وجدّه قبله، وحد عبد الملك أيضا يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم [ابن أخي مروان] وكان عامله على المدينة كتب إليه يستأذنه فيه فكتب إليه: حدّه فإنّه فاسق ابن محدود، فحدّه. وحدّ أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاريّ وهو عامل عبد الملك على المدينة هشام بن عروة بن الزّبير في فرية على رجل من بني أسد بن عبد العزّى، وحدّ عبد الرحمن بن الضّحاك بن قيس الفهريّ وهو عامل المدينة للوليد بن عبد الملك هشام بن عروة بن الزّبير في فرية افتراها على رجل من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وضرب إبراهيم بن هشام وهو على المدينة مصعب بن عروة بن الزّبير حدّا في الخمر، وحدّ أيضا حمزة بن مصعب بن الزبير في الخمر، وحدّ أيضا عبد الله بن عروة بن الزّبير في الخمر، وحدّ عمر بن عبد العزيز يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة وكان افترى على أخيه أيوب بن سلمة، وحدّ إبراهيم بن هشام أو محمّد بن هشام وهو عامل هشام بن عبد الملك على المدينة إسماعيل بن عثمان بن الأرقم المخزومي في الخمر، وحدّ عمر بن عبد العزيز إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في الخمر فقال إسحاق لعمر: وددت يا عمر أنّ الناس كلهم جلدوا، يريد بذاك أباه عبد العزيز لأنه حدّ في الخمر . . .



الفصل الثاني

أبو سفيان

- أبو سفيان (نسبه وبعض صفاته)
- آل أبي سفيان

١ـ أبو سفيان (نسبه وبعض صفاته):

هوصخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس. قال الذّهبيّ:كان أسنّ من النّبيّ(ص) بعشر سنين. وعاش بعده عشرين سنة. وكان عمر يحترمه؛وذلك لأنّه كان كبير بني أميّة. وكان حما النّبيّ(ص). وما مات حتى رأى ولديه يزيد، ثم معاوية، أميرين على دمشق. وكان يحبّ الرّياسة والذّكر، وكان له سورة كبيرة في خلافة ابن عمّه عثمان. توفّي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين. وقيل سنة اثنتين وقيل: سنة ثلاث أو أربع وثلاثين، وله نحو التسعين [١].

أقول: ثبت أنّ النّبيّ(ص) أهدر دم أبي سفيان، فقد ذكر ابن سعد ما يلي:... وذلك أنّ أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش:" ألا أحد يغتال محمّدا فإنّه يمشي في الأسواق"؟! فأتاه رجل من الأعراب فقال قد وجدت أجمع الرّجال قلبا وأشدّه بطشا وأسرعه شدّا، فإن أنت قوّيتني خرجت إليه حتّى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النّسر فأسوره ثم آخذ في عير وأسبق القوم عدوا فإنّي هاد بالطّريق خرّيت؛ قال: أنت صاحبنا. فأعطاه بعيرا ونفقة، وقال اطو أمرك. فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وأصبح ظهر الحرّة صبح سادسة، ثمّ أقبل يسأل عن النّبيّ(ص) حتى دلّ عليه، فعقل راحلته، ثمأقبل إلى النّبيّ(ص) وهو في مسجد بني عبد الأشهل؛ فلما رآه النّبيّ(ص) قال: إنّ هذا ليريد غدرا . فذهب ليجني على النّبيّ(ص) فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة إزاره فإذا الخنجر فسقط في يديه وقال دمي! دمي! فأخذ أسيد بلبّته فدعته، فقال النّبيّ(ص): اصدقني ما أنت؟ قال: وأنا آمن ؟ قال: نعم. فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان فخلّى عنه النّبيّ(ص)، فأسلم. وبعث النّبيّ(ص) عمرو بن أميّة

---

(١) سير أعلام النّبلاء ج٢ص١٠٧.

و سلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب وقال إن أصبتما منه غـرّة فـاقتلاه؛ فـدخلا مكّة ومضى عمرو بن أميّة يطوف بالبيت ليلا ، فـرآه معاويـة بـن أبـي سـفيان فعرفـه، فأخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا في الجاهليّة وقـالوا : لـم يـأت عمـرو لخير. فحشد له أهل مكّة وتجمّعوا، وهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيـد الله بـن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله، وقتل آخر من بني الدّيل سمعه يتغنّى ويقـول "**ولست بمسلم ما دمت حيا*ولست أدين دين المسلمينا**"، ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسّبان الخبر فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينـة، فجعـل عمـرو يخبـر النّبـيّ(ص) خبره والنّبيّ (ص) يضحك[1].

وقال المسعودي:"وقد كان عمّار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان صـخر بـن حرب في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان، ودخل داره ومعه بنو أميّة، فقال أبو سفيان : أفيكم أحد من غيركم؟ـ وقد كان عمي ـ قالوا : لا قال : يا بني أميّة! تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلـت أرجوهـا لكـم، ولتـصيرنّ إلى صبيانكم وراثة. فانتهره عثمان وساءه ما قال، ونمي هذا القـول إلـى المهـاجرين والأنصار وغير ذلك من الكلام؛ فقام عمّار في المسجد فقال:يا معـشر قـريش أمـا إذا صدفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم ههنـا مـرّة، و ههنـا مـرّة، فمـا أنـا بـآمن مـن أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله[2]".

(١) الطّبقات الكبرى ، ابن سعد، ج٢ص٩٣.

(٢) مروج الذهب، المسعودي، ج٢ ص٣٤٢.

وفي الآحاد والمثاني عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه قال كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنّبيّ(ص): ثلاث أعطنيهن. قال: نعم. قال: عندي أحسن العرب وأجمله أمّ حبيبة بنت أبي سفيان تتّخذها وأزوّجكها. قال: نعم. ومعاوية تتّخذه كاتبا يكتب بين يديك. قال نعم[1].

أقول: هذا كلام قد صرّح المحقّقون ببطلان أكثره، فإنّ أمّ حبيبة بنت أبي سفيان تزوّجها النّبيّ(ص) بعد تنصّر زوجها الأوّل عبد الله بن جحش بن رئاب أخي زينب بنت جحش، وأمّا معاوية فإنّ ما يشاع عنه من كتابة الوحي لا يثبت، لأنّه أسلم بعد فتح مكّة في أواخر حياة النبي(ص) ، وكان أكثر القرآن يومها قد نزل، ولا يعرف معاوية ناسخه من منسوخه ولا محكمه من متشابهه، وإلا فلم لم يذكر مع القرّاء كعبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب ؟! وإنّما القول الصحيح هو أنّ عليّا(ع) هو كاتب وحي النّبي(ص) لم يفته ما فات غيره، فإنّه تربّى في بيته وهو آخر الناس عهدا به، وصلّى معه قبلهم بسبع سنين؛ وكان أوّل عمل قام به بعد وفاة النبي(ص) هو أن جمع القرآن وجاء به إلى الحاكمين يومها، الذين لم يكن لهم رغبة في مصحف خطّته يد عليّ(ع) . وعلى كل حال، فإنّ هذا الحديث وأمثاله ممّا أرادوا به إضفاء شيء من الفضل على أبي سفيان، ولا يثبت به فضل مقابل ما أثر عن أبي سفيان من العظائم.

قال أبو سفيان ـ فيما رواه ابن أبي عاصم ـ بخصوص قصّته مع عظيم الروم: "قال قيصر أدنوه منّي ثمّ أمر بأصحابي يجعلوا خلف ظهري عند كتفي، ثم قال لترجمانه :

---

(١) الآحاد والمثاني ـ ابن أبي عاصم ـ ج ١ص ٣٦٤ .

قل لهم إنّي سائل هذا الرّجل عن هذا الرّجل الذي يزعم أنّه نبيّ، فإن كذب فكذّبوه! قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء يومئذ بأن يأثر أصحابي عليّ الكذب لحدّثته عنه حين سألني، ولكن استحييت أن يأثروا عليّ الكذب فصدقته عنه . "[1] .

يصرّح أبو سفيان أنّ المانع له من الكذب هو أن يأثر عليه أصحابه الكذب ، لا لأنّ الكذب في نفسه مذموم يترفّع عنه أهل المروءة، ومعنى هذا أنّه لو كان أبو سفيان يومها وحده، ولم يكن معه في المجلس أحد من العرب لكذب على النّبيّ(ص) ، وقد سبق قول قيصر لرفقاء أبي سفيان بواسطة الترجمان:" فإن كذب فكذّبوه "؛ وهو ما يستشفّ منه أنّه توسّم فيه الشرّ، ولولا ذلك لما أقام عليه رقباء من قومه يحصون عليه كلماته ومعانيها. فكيف يكون من لا يصدّق قيصر كلامه إلاّ برقباء ثقة مأمونا ؟!

وقد روى ابن قيّم الجوزيّة بإسناد أمويّ محض قصّة تدع اللّبيب حيران، وتكشف عمّا في باطن أبي سفيان من حسد للنّبيّ(ص) فإنّ أبا سفيان ـ إن صحّت القصّة ـ كان عالما ببعث نبيّ في قريش قبل نزول الوحي على رسول الله(ص) بزمان، والقصّة يرويها مروان بن الحكم عن معاوية عن أبيه، قال ابن القيم: وقال مروان بن الحكم عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب قال: خرجت أنا وأميّة بن أبي الصّلت تجّارا إلى الشّام ، فكان كلّما نزلنا منزلا أخرج منه سفرا[2] يقرؤه. فكنّا كذلك حتّى نزلنا بقرية من قرى النّصارى، فرأوه فعرفوه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيعتهم؛ ثمّ رجع في وسط النّهار فطرح نفسه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما، ثمّ

---

(١) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، ج ١ص ٣٦٥.

(٢) السفر : الكتاب و جمعه أسفار ومنه قوله تعالى في سورة الجمعة (كمثل الحمار يحمل أسفارا. . . .).

قال: يا أبا سفيان؛ هل لك في عالمٍ من علماء النّصارى إليه تناهى علم الكتب تسأله عمّا بدا لك قلت لا[1]! فمضى هو وحده، وجاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه، ثمّ انجدل على فراشه. فوالله ما نام ولا قام حتّى أصبح وأصبح كئيبا حزينا ما يكلّمنا ولا نكلّمه. فسرينا ليلتين على ما به من الهمّ فقلت له ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك. قال: لمنقلبي. قلت: وهل لك من منقلب؟ قال: إي والله! لأموتنّ، ولأحاسبنّ. قلت: أعتق إمائي. قال: على ماذا؟ قلت على أنّك لا تبعث ولا تحاسب! فضحك وقال: بلى والله، لتبعثنّ ولتحاسبنّ ولتدخلن فريق في الجنّة وفريق في السّعير. قلت: أأخبرك صاحبك. قال لا علم لصاحبي بذلك فيّ ولا في نفسه. فكنّا في ذلك ليلتنا يعجب منّا ونضحك منه، حتّى قدمنا غوطة دمشق، فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين ثمّ ارتحلنا حتّى نزلنا قرية من قرى النّصارى؛ فلمّا رأوه جاءوه، وأهدوا له وذهب معهم إلى بيعتهم حتى جاءنا مع نصف النّهار، فلبس ثوبيه الأسودين، وذهب حتّى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثمّ رمى بنفسه على فراشه. فوالله ما نام، ولا قام، حتى أصبح مبثوثا حزينا لا يكلّمنا ولا نكلّمه. فرحلنا، فسرنا ليالي، ثمّ قال: يا صخر حدّثني عن عتبة بن ربيعة، أيجتنب المحارم والمظالم؟ قلت: إي والله. قال: ويصل الرّحم ويأمر بصلتها؟ قلت: نعم. قال: فكريم الطّرفين وسيط في العشيرة؟ قلت نعم. قال: فهل تعلم قرشيّا أشرف منه؟ قلت:لا والله[2]. قال أمحوج هو؟ قلت: لا بل هو ذو

---

(١) هذا جواب أبي سفيان مقابل فرصة لقاء عالم كبير من علماء أهل الكتاب، ولو أن أميّة قال له: هل لك في خمر معتقة وجارية وطرب... لكان أسرع إلى ذلك من السيل إلى منتهاه!

(٢) هذه كذبة أخرى من أكاذيب أبي سفيان الكاشفة عن الحسد، فإن رسول الله(ص) أشرف من عتبة وغيره عربا وعجما.

مال كثير . قال: كم أتى له من السنين؟ قلت: هو ابن سبعين أو قد قاربها. قال: فالسنّ والشّرف أزريا به. قلت: والله بل زاده خيرا . قال : هو ذاك؛ ثمّ إنّ الذي رأيت بي إني جئت هذا العالم فسألته عن هذا الذي ينتظر فقال : رجل من العرب من أهل بيت تحجّه العرب فقلت: فينا بيت تحجّه العرب. قال: هو من إخوتكم وجيرانكم من قريش فأصابني شيء ما أصابني مثله إذ خرج من يدي فوز الدّنيا والآخرة، وكنت أرجو أن أكون أنا هو، فقلت: فصفه لي . فقال : رجل شابّ حين دخل في الكهولة. بدو أمره أنّه يجتنب المحارم والمظالم، ويصل الرّحم ويأمر بصلتها، وهو كريم الطّرفين متوسّط في العشيرة؛ أكثر جنده من الملائكة. قلت: وما آية ذلك؟ قال: رجفت الشّام منذ هلك عيسى بن مريم عدّة رجفات، كلّها فيها مصيبة، وبقيت رجفة عامّة فيها مصيبة يخرج على أثرها. فقلت: هذا هو الباطل؛ لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مسنّا شريفا. قال أميّة: والذي يحلف به إنّه لهكذا. فخرجنا حتّى إذا كان بيننا وبين مكّة ليلتان أدركنا راكب من خلفنا، فإذا هو يقول: أصابت الشّام من بعدكم رجفة دثر أهلها فيها فأصابتهم مصائب عظيمة. فقال أميّة:كيف ترى يا أبا سفيان؟ فقلت والله ما أظنّ صاحبك إلاّ صادقا. وقدمنا مكّة؛ ثمّ انطلقت حتّى أتيت أرض الحبشة تاجرا وكنت فيها خمسة أشهر، ثمّ قدمت مكّة فجاءني النّاس وفي آخرهم محمّد ـ وهند تلاعب صبيانها ـ ورحّب بي، وسألني عن سفري ومقدمي. ثمّ انطلق فقلت: والله إنّ هذا الفتى لعجب! ما جاءني من قريش أحد له معي بضاعة إلاّ سألني عنها وما بلغت، والله إنّ له معي لبضاعة ما هو بأغناهم عنها، ثمّ ما سألني عنها؛ فقالت: أ وما علمت بشأنه؟ فقلت وفزعت: وما شأنه؟ قالت يزعم أنّه رسول الله. فذكرت قول النّصراني فوجمت! ثم قدمت الطائف فنزلت على أميّة، فقلت: هل

تذكر حديث النّصراني؟ قال نعم . فقلت: قد كان . قال : ومن؟ قلت محمّد بن عبد الله. فتصبّب عرقا فقلت: قد كان من أمر الرّجل ما كان منه. فقال: والله لا أومن بنبيّ من غير ثقيف أبدا ! فهذا حديث أبي سفيان عن أميّة، وذلك حديثه عن هرقل، وهو في صحيح البخاريّ. وكلاهما من أعلام النبوّة المأخوذة عن علماء أهل الكتاب[1].

وإذاً، فقد كان أبو سفيان عالما بصدق رسالة النّبيّ(ص) من البداية، وقد تثبّت من أميّة بن أبي الصّلت، فلماذا بقي الشّك يراوده؟ولماذا يقول ليلة فتح مكة للعبّاس: "لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما "؟!

على أنّها ليست المرّة الوحيدة التي اطّلع فيها على ما يقطع به العقلاء بصدق رسالة النبيّ(ص) ، فقد رووا في حقّه أمورا أخرى، منها ما رواه ابن عساكر عن الزهريّ عن سعيد بن المسيّب قال: لّما كان ليلة دخل النّاس مكّة ليلة الفتح، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا. فقال أبو سفيان لهند: ترين هذا من الله؟ قال: ثمّ أصبح فغدا أبو سفيان إلى النّبيّ(ص) فقال له النّبيّ(ص) قلت لهند أترين هذا من الله؟ نعم هو

(١) هداية الحيارى ، ابن قيم الجوزية ، ج١ص٩٩. والقصة نفسها مذكورة في تاريخ ابن كثير [البداية والنهاية ج٢ص ٢٨١] وتاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج٩ ص٢٦١ والإسناد عند ابن عساكر ما يلي : اخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن بن إبراهيم الداراني أنا أبو الفضل أحمد بن علي بن الفضل بن طاهر بن الفرات أنا رشأ بن نظيف المقرئ أنا عبد الوهاب بن جعفر بن علي الميداني أنا أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر أنا أبي أنا أحمد بن محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الوهاب الأزهري حدثنا يعقوب بن عبد الله السلمي حدثني محمد بن مسلمة عن إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي عن أبيه عن جده عن مروان بن الحكم حدثني معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب .

من الله. فقال أبو سفيان: أشهد أنّك عبد الله ورسوله، والذي يحلف به أبو سفيان ما سمع قولي هذا أحد من النّاس إلا الله وهند[1].

لكنّه أثناء معركة حنين حينما انكشف المسلمون قال كلمة كبيرة تشعر بفرحه بهزيمتهم، قال ابن كثير: "قال ابن إسحاق: ولما انهزم النّاس تكلّم رجال من جفاة الأعراب بما في أنفسهم من الضّغن، فقال أبو سفيان صخر بن حرب ـ يعني وكان إسلامه بعد مدخولا وكانت الأزلام بعد معه يومئذ ـ[2] قال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر"[3].

ولأبي سفيان أقوال أخرى يأباها الذوق السّليم، وتشمئزّ منها القلوب التي سكنها الإيمان؛ ومن ذلك ما ذكره ابن منظور قال: وفي الحديث أنّ أبا سفيان قال لبني أميّة: تزقّفوها تزقّف الكرة يعني الخلافة[4]. ومثله في الفائق: زقف التّزقّف والتّلقّف أخوان وهما الاستلاب والاختطاف بسرعة ومنه أنّ أبا سفيان رضي الله عنه قال لبني أميّة: تزقّفوها تزقّف الكرة وروي تلقّفوها يعنى الخلافة. وعن معاوية رضي الله عنه لو بلغ هذا الأمر إلينا بني عبد مناف تزقّفناه تزقّف الأكرة[5].

فالخلافة في نظر أبي سفيان وابنه معاوية ليست أمانة في عنق صاحبها، ولا عهدا من الله، وإنّما هي شيء يستحقّ التزقّف والتلقّف.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢٣ ص ٤٥٧.
(٢) أين هذا من قولهم "حسن إسلامه".
(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٤ ص ٣٧٤.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج٩ص. ١٣٨
(٥) الفائق في غريب الحديث،الزمخشري، ج٢ص ١١٧.

ومن ذلك أيضا ما ذكره الطبريّ بخصوص الكتاب الذي عزم المعتضد على إرساله إلى الأمصار ليقرأ على المنابر وقد جاء فيه :

"ومنه ما يرويه الرّواة من قوله يا بني عبد مناف تلقّفوها تلقّف الكرة فما هناك جنّة ولا نار، وهذا كفر صراح يلحقه به اللّعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. ومنه ما يروون من وقوفه على ثنيّة أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده ههنا ذببنا محمّدا وأصحابه. . "[1].

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن عساكر في قصّة ملك الرّوم حيث قال أبو سفيان: " فلمّا قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصّخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا. فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِر أمر ابن أبي كبشة. إنّه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنّه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام. . "[2]

ولا يخفى ما في عبارته من قصد الإزراء بشخص النّبيّ الكريم(ص) فإنّه وإن كان عدوّا له وفي حالة حرب معه، إلاّ أنّ مثل هذا التّعبير في حقّ رسول الله(ص) لا يقرّه عقلاء ذاك الزمان ولا غيره من الأزمنة السّابقة واللاّحقة؛ ومهما هذّبنا العبارة وبحثنا عن مبرّرات وتأويلات فإنّنا لن نستطيع أن ننفي ما وراء تلك الكلمات من حقد كامن في قلب أبي سفيان؛ وقد قال الله تعالى في حقّ من يصدر منهم مثل

(١) تاريخ الطبري ج ٨ص ١٨٥ و النصائح الكافية لمحمد بن عقيل الشافعي ص٢٦١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢ ص ٩٣ وقصة الكتاب في : الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج١ ص ٥٩٢ وصبح الأعشى للقلقشندي، ج٦ ص٣٥٩ ودلائل النبوة للبيهقي، ج ٤ص٣٨٤ والوثائق السياسية لحميد الله ص ١٠٩.

هذا(**قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر**) ولا شكّ أنّ كلام أبي سفيان يؤذي النبيّ(ص) .

ومن ذلك ما ذكره ابن عساكر في تاريخه قال:" قال أبو سفيان: وأقبلت حتى آتي مكّة فوالله ما أنا منه ببعيد حتى جئت مكة، فوجدت أصحابه يضربون ويقهرون. قال: فجعلت أقول فأين جنده من الملائكة؟ قال ودخلني ما يدخل النّاس من النّفاسة "[1]. وفيه اعتراف صريح بانسياق أبي سفيان وراء الحسد وتركه الحقّ وكتمانه إيّاه عمدا؛ ولو أنّه أخبر النّاس بما رأى وسمع في سفره مع أميّة بن أبي الصّلت لكان للأمور مجرى غير الذي جرت عليه، ولكان له هو سعي مشكور في حقن الدّماء وصلة الأرحام.

ومن ذلك ما رواه ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال: كنت مع أبي عام اليرموك، فلما تعبّأ المسلمون للقتال لبس الزبير لامته ثمّ جلس على فرسه، ثمّ قال لموليين احبسا عبد الله بن الزبير معكما في الرّحل فإنّه غلام صغير؛ ثمّ توجّه فدخل في النّاس. فلمّا اقتتل الناس والرّوم نظرت إلى ناس وقوف على تلّ لا يقاتلون مع النّاس، فأخذت فرسا للزّبير كان خلفه في الرّحل فركبته، ثمّ ذهبت إلى أولئك النّاس فوقفت معهم وقلت أنظر ما يصنع الناس، فإذا أبو سفيان بن حرب في مشيخة من قريش من مهاجرة الفتح وقوفا لا يقاتلون؛ فلمّا رأوني رأوا غلاما حدثا لم يتّقوني. قال فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبهم الروم يقولون إيه بني الأصفر! وإذا مالت

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر، ج٩ ص ٢٦٤.

الروم وركبهم المسلمون قالوا يا ويح بني الأصفر! فجعلت أعجب من قولهم فلمّا هزم الله الرّوم ورجع الزّبير جعلت أخبره خبرهم. قال: فجعل يضحك ويقول: قاتلهم الله أبوا إلاّ ضغنا! وماذا لهم في أن يظهر علينا الرّوم ولنحن خير لهم منهم"[1].

أقول: ليست هذه أوّل مرّة يفرح فيها أبو سفيان بهزيمة المسلمين، فقد سبق الحديث عن كلمته يوم حنين؛ وهذا قبيح منه ومن جماعته، فإنّهم يتمنّون هزيمة جيش هم بعض أفراده، ويفترض في العاقل أن يحبّ وطنه وقومه مهما كان بينه وبينهم حين يصبح الأمر بينهم وبين أعدائهم؛وما أحسن قول الشاعر في ذلك:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة ** وقومي وإن جاروا عليّ كرام

لكن يبدو أنّ أبا سفيان خال من الحسّ القوميّ كما هو خال من الحسّ الدينيّ، فلا عجب بعدها أن يصدر منه أمثال هذا .

وكان أبو سفيان شحّيحا، وقد ذكروا أنّ الشّحّ أعمّ من البخل؛ إذ البخل يختصّ بمنع المال، والشّحّ يعمّ كل شيء في جميع الأحوال. والبخل ممقوت شرعا وعرفا فكيف بالشّحّ! وقد مدح الله تعالى المنفقين وذمّ البخلاء؛ و في صحيح البخاري: عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند أمّ معاوية للنّبيّ(ص) إنّ أبا سفيان

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٢٣ ص ٤٦٧ .

رجل شحّيح، فهل عليّ جناح أن آخذ من ماله سرّا ؟ قال: خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف[1].

وقد عقد النووي في شرح مسلم بابا لفضائل أبي سفيان لم يذكر فيه سوى حديث عرضه على النّبيّ(ص) الزواج بأمّ حبيبة، وبما أنّ الحديث قد نالته سهام أهل الفنّ من كل جهة، لكون أمّ حبيبة تزوّجها النّبيّ(ص) قبل إسلام أبي سفيان بزمان، ولشهرة ما وقع للأخير معها حين جاء إلى المدينة وأراد تمديد عهد الصلح[2]، فقد تحوّل باب الفضائل إلى حملة على ابن حزم لقوله عن الحديث "موضوع والآفة فيه من عكرمة بن عمّار".

٢ـ آل أبي سفيان:

كان لأبي سفيان من الولد يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي سفيان و حنظلة بن أبي سفيان[قتل يوم بدر كافرا]، وعتبة بن أبي سفيان، و عنبسة بن أبي سفيان(لا عقب له)، ومحمد بن أبي سفيان[3]؛ ومن البنات رملة بنت أبي سفيان

---

(١) صحيح البخاري، ج ٣ ص ٣٦و ج٦ص١٩٣ وصحيح مسلم، ج٥ص١٢٩ومسند أحمد، ج٦ (ص٣٩ وص٥٠وص٢٠٦)وسنن الدارمي، ج٢ص١٥٩وسنن ابن ماجه، ج٢ص ٧٦٩ وسنن أبي داوود، ج٢ص ١٥٠ والسنن الكبرى للبيهقي، ج٧ص٤٦٦ وطبقات ابن سعد، ج٨ص٢٣٧ وتاريخ دمشق، ج٢٣ص٤٧١ وأسد الغابة، ج٥ص٥٦٢والبداية والنهاية، ج٤ص٣٦٥.

(٢) قال ابن هشام في السيرة ج ٤ ص ٨٥٥: ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على النّبيّ(ص) المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش النّبيّ (ص) طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت: بل هو فراش النّبيّ (ص) وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش النّبيّ (ص)، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر.

(٣) له ترجمة في تهذيب الكمال، ج ٢٥ ص ٢٨٤ و تاريخ البخاري الكبير ، الترجمة ٢٨٨ والكاشف ج ٣، الترجمة ٤٩٥٠ ، وتذهيب التهذيب :ج ٣، الورقة ٢٠٧.

وكنيتها أم حبيبة [تزوّجها النبي(ص) بعدما تنصّر زوجها عبد الله بن حجش في الحبشة] و جويرية بنت أبي سفيان [وكانت تفضّل أخاها معاوية على عليّ(ع)] وأميمة بنت أبي سفيان[تزوّجها حويطب بن عبد العزّى بن أبي قيس من بني عامر بن لؤي فولدت له أبا سفيان بن حويطب، ثمّ خلف عليها صفوان بن أمية فولدت له عبد الرحمن بن صفوان][1]، وهند بنت أبي سفيان[تزوّجها الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فولدت له عبد الله بن الحارث ويكنى أبا محمد][2].

وليس في من ذكر من يشار إليه بتديّن واستقامة؛ أمّا معاوية فمعلوم الحال، وسيرد عليك في حقّه ما يثير العجب. وأما يزيد فقد ولاّه أبو بكر على الجيش المتوجّه إلى الشّام وهلك في طاعون عمواس، وله قصّة مع أبي ذرّ تأتي لاحقا. وقد ناقض الذّهبيّ نفسه حين ذكره في أهل العقل والدينّ ثمّ ذكر غصبه حقوق بعض أفراد جيشه. وأمّا عتبة فكان عديم الغيرة على شرفه حتى قال الشعراء في ذلك ما قالوا[3] !

ولا يشكّ المطالع لسيرة آل أبي سفيان في أنّهم كانوا أشدّ النّاس استخفافا بالمقدّسات: والذين جاؤوا من بعدهم من آل مروان أمثال يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد وغيرهما إنّما تعلّموا منهم، ووجدوا الطّريق ممهّدا لذلك. كيف لا وقد جعل يزيد بن معاوية منصب الخلافة هو منصب الاستخفاف بالحرمات واللّعب بالفهود

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٦٩ ص ٥٥.

(٢) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ج ١ ص . ٢٢٥

٣ قصة عتبة بن أبي سفيان مع اللحياني مذكورة في جمهرة خطب العرب ج٢ص٢٢.

والقرود وترك الصّلوات والإقبال على الشّهوات، وسيمرّ بك لاحقا شهادة أهل المدينة عليه بذلك.

وقد سبقه إلى ذلك أبوه معاوية حينما راح يظهر استخفافه بشخص النّبيّ(ص) في مواطن عديدة، ويخالفه قولا وعملا، ولو لم يكن إلاّ استلحاق زياد بن سميّة لكفى. ولئن تشابه البقر على أقوام في معاوية فإنّه لا يتشابه عليهم في يزيد، إذ ليس يصحّ في الأفهام شيء إذا احتاج النّهار إلى دليل. فيزيد ملك ثلاثة أعوام قتل في الأوّل سبط النّبيّ(ص) في أهل بيته وأصحابه وأسر النّساء والصبيان، واستباح في العام الثاني مدينة النبيّ الأكرم(ص) في واقعة الحرّة المشهورة التي راح ضحيّتها من الصّحابة والتابعين خلق كثير، وانتهكت فيها الأعراض بشكل يندى له الجبين[1]، ورمى الكعبة المشرّفة في العام الثالث من حكمه بالمنجنيق؛ وبذلك جمع في مدّة قصيرة أعمال كلّ من فرعون و أبرهة وقابيل. وإنّه لشيء يحزّ في نفوس الشّرفاء والمدافعين عن القيم أن ينبري من انبرى للدفّاع عن يزيد باسم الإسلام، وتنفق في ذلك دولارات النفط في بلدان يعيش كثير من أهلها تحت مستوى الفقر بشهادة الجمعيّات والمنظّمات الإنسانيّة العالميّة الرسميّة منها وغير الرسميّة. لست أدري ما الذي يستفيده المسلمون من الدّفاع عن يزيد بن معاوية، ولا كيف يسمح أناس لأنفسهم بالنزول إلى ذلك المستوى من التّنكّر للحقّ، وهم في نفس الوقت يطيلون اللّحى و يحافظون بصورة منتظمة على التعطّر والسبق إلى الصفوف الأولى كلّ يوم جمعة ! ومع هذا كله يسمح أقوام لأنفسهم بالاستماع إلى أناس سبّاقين إلى الباطل وأهله فرّارين من الحقّ وأهله. ولست أعني في ما

(١) يأتي الحديث عن واقعة الحرة بالتفصيل لاحقا.

أقول أولئك البسطاء من النّاس الذين ولـدوا في مجتمعـات لا تقـدر أهـل البيـت عليهم السلام قدرهم، وقد وجدوا ثقافة جاهزة فانصهروا فيهـا ثقـة مـنهم بأسـلافهم، وإنّـما أعنـي أولئك الذين يحسنون ترتيب المقدّمات وتأصيل البحوث، ممّن قضوا السّنين الطّويلة في الجامعات والمعاهد وأتعبوا أنفسهم اللّيالي والأيّام بين مختلف أمّهات الكتب. هؤلاء قد قامت عليهم الحجّة، ولن يعفوا من المؤاخـذة لأنّ الـرّاضي بفعـل قـومٍ داخـل فـيهم، والسّاكت عن الحقّ شيطان أخرس، وهم أعلم النّاس بذلك، وليس من علم كمـن لم يعلم.

قال ابن كثير: قال ابن إسحاق وحدّثني يزيد بـن عبـد الله بـن أسـامة بـن الهـادي الليثيّ أنّ محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ حدّثه أنّه كان بين الحسين بن عليّ بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ والوليد يومئذ أمير المدينة أمّره عليهـا عمّه معاوية بن أبي سفيان ـ منازعة في مـال كـان بينهمـا بـذي المـروة، فكـأنّ الوليـد تحامل على الحسين في حقّه لسلطانه، فقـال لـه الحـسين: أحلـف بـالله لتنـصفنّي مـن حقّـي أو لآخـذنّ سـيفي ثـمّ لأقـومنّ فـي مـسجد النّبـيّ(ص) ، ثـم لأدعـونّ بحلـف الفضول[1]. قال فقال عبد الله بن الزبير ـ وهو عند الوليد حين قال له الحسين مـا قـال ـ وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفي ثمّ لأقـومنّ معـه حتّـى ينـصف مـن حقّـه أو نموت جميعا. قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزّهريّ فقال مثل ذلك. وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التّيميّ فقال مثل ذلك. فلمـا بلـغ ذلـك الوليـد بـن

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٤٥٦ : حلف الفضول ، سمى به تشبيها بحلـف كـان قديما بمكة أيام جرهم على التناصف، والأخذ للضعيف من القوي وللغريـب مـن القـاطن، قـام بـه رجـال مـن جرهم كلّهم يسمّى الفضل، منهم الفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة .

عتبة أنصف الحسين من حقّه حتى رضي[1].

وقال البلاذري في أنساب الأشراف: قال الواقديّ وهشام بن الكلبيّ: ظلم الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ وهو عامل عمّه معاوية على المدينة ـ الحسين بن عليّ بن أبي طالب في أرض له فقال: لئن أنصفتني ونزعت عن ظلمي وإلاّ دعوت حلف الفضول؛ فأنصفه[2].

أقول: إنّه لمؤسف أن يضطرّ ابن رسول الله(ص) إلى حلف الفضول لاستثارة نخوة لم يعد يستثيرها عنوان آية المودّة في القربى، ولا عنوان سيّد شباب أهل الجنّة، ولا عنوان ريحانة النّبيّ(ص) ! وظاهر الأمر أنّ الوليد بن عتبة لم يكن ينوى إنصاف الحسين(ع) وإنّما خشي أن تتطوّر القضيّة وفي القلوب على بني أمّية ما فيها وتفلت الأمور من يده، فرجع إلى الإنصاف مكرها لا عن طواعية . وهذه القصّة تؤكّد جور آل أبي سفيان كابرا عن كابر.

وقال ياقوت الحموي: روي أنّه كان ليزيد بن معاوية ابن اسمه عمر فحجّ في بعض السّنين فقال وهو منصرف: **إذا جعلن ثافلا يمينا * فلن نعود بعدها سنينا * للحجّ والعمرة ما بقينا !** قال فأصابته صاعقة فاحترق. فبلغ خبره محمّد بن عليّ بن الحسين(ع) فقال ما استخفّ أحد ببيت الله الحرام إلاّ عوجل[3].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٢ ص ٣٥٧

(٢) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ١٤.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٢ص ٧١.



الفصل الثالث



معاوية بن أبي سفيان

- نسب معاوية
- تربية معاوية
- إسلام معاوية
- محيط معاوية
- كيف استولى معاوية على الشام
- أنصار معاوية



معاوية بن أبي سفيان

قال السيوطي: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ الأمويّ أبو عبد الرحمن، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكّة وشهد حنينا، وكان من المؤلّفة قلوبهم ثمّ حسن إسلامه. وكان أحد الكتّاب للنّبي(ص). روي له عن رسول الله(ص) مائة حديث وثلاثة وستّون حديثا. روى عنه من الصّحابة ابن عبّاس وابن عمر وابن الزّبير وأبو الدّرداء وجرير البجليّ والنّعمان بن بشير وغيرهم. ومن التّابعين ابن المسيّب وحميد بن عبد الرحمن وغيرهما. وكان من الموصوفين بالدّهاء والحلم. وقد ورد في فضله أحاديث قلّما تثبت. أخرج التّرمذيّ وحسّنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصّحابيّ عن النّبيّ(ص) أنّه قال لمعاوية اللهمّ اجعله هاديا مهديّا[1].

أقول: يعنون بالحلم الصّفح والتّجاوز عمّن أساء وتعدىّ، وعدم الرّجوع إلى اللّوم والتّثريب بعد ذلك الصّفح. فليت شعري كيف يوصف بهذا من ظلّ يلعن ابن عمّ النبي(ص) بعد شهادته عشرين سنة، وأمر النّاس بفعل ذلك في الأمصار القريبة والنائية، وأوصى بني أميّة بفعله؛ ولو أنّه تمكّن من العثور على البدن الشّريف لعليّ(ع) لأحرقه بالنّار! وكيف يوصف بالحلم من كان يدفن محبّي عليّ(ع) وشيعته أحياء! إنّما الحليم الذي قال لأعدائه حين ظفر بهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء، والحليم من قال لأعدائه بعد أن ظفر بهم يوم الجمل: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وأمّا من أقام مع الحسن بن عليّ(ع) صلحا من بين بنوده ألاّ يتعرّض شيعة عليّ(ع) لأيّ ضرر، ثمّ نكث وتتبّعهم في كلّ مكان قتلا وصلبا وسجنا، فإنّ وصفه بالحلم من الزّور المبين.

---

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ج١ ص١٧٤.

وفي المستطرف[1]: دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية: إنّك لدميم، والجميل خير من الدّميم؛ وإنّك لشريك وما لله من شريك. وإنّ أباك لأعور والصحيح خير من الأعور، فكيف سدت قومك؟ فقال له: إنّك معاوية وما معاوية إلاّ كلبة عوت فاستعوت الكلاب. وإنّك لابن صخر والسّهل خير من الصّخر. وإنّك لابن حرب والسّلم خير من الحرب. وإنّك لابن أميّة وما أميّة إلاّ أمة صغّرت، فكيف صرت أمير المؤمنين؟ ثم خرج وهو يقول:

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارم ومعي لساني

وحولي من ذوي يزن ليوث ضراغمة تهشّ إلى الطّعان

يعيّر بالدّمامة من سفاه وربّات الحجال من الغواني

وفي المستطرف أيضا[2]:وقال[أي معاوية] يوما لجارية بن قدامة: ما كان أهونك على قومك إذ سمّوك جارية فقال: ما كان أهونك على قومك إذ سمّوك معاوية وهي الأنثى من الكلاب! قال: اسكت لا أمّ لك! قال: أمّ لي ولدتني، أما والله إنّ القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا، والسّيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا، وإنّك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة، ولكنّك أعطيتنا عهدا وميثاقا، وأعطيناك سمعا وطاعة؛ فإن وفيت لنا وفينا لك. وإن نزعت إلى غير ذلك فإنّا تركنا وراءنا رجالا شدادا وأسنّة حدادا. فقال معاوية: لا أكثر الله في النّاس مثلك يا جارية! فقال له: قل معروفا فإنّ شرّ

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، الأبشيهي ، ج١ص١٣٢ .

(٢) المصدر السابق، ج١ص١٣٤ .

الدّعاء محيط بأهله.

١ـ نسب معاوية:

قال ابن أبي الحديد:ومعاوية هو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بـن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ. وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ. وهى أمّ أخيه عتبة بن أبى سـفيان. فأمـا يزيـد بـن أبى سفيان، ومحمّد بن أبى سفيان، و عنبسة بن أبى سفيان، و حنظلة بن أبـى سـفيان، وعمرو بن أبى سفيان، فمن أمّهات شتّى. وأبو سفيان هو الذي قاد قريشا فـي حروبهـا إلى النّبيّ (ص) ، وهو رئـيس بنـي عبـد شـمس بعـد قتـل عتبـة بـن ربيعـة ببـدر، ذاك صاحب العير وهذا صاحب النّفير، وبهما يضرب المثل، فيقال للخامـل:" لا فـي العيـر ولا في النفير " [١].

وقال أيضا[٢]:قال الزّمخشريّ في كتاب "ربيـع الأبـرار" : كـان معاويـة يعـزى إلـى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلـى العبّـاس بـن عبد المطلب، وإلى الصّبّاح، مغنّ كان لعمارة بن الوليـد. قـال: وقـد كـان أبـو سـفيان دميما قصيرا، وكان الصّبّاح عسيفا لأبي سفيان ، شـابّا وسـيما فدعتـه هنـد إلـى نفـسها فغشيها. وقالوا : إنّ عتبة بن أبى سفيان من الصّبّاح أيضا وقالوا: إنّها كرهـت أن تدعـه في منزلها، فخرجت إلى أجياد، فوضعته هناك. وفى هـذا المعنـى يقـول حسّان أيـام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة النّبيّ(ص) قبل عام الفتح :

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج ١ ص ٣٣٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج ١ ص ٣٣٦.

لمن الـصّبي بجانـب البطحـا في التّرب ملقى غـير ذي مهـد
نجلت بـه بيـضاء آنـسة من عبد شمـسٍ صلـتة الخـدّ

وفي "حمامة" جدّة معاوية كلام ينبئ عن رسوخ هذه العائلة في الفسق والفجور، قال البلاذريّ: وحدّثني عبّاس بن هشام الكلبيّ، عن أبيه قال: دخل عقيل على معاوية، فقال له: يا أبا يزيد أيّ جدّاتكم في الجاهليّة شرّ؟ قال: حمامة. فوجم معاوية[1]. قال هشام: وحمامة جدّة أبي سفيان وهي من ذوات الرّايات في الجاهليّة. المدائني، عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: ما أبين الشّبق[2] في رجالكم يا بني هاشم؟! قال: لكنّه في نسائكم يا بني أميّة أبين! [3]

قال ابن أبي الحديد في الشرح: ثم غدا [أي عقيل] عليه يوما بعد ذلك، وبعد وفاة أمير المؤمنين عليّ(ع) وبيعة الحسن لمعاوية، وجلساء معاوية حوله فقال: يا أبا يزيد، أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما، قال:أخبرك؛ مررت والله بعسكر أخي، فإذا ليل كليل رسول الله(ص) ، ونهار كنهار رسول الله(ص) ، إلاّ أنّ رسول الله(ص) ليس في القوم، ما رأيت إلاّ مصلّيا، ولا سمعت إلاّ قارئا. ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين، ممّن نفر بالنّبيّ ليلة العقبة، ثمّ قال : من هذا

(١) قال ابن منظور في باب وجم الوجوم : السكوت على غيظ [أبو عبيد] إذا اشتد حزنه حتى يمسك عن الطعام . لسان العرب ج ١٢ ص ٦٣٠.

(٢) الشبق: شدة الشهوة عند الرجل..

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري ، ص ٧٢.

عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص، قال: هذا الذي اختصم فيه ستّة نفر، فغلب عليه جزّار قريش: فمن الآخر؟ قال: الضّحاك بن قيس الفهريّ. قال:أما والله لقد كان أبوه جيّد الأخذ لعسب التّيوس، فمن هذا الآخر؟ قال أبو موسى الأشعريّ، قال: هذا ابن السّرّاقة [!] ، فلمّا رأى معاوية أنّه قد أغضب جلساءه، علم أنّه إن استخبره عن نفسه قال فيه سوءا، فأحبّ أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من السوء، فيذهب بذلك غضب جلسائه، قال: يا أبا يزيد، فما تقول فيّ ؟ قال: دعني من هذا! قال : لتقولنّ، قال : أتعرف حمامة ؟ قال: ومن حمامة يا أبا يزيد؟ قال: قد أخبرتك، ثمّ قام فمضى، فأرسل معاوية إلى النّسابة فدعاه فقال: من حمامة؟ قال: ولي الأمان ؟ قال: نعم، قال: حمامة جدّتك أمّ أبي سفيان، كانت بغيّا في الجاهليّة صاحبة راية، فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا[1].

وقد جبه عليّ بن أبي طالب(ع) معاوية بكلمة لا تقال لمن كان طاهر المولد، وليس عليّ(ع) بالرّجل الذي يتناول نساء المسلمين بالقول الخشن، لأنّه مع الحقّ والحقّ معه يدور معه حيث دار، والخبر مذكور في شرح نهج البلاغة كما يلي: قال معاوية وسيدوم لكم هذا الأمر ما استقمتم، فإن تركتم شيخنا هذا يموت على فراشه وإلاّ خرج منكم، ولا ينفعكم سبقكم وهجرتكم. فقال له عليّ(ع) : ما أنت وهذا يا ابن اللّخناء؟ فقال معاوية: مهلا يا أبا الحسن عن ذكر أمّي، فما كانت بأخسّ نسائكم، ولقد صافحها النّبيّ صلى الله عليه يوم أسلمت ولم يصافح امرأة غيرها، أما لو قالها غيرك! فنهض عليّ(ع) ليخرج مغضبا ، فقال عثمان : اجلس ، فقال له : لا أجلس،

(١)شرح نهج البلاغة، ج٢ص ١٢٤ .

فقال : عزمت عليك لتجلسنّ فأبى وولّى، فأخذ عثمان طرف ردائه فترك الرّداء في يده وخرج، فأتبعه عثمان بصره، فقال: والله لاتصل إليك ولا إلى أحد من ولدك[1]

فمن كانت أمّه كما ذكر حسّان بن ثابت و عقيل بن أبي طالب كيف يقاس بمن أمّه فاطمة بنت أسد التي أكرمها الله تعالى بتربية النّبيّ(ص) فكانت له خير أمّ، وكان يقول عنها " أمّي "، وقد تمدّد في قبرها وكفّنها في قميص له،وصلّى عليها ودعا لها.

إنّ امرأة انشقّ لها جدار الكعبة لتضع وليدها داخلها لكريمة على الله تعالى وجيهة عنده، وما اختار الله تعالى لوليّه إلاّ الأرحام المطهّرة، وهذه المفخرة لا يدفعها أحد. وقد ادّعى معاوية طيّ كلامه أنّ النبيّ(ص) صافح هند بنت عتبة آكلة الأكباد، وهذا كلام لا يثبت عند التّحقيق، لأنّ فيه تهمة النّبيّ(ص) بمصافحة النّساء، وهو الذي نهى عن ذلك أشدّ النّهي. وكلام معاوية لا يمثّل حجّة خصوصا بعد إظهاره من بغض عليّ(ع) ما أظهر وهو يعلم أنّه لا يبغضه إلاّ منافق.والنبي(ص) لم يتحمل رؤية وحشي قاتل حمزة(ع) ،فكيف يعظّم شأن من لاكت كبده ومضغتها؟! فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم ما يكسبون.

٢ـ تربية معاوية:

ولد معاوية في بيت يجمع صخر بن حرب وهند بنت عتبة، وهذا يعني أنّ فرص تربيته تربية سليمة ضئيلة جدّا ، لأنّ الأبوين المذكورين معروفان بالفجور كما سبق

(١)شرح نهج البلاغة، ج ١ص ٣٣٩ .

بيانه، وليس أخطر على الطّفل من أن يتربّى بين أبوين سهل عليهما الزّنـا ، وشـهد بـه بعضهم على بعض. ولعلّ من آثار ذلك ما كان عليه معاوية مـن"الحلـم الواسـع" في التغاضي عن الخنا في قصره، وتسامحه مع ابنه يزيد الذي ذكروا أنّه كان يـزني بالمحـارم. وعلى كلّ حال، لا يصحّ أن تكون هند بنت عتبة مؤهّلة لمنح أبنائها تربية جيّدة، وفاقـد الشيء لا يعطيه.ولم يكن أمر هند خافيا على أهل زمانها، ويكفي لذلك شـهادة حـسّان بن ثابت شاعر النّبيّ(ص) أيّام المهاجاة، وفيه تهمة صريحة لهند بأنّها زنت وولد لهـا مـن الزنا. ولو كان حسّان كاذبا في قوله لما أقرّه النّبيّ(ص) على ذلك، لأنّ مجرّد العداوة من طرف قريش لا يسمح بذلك، والنّبيّ(ص) نزيـه منـصف مـع خـصومه، ولا يحـاربهم بشيء يعلم أنّه كذب. ولم نسمع لبني عبد شمس ردّا أو مدافعة، فـإنّهم تجـاهلوا ذلـك حتّى لا تلتفت الأنظار إليه.

٣ـ إسلام معاوية:

بما أنّ معاوية بن أبي سفيان قد استولى على الحكم بعد شهادة عليّ بن أبي طالـب(ع) ،وقد تعوّد مؤرّخو المسلمين الدّفاع عن كلّ من وصل إلى الحكم، فقد حـاول بعـضهم إثبات إسلامه قبل فتح مكّة، وهي محاولة لا نـصيب لهـا مـن النّجـاح، لكـون أحـوال معاوية معلومة قبل الفتح وبعده. وقد أكّد معاوية ذلك بأعماله في أيّام حكمه، وهو مـا نتعرّض له لاحقا إن شاء الله تعالى.

ومن الأدلّة على بطلان تلك المزعمة أنّ النّبيّ(ص) عدّه ـ كما ذكروا ـ يوم حنين مـن المؤلّفة قلوبهم، وقسم له معهم. فلو كان إسلامه قبل فتح مكّة لما عدّ في المؤلّفة قلوبهم.

قال ابن قيّم الجوزية في معرض استدلال فقهيّ بخصوص إبطال دعوى ادّعاها أهل الكتاب في زمانه: الثالث أنّ معاوية بن أبي سفيان لم يكن أسلم بعد فإنّه إنّما أسلم عام الفتح بعد خيبر[1].

وقال أيضا: ولم يكن للقوم من الذّمام والحرمة ما يوجب إسقاط الجزية عنهم دون من عداهم من أهل الذّمّة كيف وفي الكتاب المشحون بالكذب و المين شهادة سعد بن معاذ وكان قد توفّي قبل ذلك بأكثر من سنتين، وشهادة معاوية بن أبي سفيان وإنّما أسلم عام الفتح بعد خيبر سنة ثمان[2].

٤ـ محيط معاوية:

قال ابن قيم الجوزية في أحكام أهل الذّمّة: وورد عليه [أي على عمر] كتاب معاوية بن أبي سفيان :" أمّا بعد يا أمير المؤمنين فإنّ في عملي كاتبا نصرانيّا لا يصلح أمر الخراج إلاّ به، فكرهت أن أقلّده دون أمرك ". فكتب إليه:"عافانا الله وإيّاك، قرأت كتابك في أمر النّصرانيّ. أمّا بعد؛ فإنّ النّصرانيّ قد مات والسّلام"[3].

وجواب عمر صريح في صرف النّظر عن النّصرانيّ واعتباره ميتا؛ وليس يصحّ في العقول استعمال الميت. لكنّ التاريخ يحدّثنا أنّه كان لمعاوية في أيّام دولته فيما بعد كاتب نصرانيّ يقال له سرجون وكان كاتبه الخاصّ ـ بمنزلة رئيس الوزراء في دولة من دول أيّامنا ـ وهذا يعني أنّ معاوية لم يمتثل أمر عمر، فإنّه لم يصرف الكاتب النصرانيّ، بل

(١)نفس المصدر، ج١ص ٤٩٠ .
(٢)أحكام أهل الذّمّة، ابن قيم الجوزية ،ج١ص ٩١ .
(٣) أحكام أهل الذّمّة ، ج١ص ٤٥٥ .

رفع منزلته وجعله كاتبه الخاصّ. ولم يستغن عنه يزيد في أيّام حكمه الغاشم بل كان لا يقطع أمرا دونه؛ وهو الذي أشار عليه بتولية ابن زياد على الكوفة، فكان ما كان مع أهل البيتعليهم السلام . وأمّا إن كان هذا الكاتب غير ذاك فهذا معناه أنّ معاوية يمارس المغالطة حتّى مع عمر، لأنّ عمر قصد العنوان لا المعنون، فهو لا يعرف الكاتب النصرانيّ ولكن يرفض أن يقلّده معاوية أمر الخراج وإن كان أمر الخراج لا يصلح إلاّ به، لأنّه نصرانيّ. فهو قصد عنوان النّصرانيّ ولم يقصد الكاتب نفسه بعنوان شخصه. ويدلّ على ذلك ما أورده ابن قيّم الجوزيّة نفسه حيث قال: وكان لعمر رضي الله عنه عبد نصرانيّ فقال له أسلم حتّى نستعين بك على بعض أمور المسلمين فإنّه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمرهم بمن ليس منهم فأبى فأعتقه وقال اذهب حيث شئت[1]. فهذا يدلّ على أنّ عمر لا يستسيغ استعمال غير المسلم في شؤون المسلمين، وعبارة **"لا ينبغي"** تفسّر ذلك.

وجاء في البداية والنهاية ما يلي: وقد روى البخاري في صحيحه عن معاوية أنّه كان يقول في كعب الأحبار(وإن كنّا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) أي فيما ينقله لا أنّه يتعمد ذلك والله أعلم[2]. وهذا اعتراف صريح بممارسة كعب الأحبار للكذب، وما ذكره ابن كثير لا شاهد له من كلام معاوية، ولكنّها عادة ابن كثير في تبرير الباطل، ومن قرأ كتب الرّجل تيقّن من ذلك. وقد سرّب كعب الأحبار كثيرا من الإسرائيليات إلى تراث المسلمين عن طريق أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر بن

---

(١) أحكام أهل الذّمّة ، ج١ ص ٤٥٥ .
(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير، ج ١ص ١٩ .

الخطاب، وكان لا يتورّع أن يفتي بمحضر الصّحابة في دولة عثمان، حتى جبهه أبـو ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه بقولته المشهورة "فـوالله مـا خرجـت اليهوديّـة مـن قلبـك"! واعتمادا على قول أبي ذرّ الذي ينبغي لنا اعتماد كلامـه إذ شـهد لـه النّبـيّ(ص) بـصدق اللّهجة، يسوغ لنا اعتبار كعب الأحبار باقيا على يهوديّته، وبذلك ينضمّ كتابيّ آخـر إلى محيط معاوية.

واستعان معاوية بأكثر من طبيب من أهل الكتاب، وقرّبهم وجعلهم مـن خاصّـته ومقرّبيه. منهم الطبيب المشهور ابن أثـال، كـان معاويـة يـستفيد منـه إذ يـدسّ الـسّمّ بواسطته إلى خصومه ومعارضيه ليتخلّص منهم كما هو الشأن مع الحسن بن عـليّ(ع) ، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛ وبعد هـلاك ابـن أثـال قـرّب معاوية نصرانيّا آخر يقال له أبو الحكم، قال السعديّ في ترجمته فـي طبقـات الأطبّـاء: أبو الحكم كان طبيبـا نـصرانيّا عالمـا بـأنواع العـلاج والأدويـة، ولـه أعمـال مـذكورة ووصفات مشهورة. وكان يستطبّه معاوية بن أبي سـفيان ويعتمـد عليـه فـي تركيبـات أدوية لأغراض قصدها منه[!] وعمّر أبو الحكم هذا عمرا طـويلا حتـى تجـاوز المائـة سنة. حدّث أبو جعفر أحمد بن يوسـف بـن إبـراهيم قـال حـدّثني أبـي قـال حـدّثني عيسى بن حكم الدمشقيّ المتطبّب قال حدّثني أبي عن أبيه قال ولي الموسم في أيام معاوية بن أبي سفيان يزيد بن معاوية فوجّهني أبوه معه متطبّبا له، وخرجـت مـع عبـد الصّمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس إلى مكّة متطبّبا له وقعـدد[1] عبـد الـصمد مثـل

(١) قال الجوهري: ورجل قعدد إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر.[صحاح الجوهري، ج٢ ص٥٢٦].

قعدد يزيد وبين وفاتهما مائة ونيف وعشرون سنة[1].

٥ ـ كيف استولى معاوية على الشام :

قال ابن خلدون في تاريخه:واستعمل يزيد بن أبى سفيان على الشّام وطال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، فولّى مكانه أخاه معاوية، وأقرّه عثمان من بعد عمر فاتّصلت رياستهم على قريش في الإسلام برياستهم قبيل الفتح. قال[2]:كان أبو عبيدة لمّا احتضر استخلف على عمله عياض بن غنم وكان ابن عمّه وخاله وقيل استخلف معاذ بن جبل، واستخلف عياض بعده سعيد بن حذيم الجمحي، ومات سعيد فولّى عمر مكانه عمير بن سعيد الأنصاريّ، ومات يزيد بن أبى سفيان فجعل عمر مكانه على دمشق أخاه معاوية فاجتمعت له دمشق والأردن؛ ومات عمر وهو كذلك، وعمير على حمص وقنسرين ثمّ استعفى عمير عثمان في مرضه فأعفاه، وضمّ حمص وقنسرين إلى معاوية، ومات عبد الرّحمن بن أبى علقمة وكان على فلسطين فضمّ عثمان عمله إلى معاوية، فاجتمع الشّام كلّه لمعاوية لسنتين من إمارة عثمان، وكان يلحّ على عمر في غزو البحر ..[3].

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء ، ج١ص١٧٥، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٤٠٣ هـ.تحقيق د.نزار رضا.
(٢) نفس المصدر ، ج٢ص١٣٠ .
(٣) تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص ٣ .

وقال ابن أبي عاصم[1]:[..] عن يونس عن ابن شهاب قال لما توفّي يزيد بن أبي سفيان أمّرع عمر مكانه معاوية ثمّ نعاه عمر لأبي سفيان فقال: يا أبا سفيان احتسب يزيدا. فقال: من أمّرت مكانه؟ قال: معاوية. قال: وصلتك رحم [!].

وقال الذّهبيّ: توفّي يزيد في الطّاعون سنة ثماني عشرة،ولمّا احتضر استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقرّه عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته[2]!

يقول الذّهبيّ"احتراما ليزيد"، والاحترام مأخوذ من الحرمة، ولنا أن نتساءل من أين حصلت الحرمة للطّليق، بعد أن علمنا أنّ أبا بكر إنّما عيّنه على رأس الجيش ليكسب أباه وبني أميّة بعد أن امتنع بنو هاشم من البيعة. فقول الذّهبيّ " احتراما ليزيد " يحتاج إلى مزيد من البيان. وفي تاريخ خليفة[3]: ثمّ وقع طاعون عمواس فمات أبو عبيدة واستخلف أخاه معاذا، فمات معاذ. واستخلف يزيد بن أبي سفيان، فمات واستخلف أخاه معاوية فأقره عمر [!!]. وولّى عمر عمرو بن العاص فلسطين والأردن، ومعاوية دمشق وبعلبك والبلقاء، وسعيد بن عامر بن حذيم حمصا ، ثم جمع الشّام كلها لمعاوية بن أبي سفيان.

ويقول ياقوت الحمويّ: لمّا فتح المسلمون الحيرة وولي عثمان ولّى معاوية الشّام والجزيرة وأمره أن ينزل العرب مواضع نائية عن المدن والقرى، ويأذن لهم في اعتمار الأرضين التي لا حقّ لأحد فيها، فأنزل بني تميم الرابية، وأنزل المازحين

---

(١) الآحاد والمثاني ، ابن أبي عاصم، ج ١ص ٣٨٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، ج ١ص ٣٣٠ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط العصفريّ، ص ١١٢ .

والمديبر أخلاطا من قيس وأسد وغيرهم، ورتّب ربيعة في ديارها على ذلك، وفعل مثل ذلك في جميع ديار مضر[1].

وهكذا يكون معاوية مبسوط اليد في الشّام وبعلبك والبلقاء والجزيرة .

ويخطئ من يتصوّر أنّ معاوية جاء إلى الحكم مطالبا بدم عثمان، لا من باب أنّه ليس وليّ دم المقتول مع وجود أولاد عثمان لصلبه، ولكن لأنّ هناك أقوالا تفيد أنّ وصوله إلى الحكم كان عن طريق برنامج قرشيّ دقيق محكم دبّره حزب السقيفة.

ولا ضير أن يعتقد المتحرّر فكريّا أنّ معاوية أخذ الضّوء الأخضر من عمر بن الخطّاب أيّام خلافته؛ قال نعيم :..عن عبد الكريم بن رشيد أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال يا أصحاب رسول الله تناصحوا فإنّكم إن لا تفعلوا غلبكم عليها يعني الخلافة مثل عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان[!][2].

ويشهد لذلك قول ابن سيرين كما في كتاب الفتن أيضا عن عبد الكريم بن رشيد عن محمّد بن سيرين قال والله إني لأراه كان يتصنّع لها يعني معاوية على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يعني للخلافة[3] .

ولنا أن نتساءل عن هذا التصنّع ودوافعه، وهل الأمر فعلا كما قال ابن سيرين، أم أنّ في طيّ الكلام ما فيه، خصوصا وأنّنا قد رأينا في زماننا هذا أناسا وصلوا إلى الحكم وهم أجبن النّاس وأحرصهم على حياة. فلقد شاهد العالم كلّه سيرة الرئيس العراقيّ

(١) معجم البلدان، ج ٥ ص ٤٠ .

(٢) كتاب الفتن، ص١٢٨ تحت رقم ٣٠٦.

(٣) كتاب الفتن ، نعيم بن حماد ، ج١ص١٢٨.

المخلوع(صدّام حسين)، وكيفية تصفيته للمعارضة وسحقه لكلّ من يقـف في وجهـه؛ ثمّ شوهد الرّجل عبر القنوات الفضائية سـاعة إلقـاء القـبض عليـه في حالـة لا تكـاد توصف؛ وقبله شوهد شاه إيران المخلوع والرئيس الأفريقي موبوتو والرئيس الرّوماني تشاوشيسكو وغيرهم؛ هؤلاء أناس وصلوا إلى الحكم بطرق ملتوية غير نزيهة، وكـانوا يحكمون بقوّة الحديد والنّار، وكانوا محميّين بجيوش مستعدّة لسحق كلّ معارضة في أيّ وقت. لكن جيوشهم لم تكن تلتقي معهم حول مبادئ معيّنة يدافعون عنها جميعا وإنّـما كانت تجمعهم مصلحة البقاء في السّلطة، فالحاكم يريـد البقـاء في الـسلطة مهـما كلّفـه الثّمن، والجيوش التي تحميه تريد حماية مصالحها بعد أن ارتبط مصيرها بمصيره؛ حتّى إذا حمي الوطيس وصارت الأنفس محلّ الرّهان، أسلم الجيش الحاكم، وتعامل مع القوّة الحاكمة الجديدة بالمنطق المناسب. أمّا معاوية فإنّه تخطّى هذا وأفلح في خلـق مظلوميّـة وهميّة بطلها عثمان بن عفّان، وجعل نفسه واحدا من المطالبين بدم عـثمان لا أكثـر، ثـمّ جعل نفسه وليّ دمه فصارت بذلك قضيّة قتل عثمان قضيّة كلّ الشاميّين ومن التحق بهم من أعداء عليّ بن أبي طالب(ع) . وليس عجيبا أن تبقى هذه الحيلة منطلية على كثـيرين حتّى في زماننـا هـذا، لأنّهـا ارتبطـت بقـضيّة عدالـة الـصّحابة، ولا بـأس بالتّـضحية بصحابيّين أو أكثر من أجل حماية النظرية وتمديد عمرها. والذي يطالع سيرة عثمان بـن عفّان بإنصاف لا يجد فيه ذلك الشّخص الذي يستحقّ أن يقتتـل مـن أجلـه المـسلمون وينقسموا إلى ما انقسموا إليه، غير أنّ تبنّي شخصيّات معيّنة لقضيّته كما هو شأن عائشة بنت أبي بكر زوج النبي(ص) [بعد أن حرّضت على قتله] وطلحة بن عبيد الله ومن يأتمّ بهما قلب الموازين. ولم يكن تحريك الجماهير الواسعة يومها بالأمر المستصعب على أناس رأوا تعامل الأمّة مع أهل بيت النّبيّ(ص) في الأسـبوع الأوّل الـذي تـلا وفاتـه، وإنّـما

كانت المسألة خاضعة لمدى مهارة المحرّك للجماهير، وقد كانت عائشة زوج النبيّ(ص) حظيت بمقام المرجع الدّيني على زمن الشّيخين، وبدت بمظهر الرّمز في معارضة عثمان أيّام تنكّر النّاس له ولسيرته.

وقد ساعد على ذلك مكانة أبيها الرّسميّة في دولة الإسلام، وانخفاض مستوى الوعي السّياسي لدى العوامّ إلى درجة رهيبة. وإلاّ فكيف نفسّر اتّباع النّاس لها حين تأمر بقتل عثمان، وانقيادهم لها حين تطالب بدمه؟!! مثل هذا التّلاعب لا يقبل حتّى لدى أبعد المجتمعات عن التديّن، ولكنّه اكتسب صبغة الشّرعيّة في المجتمع الإسلاميّ ولا يزال يدافع عنه أقوام إلى اليوم.

ومن المؤرّخين من تعامل مع واقع تلك الأيّام بحذر، ومنهم من انطلق من انتمائه المذهبيّ فأخضع المقدّمات إلى النّتيجة التي أراد الوصول إليها قبل البحث. ومنهم من عالج القضيّة بطريقة لم يعد فيها للمنطق مجال. ويكفي لتبيّن ذلك مطالعة ما كتبه ابن العربيّ في كتابه(العواصم من القواصم) فإنّه وصل إلى درجة إنكار واقعة الحوأب وهو أمر يثير التعجّب من فقيه في مستواه!!

على أنّ هناك عبارات صدرت من عمر يفهم منها أنّ معاوية كان مرشّحا لما قام به، بل يصحّ أن يقال إنّه كان هناك مشروع قرشيّ لإقصاء عليّ(ع) و بني هاشم. قال ابن حجر: ويقال إنّ عمر قال لأهل الشّورى لا تختلفوا فإنّكم إن اختلفتم جاءكم معاوية من الشّام وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلا لسابقتكم؛ وإنّ هذا

الأمر لا يصلح للطّلقاء ولا لأبناء الطّلقاء " فهذا يقتضي أن يكون عبد الله من مسلمة الفتح [1].

أما في كتاب الفتن، فإنّ الشّخص الثاني ليس عبد الله بن أبي ربيعة وإنّما هو عمرو بن العاص حليف معاوية، قال نعيم :... عن عبد الكريم بن رشيد أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال يا أصحاب رسول الله تناصحوا فإنّكم إن لا تفعلوا غلبكم عليها يعني الخلافة مثل عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان[2].

وقد ورد هذا بطرق أخرى، ويكون عمر قد قال هذا الكلام قبل حرب صفين بأكثر من عشر سنين، مدة حكم عثمان[3]، ولم يكن معاوية يومها بتلك القوّة، وعمر نفسه يقول " وإنّ هذا الأمر لا يصلح للطّلقاء ولا لأبناء الطّلقاء " ! بل إنّ معاوية نفسه في إحدى حجج عثمان تعجّب عندما أشار إليه كعب الأحبار، لوجود عليّ(ع) وطلحة والزّبير وسعد بن أبي وقّاص ، وكلّهم من جماعة الشورى!!

في خضم تلك الأحداث هتف معاوية بن أبي سفيان بالمطالبة بدم الخليفة المظلوم عثمان بن عفان. ولو أنّ عائشة زوج النّبيّ(ص) ومن كان معها لم يخسروا المعركة يوم الجمل لكان لهم مع معاوية شأن وأيّ شأن، لأنّه كان يمتلك من الأدلّة ما يجبه به طلحة والزبير وعائشة جميعا، والدليل على ذلك هو أنّ مروان بن الحكم قتل طلحة ثأرا لعثمان، فمروان لم يكن مقتنعا بما يدعو إليه أصحاب الجمل، ولم يشكّك في مسؤوليتهم

(١) الإصابة ، ابن حجر العسقلاني،ج٤ص٧٩ .
(٢) الفتن ، نعيم بن حمّاد ، ج١ص ١٢٨ .
(٣) كان حكم عثمان من آخر سنة ٢٣ هـ إلى سنة ٣٥هـ.

في قتل عثمان، وإنّما كانت تجمعه بهم المصلحة في إضعاف جهة عليّ بن أبي طالب عسكريّا ومعنويّا. وكان للجنبة المعنويّة دورها وأثرها الكبير في تخذيل النّاس عن نصرة عليّ بن أبي طالب(ع) ، وقد تجلّى ذلك في عبارات أناس كانوا في جيشه، وكان منهم من يطالب بمزيد من التّوضيح في قضيّة طلحة والزّبير ومن معهما لأنّ اختيار عمر لجماعة الشّورى قد جعلهما في مستوى عليّ(ع) من جهة شرعيّة المطالبة بالخلافة. وكان معاوية يستثمر كلّ ذلك لمصلحته، إذ أنّه لا يخدم مصلحته أن يبقى أحد من السّتة على قيد الحياة إلاّ أن يكون ضعيف الجانب فاقد الأهليّة، ولذلك نراه فيما بعد يؤاخذ سعد بن أبي وقّاص على عدم نصرته لعثمان، وهو إنّما يريد من وراء ذلك أن يقول له " إنّك خذلت الخليفة الشرعيّ فخسرت بذلك حقّك في الخلافة". ومع ذلك لم يتردّد في اغتياله بالسّمّ قبل اغتيال الحسن(ع) ، ليخلو له الجوّ فيما بعد لما يريده من تولية يزيد، وقد كان سعد يصرّح بتحسّره وتأسّفه أن لم يقاتل الفئة الباغية.

وقد حظي معاوية بطاعة من قبل أتباعه لم يحظ بها أحد قبله، ومعلوم أنّ من لم يكن له وازع ولا رادع، إذا لم يكن من أهل الدّين فإنّه يتجاوز الحدّ و يتجرّأ على كل مقدّس، ويوطّئ لنفسه ما يضمن استمرار ملكه على حساب القيم، ولا يضرّه أن يعطي من أموال لم يتعب في تحصيلها فيشتري ضمائر معروضة للبيع لا يأمر أصحابها بمعروف ولا ينهون عن منكر.

قال ابن قيم الجوزية: ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى في تاريخه عن هشام بن سعد قال قدم عبد الله بن الكوّاء على معاوية فقال له: أخبرني عن أهل البصرة قال: يقاتلون معا ويدبرون شتّى. قال: فأخبرني عن أهل الكوفة قال:

أنظر النّاس في صغيرة وأوقعهم في كبيرة. قال: فأخبرني عن أهل المدينة قال: أحرص النّاس على الفتنة وأعجزهم عنها. قال: فأخبرني عن أهل الموصل قال: قلادة وليدة فيها من كلّ شيء خرزة. قال فأخبرني عن أهل مصر. قال: لقمة آكل. قال: فأخبرني عن أهل الجزيرة قال: كناسة بين مدينتين. قال: فأخبرني عن أهل الشام قال: جند أمير المؤمنين، لا أقول فيهم شيئا. قال: لتقولنّ! قال: أطوع النّاس لمخلوق وأعصاهم لخالق ولا يحسبون للسّماء ساكنا[1].

تلكم كانت شهادة أحد معاصري معاوية على جيشه، ويكفينا قوله "ولا يحسبون للسّماء ساكنا ". ومعلوم أنّ أهل الشّام لم يروا رسول الله(ص) ، ولم يكونوا في مكّة في بداية الرّسالة حتى يعلموا سعي بني أميّة في محاولة إطفاء نور الله. ومعلوم أيضا أنّ معاوية قد عرّف نفسه إلى أهل الشام بأنّه من قريش قبيلة النّبيّ(ص) ، وأنّه صحبه مدّة من الزّمن، وأنّه كان يكتب الوحي! وليس لأهل الشام صحابي من الشّام بهذا المستوى، فإذا أضيف إلى ذلك ما كان يجود به على أشرافهم ويتفضل به على فقرائهم - والناس إلى تصديق ما ترى أعينهم أشدّ ميلا منهم إلى تصديق ما غاب عنهم ـ تبيّن لنا كيف كسب معاوية ثقة أهل الشّام التّامّة.

٦ـ أنصار معاوية:

اجتمع إلى معاوية خليط من النّاس تجمعهم أهداف شتّى على رأسها بغض عليّ بن أبي طالب(ع) . ويتعذّر التّعرض لهم جميعا لقلّة الأخبار بخصوصهم، فإنّ القوم لم

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، ابن قيم الجوزية، ج١ص٧٠.

يكونوا أهل علم أو شجاعة أودين، وإنّما اشتهر من اشتهر منهم لكونه من قبيلة مشهورة، أو حائزا على بعض ما كان يفخر به العرب ممّا لا قيمة له في الإسلام، أو داهية لا حريجة له في الدّين يستحلّ كلّ محرّم للوصول إلى هدفه. وأنا ذاكر إن شاء الله تعالى بعض أخبار أكابرهم. وقبل إيراد أسمائهم وذكر أعمالهم، أورد ههنا قصّة ذكرها الرّازيّ قال: وثالثها ما يروى من شتم بعضهم بعضا ولنذكر من ذلك حكايات. الحكاية الأولى حكى ابن داب في مجادلات قريش قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة ثم أحضروا الحسن بن علي رضي الله عنه ليسبّوه، فلمّا حضر تكلّم عمرو بن العاص وذكر عليّا رضي الله عنه، ولم يترك شيئا من المساوئ إلاّ ذكر فيه وفيما قال: إنّ عليّا شتم أبا بكر، وشارك في دم عثمان، إلى أن قال: اعلم أنّك وأباك من شرّ قريش. ثمّ خطب كلّ واحد منهم بمساوئ عليّ والحسن رضي الله عنهما ومقابحهما ونسبوا عليّا إلى قتل عثمان ونسبوا الحسن إلى الجهل والحمق، فلمّا آل الأمر إلى الحسن رضي الله عنه خطب ثم بدأ يشتم معاوية رضي الله عنه وطوّل فيه إلى قال له: إنّك كنت ذات يوم تسوق بأبيك ويقود به أخوك هذا القاعد وذلك بعدما عمي أبو سفيان، فلعن رسول الله(ص) الجمل وراكبه وسائقه وقائده، فكان أبوك الراكب وأخوك القائد وأنت السائق. ثمّ قال لعمرو بن العاص إنّما أنت سبّة كما أنت، فأمّك زانية اختصم فيك خمسة نفر من قريش كلّهم يدّعي عليك أنّك أبنه فغلب عليك جزّار قريش من ألأمهم حسبا، وأقلّهم منصبا وأعظمهم لعنة، ما أنت إلا شانئ محمّد، فأنزل الله تعالى على نبيّه(ص) إنّ شانئك هو الأبتر. ثمّ هجوت النّبيّ(ص) تسعين قافية فقال النّبيّ (ص) : اللّهم إنّي

لا أحسن الشّعر فالعنه بكلّ قافية لعنة. وأمّا أنت يا ابن أبي معيط ، فوالله ما ألومك أن تبغض عليّا وقد جلدك في الخمر وفي الزّنا، وقتل أباك صبرا بأمر النّبيّ(ص) يوم بدر، وسمّاه الله تعالى في عشر آيات مؤمنا وسمّاك فاسقا وأنت فاسق وأنت علج من أهل النورية. أمّا أنت يا عتبة، فما أنت بحصيف إذا فأجيبك، ولا عاقل فأعاتبك، قال: وأمّا وعدك إيّاي بالقتل فهلاّ قتلت الذي وجدت في فراشك مع أهلك. وأمّا أنت يا مغيرة بن شعبة فمثلك مثل البعوضة إذ قالت للنّخلة استمسكي فإنّي عليك نازلة فقالت النّخلة والله ما شعرت بوقوعك عليّ. وأما زعمك أنّه قتل عثمان فلعمري لو قتل عثمان ما كنت منه في شيء وإنّك لكاذب [1].

هذه القصّة تكشف على الأقلّ عن المستوى الخلقيّ لمجالس القوم، ولا سبيل إلى إدخال الحسن بن عليّ(ع) فيهم لأنّه إنّما كان﴿يدافع عن الذين آمنوا﴾، ولم يقل إلا حقّا، لأنّ القوم لم ينكروا شيئا ممّا قال. ولولا الرّقابة والحظر على ألسن النّاس وأقلامهم لوصل إلينا كثير ممّا يشبه هذا، ولكنّها السّياسة تمنع وتمنح.

ومن أنصار معاوية: عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وأبو هريرة الدّوسيّ وأبو الأعور السلميّ، وأبان بن عثمان بن عفّان، وعبد الرّحمن بن خالد بن الوليد، وبسر بن أرطاة، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، ومسلم بن عقبة المرّيّ (الذي استباح المدينة بأمر يزيد بن معاوية)، وعبد الله بن عمرو بن العاص(تلميذ كعب الأحبار) وحبيب بن مسلمة الفهريّ(المتهم

(١) المحصول ، الرازي ،ج٤ص ٣٤٠.

بالهجوم على بيت فاطمة عليها السلام)، وذو الكلاع، وزفر بن الحارث، ومسلمة بن مخلد، وحوشب ذو ظليم، وطريف بن الحسحاس الهلاليّ، وعبد الرّحمن القيسيّ، والحارث بن عبد الأزديّ، وحابس بن سعد الطّائيّ، وبلال بن أبي هريرة، وحسّان بن بحدل الكلبيّ، وعبّاد بن يزيد الكلبيّ، وابن حوي السّكسكيّ ، ويزيد بن صبيرة السّكونيّ، وابن عفيف، وحبيش بن دلجة، وشريط الكنانيّ و مخارق بن الحارث الزّبيديّ، وناتل بن قيس الجذاميّ...

وقتل منهم بصفّين: ذو الكلاع، وحوشب، وعبيد الله بن عمر بن الخطّاب وعمرو بن الحضرميّ، وحابس بن سعد الطّائيّ، وعروة بن داود الدّمشقيّ في جماعة كثيرة. ذكر ذلك خليفة بن خيّاط العصفريّ في الصفحة ١٤٦ من تاريخه.

وفي شرح نهج البلاغة: قال عليّ(ع) : أيّها الناس، إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم صغارا ورجالا، فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال، ويحكم إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل! إنّهم ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة! أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا [1].

(١)شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ، ج ٢ص ٢١٦.

أبو مسلم الخولاني:

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم ما يلي: حدّثنا حمّاد سلمة عن القاسم أنّ أبا مسلم الخولانيّ أسلم على عهد معاوية فقيل: ما منعك أن تسلم على عهد النّبيّ(ص) وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم؟ فقال: إنّي وجدت هذه الأمّة على ثلاثة أصناف، صنف يدخلون الجنّة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابا يسيرا، وصنف يصيبهم شيء ثم يدخلون الجنّة. فأردت أن أكون من الأوّلين، فإن لم أكن منهم كنت من الذين يحاسبون حسابا يسيرا ،فإن لم أكن منهم كنت من الذين يصيبهم شيء ثمّ يدخلون الجنة [!] كذا رواه؛ أسلم على عهد معاوية ولكن هاجر إلى الأرض المقدّسة في أيام معاوية وسكنها [1] [!!].

وقال البلاذري: " قالوا: وكانت أمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النّبيّ(ص) بعثت بقميص عثمان إلى معاوية، فأخذه أبو مسلم الخولانيّ من معاوية، فكان يطوف به في الشّام في الأجناد، ويحرّض النّاس على قتلة عثمان[2].

وفي الحلية عن يونس الهرم عن أبي مسلم الخولانيّ أنّه نادى معاوية بن أبي سفيان وهو جالس على منبر دمشق فقال: يا معاوية، إنّما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإن لم تجيء بشيء فلا شيء لك. يا معاوية لا تحسبنّ الخلافة جمع المال وتفرقه، ولكن الخلافة العمل بالحقّ والقول بالمعدلة، وأخذ النّاس في

(١) حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصفهاني ، ج٢ص١٢٥ .

(٢) أنساب الأشراف (المختصر)، ص ٢٩١ تحت رقم٣٦٤ .

ذات الله عزّوجلّ. يا معاوية، إنّا لا نبالي بكدر الأنهار ما صفت لنا رأس عيننا، وإنّك رأس عيننا! يا معاوية إيّاك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب فيذهب حيفك بعدلك. فلمّا قضى أبو مسلم مقالته أقبل عليه معاوية فقال: يرحمك الله[1].

وفيه أيضا: وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثمّ أتته بطعامه. قال: فدخل البيت، فإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا امرأته جالسة في البيت منكّسة تنكت بعود معها؛ فقال لها: مالك قالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم. فلو سألته فاخدمنا وأعطاك. فقال: اللهمّ من أفسد عليّ امرأتي فأعم بصرها! قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت لها: زوجك له منزلة من معاوية، فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم. قال فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها، فقالت ما لسراجكم طفئ؟! قالوا: لا. فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها أن يردّ عليها بصرها قال فرحمها أبو مسلم فدعا الله لها فردّ عليها بصرها[!][2].

أبو مسلم الخولانيّ الرّجل الزّاهد العابد مستجاب الدعوة، الذي يعمي من يشاء متى شاء، ويردّ البصر على من يشاء متى شاء، هو الذي كان يحرّض أهل الشّام الفئة الباغية على قتال من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، فما أسرع استجابة ربّنا لدعاء البغاة على أحبّائه!

---

(١) حلية الأولياء، ج٢ ص١٢٦.

(٢) نفس المصدر، ج٢ص ١٣٠.

الحتات المجاشعيّ:

قال المحبّ الطّبريّ في الرّياض:" آخى النّبيّ(ص) بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرّحمن، وبين طلحة والزبير، وبين أبي ذرّ والمقداد، وبين معاوية بن أبي سفيان والحتات المجاشعي..."[1]. وقال ابن الأثير: وآخى النّبيّ(ص) بينه وبين معاوية بن أبى سفيان، ولمّا اجتمعت الخلافة لمعاوية قدم عليه الحتات وجارية بن قدامة والأحنف بن قيس وكلاهما من تميم، وكان الحتات عثمانيّا، وكان جارية والأحنف من أصحاب عليّ فأعطاهما معاوية أكثر ممّا أعطى الحتات؛ فرجع إليه وقال فضّلت عليّ محرّقا ومخذّلا؟ قال اشتريت منهما دينهما ووكلتك إلى هواك في عثمان. قال وأنا أيضا فاشتر منّي ديني[2]! وقال ابن حجر: أخرج الدّارقطنيّ في المؤتلف ومن طريقه أبو عمر من رواية نصر بن عليّ الأصمعيّ عن الحارث بن عمير عن أيّوب قال غزا الحتات المجاشعيّ وحارثة بن قدامة والأحنف فرجع الحتات فقال لمعاوية: فضّلت عليّ محرّقا و مخذّلا؟ قال اشتريت منهما ذمّتهما. قال: فاشتر منّي ذمّتي[3].

وقال العسكريّ: قال معاوية: إنّما اشتريت منهما دينهما. فقال: وديني أيضا فاشتره! فألحقه بهما. وخرج الحتات فمات في الطريق[4]. قلت:وهذه العبارة نفسها استعملها

---

(١) الرياض النضرة، ج١ص٢٠٤.
(٢) أسد الغابة ، ابن الأثير ، ج١ ص٣٧٩ .
(٣) الإصابة ، ابن حجر، ج ٢ص ٢٥.
(٤) تصحيفات المحدّثين ، الحسن بن عبد الله العسكريّ، ص٤١٩ .

عمـرو بـن العـاص مـع معاويـة في حـوار بيـنهما ذكـره القـضاعيّ في كتـاب الحلّـة السيراء[1] وهذا يعني أنّ بيع الدّين كان أمّرا رائجا في دولة معاوية، وأنّه كان يشرف عليه بنفسه، ولا يستحي أن يتحدّث عنه.

عمرو بن العاص :

وهو أحد الذين يضرب بهم المثل في الدّهاء، لكنّ الدّهاء لا ينفـع في مقـام تطـاعن الأقران إلاّ بطرح الحياء والتنصّل من لوازم المروءة، وهو ما جنح إليه عمرو بن العاص إذ كشف عورته في معركة صفّين، فصرف عليّ بن أبي طالب عنه وجهـه ولم يقتلـه. ولم ينتفع عمرو بما عاشه من سنوات الرّخاء بعد ذلك، لأنّ قصّة كشف عورته صارت هي أيضا مضرب المثل حتّى قال الشاعر[2]:

ولا خير في ردّ الرّدى بمذلّة ....كما ردّها يوما بسوءته عمرو

ولعمرو بن العاص قصص تكشف عن مدى استخفافه بالأخلاق والقيم، وعـلى رأسها قصّة التّحكيم؛ ولو أنّ معاوية كان صادقا في الطّلب بدم عثمان لبدأ بقتل عمـرو

---

(١) الحلّة السيراء، القضاعي، ج١ ص١٦[ط دار المعارف١٩٨٥] : وقال يخاطب معاوية بن أبي سفيان (رض) : معاوي إني بعت ديني ولم أنل * به منك دنيا فانظرن كيف تصنع ـ وما الدين والـدنيا سـواء وإننـي* لآخـذ مـا تعطى ورأسي مقنع ـ فإن تعطني مصرا فأربح بصفقة* أخذت بها شيخا يضرّ وينفع . قال عمرو هذا لأنّـه شـرط على معاوية لما تحيّز إليه وكان معه في حروبه لعليٍّ رضـي الله عـنهم أن يولّيـه إذا ظهـر مـصر طعمـة فـوفى لـه بذلك . وروي أنّ عتبة بن أبي سفيان دخل على معاوية أخيه وهو يكلّم عمرا فـي مـصر وعمـرو يقـول لـه إنّمـا بعتك بها ديني فقال له عتبة أثمن الرّجل بدينه فإنّه صاحب من أصحاب محمد . اهـ

(٢) الشاعر هو أبو فراس الحمداني والقصيدة في ديوانه : أراك عصي الدمع شيمتك الصبر.

بن العاص الذي كان يصرّح بتحريضه النّاس على عثمان حتّى الرّاعي في الجبل[1]. قال ابن أبي الحديد: كتب ابن عباس إلى عمرو : أما بعد؛ فإنّي لا أعلم أحدا من العرب أقلّ حياء منك . إنّه مال بك معاوية إلى الهوى فبعته دينك بالثّمن اليسير، ثمّ خبطت النّاس في عشواء طمعا في الدّنيا فأعظمتها إعظام أهل الدّنيا، ثمّ تزعم أنّك تتنزّه عنها تنزّه أهل الورع! فإن كنت صادقا فارجع إلى بيتك ودع الطّمع في مصر والرّكون إلى الدّنيا الفانية، واعلم أنّ هذه الحرب ما معاوية فيها كعليّ. بدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السّرف. وليس أهل العراق فيها كأهل الشام. بايع أهل العراق عليّا، وهو خير منهم، وبايع أهل الشّام معاوية وهم خير منه. ولست أنا وأنت فيها سواء، أردت الله وأردت مصر، وقد عرفت الشيء الذي باعدك منّي ولا أعرف الشيء الذي قرّبك من معاوية، فإن ترد شرّا لا نسبقك به وإن ترد خيرا لا تسبقنا إليه والسّلام [2].

وقد كانت عاقبة عمرو بن العاص عند معاوية سيّئة رغم أنّه خالف الله ورسوله في طاعته. قال اليعقوبيّ: ولما حضرت عمرا الوفاة قال لابنه: لودّ أبوك أنّه كان مات في غزاة ذات السّلاسل. إنّي قد دخلت في أمور لا أدري ما حجتي عند الله فيها[!] ثمّ نظر إلى ماله فرأى كثرته قال يا ليته كان بعرا ! يا ليتني متّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة! أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني! آثرت دنياي وتركت آخرتي! عمي عليّ رشدي حتى حضرني

---

(١) انظر تاريخ الطبري، ج٣ص٣٩٣، وتاريخ دمشق، ج٥٥ ص٢٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ،ابن أبي الحديد ، ج ٨ص ٦٤.

أجلي. كأنّي بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي. وتوفّي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ فأقرّ معاوية ابنه عبد الله بن عمرو، ثمّ استصفى مال عمرو، فكان أوّل من استصفى مال عاملٍ. ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلاّ شاطر ورثته ماله، فكان يكلّم في ذلك فيقول: هذه سنّة سنّها عمر بن الخطاب[1].

الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

وأذكّر ههنا بما أوردته سابقا بخصوص عمرو بن أميّة بن عبد شمس الذي ينحدر منه الوليد، فقد قال القرطبيّ: وقد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرّجل على امرأة أبيه؛ كانت هذه السّيرة في الأنصار لازمة! وكانت في قريش مباحة مع التّراضي. ألا ترى أنّ عمرو بن أميّة خلف على امرأة أبيه بعد موته فولدت له مسافرا وأبا معيط وكان لها من أميّة أبو العيص وغيره. فكان بنو أميّة إخوة مسافر وأبي معيط وأعمامهما[2]!

وقد كان أبوه شديد الأذى للنّبيّ(ص) ،وقتل يوم بدر صبرا، ومع أن رسول الله(ص) أرحم النّاس بالنّاس، إلاّ أنّه لم يلتفت إليه حين استعطفه، بل جبهه بكلمة صارمة لا تقبل الجدل. فقد قال عقبة بن أبي معيط للنّبيّ(ص) فمن للصبية يا محمّد؟ قال(ص) :النّار لهم. وهذا الكلام من طرف النّبيّ(ص) لا ينبغي أن يمرّ به الباحث دون

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٢١، دار صادر، بيروت .

(٢) تفسير القرطبي، ج٥ص١٠٢و١٠٣ .

تدبّر، لأنّه يكشف عن حقيقة ما يستحقّه آل أبي معيط من المعاملة، ولكن ذلك لم يمنع عثمان من توليته على المسلمين في الكوفة وفيهم مهاجرون وأنصار.

قال ابن أبي الحديد: ولا يلام الوليد على ما في نفسه، فانّ عليّا(ع) قتل أباه عقبة بن أبى معيط صبرا يوم بدر، وسمّي الفاسق بعد ذلك في القرآن، لنزاع وقع بينه وبينه ثمّ جلد الحدّ في خلافة عثمان، وعزله عن الكوفة، وكان عاملها، وببعض هذا عند العرب أرباب الدّين والتّقى تستحلّ المحارم، وتستباح الدّماء، ولا تبقى مراقبة في شفاء الغيظ لدين ولا لعقاب ولا لثواب، فكيف الوليد المشتمل على الفسوق والفجور مجاهرا بذلك! وكان من المؤلّفة قلوبهم، مطعونا في دينه مرميّا بالإلحاد والزّندقة [1]!

الضحاك بن قيس الفهري:

قال البلاذري في أنساب الأشراف (ص٧٥):وحدّثني عبّاس بن هشام، عن أبيه عن عوانة قال: دخل عقيل على معاوية وقد كفّ بصره، فلم يسمع كلاما، فقال: يا معاوية، أما في مجلسك أحد؟ قال: بلى. قال: فمالهم لا يتكلّمون؟ فتكلّم الضّحّاك بن قيس فقال [عقيل]: من هذا؟ فقال له معاوية: هذا الضّحاك بن قيس. قال عقيل: كان أبوه [من] خاصي القردة، ما كان بمكّة أخصى لكلب وقرد من أبيه!

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج٢ص٨ .

قال ابن أبي الحديد: دعا معاوية الضّحّاك بن قيس الفهريّ، وقال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة، وترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها، وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أخرى، ولا تقيمنّ لخيل بلغك أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف. فأقبل الضّحّاك، فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب [!]، حتى مرّ بالثّعلبيّة فأغار على الحاجّ فأخذ أمتعتهم[!]، ثمّ أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذّهليّ، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله(ص) فقتله في طريق الحاجّ عند القطقطانة. وقتل معه ناسا من أصحابه [1].

أقول: لا يبالي الصّحابيّ الضّحاك بن قيس الفهريّ أن يغير على ضيوف الرّحمن لإرضاء معاوية، وقد علم المسلمون أنّ الحاج يتخلّى عن السّلاح، ولا يتوقّع أن يهاجمه أهل القبلة وهو يقصد بيت الله سبحانه وتعالى، لكن متى عرف الضّحّاك بن قيس الفهريّ حرمة الحجّ، وهو الذي نصب العداوة لآل بيت النّبيّ(ص) ، ولم يدّخر وسعا في محاربتهم، وتمادى في سبّ ولعن عليّ بن أبي طالب(ع) ؟

وكان الضحاك هو الذي تولّى الصّلاة على معاوية حين هلك، ثمّ كانت عاقبته أن خرج رغبة في الحكم، وقتل كما قتل النعمان بن بشير، فلا هو نال الدّنيا، ولا هو أدرك الآخرة.

وفي كتاب الموطإ: .. عن ابن شهاب، عن محمّد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، أنّه حدثه أنّه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس عام حج

(١) شرح نهج البلاغة، ج٢ ص١١٦.

معاوية بن أبي سفيان، وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج. فقال الضّحّاك بن قيس: لا يفعل ذلك إلاّ من جهل أمر الله عزّ وجلّ. فقال سعد: بئس ما قلت يا ابن أخي. فقال الضحاك: فإنّ عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك. فقال سعد: قد صنعها رسول الله(ص) وصنعناها معه [1].

مروان بن الحكم :

في المستدرك من طريق عبد الرحمن بن عوف وصحّحه أنّه قال : كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلاّ أتى به إلى النّبيّ(ص) فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال: هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون[2]. ولعلّ معاوية أشار إليه بقوله لمروان فيما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه(ج٢ص٥٦) : يا ابن الوزغ لست هناك.

وفي كتاب الفتن "باب آخر من ملك بني أميّة ": حدّثنا عبد الله بن مروان المرواني عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد أنّ مروان بن الحكم لمّا ولد دفع إلى رسول الله(ص) ليدعو له فأبى أن يفعل ثمّ قال: ابن الزّرقاء، هلاك عامّة أمّتي على يديه ويدي ذرّيّته[3].

وقد سبق ذكر هذا الحديث في فصل " صفات بني أميّة و أعمالهم " .

قال محمّد بن سعد: قالوا قبض رسول الله(ص) ومروان بن الحكم ابن ثماني سنين، فلم يزل مع أبيه بالمدينة حتّى مات أبوه الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفّان، فلم يزل مروان مع ابن عمّه عثمان بن عفّان؛ وكان كاتبا له وأمر له عثمان بأموال، وكان

---

(١) موطأ مالك ، ج١ص٣٤٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ،الحاكم النيسابوري، ج ٤ ص٤٧٩ .

(٣) كتاب الفتن، ج١ص١٢٩ .

يتأوّل في ذلك صلة قرابته[1]، وكان النّاس ينقمون على عثمان تقريبه مروان وطاعته له، ويرون أنّ كثيرا ممّا ينسب إلى عثمان لم يأمر به وأنّ ذلك عن رأي مروان دون عثمان، فكان النّاس قد شنفوا لعثمان لما كان يصنع بمروان ويقرّبه؛ وكان مروان يحمله على أصحابه وعلى النّاس ويبلّغه ما يتكلّمون فيه ويهدّدونه به، ويريه أنّه يتقرّب بذلك إليه [2].

وروى الحاكم في المستدرك عن محمّد بن زياد قال: ثمّ لمّا بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرّحمن بن أبي بكر: سنّة هرقل وقيصر. فقال: أنزل الله فيك (**والذي قال لوالديه أفّ لكما**) الآية قال فبلغ عائشة رضي الله عنها فقالت: كذب والله، ما هو به ولكنّ رسول الله(ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه. فمروان قصص من لعنة الله عز وجل. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[3].

وقد ملك مروان دون السّنة وولي المدينة قبلها لمعاوية بن أبي سفيان[4].

قال محمّد بن سعد: أخبرني موسى بن إسماعيل قال حدّثني جويرية بن أسماء عن نافع قال: ضرب مروان يوم الدّار ضربة جدّت أذنيه فجاء رجل وهو يريد أن يجهز عليه، قال فقالت له أمّه: سبحان الله، تمثّل بجسد ميت! فتركه. قالوا فلمّا قتل

---

(١) يصل قرابته من أموال المسلمين، ولا يجد المؤرخون في ذلك حرجا ويسمّونه تأوّلا وهو اختلاس لأموال الدّولة، والدّليل على ذلك أنّ معاصري عثمان لم يوافقو المؤرّخين ولم يلتفتوا إلى هذا التّأوّل، بل كان ذلك من بين الأسباب التي أدّت إلى قتل عثمان؛ ومعاصرو عثمان أعلم بحاله ممن جاء بعدهم بقرون.

(٢) الطبقات الكبرى ، محمّد بن سعد ، ج٥ص٣٦ .

(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري ج٤ص٥٢٨تحت رقم ٨٤٨٣ .

(٤) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ج١ص١٩٦:فسمّي هذا العام(عام٤١) عام الجماعة لاجتماع الأمّة فيه على خليفة واحد وفيه ولّى معاوية مروان بن الحكم المدينة.

عثمان وسار طلحة والزّبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان[!] خرج معهم مروان بن الحكم فقاتل يومئذ أيضا قتالا شديدا. فلمّا رأى انكشاف النّاس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفا فقال: والله إن دم عثمان إلاّ عند هذا، هو كان أشدّ النّاس عليه، وما أطلب أثرا بعد عين. ففوّق له بسهم فرماه به فقتله[1]. ويؤيّده ما رواه ابن شبّة النّميري قال:..عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى قال: قال لي عبد الملك بن مروان: أشهدت الدّار؟ قلت: نعم، فليسلْ أمير المؤمنين عمّا أحبّ. قال: أين كان عليّ؟ قلت: في داره. قال: فأين كان الزّبير؟ قلت:عند أحجار الزّيت. قال: فأين كان طلحة؟ قلت: نظرت فإذا مثل الحرّة السّوداء فقلت ما هذا؟ قالوا: طلحة واقف، فإن حال حائل دون عثمان قاتله. فقال: لولا أنّ أبي أخبرني يوم مرج راهط أنّه قتل طلحة ما تركت على وجه الأرض من بني تيم أحدا إلا قتلته [2].

أقول: بضمّ الخبر الثّاني إلى الأوّل يتبيّن أنّ طلحة متّهم رسميّا ويتحمّل القسم الأكبر من مسؤوليّة قتل عثمان، لكنّه يقدّم نفسه مع المطالبين بدم عثمان يوم الجمل، تماما كما فعلت عائشة بنت أبي بكر زوج النبيّ(ص) التي أمرت بالقرار في بيتها، وهذا معناه أنّ بني تيم من أشدّ النّاس استخفافا بالدّين. وقد قتل مروان طلحة، وطلحة في الرّوايات المزعومة مبشّر بالجنّة، فيكون مروان قاتل أحد العشرة المبشّرين بالجنّة، ولا مانع أن يكون خليفة، وطلحة هو قاتل عثمان بدليل شهادة مروان بذلك مشفوعة بالقسم؛ وهذه الأحداث كافية لإبطال حديث العشرة المبشّرين فإنّ عمر وأبا بكر منهم

(١) الطّبقات الكبرى محمّد بن سعد ج٥ص٣٨.
(٢) تاريخ المدينة ، عمر بن شبة النميري، ج ٤ ص ١١٧٠.

وقد همّا بإحراق بيت فاطمة بنت النّبيّ(ص) . وعثمان منهم وقد قتله طلحة كما يشهد به مروان، وعليّ(ع) منهم وقد جدّ في حرب طلحة والزبير ومن معهم لا يشكّ في ذلك طرفة عين. وحديث قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله أخذا بثار عثمان موجود في مروج الذّهب للمسعوديّ ومستدرك الحاكم، و الكامل في التاريخ وأسد الغابة لابن الأثير، وتاريخ ابن كثير، ومرآة الجنان لليافعي، وتهذيب التهذيب.وهذا من أعجب ما يلاقيه الباحث، وهو أنّ القاتل يطالب بدم المقتول، وهما من قبيلتين مختلفتين!

وقال الهيتميّ: قال مروان بن الحكم: ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ، فقيل له: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ قال إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك[1].

ومعنى هذا أنّ مروان بن الحكم يعلم أنّ عليّا(ع) بريء ممّا يوجّه إليه من التّهم بخصوص عثمان، بل أكثر من ذلك أنّه كان أدفع عنه من كلّ أحد، لكنّه ـ أي مروان ـ يكتم ذلك وينضمّ إلى من ألّبوا على عثمان وأصرّوا على قتله، ويخرج معهم يوم الجمل. ومع أن عليّا(ع) عفا عنه بعد المعركة، إلاّ أنّ لؤمه لا يسمح بعرفان الجميل، فكان مروان أشدّ الناس سبّا ولعنا لعليّ(ع) فيما بعد. قال ابن حجر في تطهير الجنان: وبسند رجاله ثقات أنّ مروان لمّا ولي المدينة كان يسبّ عليّا على المنبر كل جمعة، ثمّ ولي بعده سعيد بن العاص فكان لا يسبّ، ثمّ أعيد مروان فعاد للسّبّ، وكان الحسن يعلم ذلك ولا يدخل المسجد إلاّ عند الإقامة، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن في بيته بالسّبّ البليغ لأبيه وله،ومنه: ما وجدت مثلك إلاّ مثل البغلة يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أبي الفرس. فقال للرّسول: ارجع إليه فقل له: والله لا أمحو عنك

(١) الصواعق المحرقة، ص٣٣ .

شيئا مما قلت بأني أسبّك، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت كاذبا فالله أشدّ نقمة . قد أكرم جدّي أن يكون مثلي مثل البغلة.إلخ..[1] .

ولم يختلف فقهاء المسلمين في أنّ سبّ الإمام ولعنه من الموبقات، وإذا صحّ ما قاله ابن معين كما حكاه عنه ابن حجر أنّ كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحدا من أصحاب النّبيّ(ص) دجّال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين[2]، فقد باء البخاريّ بأمر عظيم حين اتّخذ من مروان بن الحكم ومن على شاكلته رواة لصحيحه.

وفي الطبقات الكبرى: صلّى عبد الله بن حنظلة بالنّاس الظّهر ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها النّاس إنّما خرجتم غضبا لدينكم فأبلوا لله بلاء حسنا، ليوجب لكم به مغفرته، ويحلّ به عليكم رضوانه. قد خبرني من نزل مع القوم السّويداء وقد نزل القوم اليوم ذا خشب ومعهم مروان بن الحكم، والله إن شاء الله محينه بنقضه العهد والميثاق عند منبر النّبيّ(ص) [3]. فتصايح الناس وجعلوا ينالون من مروان ويقولون الوزغ ابن الوزغ، وجعل ابن حنظلة يهدّئهم ويقول: أنّ الشّتم ليس بشيء ولكن اصدقوهم اللّقاء[4]. وقال محمّد بن سعد:قال حسان [بن مالك بن بجدل]: والله لئن بايعتم مروان ليحسدنّكم علاقة سوط وشراك نعل وظلّ شجرة. إنّ مروان وآل مروان أهل بيت من

---

(١) تطهير الجنان [بهامش الصواعق] ص ١٤٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني ، ج١ص٥٠٩ .

(٣) قال ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج ١ص ٢٣٠(بتحقيق الشيري) : ثمّ اجتمع رأي أهل المدينة أن يحلفوا كبراء بني أمية عند منبر النّبيّ(ص) لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم إن استطاعوا ، فإن لم يستطيعوا مضوا إلى الشّام ولم يرجعوا معهم ، فحلفوا لهم على ذلك ، وشرطوا عليهم أن يقيموا بذي خشب.

(٤) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، ج٥ص٦٧ .

قيس يريد أن مروان أبو عشرة وأخو عشرة فإن بايعتم له كنتم عبيدا لهم[1].

قال التّرمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النّبيّ(ص) وغيرهم أنّ صلاة العيدين قبل الخطبة ويقال: إنّ أوّل من خطب قبل الصلاة مروان بن الحكم ..[2]

وأخرج البخاري من طريق أبي سعيد الخدريّ قال:خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أوفطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي؛ فجذبت ثوبه فجذبني، فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت: غيّرتم والله. فقال: أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم والله خير ممّا لا أعلم. فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة. وفي لفظ الشافعي: يا أبا سعيد ترك الذي تعلم [3].

قال ابن عساكر[4]: أبى مروان أن يدفن الحسن في حجرة النّبيّ(ص) وقال: ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله، قد دفن عثمان بالبقيع. ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك، فلم يزل عدوّا لبني هاشم حتى مات[5] .

و في الاستيعاب عن أبي سعيد الخدريّ قال: لمّا نزلت إذا جاء نصر الله والفتح

---

(١) الطبقات الكبرى، ج٥ص٤١ .

(٢) الجامع الصحيح(سنن الترمذي)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

(٣) صحيح البخاري، ج٢ص٤ .

(٤) تاريخ دمشق ، ابن عساكر،ج ٤ص٢٢٧ .

(٥) وهذا يعني أنه مات مصرّا على بغض من أمره الله بمحبتهم كما في سورة الشورى(قل لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكور).

قرأها رسول الله حتّى ختمها وقال: النّاس خير وأنا وأصحابي خير[1]. وقال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة. فقال له مروان بن الحكم: كذبت! وعنده زيد بن ثابت ورافع بن خديج وهما قاعدان معه على السّرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدّثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصّدقة. فرفع عليه مروان درّته ليضربه، فلمّا رأيا ذلك قالا صدق[2].

وقال القرطبيّ: وهكذا يجب أن يحبّ ما أحبّ النّبيّ(ص) ويبغض من أبغض. وقد قابل مروان هذا الحبّ بنقيضه وذلك أنّه مرّ بأسامة بن زيد وهو يصلّي عند باب بيت النّبيّ(ص) فقال له مروان: إنّما أردت أن نرى مكانك، فقد رأينا مكانك فعل الله بك، وقال قولا قبيحا ، فقال له أسامة: إنّك آذيتني وإنّك فاحش متفحّش، وقد سمعت النّبيّ(ص) يقول إنّ الله تعالى يبغض الفاحش المتفحّش. فانظر ما بين الفعلين وقس ما بين الرّجلين. فقد آذى بنو أميّة النّبيّ(ص) في أحبابه وناقضوه في محابّه[3]...

وروى الطبراني عن إسحاق بن أبي حبيبة مولى النّبيّ(ص) عن أبي هريرة أنّ مروان بن الحكم أتى أبا هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال مروان لأبي هريرة: ما وجدت عليك في شيء منذ أصطحبنا إلاّ في حبّك للحسن والحسين! قال فتحفّز أبو هريرة فجلس فقال: أشهد لخرجنا مع رسول الله(ص) حتى إذا كنّا ببعض الطريق

---

(١) وعند غيره: النّاس حيز وأنا وأصحابي حيز .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ، ج١ص٨.

(٣) تفسير القرطبي، ج١٤ص٢٣٩ .

سمع رسول الله(ص) صوت الحسن والحسين وهما يبكيان...الحديث[1].

أقول: هذا الحديث يدلّ على أنّ مروان بن الحكم كان جاحدا لآية المودّة في القربى (**قل لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكور**)، فإنّ العلماء لم يختلفوا في وجوب مودّة آل النبيّ(ص) ، وقد أخبر النّبيّ(ص) أنّ حبّ الحسنين من حبّه وبغضهما من بغضه في أحاديث كثيرة منها ما رواه إسحاق بن راهويه في مسنده[2]والنّسائي في السنن الكبرى[3] وغيرهما.

ومن أعمال مروان الإجرامية قتله الأكدر اللّخميّ غدرا. قال ابن حجر في ترجمة الأكدر اللّخمي: له إدراك. قال سعيد بن عفير شهد فتح مصر هو وأبوه وقال أبو عمر الكنديّ في كتاب الخندق: حدّثني يحيى بن أبي معاوية بن خلف بن ربيعة عن أبيه حدّثني الوليد بن سليمان قال: كان أكدر علويّا، وكان ذا دين وفضل وفقه في الدّين، وجالس الصحابة وروى عنهم. وهو صاحب الفريضة التي تسمى الأكدريّة، وكان ممن سار إلى عثمان! وكان معاوية يتألف قومه به فيكرمه ويدفع إليه عطاءه ويرفع مجلسه؛ فلما حاصر مروان أهل مصر أجلب عليه الأكدر بقومه وحاربه بكل أمر يكرهه فلما صالح أهل مصر مروان علم أنّ الأكدر سيعود إلى

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني ، ج ٣ص ٥٠ .

(٢) مسند إسحاق بن راهويه، ج١ ص ٢٤٨ : أخبرنا الملائي حدثنا سفيان عن أبي الجحاف عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ(ص) قال من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني قال يعني الحسن والحسين.

(٣) الحديث بنفس اللفظ في السنن الكبرى للنسائي ج٥ص٤٩ والمعجم الكبير للطبراني ج٣ ص ٤٨ وتاريخ دمشق ج ١٤ص ١٣٢ وص١٥٢وتهذيب الكمال ج٦ص٢٢٩وص٢٥٥وص٤٠١وص٤٣٧وسير أعلام النبلاء ج٣ص ٢٥٤ وتهذب التهذيب ج٢ص ٢٦١والإصابة ج٢ص٦٢وفي البداية و النهاية في أكثر من موضع.

فعلاته فألّب عليه قوما من أهل الشّام، فادّعوا عليه قتل رجل منهم، فدعاه فأقاموا عليه الشّهادة فأمر بقتله؛ قال: فحدّثني موسى بن عليّ بن رباح عن أبيه قال: كنت واقفا بباب مروان حين دعا بالأكدر، فجاء ولا يدري فيما دعي إليه[!] فما كان بأسرع من أن قتل فتنادى الجند قتل الأكدر، فلم يبق أحد إلاّ لبس سلاحه وحضروا باب مروان وهم زيادة على ثمانين ألف إنسان، فأغلق مروان بابه خوفا. فمضوا إلى كريب بن أبرهة فأعلموه الخبر فوجدوه في جنازة زوجته بسيسة بنت حمزة بن عبد كلال. فلمّا فرغ جاء صحبتهم إلى مروان، فدخل عليه فقال له مروان: إليّ يا أبا رشيد. فقال: بل إليّ يا أمير المؤمنين. فقام إليه فألقى عليه رداءه وقال: أنا له جار . فانصرف الجيش عنه وذهب دم الأكدر هدرا [1].

قلت: هذه هي الثّقافة القبليّة العشائرية! يكفي أن يلقي شيخ العشيرة رداءه على قاتل و يذهب دم المقتول هدرا !! أين هذا من ثقافة القصاص القرآنية؟ وأين هو من حديث " لو سرقت فاطمة بنت محمّد لقطعت يدها " الذي يرددونه في شتى المناسبات؟

وقال ابن أبي الحديد: روى الواقديّ عن عبد الله بن جعفر عن أمّ بكر بنت المسور قالت: لما بنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور ممّن دعاه، فقال مروان وهو يحدّثهم: والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه، فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكتّ كان خيرا لك. لقد غزوت

(١) الإصابة ، ابن حجر العسقلانيّ ، ج ١ص ٣٥٣تحت رقم ٤٨٦ .

معنا إفريقية وإنّك لأقلّنا مالا ورقيقا وأعوانا، وأخفّنا ثقلا، فأعطاك ابـن عمّـك خمـس إفريقية وعملت على الصدّقات، فأخذت أموال المسلمين[1].

وهذه شهادة من المسور بن مخرمة على مروان بأنه أخذ أموال المسلمين.

وفي تاريخ الطّبريّ [3]: قال فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نـزع فيها وأعطى النّاس من نفسه التّوبة، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال: أمّا بعد أيّها النّاس؛ فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله، وما جئت شيئا إلاّ وأنا أعرفه، ولكنّي منّتني نفسي وكذبتني وضلّ عنّي رشدي. ولقد سمعت النّبيّ يقول من زلّ فليتب ومن أخطأ فليتب ولا يتماد في الهلكة إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطّريق فأنا أوّل من اتّعظ أستغفر الله ممّا فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب. فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم؛ فوالله لئن ردّني الحقّ عبدا لأستننّ بسنّة العبد، و لأذلّنّ ذلّ العبد، ولأكوننّ كالمرقوق إن ملك صبر وإن عتق شكر. وما عن الله مذهب إلاّ إليه. فلا يعجزنّ عنكم خياركم أن يدنوا إليّ؛ لئن أبت يميني لتتابعنّي شمالي. قال: فرقّ النّاس له يومئذ وبكى من بكى منهم. وقام إليه سعيد بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك. الله، الله في نفسك! فأتمم على ما قلت. فلمّا نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيدا ونفرا من بني أميّة، ولم يكونوا شهدوا الخطبة. فلما جلس قال مروان : يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أصمت فقالت نائلة ابنة القرافصة امرأة عثمان الكلبيّة: لا، بل اصمت؛ فإنّهم والله قاتلوه ومؤثموه. إنّه قد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٣ ص٣٧ .

قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان فقال: ما أنت وذاك؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ[!][1]. فقالت له: مهلا يا مروان عن ذكر الآباء! تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه، وإنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه. أما والله لولا أنّه عمّه وأنّه يناله غمّه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه. قال فأعرض عنها مروان ثم قال: يا أمير المؤمنين أتكلّم أم أصمت؟ قال بل تكلّم! فقال مروان: بأبي أنت وأمّي والله لوددت أنّ مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أوّل من رضي بها وأعان عليها. ولكنّك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطّبيين وخلف السّيل الزّبى[2]، وحين أعطى الخطّة الذّليلة الذّليل. والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها! وإنك إن شئت تقرّبت بالتّوبة ولم تقرر بالخطيئة!! وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من النّاس. فقال عثمان: فاخرج إليهم فكلّمهم، فإنّي أستحي أن أكلّمهم. قال: فخرج مروان إلى الباب والنّاس يركب بعضهم بعضا فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنّكم قد جئتم لنهب شاهت الوجوه! كلّ إنسان آخذ بأذن صاحبه إلاّ من أريد! جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟ اخرجوا عنّا! أما والله لئن رمتمونا ليمرّنّ عليكم منّا أمر لا يسرّكم ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم فإنّا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا. قال: فرجع النّاس وخرج بعضهم حتى أتى عليّا فأخبره الخبر، فجاء عليّ(ع) مغضبا حتى دخل على عثمان فقال: أما

---

(١) هذا مبلغ مروان من الأدب أن يعيّر المرأة بمحضر زوجها، وهذا مبلغ عثمان من الغيرة أن تنتهر زوجته بمحضره!!

(٢) بلغ السيل الزبى: هي جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده وأصلها الرابية لا يعلوها الماء فإذا بلغها السّيل كان جارفا مجحفا؛ يضرب لما جاوز الحدّ[مجمع الأمثال ـ الميداني ـ ج١ص٩١].

رضيت من مروان ولا رضي منك إلاّ بتحرّفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظّعينة يقاد حيث يسار به. والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسه. وأيم الله إنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك. أذهبت شرفك وغلبت على أمرك. فلمّا خرج عليّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت أتكلّم أو أسكت؟ فقال: تكلّمي. فقالت: قد سمعت قول عليّ لك وإنّه ليس يعاودك. وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت تتّقي الله وحده لا شريك له وتتّبع سنّة صاحبيك من قبلك فإنّك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند النّاس قدر ولا هيبة ولا محبّة! وإنّما تركك النّاس لمكان مروان فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فإنّ له قرابة منك وهولا يعصى. قال فأرسل عثمان إلى عليّ فأبى أن يأتيه وقال قد أعلمته أنّي لست بعائد.

أقول: كيف يصلح للخلافة من يغلبه على رأيه من ليس له عند النّاس قدر ولا هيبة ولا محبّة بشهادة نائلة بنت القرافصة؟ وانظر إلى قول مروان" والله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها "! فمتى كانت الإقامة على الخطيئة جميلة؟! إنّه الذّوق الأمويّ الفاسد الذي لا يبالي بها يحدث طالما سلمت مصلحة الشّجرة الملعونة في القرآن. وإن يكن عثمان يعتقد أنّ الخلافة قميص ألبسه الله إيّاه، فإنّ مروان يراها ملكا أمويّا ليس لغير بني أمية فيه نصيب، وهذه عبارته يقول فيها صريحا: "جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ".

وأورد السيوطي في تاريخه [1] هذا الشعر:

يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد　　جرّبتم الغدر من أبناء مـــروانا

أمسوا وقد قتلوا عمرا وما رشدوا　　يدعون غدرا بعهد الله كيسانا

ويقتـــلون الرّجال البزل ضاحية　　لكي يولّوا أمور النّاس ولدانا

تلاعبوا بكـــتاب الله فاتّخـــذوا　　هواهم في معـــاصي الله قرآنا

ولا يبالي مروان أن يقتل ريحانة النّبيّ(ص) وسيّد شباب أهل الجنّـة إرضـاء ليزيـد. ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق مـايلي[2]:عـن زريـق مـولى معاويـة قـال: لمـا هلـك معاوية بعثني يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة وهو أمير المدينة وكتب إليه بمـوت معاوية، وأن يبعث إلى هؤلاء الرّهط وأن يأمرهم بالبيعـة. قـال فقـدمت المدينـة لـيلا فقلت للحاجب: استأذن لي فقال: قد دخل ولا سبيل لي إليه. فقلت: إنّي جئـت بـأمر. فدخل فأخبره فأذن له وهو على سريره .فلمّا قرأ كتاب يزيد بوفاة معاوية واسـتخلافه جزع من موت معاوية جزعا شديدا، فجعل يقوم على راحلتـه ثـمّ يرمـي بنفـسه علـى فراشه، ثمّ بعث إلى مروان فجاء وعليه قميص أبيض وملاءة موردة فنعى لـه معاويـة، وأخبره أنّ يزيد كتب إليه أن يبعث إلى هؤلاء الرّهط فيدعوهم إلى البيعة ليزيد؛ قال فترحّم مروان على معاوية ودعا له بخير وقال: ابعث إلى هؤلاء الرّهط السّاعة فادعهم إلى البيعة فإن بايعوا وإلاّ فاضرب أعناقهم! قال: سـبحان الله؛ أقتـل الحـسين بـن علـيّ وابن الزّبير؟ قال: هو ما أقول لك!

(١) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ج١ص ٢١٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر، ج ١٩ ص ١٧ .

عبد الملك بن مروان:

قال العسكري: وأوّل خليفة بخل عبد الملك وكان يسمّى رشح الحجارة لبخله، ويكنى أبا الذبّان لبخره. قال: وهو أوّل من غدر في الإسلام، وأوّل من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء، وأوّل من نهى عن الأمر بالمعروف. ثمّ أخرج بسنده عن ابن الكلبيّ قال: كان مروان بن الحكم ولّى العهد عمرو بن سعيد بن العاص بعد ابنه فقتله عبد الملك وكان قتله أوّل غدر في الإسلام[1].

وقال محمّد بن سعد :..فتخلّف عبد الملك بذي خشب، وأمر رسولا أن ينزل مخيض، وهي فيما بين المدينة وذي خشب على اثني عشر ميلا من المدينة، وآخر يحضر الوقعة يأتيه بالخبر، وهو يخاف أن تكون الدّولة لأهل المدينة. فبينما عبد الملك جالس في قصر مروان بذي خشب يترقّب، إذا رسوله قد جاء يلوّح بثوبه فقال عبد الملك: إنّ هذا لبشير. فأتاه رسوله الذي كان بمخيض يخبره أنّ أهل المدينة قد قتلوا ودخلها أهل الشّام. فسجد عبد الملك ودخل المدينة بعد أن برأ[2].

سجد عبد الملك بن مروان لأنّ مدينة النّبيّ(ص) استبيحت وفجر أهل الشّام بنسائها بعد أن قتلوا رجالها. وعبد الملك هذا هو الذي قال: لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاّ ضربت عنقه. وهو الذي يقول فيه الحسن البصري: ما أقول في

---

(١) هذه الأخيرة فيها نظر، فإنّ الغدر ثابت قبلها كما في قصّة خالد بن الوليد ومالك بن نويرة، وقصّة مسلم بن عقيل، وقصة مروان مع الأكدر اللخمي، وقصّة سعيد بن العاص [والد عمرو بن سعيد المغدور به] مع أهل طبرستان كما هو مذكور في تاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ١٢٤.

(٢) الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، ج٥ص٢٢٥.

رجل الحجّاج سيّئة من سيّئاته.

أبو الأعور السّلميّ:

قال محمّد بن سعد: تجهزّت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللّواء في دار النّدوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس. وكان معهم ألف وخمسمائة بعير. وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب بن أميّة ووافتهم بنو سليم بمرّ الظّهران وهم سبعمائة، يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أميّة وهو أبو أبي الأعور السّلميّ الذي كان مع معاوية بصفّين. وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طلحة بن خويلد الأسديّ وخرجت فزارة.." [1].

ويستفاد من ذلك أنّ ولاء أبي الأعور السّلميّ لم يكن دينيّا كما يدّعيه المدافعون عن معاوية، وإنما هي قضيّة أحلاف جاهليّة بقيت تتحكّم في النفوس، فلا عجب أن يكون أبو الأعور حليفا لمعاوية ضدّ علي بن أبي طالب(ع) ، وقد سبق ذلك تحالف أبويهما ضدّ النّبيّ(ص) !

قال أبو القاسم الطبراني: حدّثنا محمّد بن عون[..] عبد الرحمن بن أبي عوف قال: قال عمرو بن العاص وأبو الأعور السّلميّ: لمعاوية إنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما رجل عييّ فقال معاوية رضي الله عنه لا تقولا ذلك فإنّ النّبيّ(ص) قد تفل في فيه ومن تفل النّبيّ في فيه فليس بعييّ . فقال الحسن بن عليّ رضي الله عنه: أمّا أنت يا عمرو

(١) الطبقات الكبرى ، محمّد بن سعد ، ج ٢ ص ٦٦.

فإنّه تنازع فيك رجلان، فانظر أيّهما أبوك. وأمّا أنت يا أبا الأعور فإنّ النّبيّ(ص) لعن رعلا و ذكوان وعمرو بن سفيان[1].

إضافة إلى ما سبق، فقد ثبت أنّ عليّ بن أبي طالب(ع) قنت في صلاته بلعن جماعة منهم أبو الأعور السلمي، وأبو موسى الأشعريّ.

النعمان بن بشير بن سعد:

قال ابن سعد: النّعمان بن بشير بن سعد من بني الحارث بن الخزرج، وأمّه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة من بني الحارث بن الخزرج. ويكنى النّعمان أبا عبد الله؛ وكان أوّل مولود من الأنصار ولد بالمدينة بعد هجرة النّبيّ(ص) . ولد في شهر ربيع الآخر على رأس أربعة عشر شهرا من هجرة النّبيّ(ص) هذا في رواية أهل المدينة، وأمّا أهل الكوفة فيروون عنه رواية كثيرة يقول فيها سمعت النّبيّ(ص) ، فدلّ على أنّه أكبر سنّا مما روى أهل المدينة في مولده. وكان ولي الكوفة لمعاوية بن أبي سفيان وأقام بها. وكان عثمانيّا؛ ثمّ عزله معاوية بن أبي سفيان فصار إلى الشّام فلمّا مات يزيد بن معاوية دعا النّعمان لابن الزّبير، وكان عاملا على حمص. فلمّا قتل الضّحّاك بن قيس بمرج راهط في ذي الحجّة سنة أربع وستّين في خلافة مروان بن الحكم هرب النّعمان بن بشير من حمص، فطلبه أهل حمص فأدركوه، فقتلوه و احتزّوا رأسه ووضعوه في حجر امرأته الكلبيّة[2].

---

(١) المعجم الكبير ، الطبراني، ج ٣ ص ٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، ج ٦ ص ٥٣ .

وقال ابن سلام الجمحي:كان النّعمان ذا منزلة من معاوية[1].

قلتُ: لم يتورّع النعمان بن بشير عن هجاء عليّ بن أبي طالب، فقال فيما روى ابن أبي الحديد[2]:وقد اعتورته [أي عليّا(ع)] الأعداء وهجته الشّعراء، فقال فيه النّعمان بن بشير:

لقد طلب الخلافة من بعيد وسارع في الضلال أبو تراب

معاوية الإمام وأنت منها على وتح بمنقطع السراب

وقال لقيس بن سعد بن عبادة في صفين[3]: إنّكم يا معشر الأنصار أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، وقتلكم أنصاره يوم الجمل وإقحامكم على أهل الشام بصفّين. فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّا كان هذا بهذا، ولكنّكم خذلتم حقّا ونصرتم باطلا..

ولا عجب من تخطئته الأنصار، لكن العجب من نسبته الخطأ إلى النّبيّ(ص) ! فإنّه سمّى أعداء عليّ(ع) النّاكثين والقاسطين، والنّعمان يقول: معاوية الإمام!.

بسر بن أرطاة الفهري:

قال الشّيخ محمّد عبده[4]بخصوص بسر: يقال بسر بن أبي أرطاة وبسر بن أرطاة، وهو عامريّ من بني عامر بن لؤي بن غالب. سيّره معاوية إلى الحجاز بعسكر كثيف فأراق

(١) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي، ج٢ ص ٤٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ١٣ ص ٢٤٠.

(٣) جمهرة خطب العرب، ج١ ص٣٦٦.

(٤) هامش ص٦٣ من الجزء ١ من نهج البلاغة، محمّد عبده .

دماء غزيرة، واستكره النّاس على البيعة لمعاوية، وفرّ من بين يديه والي المدينة أبو أيّوب الأنصاريّ، ثمّ توجّه واليا على اليمن فتغلّب عليها، وانتزعها من عبيد الله بن العبّاس. وفرّ عبيد الله ناجيا من شرّه فأتى بسر بيته، فوجد له ولدين صبيّين فذبحهما وباء بإثمهما قبّح الله القسوة وما تفعل؛ ويروى أنّهما ذبحا في بني كنانة أخوالهما، وكان أبوهما تركهما هناك وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله في أبيات :

من دلّ والهة حيرى مدلّهة على صبيّين ذلاّ إذ غدا السّلف

خبّرت بسرا وما صدّقت مازعموا من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا

أنحى على ودجي ابنيّ مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

وتروى هذه الأبيات بروايات شتّى فيها تغيير وزيادة ونقص.

وقال ابن أبي الحديد:قالوا: دعا عليّ(ع) على بسر فقال: اللهمّ إنّ بسرا باع دينه بالدّنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده ممّا عندك. اللهمّ فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللهم العن بسرا وعمرا ومعاوية وليحلّ عليهم غضبك[1]، ولتنزل بهم نقمتك وليصبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين. فلم يلبث بسر بعد ذلك إلاّ يسيرا حتّى وسوس وذهب عقله، فكان يهذي بالسّيف، ويقول: اعطوني سيفا اقتل به، لا يزال يردّد ذلك حتى اتّخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة، فلا يزال يضربها حتى

(١) فيه دليل على جواز لعن المذكورين بدون أيّ حرج، فإنّ عليّا(ع) أقضى الأمّة بعد النّبيّ(ص) فلو كان لعنهم غير جائز لما أقدم عليه.

يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات[1].

وقال ابن حجر في ترجمة الأسود: وقال الزّبير بن بكّار حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: بعث معاوية بسر بن أبي أرطاة إلى المدينة وأمره أن يستشير رجلا من بني أسد يقال له الأسود بن فلان، فلما دخل المسجد سدّ الأبواب وأراد قتلهم حتّى نهاه الأسود[2].

وفي التّاريخ الصغير للبخاري عن وهب بن كيسان مولى الزّبير أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول: قدم بسر بن أرطاة المدينة زمان معاوية فقال: لا أبايع رجلا من بني سلمة حتى يأتي جابر. فأتيت أمّ سلمة بنت أبي أميّة زوج النّبيّ(ص) فقالت بايع فقد أمرت عبد الله بن زمعة ابن أخي أن يبايع على دمه وماله. أنا أعلم أنّها بيعة ضلالة[3].

أقول: هذه أمّ سلمة المرأة الصّالحة تشهد على هذه البيعة أنّها بيعة ضلالة، فهل يكون المسلمون ملزمين ببيعة ضلالة؟ وهل يقبل الله تعالى بيعة الضلالة؟ وما هو موقف الذين يروون في صحاحهم" وكلّ ضلالة في النّار" ؟!

اختلفوا في وفاة بسر ـ كما جرت العادة في الوفيات ـ فقيل:"مات أيّام معاوية، وقيل بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان، وهو قول خليفة و به جزم ابن حبّان. وقيل مات في خلافة الوليد سنة ستّ وثمانين، حكاه المسعودي "[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ١٨ .

(٢) الإصابة ، ابن حجر ، ج ١ ص ٢٢١.

(٣) التاريخ الصغير ، البخاري، ج١ ص١٤١ .

(٤) الإصابة ، ابن حجر العسقلاني، ج١ ص٢٨٩ .

أبو هريـرة الدوسي :

قال الذّهبيّ: أخبرنا إبراهيم بن يوسف [..] عن محمّد بن زياد قال: كـان معاويـة يبعث أبا هريرة على المدينة، فإذا غضب عليه بعث مروان وعزله. فلم يلبـث أن بعـث أبـا هريرة ونزع مروان؛ فقال لغلام أسود: قف على الباب فلا تمنع إلا مروان، ففعل الغـلام. ثمّ جاء مروان نوبة فدخل وقال: حجبنا، قال: إنّ أحقّ من لا أنكر هذا لأنت[1].

المغيرة بن شعبة الثقفي :

وهو الذي شهد عليه جماعة من الـصحابة بالزنـا، وشـهد عليـه عمـر بـن الخطـاب بالفسق وواجهه بذلك، وكذلك فعل أهل الكوفة، وقد ذكرت أخبـاره بالتفـصيل فـي كتاب " قراءة في سلوك الصحابة "، وأنا أعيد ذكر بعض منهـا ههنـا لمـن لـم يطّلع ، كي لا يكون الكلام بلا دليل. ولأنّ قصّة إسلام الصّحابيّ تكـشف عـن جوانـب مـن شخصيته إن كان إسلامه عن طواعية ورغبة ، فإنّني أشير إلـى أنّ إسـلام المغيـرة بـن شعبة لم يكن كذلك، ولو قلت أنّه عاش على غير الإيمان ومات على غير الإيمان مـا ظلمته، فإنّه كان ممّن شارك في الهجوم على بيت فاطمة بنت النّبيّ(ص) ، وخرج من الدّنيا مصرّا على سبّ ولعن وشتم علي بن أبي طالب(ع) ،وآية المنافق بغض عليّ(ع) .

قصة إسلام المغيرة:

(١) تذكرة الحفاظ، الذّهبيّ، ج١ص٣٦.

قال ابن سعد: [..] محمّد بن محمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه وغيرهم[1] قالوا: قال المغيرة بن شعبة: كنا قوما من العرب متمسّكين بديننا، ونحن سدنة اللاّت فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم! فأجمع نفر من بني مالك الوفود على المقوقس وأهدوا له هدايا فأجمعت الخروج معهم. فاستشرت عمّي عروة بن مسعود، فنهاني وقال ليس معك من بني أبيك أحد. فأبيت إلاّ الخروج. فخرجت معهم وليس معهم من الأحلاف غيري حتى دخلنا الإسكندريّة، فإذا المقوقس في مجلس مطلّ على البحر. فركبت زورقا حتى حاذيت مجلسه؛ فنظر إليّ فأنكرني وأمر من يسألني من أنا وما أريد. فسألني المأمور فأخبرته بأمرنا، وقدومنا عليه. فأمر بنا أن ننزل في الكنيسة، وأجرى علينا ضيافة. ثمّ دعا بنا فدخلنا عليه، فنظر إلى رأس بني مالك فأدناه إليه وأجلسه معه ثمّ سأله: أكلّ القوم من بني مالك؟ فقال نعم، إلاّ رجلا واحدا من الأحلاف، فعرّفه إيّاي. فكنت أهون القوم عليه. ووضعوا هداياهم بين يديه فسرّ بها وأمر بقبضها، وأمر لهم بجوائز، وفضّل بعضهم على بعض وقصّر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له، وخرجنا. فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهليهم وهم مسرورون، ولم يعرض عليّ رجل منهم مواساة. وخرجوا وحملوا معهم الخمر، وكانوا يشربون وأشرب معهم وتأبى نفسي تدعني ينصرفون إلى الطّائف بما أصابوا وما حباهم الملك ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه أيّاي. فأجمعت على قتلهم! فلمّا كنّا ببسا [كذا ، والصواب بيسان كما في معجدم البلدان] تمارضت وعصبت رأسي. فقالوا

(١) قوله وغيرهم يفيد تعدّد طرق القصّة .

لي: مالك؟ قلت أصدع. فوضعوا شرابهم ودعوني فقلت: رأسي يصدع، ولكنّي أجلس فأسقيكم فلم ينكروا شيئا. فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح. فلما دبّت الكأس فيهم اشتهوا الشّراب، فجعلت أصرف لهم وأنزع الكأس فيشربون ولا يدرون فأهمدتهم الكأس حتى ناموا ما يعقلون؛ فوثبت إليهم فقتلتهم جميعا! وأخذت جميع ما كان معهم فقدمت على النّبيّ(ص) فأجده جالسا في المسجد مع أصحابه وعليّ ثياب سفري فسلّمت بسلام الإسلام فنظر إلى أبي بكر بن أبي قحافة و كان بي عارفا فقال: ابن أخي عروة؟ قلت: نعم. جئت أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدا رسول الله فقال النّبيّ(ص):الحمد لله الذي هداك للإسلام. فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلتم؟ قلت: نعم. قال: فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك؟ قلت كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشّرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى النّبيّ(ص) ليخمّسها[1]أو يرى فيها رأيه، فإنّما هي غنيمة من مشركين. وأنا مسلم مصدّق بمحمّد(ص). فقال النّبيّ(ص): أمّا إسلامك فقبلته، ولا آخذ من أموالهم شيئا ولا أخمّسه لأنّ هذا غدر، والغدر لا خير فيه. قال: فأخذني ما قرب وما بعد وقلت: يا رسول الله إنّما قتلتهم وأنا على دين قومي[!] ثم أسلمت حيث دخلت عليك الساعة قال: فإن الإسلام يجبّ ما كان قبله[2]..

---

(١) هذا كلام جدير بالتأمّل، فإنّ المغيرة قتل أصحابه غدرا وهو على الشّرك، ثمّ جاء يخمّس ما غنمه و هو على الشّرك؛ وهو لم يأت في الحقيقة إلاّ لحقن دمه، ولهذا بقيت معالم الكفر واضحة في أقواله وأعماله. ومن المؤسف أنّ في بعض بلدان المسلمين شوارع ومساجد كتب أعلاها اسم المغيرة بن شعبة .

(٢) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، ج٤ص٢٥٨ .

هذه قصّة إسلام المغيرة بن شعبة، وقد اختصرها الصّنعاني في المصنّف ج٥ص٢٩٩ ؛ وقد سمّى النّبيّ(ص) فعلة المغيرة غدرا، ولم يقبل ماله، لأنّ الإسلام لا يقبل إلا طيّبا. وانظر إلى قلّة حياء المغيرة حين يقول " غنيمة من مشركين" وهو قد كان مشركا حين قتلهم!

وروى الطّبريّ أنّ معاوية بن أبى سفيان لمّا ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد قال المتلمّس: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا*وما علم الإنسان إلا ليعلما. وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعلّم. وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني، ويسعد سلطاني، ويصلح به رعيتي. ولست تاركا إيصاءك بخصلة، لا تتحمّ عن شتم عليّ وذمّه[1]، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه و الإدناء لهم والسّماع منهم. فقال المغيرة: قد جرّبت وجرّبت، وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع. فستبلو فتحمد أو تذمّ. ثمّ قال: بل نحمد إن شاء الله[2].

وذكر الطّبريّ أيضا في تاريخه عند ذكره أحداث سنة ١٧ ما يلي:

" اجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدّثون في مشربته فهبّت ريح ففتحت باب الكوّة، فقام أبو بكرة ليصفقه فبصر بالمغيرة وقد فتحت الرّيح باب كوّة مشربته وهو بين

---

(١) هذه العبارة مفحمة للذين ينكرون أمر معاوية بسبّ عليّ(ع) وشتمه.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤ ص ١٨٨ .

رجلي امرأة! فقال للنّفر: قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا ثمّ قال: اشهدوا. قالوا ومن هذه؟ قال: أمّ جميل ابنة الأفقم. وكانت أمّ جميل إحدى بني عامر بن صعصعة، وكانت غاشية للمغيرة وتغشى الأمراء[1] والأشراف [2]..."!

قال الجوهري: وكانت الرّقطاء التي رمي بها المغيرة تختلف إليه في أيّام إمارته الكوفة في خلافة معاوية في حوائجها فيقضيها لها..وكانت الرّقطاء هذه مغنّية من أضرب النّاس على آلات اللّهو والطّرب!، [وقال حسّان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة]:

لو أنّ اللّؤم ينسب كان عبدا ... قبيح الوجه أعود من ثقيف

تركت الدّين والإسلام لّما ... بدت لك غدوة ذات التّصيف

وراجعت الصّبا وذكرت لهوا ... من القينات والعمر اللّطيف[3]

والقصة ذكرها البلاذري في الفتوح[4]. وقال ابن كثير[5]: قال ابن وهب سمعت مالكا يقول: كان المغيرة بن شعبة يقول: صاحب المرأة الواحدة يحيض معها ويمرض معها، وصاحب المرأتين بين نارين تشتعلان، وصاحب الأربع قرير العين.

(١) هذه العبارة تفتح نافذة للاطلاع على سيرة الأمراء في زمان خلافة عمر بن الخطاب، ولم يكن الأمراء أيام عمر سوى صحابة وتابعين..

(٢) تاريخ الطبري، ج٢ ص٤٩٣.

(٣) السقيفة وفدك، الجوهري ، ص ٩٥-٩٦.

(٤) فتوح البلدان ، البلاذري ، ج ٢ ص ٤٢٣.

(٥) البداية والنهاية ،ج٨ص٤١.

وكان يتزوّج أربعا معا ويطلّقهنّ معا. وقال عبد الله بن نافع الصائغ أحصن المغيرة ثلاثمائة امرأة.وقال غيره ألف امرأة.وقيل مئة امرأة وقيل ثمانين امرأة !

ومن كلام الحسن بن عليّ(ع) في جمهرة خطب العرب يردّ على المغيرة بن شعبة في مجلس معاوية: وإنّ حدّ الله في الزّنا لثابت عليك. ولقد درأ عمر عنك حقّا الله سائله عنه، ولقد سألت النّبيّ(ص) هل ينظر الرّجل إلى المرأة يريد أن يتزوّجها فقال لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزّنا لعلمه بأنّك زان[1]!

وفي السير: عاصم الأحول، عن بكر بن عبد الله، عن المغيرة بن شعبة قال: لقد تزوّجت سبعين امرأة أو أكثر. أبو إسحاق الطالقانيّ: حدّثنا ابن المبارك قال: كان تحت المغيرة بن شعبة أربع نسوة قال: فصفّهنّ بين يديه وقال:أنتنّ حسنات الأخلاق، طويلات الأعناق، ولكنّي رجل مطلاق فأنتنّ الطّلاق[2]!

وفيه أيضا:قال ابن شوذب: أحصن المغيرة أربعا من بنات أبي سفيان، وكان آخر من تزوّج منهنّ بها عرج[3].

وفي جمهرة خطب العرب: تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم عليّا وقال والله ما أعيبه في قضيّة يخون ولا في حكم يميل، ولكنّه قتل عثمان[4].

---

(١) جمهرة خطب العرب، ج٢ص٢٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٣ص٣١.

(٣) سير أعلام النبلاء ، الذّهبيّ، ج ٣ ص ٣٠.

(٤) جمهرة خطب العرب، ج٢ ص٢٢.

وقال ابن حجر: قال البغويّ حدّثني حمزة [..] عن المطّلب بن حنطب قال: قال المغيرة: **أنا أوّل من رشا في الإسلام** . جئت إلى يرفأ حاجب عمر، وكنت أجالسه فقلت له: خذ هذه العمامة فالبسها، فإنّ عندي أختها. فكان يأنس بي ويأذن لي أن أجلس من داخل الباب. فكنت آتي فأجلس في القائلة، فيمرّ المارّ فيقول: إنّ للمغيرة عند عمر منزلة، إنّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد[1].

وقال ابن الأثير ـ في ترجمة المغيرة ـ: وهو أوّل من وضع ديوان البصرة، وأوّل من رشا في الإسلام. أعطى برقا[ضبطه في تاريخ دمشق (ج٦٠ ص١٨)يرفأ] حاجب عمر شيئا حتى أدخله على دار عمر[2].

وفي سير الذهبي: خطب المغيرة فنال من عليّ.. [3] .

و أيضا (ج١ص١٠٣):...أنّ المغيرة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ وسبّ. فقال سعيد بن زيد: من يسبّ هذا يا مغيرة؟ قال: يسبّ عليّ بن أبي طالب..

وللمغيرة أخبار عجيبة مذكورة في كتب التّاريخ والأدب، يأبى المقلّدة إلاّ أن يجعلوا منها مفاخر لأهل ذلك الزمان، حتّى الدّهاء مفخرة، والاحتيال على الضّعفاء والبسطاء مفخرة، ولله في خلقه شؤون؛ وقد خصصت فصلا كاملا للمغيرة في كتاب

(١) الإصابة، ابن حجر ، ج ٦ ص١٥٧.

(٢) أسد الغابة ، ج٤ص٤٠٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ج١ص١٠٥ .

"قراء في سلوك الصّحابة "، لمن أراد أن يعرف عنه أكثر[1].

أبو موسى الأشعري :

وكثير من الناس يعدّونه في أصحاب عليّ(ع) وليس كذلك، فإنّ اختياره للتّحكيم لم يكن من قبل عليّ(ع)، بل كان يتّهمه، وقنت بلعنه فيما بعد؛ وإنّما يرجع أمر اختياره إلى الأشعث بن قيس الكنديّ ومن كان معه . وقد صرّحوا أنّ أبا موسى كان واجدا على عليّ(ع)، وكان يريد أن يعيد الخلافة في آل الخطّاب في رجل لم يحسن طلاق امرأته وبايع يزيد والحجاج وخذّل النّاس و ثبّطهم عن بيعة عليّ بن أبي طالب(ع)، وإن صحّت نسبة الكلمات التالية إلى معاوية فإنّها تكون كاشفة عن مودّة وثيقة بين أبي موسى الأشعريّ وبين معاوية.

روى ابن أبي عاصم عن أبي بردة قال دخلت على معاوية و به قرحته التي مات فيها فقال: يا بن أخي أدن فانظر فرأيتها مبسورة فدعا يزيد فقال: إنّ أبا هذا كان لي أخا فاستوص به خيرا ! فإنّ أباه كان لي أخا غير أنّي وإيّاه اختلفنا، فرأيت القتال ولم يره "[2].

وقد طمع فيه معاوية وأرسل إليه، واعتنى بولده أيّام دولته؛ قال ابن سعد: أخبرنا عفّان[..]عن حميد بن هلال عن أبي بردة قال: قال أبو موسى كتب إليّ معاوية: سلام عليك، أما بعد؛ فإنّ عمرو بن العاص قد بايعني على الذي قد بايعني عليه، وأقسم بالله لئن بايعتني على ما بايعني عليه لأبعثنّ ابنيك أحدهما على البصرة والآخر على

(١) طالع "**قراءة في سلوك الصحابة**" من الصفحة١٦٣ إلى الصفحة ٢٢٥.

(٢) الآحاد والمثاني ، ابن أبي عاصم، ج١ ص ٣٨٠تحت رقم (٥١٧) .

الكوفة، ولا يغلق دونك باب ولا تقضى دونك حاجة! وإنّي كتبت إليك بخطّ يدي فاكتب إليّ بخطّ يدك[1]. فقال: يا بنيّ، إنّما تعلّمت المعجم بعد وفاة النّبيّ(ص). قال: وكتب إليه مثل العقارب أمّا بعد؛ فإنّك كتبت إليّ في جسيم أمر أمّة محمّد(ص). لا حاجة لي فيما عرضت عليّ. قال فلمّا ولي أتيته فلم يغلق دوني باب ولم تكن لي حاجة إلاّ قضيت [2].

سفيان بن عوف الغامديّ :

سفيان بن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن من أزد شنوءة، بعثه معاوية لشنّ الغارات على أطراف العراق تهويلا على أهله"[3].

عبد الله بن عمرو بن العاص :

وهذا الرّجل وإن لم يكن في مستوى المغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة بن أبي معيط، إلاّ أنّه أطاع أباه في معصية الله تعالى، وحارب إمام زمانه[4] وضمّ صوته إلى

---

(١) هكذا كان معاوية يشتري الضمائر، يتولّى ذلك بنفسه ويكتب بخطّ يده !

(٢) الطبقات الكبرى ، محمّد بن سعد ، ج ٤ ص ١١١.

(٣) كذا في نهج البلاغة. وقد اختلفوا في سنة وفاته، قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ٣٥٢ = =[أبو عبيد القاسم بن سلام قال سنة اثنتين وخمسين فيها توفي سفيان بن عوف الأزدي مات شاتيا بالروم وذكر الواقدي أنه توفي سنة أربع وخمسين فالله أعلم أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع اللفتواني في كتابه أنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن أنا أبو بكر أحمد بن الفضل الباطرقاني أنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منده أنا أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس قال سفيان بن عوف الأزدي قتل بأرض الروم سنة خمس وخمسين وكذا قال ابن يونس وقول من قال إنه مات أصح والله أعلم.] وجزع معاوية لموته.

(٤) أقول " إمام زمانه " وفق ما تذهب إليه مدرسة الخلفاء، فإنّ الإمام عليّا(ع) بايعه المهاجرون والأنصار طائعين غير مكرهين.

أصوات أهل الباطل، وذكر هو بنفسه ما هو حجّة عليه. قال ابن كثير [1]: وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية[..]عن عبد الرحمن، أنّ عبد ربّ الكعبة قال: انتهيت إلى عبد الله بن عمرو وهو جالس في ظلّ الكعبة فسمعته يقول: بينا نحن مع النّبيّ(ص) في سفر إذ نزل منزلا فمنّا من يضرب خباءه، ومنّا من هو في جشرة[2]، ومنّا من ينتضل إذ نادى مناديه: الصلاة جامعة. قال فاجتمعنا قال فقام النّبيّ(ص) فخطبنا فقال: " إنّه لم يكن نبيّ قبلي إلاّ دلّ أمّته على خير ما يعلمه لهم، وحذّرهم ما يعلمه شرّا لهم، وإنّ أمّتكم هذه جعلت عافيتها في أوّلها، وإنّ آخرها سيصيبها بلاء شديد وأمور ينكرونها. تجيء فتن يريق بعضها بعضا، تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي. ثمّ تنكشف ثمّ تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه ثمّ تنكشف. فمن سرّه منكم أن يزحزح عن النّار وأن يدخل الجنّة فلتدركه موتته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى النّاس الذي يحبّ أن يؤتى إليه، ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر". قال فأدخلت رأسي من بين النّاس فقلت: أنشدك بالله أنت سمعت هذا من النّبيّ(ص)؟ قال فأشار بيده إلى أذنيه وقال: سمعته أذناي، ووعاه قلبي. قال: فقلت: هذا ابن عمّك ـ يعني معاوية ـ يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأن نقتل أنفسنا، وقد قال الله تعالى:(**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**)[3] قال: فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيهة. ثمّ رفع رأسه فقال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله. ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن الأعمش

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج٢ص١٨٦ .

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب ج ٤ ص ١٣٧ : جشر : الجشر : بقل الربيع وأورد عبارة الحديث.

(٣) سورة النّساء : ٢٩.

وقال فيه: أيّها الناس إنّه لم يكن نبيّ قبلي إلاّ كان حقّا عليه أن يدلّ أمّته على ما يعلمه خيرا لهم، وينذرهم ما يعلمه شرّا لهم، وذكر تمامه بنحوه. وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنّسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش. ورواه مسلم أيضا من حديث الشّعبيّ عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة عن عبد الله بن عمر عن النبي (ص) بنحوه .

والطريف في القصة أنّ عبد الله بن عمرو لم ينكر على عبد ربّ الكعبة ما قاله عن معاوية، ولعلّه خشي أن يكون من عناصر جهاز الأمن السّرّيّ التابع لمعاوية، وإلاّ فلم نكس هنيهة والسؤال واضح؟! وقد أقرّ معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص على الإمارة بعد وفاة أبيه على القاعدة الجارية التي يلتزم بها كل من يلي لمعاوية أمرا ، والمتمثّلة في سبّ ولعن عليّ بن أبي طالب في الجمعة والأعياد وغيرها من المناسبات وكان له نصيبه من تسريب إسرائيليات كعب الأحبار إلى تراث المسلمين، وهو صحابيّ ابن صحابيّ!

زياد بن أبيه:

والمفروض أن كلّ إنسان ابن أبيه، لكنّ زيادا يختلف عن غيره في كونه دعي إلى أكثر من أب. وقد نزل قرآن يحرّم التّبنّي ، ويقول بصراحة(**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله**). غير أنّ معاوية لا يبالي بالقرآن الكريم حينما يعارض مصلحته، لذلك سارع إلى إلحاق زياد بن عبيد بأبي سفيان صخر بن حرب، ووقعت جرّاء ذلك فضائح وقضايا لم يستطع تداركها معاوية ولا غيره، بل إنّ أشدّ النّاس ميلا إلى معاوية لا يستطيع الدّفاع عنه في هذه المسألة إلاّ أن يكفر بالقرآن الكريم. والمعلوم بالوجدان أنّ المرء لا يحبّ أن ينسب إلى غير أبيه، كما أنّه لا يحبّ أن يعيّر أحد أباه

بالزّنا لأنّه أمر ممقوت من كلّ الوجوه، لكنّ معاوية لم يبال بذلك و استلحق زيادا وأقرّ على أبيه أبي سفيان بالزنا، وأقرّ زياد على أمّه سميّة بالزّنا، وهذا أبعد ما يتصوّر من العقوق، لأنّ الله تعالى قد أمر بالإحسان إلى الوالدين، وليس من الإحسان إليهما نسبتهما إلى الفاحشة. وزياد هذا هو أوّل من ألّف في مثالب العرب؛ قال ابن النديم[1]: " قال محمّد بن إسحاق قرأت بخطّ أبي الحسن بن الكوفيّ أوّل من ألّف في المثالب كتابا زياد بن أبيه، فإنّه لمّا ظفر عليه وعلى نسبه عمل ذلك ودفعه إلى ولده وقال: استظهروا به على العرب، فإنّهم يكفّون عنكم ". وقال نعيم بن حماد [2]:[..]ثمّ إنّ مروان ردّ عبد الملك إلى معاوية في حاجته، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية: أنشدك بالله يا ابن عبّاس أما تعلم أنّ النّبيّ(ص) ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الأربعة. قال: اللّهم نعم، فعند ذلك ادّعى معاوية زياد بن عبيد.

سمرة بن جندب :

صاحب حديث " خير القرون " كما في تاريخ بغداد[3]، وقد كان في خاتمته آية للمتدبّرين؛ قال ابن سعد: كان له حلف في الأنصار وصحب النّبيّ(ص) ، وكان زياد بن أبي سفيان يستعمله على البصرة إذا قدم الكوفة. قال: أخبرنا وهب بن جرير بن حازم أراه عن أبيه قال: سمعت أبا يزيد المديني قال: لمّا مرض سمرة بن جندب مرضه الذي مات فيه أصابه برد شديد، فأوقدت له نار، فجعل كانونا بين يديه وكانونا خلفه وكانونا عن

---

(١) الفهرست، ابن النديم، ج ١ص ١٣١.

(٢) كتاب الفتن ، نعيم بن حماد ، ص ١٣١.

(٣) حديث خير القرون عن سمرة في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٤٤.

يمينه وكانونا عن يساره؛ قال: فجعل لا ينتفع بذلك ويقول: كيف أصنع بما في جوفي؟ فلم يزل كذلك حتى مات[1]. وسمرة هذا هو أحد الذين قال لهم رسول الله(ص) "آخركم موتا في النار"، وكان آخرهم موتا، لذلك تمحّل له ابن حجر العسقلانيّ وابن عبد البرّ لصرف الحديث عن معناه[2].

وأما أنصار معاوية العوامّ فقد جاء في وصفهم ما ذكره ابن قيّم الجوزية قال: ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى في تاريخه عن هشام بن سعد قال: قدم عبد الله بن الكوّا على معاوية، فقال له أخبرني عن أهل البصرة.قال: يقاتلون معا ويدبرون شتّى. قال: فأخبرني عن أهل الكوفة. قال: أنظر النّاس في صغيرة وأوقعهم في كبيرة. قال فأخبرني عن أهل المدينة. قال: أحرص النّاس على الفتنة وأعجزهم عنها قال: فأخبرني عن أهل الموصل. قال: قلادة وليدة فيها من كل شيء خرزة. قال: فأخبرني عن أهل مصر. قال لقمة آكل. قال: فأخبرني عن أهل الجزيرة. قال: كناسة بين مدينتين. قال: فأخبرني عن أهل الشام قال جند أمير المؤمنين، لا أقول فيهم شيئا! قال: لتقولنّ. قال: أطوع النّاس لمخلوق وأعصاهم لخالق، ولا

---

(١) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ج ٦ ص ٣٤.

(٢) الحديث في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ، ج٧ص١٢ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ تحقيق دائرة المعرف النظامية ، الهند ، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ج٤ص٢٠٧ العسقلاني دار الفكر، بيروت ، ١٩٨٤ ، وفي المعتصر من المختصر من مشكل الآثار لأبي المحاسن الحنفي ج٢ص٣٧٠ عالم الكتب بيروت ومكتبة المتنبي ـ القاهرة، و في التاريخ الصغير البخاري ج١ص١٠٦ دار الوعي ،حلب، ومكتبة دار التراث القاهرة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ، وفي علل الحديث: عبد الرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم) ج١ص٣٥١ دار المعرفة بيرو ت ١٤٠٥تحقيق : محب الدين الخطيب.

يحسبون للسّماء ساكنا[1]!

(١) اجتماع الجيوش الإسلاميّة، ابن قيم الجوزية، ج١ص ٧٠.



الفصل الرابع

أخبار معاوية بن أبي سفيان

- دعاء النبي(ص) على معاوية
- علم معاوية
- أكذوبة كاتب الوحي
- معاوية و التحريف والمغالطات
- تهمة الإمام علي عليه السلام بالمشاركة في قتل عثمان
- شجاعة معاوية
- وفاة معاوية
- ومن أخبار معاوية

١ـ دعاء النبيّ(ص) على معاوية:

قال ابن كثير[1]: ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي حمزة عن ابن عبّاس قال: كنت ألعب مع الغلمان فجاء النّبيّ(ص) فاختبأت منه، فجاءني فحطاني خطوة أو خطوتين، وأرسلني إلى معاوية في حاجة، فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل ، فأرسلني الثانية فأتيته وهو يأكل، فقلت: أتيته وهو يأكل، فقال: لا أشبع الله بطنه. وقد روى البيهقيّ [..]عن أبي حمزة، سمعت ابن عبّاس قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله قد جاء فقلت: ما جاء إلاّ إليّ، فذهبت فاختبأت على باب، فجاء فحطاني حطوة وقال: اذهب فادع لي معاوية ـ وكان يكتب الوحي ـ قال: فذهبت فدعوته له فقيل: إنّه يأكل، فأتيت رسول الله(ص) فقلت: إنّه يأكل، فقال: اذهب فادعه لي، فأتيته الثّانية، فقيل إنّه يأكل، فأتيت رسول الله فأخبرته فقال في الثانية: لا أشبع الله بطنه، قال: فما شبع بعدها، قلت [ابن كثير]: وقد كان معاوية رضي الله عنه لا يشبع بعدها، ووافقته هذه الدّعوة في أيّام إمارته، فيقال إنّه كان يأكل في اليوم سبع مرّات طعاما بلحم! وكان يقول: والله لا أشبع وإنما أعيى!

نعم، انتهى كلام ابن كثير ولا بدّ من التّعليق عليه مرة أخرى، فإنّ الرّجل يقول عن معاوية"وافقته الدّعوة في أيّام إمارته "أي أنّه انتفع بدعاء النّبيّ(ص) ! والرّجل لم يكن يشبع! وهل ينتفع ابن أنثى بعدم الشبع؟! ماذا كان يريد معاوية بالأكل سبع مرّات في اليوم؟ ألم يكن يطلب الشّبع؟ ومن الشّقاء أن يكون الإنسان مبسوط اليد متمكّنا من شرق الأرض وغربها ومع ذلك لا ينال شبعة واحدة !

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٦ص١٨٩ .

على أنّ هذا الموقف من ابن كثير لم ينفع معاوية لدى العرب، فإنّه صار مضرب المثل عندهم لمن يأكل ولا يشبع. قال بعض الظرفاء :

وصاحب لي بطنه كالهاويه ❊❊ كأنّ في أمعائه معاويه

قال ابن أبي الحديد: لما بويع عليّ(ع) كتب إلى معاوية: أما بعد فإنّ النّاس قتلوا عثمان عن غير مشورة منّي، وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع، فإذا أتاك كتابي فبايع لي، وأوفد إليّ أشراف أهل الشّام قبلك. فلمّا قدم رسوله على معاوية، وقرأ كتابه، بعث رجلا من بني عميس، وكتب معه كتابا إلى الزبير بن العوام، وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان: سلام عليك، أما بعد، فإنّي قد بايعت لك أهل الشّام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لاشيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرا الطّلب بدم عثمان وادعوا النّاس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتّشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما! فلما وصل هذا الكتاب إلى الزّبير سرّ به، وأعلم به طلحة وأقرأه إيّاه، فلم يشكّا في النّصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ(ع) [١].

ويؤكّد وقوع ذلك ما جاء في خطبة من خطب الإمام عليّ(ع) حيث يقول بشأن طلحة والزّبير[٢]: ويا عجبا لاستقامتهما لأبي بكر وعمرو بغيهما عليّ! هما يعلمان أنّي

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١ص ٢٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١ص ٣١٠ .

لست دون أحدهما، ولو شئت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشّام كتابا يخدعهما فيه، فكتماه عنّي، وخرجا يوهمان الطّغام أنّهما يطلبان بدم عثمان، والله ما أنكرا عليّ منكرا، ولا جعلا بين وبينهم نصفا، وإنّ دم عثمان لمعصوب بهما، ومطلوب منهما. يا خيبة الدّاعي! إلام دعا! وبماذا أجيب؟ والله إنّهما لعلى ضلالة صمّاء، وجهالة عمياء، وإنّ الشّيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورجله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويرد الباطل إلى نصابه. ثمّ رفع يديه، فقال: اللهمّ إنّ طلحة والزّبير قطعاني، وظلماني وألّبا عليّ، ونكثا بيعتي، فاحلل ما عقدا، وانكث ما أبرما، ولا تغفر لهما أبدا، وأرهما المساءة فيما عملا وأملا !

و في تاريخ الخلفاء[1]:أخرج ابن أبي الدّنيا وابن عساكر عن جبلة بن سحيم قال: دخلت على معاوية بن أبي سفيان وهو في خلافته وفي عنقه حبل وصبيّ يقوده، فقلت له: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا؟ قال: يا لكع! أسكت، فإنّي سمعت النّبيّ(ص) يقول من كان له صبيّ فليتصاب له. قال ابن عساكر: غريب جدّا. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف عن الشّعبيّ قال: دخل شابّ من قريش على معاوية فأغلظ عليه فقال له: يا ابن أخي أنهاك عن السّلطان. إنّ السلطان يغضب غضب الصّبيّ ويأخذ أخذ الأسد. وأخرج عن الشعبيّ قال: قال زياد: استعملت رجلا فكثر خراجه، فخشي أن أعاقبه ففرّ إلى معاوية. فكتبت إليه إنّ هذا أدب سوء لمن قبلي. فكتب إليّ إنّه ليس يبقى لي ولا لك أن نسوس النّاس بسياسة واحدة، أن نلين جميعا فتمرح النّاس

(١) تاريخ الخلفاء، السّيوطيّ، ج١ص٢٠٢ .

في المعصية أو نشتدّ جميعا فنحمل النّاس على المهالك، ولكن تكون للشّدّة والفظاظة وأكون للّين والرّأفة. وأخرج عن الشّعبيّ قال: سمعت معاوية يقول: ما تفرّقت أمّة قطّ إلاّ ظهر أهل الباطل على أهل الحقّ إلاّ هذه الأمة [!]. وفي الطّيوريات عن سليمان المخزوميّ قال: أذن معاوية للنّاس إذنا عامّا فلمّا احتفل المجلس قال أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كلّ بيت قائم بمعناه، فسكتوا. ثمّ طلع عبد الله بن الزبير فقال: هذا مقوال العرب وعلاّمتها أبو خبيب. قال: مهيم؟ قال: أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كلّ بيت قائم بمعناه. قال: بثلاث مائة ألف. قال: وتساوي؟ قال أنت بالخيار وأنت واف كاف. قال هات! فأنشده للأفوه الأوديّ قال: **بلوت الناس قرنا بعد قرن** فلم أر غير ختّال وقال**. قال: صدق! هيه؟ قال:**ولم أر في الخطوب أشدّ وقعا**وأصعب من معاداة الرّجال**. قال صدق؛ هيه؟ قال: **وذقت مرارة الأشياء طرّا**فما طعم أمرّ من السّؤال**. قال صدق؛ ثم أمر له بثلاث مائة ألف[1].

وأخرج البخاريّ والنسائيّ وابن أبي حاتم في تفسيره واللّفظ له من طرق أنّ مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال: إنّ الله قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأيا حسنا وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر. وفي لفظ سنّة أبي بكر و عمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنّة هرقل وقيصر. إنّ أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية إلا

(١) ثلاثة أبيات من الشعر مقابل ثلاثمائة ألف من بيت مال المسلمين،والواهب صحابي والآخذ صحابي!

رحمة وكرامة لولده. فقال مروان: ألست الذي قال لوالديه أفّ لكما؟ فقال عبد الرحمن: ألست ابن اللّعين الذي لعن أباك رسول اللهّ(ص) ؟فقالت عائشة: رضي الله عنها: كذب مروان! ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان[1] ولكنّ النّبيّ(ص) لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان بعض من لعنه الله. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف عن عروة قال: قال معاوية: لا حلم إلا التّجارب.

وأخرج ابن عساكر عن الشعبيّ قال: دهاة العرب أربعة معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد. فأمّا معاوية فللحلم والأناة، وأمّا عمرو فللمعضلات، وأمّا المغيرة فللمبادهة، وأمّا زياد فللكبير والصغير. وأخرج أيضا عنه قال: كان القضاة أربعة و الدّهاة أربعة؛ فأمّا القضاة فعمر، وعليّ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت. وأمّا الدّهاة فمعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد .وأخرج عن قبيصة بن جابر قال: صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله منه، وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه، وصحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه، وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أنصع طرفا ولا أحلم جليسا منه، وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أنّ مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلّها.

وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أنّ عقيل بن أبي طالب سأل عليّا فقال:

---

(١) من هو فلان بن فلان يا أمّ المؤمنين ؟!!

إني محتاج وإني فقير فأعطني فقال اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم؛ فألحّ عليه فقال لرجل خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل دقّ هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت. قال: تريد أن تتّخذني سارقا؟ قال وأنت تريد أن تتّخذني سارقا أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم؟ قال: لآتينّ معاوية! قال: أنت وذاك. فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف ثمّ قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به عليّ وما أوليتك؛ فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها الناس إنّي أخبركم أني أردت عليّا على دينه فاختار دينه وأنّي أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه. وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمّد عن أبيه أنّ عقيلا دخل على معاوية فقال معاوية: هذا عقيل وعمّه أبو لهب. فقال عقيل: هذا معاوية وعمته حمالة الحطب. وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال دخل خريم بن فاتك على معاوية ومئزره مشمّر وكان حسن السّاقين، فقال معاوية: لو كانت هاتان السّاقان لامرأة! فقال خريم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين. ودخل عقيل على معاوية وقد كفّ بصره فأجلسه معه على سريره ثمّ قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال له عقيل: وأنتم معشر بني أميّة تصابون في بصائركم[1].وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فأقبل عليهم وقال: يا بني هاشم، إنّ خيري لكم لممنوح، وإنّ بابي لكم لمفتوح، فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد بأبي دونكم. ولمّا نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا. إنّكم ترون أنّكم أحقّ بما في يدي منّي، وإذا

(١) في كتاب "المنمق" لمحمد بن حبيب البغدادي ص ٤٠٥: العوران من القريش أبو سفيان بن حرب ثم عمي بعد ، وأميّة بن عبد شمس ثم عمي بعد .اهـ[قلتُ: فمعاوية أعمى الأب والجدّ ولا يلتفت إلى ذلك].

أعطيتكم عطيّة فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقّنا وقصّر بنا عن قدرنا. فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له. هذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم. قال فاقبل عليه ابن عبّاس رضي الله عنهما فقال: والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه. ولئن قطعت عنّا خيرك فخير الله أوسع منك. ولئن أغلقت دوننا بابا لنكففنّ أنفسنا عنك. وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما للرّجل من المسلمين، ولولا حقّنا في هذا المال لم يأتك منّا زائر يحمله خفّ ولا حافر. أكفاك أم أزيدك؟ قال: كفاني يا ابن عبّاس؛ وقال معاوية يومها أيّها النّاس إنّ الله حبا قريشا بثلاث فقال لنبيّه وأنذر عشيرتك الأقربين ونحن عشيرته الأقربون، وقال تعالى وإنّه لذكر لك ولقومك ونحن قومه، وقال لإيلاف قريش إيلافهم ونحن قريش. فأجابه رجل من الأنصار فقال: على رسلك يا معاوية ، فإن الله تعالى يقول وكذّب به قومك وهو الحقّ وأنتم قومه، وقال تعالى ولمّا ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدّون وأنتم قومه، وقال تعالى وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه، ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك. وقال معاوية أيضا لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة! فقال: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، ولم يقولوا اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فاهدنا إليه.

وفي أنساب البلاذريّ: حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عدّة من أهل الحجاز، قالوا: قدم معاوية المدينة، فأمر حاجبه أن يأذن للناس، فخرج [الآذن] فلم ير أحدا

فأعلمه قال: فأين الناس؟ قيل: عند عبد الله بن جعفر في مأدبة له، فأتاه معاوية، فلما جلس قال بعض المدنيين للسائب خاثر: لك مطرفي إن غنّيت ومشيت بين السّماطين، ففعل وغنّى بشعر حسّان بن ثابت: **لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى* وأسيافنا يقطرن من نجدة دما**. فأعجب معاوية ذلك واستحسنه وأخذ السّائب المطرف[1].

وقال محمّد بن سعد: أخبرنا محمّد بن عمر[..] عن عبد الله بن نيار الأسلمي قال لما حجّ معاوية نظر إلى بيوت أسلم شوارع في السّوق فقال: أظلموا عليهم بيوتهم أظلم الله عليهم قبورهم، قتلة عثمان! قال نيار بن مكرم: فخرجت إليه فقلت له: إن بيتي يظلم عليّ وأنا رابع أربعة حملنا أمير المؤمنين وقبرناه وصلّينا عليه، فعرفه معاوية فقال: اقطعوا البناء لا تبنوا على وجه داره. قال: ثمّ دعاني خاليا فقال: متى حملتموه ومتى قبرتموه ومن صلّى عليه؟ فقلت: حملناه رحمه الله ليلة السبت بين المغرب والعشاء فكنت أنا وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة العدويّ وتقدّم جبير بن مطعم فصلّى عليه، فصدّقه معاوية وكانوا هم الذين نزلوا في حفرته[2].

قال ابن سعد: أخبرنا محمّد بن عمر قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: سمعت رجلا من أهل الشام يحدّث في مجلس عمرو بن دينار فسألت عنه بعد فقيل هو يزيد بن يزيد بن جابر يقول : إنّ معاوية دعا عبيد الله بن عمر فقال: إنّ

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ٥٥ .

(٢) الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، ج ٣ص ٧٨ .

عليّا كما ترى في بكر بن وائل قد حامت عليه، فهل لك أن تسير في الشّهباء؟ قال نعم. فرجع عبيد الله إلى خبائه فلبس سلاحه. ثمّ إنّه فكّر وخاف أن يقتل مع معاوية على حاله فقال له مولى له: فداك أبي إنّ معاوية إنّما يقدّمك للموت إن كان لك الظّفر فهو يلي، وإن قتلت استراح منك ومن ذكرك فأطعني واعتل"[1].

وقال ابن أبي عاصم: حدّثنا عمرو [..] عن عبادة بن نسي قال خطبنا معاوية رضي الله تعالى عنه على منبر الصّنبرة فنظر في وجوه القوم ثمّ استغفر وبكى[!] وقال: كثرت الوجوه وقلّت المعارف، وإنّما النّاس قرون ومن فناء المرء فناء قرنه. لقد شهد معي صفّين عدّة من أصحاب محمّد(ص) ما أصبح على وجه الأرض مثل عدّتهم، ثمّ نزل فتوجّه إلى دمشق فلم يلبث أن مات رحمه الله[2].

أقول: شهد معه صفّين من شهد مع جدّه بدرا ومع أبيه أحدا، وللقارئ أن يتحقّق من ذلك بنفسه في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم المنقريّ. وفي كلام الرّجل من المغالطة مالا يخفى؛ والذي يبدو لي أنّه تيقّن قرب الرّحيل، وهو يعلم أنّه قد أحدث في الدّين مالا سبيل إلى جبرانه، وقتل من أصحاب رسول الله(ص) بالسّمّ وغيره من قتل، فحقّ له أن يبكي وهو مقبل على دار ليس للحيلة فيها مكان. وليس هو أوّل حاكم جائر بكى عند اقتراب نهايته.

---

(١) الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، ج ٥ ص ١٧ .

(٢) الآحاد والمثاني ، ابن أبي عاصم ، ج ١ ص ٣٧٥.

وقال أيضا: حدّثنا إبراهيم [..] عن عبد الله بن عوف قال: بلغ معاوية أنّ يزيد يقول لئن وليت من أمر النّاس شيئا لأسيرنّ بهم سيرة عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه! فقال معاوية ويستطيع ذلك؟ ما استطعت أنا ذلك إلاّ سنتين. قال رجاء عن عبد الله بن عوف وكان النّاس أخذوا عليه حين بايعوه أن يسير بهم سيرة عمر[1] !

قال ابن أبي عاصم: "حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة [..] عن عطاء أنّ عائشة بعث إليها معاوية رضي الله تعالى عنهما بقلادة قوّمت مائة ألف درهم فقسمتها بين أمّهات المؤمنين لا أدري دنانير أو دراهم" [2].

وهنا يطرح سؤال: لماذا خصّ معاوية عائشة من بين أمّهات المؤمنين بهذا العطاء؟ وقد كانت عائشة حين استولى معاوية على الحكم في حدود الخمسين، فما شأن امرأة في هذه السنّ والقلائد؟

وقال ابن قيم الجوزية: قال سعيد بن منصور حدّثنا سفيان عن أيّوب عن عكرمة أنّ صفية بنت حيي باعت حجرتها من معاوية بمائة ألف وكان لها أخ يهوديّ فعرضت عليه أن يسلم فأبى، فأوصت له بثلث المائة[3].

وهنا يعود السؤال حول ميراث فاطمة بنت النّبيّ(ص) ، فقد قيل لها إنّ النّبيّ(ص) قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فكيف باعت صفيّة وهي إحدى أزواج النّبيّ(ص) الغرفة؟ إمّا أن تكون الحجرة لها ميراثا وإمّا أن تكون لها نحلة! وقد طالبت فاطمة

---

(١) المصدر السابق، ج ١ ص ٣٧٥.

(٢) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، ج ١ ص ٣٧٦.

(٣) أحكام أهل الذمّة، ابن قيم الجوزية، ج١ص٦٠٧.

بالميراث والنّحلة ولم تعط شيئا. وهذه قضيّة عويصة يصعب الخروج منها بقول مقنع.

وقال: وقد كان على النّبيّ(ص) برد نجرانيّ وقد كان خلع على كعب بن زهير برده عند إسلامه فباعه من معاوية، وهو الذي لم يزل الخلفاء يتوارثونه ويتبركون به. وأما الخزّ فإنّه لباس الأشراف ومن له عزّ، فمن لا عزّ له في الإسلام يمنع من الثّياب المرتفعة اقتداء بالخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز[١].

ولا يتورّع معاوية أن يشتري ما يشاء و يبيع ما يشاء. قال محمد بن الحسن الشيباني: "ولو وجدوا في الغنائم صليبا من ذهب أو فضّة أو تماثيل، أودراهم، أو دنانير فيها التماثيل، فإنّه ينبغي للإمام أن يكسر ذلك كلّه فيجعله تبرا. لأنّه لو قسمه أو باعه كذلك، ربّما يبيعه من يقع في سهمه من بعض المشركين بأن يزيدوا له من ثمنه رغبة منهم في لباسه، أو في أن يعيدوه. فليتحرز عن ذلك بكسر الصّليب والتماثيل. والذي يروى أنّ معاوية بعث بها لتباع بأرض الهند، فقد استعظم ذلك مسروق على ما ذكره محمّد في كتاب الإكراه ، ثمّ قد بيّنا تأويل ذلك الحديث في شرح المختصر"[٢].

مادام قد فعله معاوية فلابدّ من تأويله، لأنّه لابدّ من المحافظة على درع الصّحابة مهما كان الثّمن، فعلى الشّريعة إذاً أن تكون قابلة للمدّ والجزر والطّيّ والنشر حين يتعلّق الأمر بالصّحابة، ولو على حساب القرآن.

(١) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ج ٣ص١٣٠٨.
(٢) كتاب السير الكبير، محمد بن الحسن الشيباني، ج ٣ ص ١٠٥١.

قال الذهبيّ في تذكرة الحفّاظ في ترجمة أم الدرداء[1]: أمّ الدّرداء هجيمة الوصابيّة [الحميريّة] زوجة أبي الدرداء، كانت فقيهة عالمة عابدة مليحة جميلة واسعة العلم وافرة العقل. روت الكثير عن أبي الدرداء وعن سلمان وعائشة رضي الله عنهم، وعنها مكحول وسالم بن أبي الجعد وزيد بن أسلم وإسماعيل بن عبيد الله وأبو حازم المدينيّ وعطاء الكيخاراني وعدّة. حجّت في سنة إحدى وثمانين وقد خطبها معاوية رضي الله عنه فأبت رحمها الله تعالى.

أقول: لم تكن أمّ الدّرداء بعد وفاة أبي الدّرداء بالمرأة التي يرغب فيها لجمال وشباب. فما الذي يدعو معاوية إلى خطبتها؟!

لعلّه أراد بذلك أن يروي فيما بعد عنها إذا هو صار زوجا لها، ولا بمكن ردّ قوله ساعتها باعتبار المعاشرة والمشافهة. ولعلّها تفطّنت لذلك فأبت عليها نفسها أن تكون شريكة في الإثم، وإلا فقلّما تخطب امرأة من طرف خليفة وترفض ذلك .

وقال ابن النّديم في ترجمة هشام بن الحكم: من متكلّمي الشّيعة ممّن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب والنّظر، وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب. سئل هشام عن معاوية أشهد بدرا فقال نعم من ذاك الجانب[2].

وفي معجم ما استعجم، قال عمرو بن العاص لمعاوية: رأيت في منامي أبا بكر حزينا فسألته عن شأنه فقال: وكّل بي هذان لمحاسبتي، وإذا صحف يسيرة. ورأيت عمر كذلك وإذا صحف مثل الحزورة[3]. ورأيت عثمان كذلك وإذا صحف مثل

---

(١) تذكرة الحفّاظ ، الذهبي، ج ١ ص٥٣ .

(٢) الفهرست ، ابن النديم، ج١ص٢٤٩ .

(٣) الحزورة والخندمة وثبير مواضع بمكة المكرمة، كما في تاج العروس .

الخندمة، ورأيتك يا معاوية وصحفك مثل أحد و ثبير. فقال له معاوية: أرأيت ثمّ دنانير مصر؟[1].

وهذا الكلام من عمرو بن العاص وإن كان يتعلّق برؤيا ـ والله أعلم إن كان قد رآها حقّا ـ يكشف عن اعتقاد عمرو بن العاص في الخلفاء، ولم يذكر عليّا معهم مع أنّه من الخلفاء بإجماع المسلمين. فهو لا يقول عن أبي بكر إنّ صحيفته خالية ممّا يؤاخذ به، بل يذكر أنّه كان حزينا؛ ويقول عن عمر"مثل ذلك" أي "حزينا"، ويشبّه صحائفه بالحزورة وهي موضع بمكّة يلي البيت، وحينما ذكر عثمان شبّه صحفه بالخندمة وهي جبل بمكّة كما ذكره الزبيدي في تاج العروس (ج ٨ص٢٨٤) وابن منظور في لسان العرب في الجزء١٢ ص ١٩٢ والفيروز آبادي في القاموس المحيط (ج٤ص١٠٩) وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (ج٢ص٨٢) والبكريّ في معجم ما استعجم(ح٢ص٥١٢) وأهمله الجوهريّ. وإذا فصحف عثمان في نظر عمرو بن العاص في حجم جبل[!] وصحف معاوية في حجم جبلين هما أحد وثبير. هذا مع أنّ موقف عمرو بن العاص من علي بن أبي طالب(ع) وشيعته معلوم.

وفي سير الذهبيّ:ابن أبي أويس [..] عبادة بن الوليد، قال:كان عبادة بن الصامت مع معاوية، فأذن يوما، فقام خطيب يمدح معاوية ويثني عليه، فقام عبادة بتراب في يده، فحشاه في فم الخطيب، فغضب معاوية، فقال له عبادة: إنّك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله(ص) بالعقبة على السّمع والطّاعة في منشطنا ومكرهنا ومكسلنا، وأثره

---

(١) معجم ما استعجم، ج١ص٤٤٥ .

علينا، وألاّ ننازع الأمر أهله، وأن نقوم بالحقّ حيث كنّا، لا نخاف في الله لومة لائم. وقال النّبيّ(ص): إذا رأيتم المدّاحين، فاحثوا في أفواههم التّراب"[١].

وهنا في كلام عبادة أمر يستحقّ أن يتوقّف عنده، فإنّه يقول أنّ من بين ما بايعوا عليه ألاّ ينازعوا الأمر أهله، وهذا معناه أن يكون للأمر أهل، وأن يكونوا معيّنين بما يدفع الالتباس وإلاّ انتفى التّكليف، إذ لا يصحّ تحقيق ذلك مع وجود الالتباس وتدافع المدّعين للأهليّة!

و في السير عن محمّد، وعن عمر بن كثير بن أفلح، وهذا حديثه، قال: قدم أبو أيّوب على معاوية فأجلسه معه على السّرير، وحادثه وقال: يا أبا أيّوب، من قتل صاحب الفرس البلقاء التي جعلت تجول يوم كذا وكذا؟ قال: أنا، إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمر معكما لواء الكفر. فنكس معاوية، وتنمّر أهل الشام، وتكلّموا. فقال معاوية: مه! وقال: ما نحن[عن] هذا سألناك[٢].

وفيه أيضا: ابن عون: عن الحسن قال: ذكروا عند معاوية شيئا فتكلّموا والأحنف ساكت، فقال: يا أبا بحر، مالك لا تتكلّم؟ قال: أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت[٣] !

---

(١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي، ج ٢ ص ٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٢ص ٤١١ .

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٤ص ٩٢ .

وفي البيان والتّبيين للجاحظ (ج١ص٤٣): دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فأشار له إلى الوساد فقال له: اجلس. فجلس على الأرض. فقال معاوية: ما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقريّ ولده أن قال لا تغش السّلطان حتى يملّك ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش ولا وساد، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فإنّه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك. حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين، لعلّه أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منّي. فقال معاوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقّة حواشي الكلام، وأنشأ يقول : **يا أيّها السّائل عمّا مضى** وعلم هذا الزّمن الغائب** إن كنت تبغي العلم أو أهله ** أو شاهدا يخبر عن غائب** فاعتبر الأرض بسكانها** واعتبر الصّاحب بالصّاحب.**

٢ـ علم معاوية:

عن سعيد بن المسيب، أنّ رجلا من أهل الشام، يقال له ابن خيبري، وجد مع امرأته رجلا فقتله، أو قتلهما معا. فأشكل على معاوية بن أبى سفيان القضاء فيه. فكتب إلى أبى موسى الأشعريّ يسأل له عليّ بن أبى طالب عن ذلك. فسأل أبو موسى عن ذلك عليّ بن أبي طالب. فقال له عليّ: إنّ هذا الشيء ما هو بأرضي.

عزمت عليك لتخبرني. فقال له أبو موسى: كتب إليّ معاوية بن أبي سفيان أن أسألك عن ذلك. فقال على: أنا أبو حسن: إن لم يأت بأربعة شهداء، فليعط برمته[١] .

قلت: ليس لمعاوية علم بالفتوى، وهو يعلم أنّه إن أفتى في المسألة بغير علم لا يلبث الأمر أن يشيع وتكون الفضيحة، والحرب النّفسيّة جزء من حربه ضدّ الإمام عليّ(ع) فما العمل؟ وكيف يصنع وقد سارت الرّكبان بقول عمر بن الخطاب"لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن "؟ وعلى فرض أن يستفتي أبا هريرة أو أبا الدّرداء أو غيرهما فهو لا يضمن الجواب الصّحيح الذي لا يجد به الإمام عليّ(ع) مطعنا، لذلك تراه تخلّى عن كبريائه وغطرسته، وتستّر وراء أبي موسى للحصول على الفتوى الصّحيحة. وكان جواب الإمام كما هو الظنّ به، فهو لم يسبق له أن تطاول بعلمه على الآخرين، ولا هو ممّن يمنّ على الناس بما يعلّمهم مما علّمه الله. لكن معاوية بعد أن صفا له الجوّ بقتل الإمام(ع) تنطّع في الاستخفاف بالشّريعة المقدّسة. قال الغزاليّ في المستصفى (ص١١٩) : ومنها أيضا ما روي عن أبي الدّرداء أنّه لمّا باع معاوية شيئا من آنية الذهب والورق بأكثر من وزنه، فقال له أبو الدّرداء: سمعت رسول الله(ص) ينهى عن ذلك فقال له معاوية: إنّي لا أرى بذلك بأسا، فقال أبو الدّرداء: من يعذرني من معاوية؟ أخبره عن النّبيّ(ص) ويخبرني عن رأيه . لا أساكنك بأرض أبدا .

---

(١) الموطأ مالك، ج ٢ ص ٧٣٧ **الحديث تحت رقم ١٨** .

و عن سليمان بن يسار أنّ الأحوص هلك بالشّام حين دخلت امرأته في الدّم من الحيضة الثالثة، فكتب معاوية إلى زيد بن ثابت فقال لا ميراث لامرأته. رواه ابن عيينة عن الزّهريّ عن سليمان بن يسار أنّ الأحوص بن فلان أو فلان بن الأحوص فذكر نحوه. قال ابن الحذّاء: الأقوى أنّ القصّة في الأحوص وهو ابن عبد. ويحتمل أن تكون لولده عبد الله بن الأحوص ولم يسمّ في رواية بن عيينة عن الزّهريّ [(١)].

وفي مناهل العرفان: التاسع، أن آخر ما نزل هو آخر سورة الكهف فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صلحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا. أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان. قال ابن كثير " هذا أثر مشكل ولعلّه أراد أنّه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغيّر حكمها بل هي مثبتة محكمة "وهو يفيد أنها آخر مقيّد لا مطلق [(٢)].

قلت: لا يتحمّل ابن كثير أن يقرّ لمعاوية الخطأ، لذلك تراه يقول"هذا أثر مشكل " وفي الحقيقة لا إشكال، فإن معاوية بن أبي سفيان من مسلمة الفتح من الطلقاء، وقد نزل معظم القرآن قبل فتح مكّة، وحينما يخالف معاوية الصّحابة الذين أسلموا في بداية الدّعوة وتابعوا نزول الوحي سورة سورة وآية آية، فإنّ العاقل لا يتحرّج أن يضرب بقول معاوية عرض الحائط. وهو أمر لا يقبله ابن كثير، لأنّ ذلك يعني فتح جبهة على معاوية. فلا بأس أن يضيف ابن كثير إلى إشكالات المسلمين إشكالا آخر لتبقى صورة معاوية قابلة للتّلميع. ولأنّ ما ذكره معاوية لا يستسيغه أهل العلم فقد قال السيوطي: ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن

(١) الإصابة ، ابن حجر، ج ١ص١٨٨ .

(٢) مناهل العرفان ، الزرقاني ، ج١ص ٧٢.

أبي سفيان أنّه تلا هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه..الآية وقال إنّها آخر آية نزلت من القرآن. ثم أورد قول ابن كثير. وقوله "من غريب ما ورد " صريح في استغرابه وهو من أهل الفنّ"[(١)].

وفي إعلام الموقعين: قال الوليد بن مسلم [..] عن معاوية بن أبي سفيان أنهم ذكروا المسائل عنده فقال أتعلمون أن النّبيّ(ص) نهى عن عضل المسائل[(٢)]. و عن الزّهريّ قال: كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدث أنّه كان عند معاوية في وفد من قريش، فقام معاوية فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أمّا بعد فإنّه قد بلغني أنّ رجالا فيكم يتحدّثون بأحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله(ص) فأولئكم جهّالكم"[(٣)].

أقول: فمَن الذي كتب إلى ولاته في الأمصار أن يجمعوا أحاديث الوضّاعين في مناقب عثمان والشيخين و ينشروها في البلاد الإسلاميّة؟ ومَن ذا الذي كتب إلى ولاته في الأمصار أن يجمعوا الأحاديث الموضوعة افتراء على عليّ بن أبي طالب(ع) ويعلّموها الصبيان في الكتاتيب والمخدّرات في البيوت؟ هل كانت تلك الأحاديث تؤثر عن رسول الله(ص) [(٤)] ؟

(١) الإتقان ، السيوطي ، ج١ص٨٥ .

(٢) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ج١ص٦٩.

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ج ١ص٦٠.

(٤) كلام معاوية هنا صريح في تهمة الصّحابة بوضع الأحاديث !

وفي تفسير القرطبيّ: فبلغ ذلك معاوية فقام خطيبا فقال ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله(ص) أحاديث وقد كنّا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه؟ فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصّة ثم قال: لنحدثنّ بما سمعنا من رسول الله(ص) وإن كره معاوية أو قال وإن رغم. ما أبالي ألاّ أصحبه في جنده في ليلة سوداء. قال حمّاد هذا أو نحوه[1]. قال الرّازيّ بخصوص هذه الواقعة: فهذا يدلّ إمّا على كذب عبادة أو كذب معاوية. ولو كذّبنا معاوية لكذّبنا أصحاب صفّين كالمغيرة وغيره على أنّ معاوية لو كان كذّابا لما ولاّه عمر وعثمان على النّاس! وإنّ أبا موسى قام على منبر الكوفة لمّا بلغه أنّ عليّا رضي الله عنه أقبل يريد البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة، والله ما أعلم واليا أحرص على صلاح الرّعيّة مني، والله لقد منعتكم حقّا كان لكم بيمين كاذبة فأستغفر الله منها. وهذا إقرار منه على نفسه باليمين الكاذبة![2]. وقد حاول القرطبيّ أن يبرّر عمل معاوية فذكر كلاما لابن عبد البرّ وشرّق وغرّب.ولعلّ معاوية قال ذاك الكلام بعد خلافه مع عبادة بن الصامت حول الذهب والفضة، فقد ذكر ابن حزم في الإحكام:" إنّ معاوية باع سقاية من ذهب بأكثر من وزنها، حتى أنكر ذلك عليه عبادة بن الصامت، وبلغه أن النّبيّ(ص) نهى عن ذلك [3].والعجب من معاوية حين يقول" كنّا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه "، فكم هي نسبة صحبة معاوية لرسول الله(ص) قياسا بصحبة المهاجرين والأنصار، وقد كان يخالفهم ولا يلتفت إلى ما يعترضون به عليه.

---

(١) تفسير القرطبيّ، ج٣ص ٢٥٠ .

(٢) المحصول ، الرازيّ ، ج ٤ص ٣٢٠.

(٣) الإحكام ، ابن حزم، ج ٦ ص ٨١٥.

ومع ذلك لا يتحرّج معاوية أن يحذّر الناس من الكذب على النّبيّ(ص) قال الخطيب البغدادي:[..] شعبة عن أبي الفيض عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله(ص) من كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النّار[١].

وثبت أنّ معاوية قضى في دار بشهادة أمّ سلمة أمّ المؤمنين ولم يشهد بذلك غيرها. وأقول: رضي الله عن أم سلمة وأسكنها علّيّين، لكنّها على جلالة قدرها ومنزلتها عند رسول الله(ص) ليست سيّدة نساء العالمين، فكيف تقبل شهادتها منفردة وتردّ شهادة سيدة نساء العالمين ؟! إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

وعن قتادة عن أبي سيح الهنائي قال: كنت في ملإ من أصحاب رسول الله(ص) عند معاوية فقال معاوية: أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله(ص) نهى عن جلود النّمور أن يركب عليها؟ قالوا: اللّهم نعم! قال: وتعلمون أنّه نهى عن لباس الذّهب إلاّ مقطعا؟ قالوا: اللهمّ نعم! قال: وتعلمون أنّه نهى عن الشّرب في آنية الذّهب والفضة؟ قالوا: اللهمّ نعم! قال: وتعلمون أنّه نهى عن المتعة ـ يعني متعة الحجّ ـ قالوا: اللهمّ لا! وقال أحمد: حدثنا محمّد بن جعفر حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي سيح الهنائي أنّه شهد معاوية وعنده جمع من أصحاب رسول الله(ص) فقال لهم معاوية: أتعلمون أنّ رسول الله نهى عن ركوب جلود النّمور؟ قالوا: نعم! قال: تعلمون أنّ رسول الله نهى عن لبس الحرير؟ قالوا: اللهم نعم! قال: أتعلمون أنّ رسول الله نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة ؟ قالوا: اللهم نعم ! قال أتعلمون أنّ رسول الله نهى عن جمع بين حجّ

(١) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ج ٧ص ٢١ .

وعمرة؟ قالوا: اللهم لا! قال: فوالله إنّها لمعهنّ[١].

وفي تاريخ ابن كثير : كان معاوية يستلم الأركان فقال له ابن عبّاس: إنّه لا يستلم هذان الرّكنان. فقال له: ليس من البيت شيء مهجورا. وكان ابن الزّبير يستلمهنّ كلّهنّ. انفرد بروايته البخاريّ رحمه الله تعالى[٢].

وفي تفسير الطّبريّ:[..] عن عثمان بن حاضر قال سمعت عبد الله بن عبّاس يقول: قرأ معاوية هذه الآية فقال عين حامية فقال ابن عبّاس: إنّها عين حمئة. قال: فجعلا كعبا بينهما .. فسألاه فقال كعب: أمّا الشّمس فإنّها تغيب في ثأط فكانت على ما قال ابن عبّاس، و الثأط الطين[٣].

أقول: من حقّ المسلم ـ إن صحت القصّة ـ أن يعجب من حال صحابيّين أحدهما حبر الأمّة والآخر كاتب الوحي يجعلان كعب الأحبار بينهما، والقول ما قال كعب! فمتى كان كعب الأحبار عالما بالتّفسير وهو الذي لم ير النّبيّ(ص) ولم يجالسه؟ ولم لم يسأل معاوية النّبيّ(ص) أيّام كان كاتبا للوحي؟ والمسألة لا تخلو أن تكون إمّا لغويّة وإمّا شرعيّة، وكعب الأحبار من يهود اليمن، فلا يمكن أن يكون أفصح من قريش التي نزل بلسانها القرآن الكريم، كما أنّه لم ير النّبيّ(ص) ولم يسمع منه فلا يكون حظّه من الشّرع الإسلاميّ ما ادّعاه له المدّعون.

---

(١) البداية والنهاية، ج ٥ص ١٥٨.

(٢) نفس المصدر، ج ٥ص ١٧٤.

(٣) تفسير الطّبريّ، ج ١٦ص ١١.

وروى الشافعيّ والحاكم في مستدركه عن أنس أنّ معاوية صلّى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك، فلما صلّى المرّة الثّانية بسمل[١].

وقال السّيوطيّ: قال سعيد بن منصور في سننه: حدّثنا هشيم حدّثنا حجاج حدثني شيخ من فزارة سمعت عليّا يقول الحمد لله الذي جعل عدوّنا يسألنا عمّا نزل به من أمر دينه. إنّ معاوية كتب إليّ يسألني عن الخنثى المشكل، فكتبت إليه أن يورثه من قبل مباله. وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن عليّ مثله[٢]. وهذه قصّة أخرى يسأل فيها معاوية، وكلام أمير المؤمنين(ع) يتضمّن حمد الله تعالى وبيان حكم شرعي.

وفي صحيح مسلم[٣]:[..] عن طاووس قال: قال ابن عباس قال لي معاوية أعلمت أني قصرت من رأس رسول الله(ص) عند المروة بمشقص فقلت له لا أعلم هذا إلا حجّة عليك.

٣ـ أكذوبة «كاتب الوحي»:

قال ابن أبي الحديد: وكان أحد كتّاب النّبيّ(ص). واختلف في كتابته له كيف كانت، فالذي عليه المحقّقون من أهل السيرة أنّ الوحي كان يكتبه عليّ بن أبي طالب(ع) وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأنّ حنظلة بن الربيع التيميّ ومعاوية بن أبى

---

(١) تفسير ابن كثير، ج١ص١٨ [دار الفكر ١٤٠١ هـ].

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي ج ١ ص١٧٧.

(٣) صحيح مسلم، ج٢ص٩١٣- الحديث رقم ١٢٤٦ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يديه، ويكتبان ما يجبى من أموال الصدقات وما يقسم في أربابها[1]. ولسائل أن يتساءل عمّن كان يكتب الوحي للنّبيّ(ص) قبل إسلام معاوية؛ على أنّ معاوية من الطّلقاء، وقد فرض له النبيّ(ص) مع المؤلّفة قلوبهم، وهو ما ينسف دعوى من قال إنّه أسلم قبل الفتح بسنين وكتم إيمانه، وهذه دعوى بإمكان كلّ أحد أن يدّعيها، وقد قال الله تعالى:(**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتّى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير**) [الأنفال ٧٢]. وكيف يكون معاوية مسلما قبل الفتح وهو صاحب الأبيات التي ينهى فيها أباه عن الدخول في الإسلام.

٤ـ معاوية و التحريف والمغالطات:

قال ابن أبي الحديد: وروى أبو الحسن المدائنيّ أنّه كان لهم مع معاوية بالشّام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم، وأنّ معاوية قال لهم في جملة ما قاله: إنّ قريشا قد عرفت أنّ أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلاّ ما جعل الله لنبيّه صلى الله عليه، فإنّه انتجبه وأكرمه، ولو أنّ أبا سفيان ولد النّاس كلّهم لكانوا حلماء. فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت! قد ولدهم خير من أبي سفيان! من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له فكان فيهم البرّ والفاجر،

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ ص ٣٣٨ .

والكيّس والأحمق. قال: روى أبو الحسن علي بن محمّد ابن أبي السيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذّمّة ممّن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته . فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة عليّ(ع) . فاستعمل عليهم معاوية زياد بن سميّة وضمّ إليه البصرة، فكان يتّبع الشّيعة وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيّام عليّ(ع) ، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النّخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم[1] .

أقول: أخطأ ابن أبي الحديد في قوله عن زياد إنّه كان من الشّيعة، بل الصّواب أنّه كان معهم كما كان إبليس مع الملائكة، فإنّ الشيعيّ لا يحدّث نفسه بأذى الموالين لأهل البيت(ع) وإن اختلف معهم وخاصمهم كما يقتضيه شأن دار التّزاحم في ما يخصّ القضايا الشّخصيّة والعائليّة والعشائريّة. والذي مارسه زياد مع شيعة عليّ(ع) يضعه في مصافّ كبار الإرهابيّين من صهاينة وفاشيّة. ولا أعتقد أنّ قلبا لامسه الإيمان يقدم على ما أقدم عليه زياد، ولكنّني لا أتعجّب من فعله وهو الذي شهد على أمّه بالزّنا وعلى أبيه بالدياثة، فإنّه بذلك قد أقدم على العقوق الذي ليس بعهده عقوق.

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ص ١٣١ .

قال ابن أبي الحديد: وقال بسر: احمد الله يا أمير المؤمنين إنّي سرت في هذا الجيش أقتل عدوّك ذاهبا جائيا، لم ينكب رجل منهم نكبة. فقال معاوية: الله قد فعل ذلك لا أنت! وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفا، وحرّق قوما بالنّار.. [١]

هذه عقيدة معاوية. يرسل بسر بن أرطاة في جيش كثيف ليغير على الحرمين واليمن فيقتل الأبرياء وينتهك الأعراض والحرمات،ويحرق بالنار، ثمّ ينسب ذلك إلى الله تعالى الذي جعل لمكّة حرمة في الجاهليّة والإسلام، ولم يحلّها إلاّ لنبيّه ساعة من نهار!! وإذا، فالله تعالى هو الذي قتل الأبرياء وانتهك حرمة البيت الحرام! سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال أبن أبي الحديد: قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن فلقد كان هشّا بشّا، ذا فكاهة. قال قيس: نعم، كان رسول الله(ص) يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك تسرّ حسوا في ارتغاء[٢] وتعيبه بذلك! أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطّلاقة أهيب من ذي لبدتين[٣]قد مسّه الطوى، تلك هيبة التّقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشّام! قال ابن أبي الحديد: وقد بقي هذا الخلق متوارثا متناقلا في محبّيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق النّاس وعوائدهم يعرف ذلك"[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٧.

(٢) في المَثَل : " هو يسر حسوا في ارتغاء " ، يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره . (اللسان ج١٩ص٤٦) .

(٣) ذو اللبدتين هو الأسد .

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١ص ٢٥.

وفي المستطرف: "خطب معاوية يوما فقال إنّ الله تعالى يقول وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم، فعلام تلومونني إذا قصرت في عطاياكم؟ فقال له الأحنف: إنّا والله لا نلومك على ما في خزائن الله، ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه"[١].

ويتفنّن معاوية في المغالطة بخصوص دم عثمان فيقول: أيّها النّاس، قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب وأمير المؤمنين عثمان بن عفّان عليكم، وأنّي لم أقم رجلا منكم على خزاية قطّ. وإنّي وليّ عثمان وقد قتل مظلوما والله تعالى يقول (**ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطانا فلا يسرف في القتل إنّه كان منصورا**)؛ وأنا أحبّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان. فقام أهل الشّام بأجمعهم فأجابوا إلى الطّلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك، وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسهم حتّى يدركوا بثأره أو تلحق أرواحهم بالله[٢].

ولما نزل [أي عليّ(ع)] على النّخيلة متوجّها إلى الشّام وبلغ معاوية خبره وهو يومئذ بدمشق، قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مخضّبا بالدّم، وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون حوله لا تجفّ دموعهم على عثمان خطبهم وقال: يا أهل الشّام قد كنتم تكذبونني في عليّ وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتكم غيره، وهو أمر بقتله وألّب النّاس عليه، وآوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصدا بلادكم ودياركم لإبادتكم. يا أهل الشام! الله، الله في دم عثمان، فأنا وليّه

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهيّ ـ ج١ص١٣٤.

(٢) جمهرة خطب العرب، ج١ص٣٠٩.

وأحقّ من طلب بدمه وقد جعل الله لوليّ المقتول ظلما سلطانا. فانصروا خليفتكم المظلوم، فقد صنع القوم ما تعلمون قتلوه ظلما وبغيا وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله[1]. ثمّ نزل، فأعطوه الطّاعة، وانقادوا له وجمع إليه أطرافه واستعدّ للقاء عليّ[2].

وهذا أحد معاصريه وهو شبث بن ربعيّ يخاطبه فيقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه[3]: يا معاوية؛ إنّي قد فهمت ما رددت على ابن محصن. إنّه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب. إنّك لم تجد شيئا تستغوي به النّاس و تستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلاّ قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه، فاستجاب لك سفهاء طغام. وقد علمنا أن قد أبطأت عنه بالنّصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب. وربّ متمنّي أمر وطالبه الله عزّ وجلّ يحول دونه بقدرته، وربّما أوتي المتمنّي أمنيته وفوق أمنيته. و والله ما لك في واحدة منها خير. لئن أخطأت ما ترجو إنّك لشرّ العرب حالا في ذلك. ولئن أصبت ما تمنّى لا تصيبه حتى تستحقّ من ربّك صلي النّار. فاتّق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله.

---

(١) يقول رسول الله(ص) عن فئة معاوية إنّها الفئة الباغية لكنّ معاوية يعكس الأمر ويخالف النبي(ص) ويحرّف الكلم عن مواضعه ويدّعي أنّ عليا(ع) ومن معه هم الفئة الباغية!!

(٢) وفي جمهرة خطب العرب، ج١ص٣٢٧ و ج١ص٣٢٩ .

(٣) جمهرة خطب العرب، ج١ص٣٤٦.

ومن خطبة لعلي(ع): من العجائب أنّ معاوية بن أبي سفيان الأمويّ وعمرو بن العاص السّهميّ أصبحا يحرّضان النّاس على طلب الدّين بزعمهما. ولقد علمتم أنّي لم أخالف رسول الله(ص) قطّ، ولم أعصه في أمر، أقيه بنفسي في المواطن التي ينكص فيها الأبطال وترعد فيها الفرائص، بنجدة أكرمني الله سبحانه بها وله الحمد؛ ولقد قبض النّبيّ(ص) وإنّ رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي وحدي، تقلّبه الملائكة المقرّبون معي، و أيم الله ما اختلفت أمّة قطّ بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله[1].

قال معاوية لضرار بن حمزة الكنانيّ: صف لي عليّا فاستعفي، فألحّ عليه فقال: أما إذن فلا بدّ إنّه والله كان بعيد المدى شديد القوى، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه. يستوحش من الدّنيا وزهرتها، ويستأنس باللّيل وظلمته. كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلّب كفّه ويعاتب نفسه؛ يعجبه من اللّباس ما قصر، ومن الطّعام ما خشن، وكان والله يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه هيبة له. يعظّم أهل الدّين ويحبّ المساكين. لا يطمع القويّ في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد الله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ الخائف، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي الآن أسمعه يقول: يا دنيا إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّقت! هيهات غرّي غيري! لقد أبنتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير،

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، ج١ص٣٠٣.

وعيشك حقير، وخطرك كبير. آه من قلّة الزّاد ووحشة الطّريق؛ قال فوكفت دموع معاوية حتى ما يملكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك [١].

وهذه من معاوية دموع الحسد لا دموع الرّحمة، وإلاّ فكيف يبكي لذكره ثمّ يلعنه ويأمر النّاس بلعنه على المنابر؟! وقد بقي ذلك اللّعن مستمرّا إلى سقوط دولة بني أميّة. ولا يبعد أيضا أن تكون دموع معاوية لاستشعار الموقف الرّهيب عند عبارة " **آه من قلّة الزّاد ووحشة الطّريق** ".فإنّ النّاس مؤمنهم وكافرهم لا يشكّون في حتميّة الخروج من هذه الدنيا.

والعجيب أنّ معاوية يروي حديثا في النّهي عن الأغلوطات؛ ففي معجم الطّبرانيّ: عن رجاء بن حيوة عن معاوية بن أبي سفيان قال نهى رسول الله(ص) عن الأغلوطات [٢].

وفي حوار بين عبيد الله بن عبّاس ومعاوية: فقال له ابن عبّاس [٣]: أنت أمرت اللّعين السيّئ الفدم أن يقتل ابنيّ؟ فقال: ما أمرته بذلك، ولوددت أنّه لم يكن قتلهما،

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ، الأبشيهي، ج١ص٣٠٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ تحقيق : د.مفيد محمد قميحة.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني ، ج ١٩ ص ٣٨٩ ، والحديث أيضا في الجامع الصغير للسيوطي ج٢ص٦٨٢ وتاريخ دمشق ج٢٩ ص٤٦وللألباني فيه كلام بعد أن صرّح بأنّه أخرجه أبوداوود وأحمد وغيرهما.

(٣) القائل عبيد الله بن عباس .

فغضب بسر ونزع سيفه، فألقاه، وقال لمعاوية: اقبض سيفك، قلّدتنيه وأمرتني أن أخبط به النّاس ففعلت، حتّى إذا بلغت ما أردت قلت لم أهو ولم آمر. فقال: خذ سيفك إليك، فلعمري إنّك ضعيف مائق حين تلقي السّيف بين يدي رجل من بني عبد مناف، قد قتلت أمس ابنيه. فقال له عبيد الله: أتحسبني يا معاوية قاتلا بسرا بأحد ابنيّ! هو أحقر وألأم من ذلك، ولكنّي والله لا أرى لي مقنعا ولا أدرك ثارا إلاّ أن أصيب بهما يزيد وعبد الله. فتبسّم معاوية وقال : وما ذنب معاوية وابني معاوية! والله ما علمت ولا أمرت، ولا رضيت ولا هويت. واحتملها منه لشرفه وسؤدده[1].

يقسم معاوية أنّه ما علم ولا أمر ولا رضي ولا هوي، إذا فمن الذي أرسل بسرا إلى اليمن وقال له اقتل شيعة عليّ حيث كانوا ؟وهل قتل الطّفلان لشيء سوى كون أبيهما من أتباع عليّ(ع) ؟

وقال معاوية لابن عبّاس[2]: مالكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال: كما تصابون في بصائركم.

قال ابن منظور[3]:وفي حديث معاوية أنّه قال للأنصار: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا حرثناها يوم بدر أي أهزلناها. يقال حرثت الدّابّة وأحرثتها أي أهزلتها. قال ابن الأثير وهذا يخالف قول الخطّابيّ وأراد معاوية بذكر النّواضح تقريعا لهم وتعريضا لأنّهم كانوا أهل زرع وسقي فأجابوه بما أسكته تعريضا بقتل أشياخه يوم بدر.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٢ص ١٧ .
(٢) إعجاز القرآن، ج١ص ٨٤.
(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، ج٢ص١٣٦ .

وقال ابن حجر العسقلانيّ في ترجمة أحمد الحضرمي: وذكر أبو حاتم السّجستانيّ في كتاب المعمّرين عن أبي عامر عن رجل من أهل البصرة قال: وحدّث به أبو الجنيد الضّرير عن أشياخه قالوا قال معاوية: إنّي لأحبّ أن ألقى رجلا قد أتى عليه سنّ يخبرنا عمّا رأى فذكر القصّة وليس فيها تلك الزّيادة المنكرة [!] بل فيها أنّه رأى هاشم بن عبد مناف وأميّة بن عبد شمس وأنّه قال له ما كان صنعتك؟ قال كنت تاجرا . قال فما بلغت تجارتك؟ قال كنت لا أشتري غبنا ولا أردّ ربحا. وإنّ معاوية قال له: سلني. قال أسألك أن تردّ عليّ شبابي. قال ليس ذاك بيدي. قال: فأسألك أن تدخلني الجنّة. قال: ليس ذاك بيدي. قال: لا أرى بيدك شيئا من الدّنيا والآخرة، فردّني من حيث جئت بي. قال أمّا هذه فنعم[1].

قال ابن سعد[2]: أخبرنا محمّد [..]عن عكرمة قال سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول مولاك والله أفقه من مات وعاش[3].

وقد كان معاوية على علم بفسق ابنه يزيد وفجوره لأنّه أمر سارت به الرّكبان، ولكنّه مع ذلك يؤهّله للخلافة، ويدّعي له زورا وبهتانا ما لم يدّعه أحد من الصّحابة لولده. قال الهيثمي: وعن محمّد بن سيرين قال لمّا بايع حجّ فمرّ بالمدينة فخطب النّاس فقال: إنّا قد بايعنا يزيد فبايعوه فقام الحسين بن عليّ فقال أنا والله أحقّ بها منه، فإنّ أبى خير من أبيه وجدّي خير من جدّه، وأمّي خير من أمّه، وأنا خير منه. فقال: أمّا

---

(١) الإصابة ،ابن حجر ، ج ١ص ٢٦١.

(٢) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج ٢ص ٣٦٩.

(٣)لم يكن ابن عباس سوى أحد تلاميذ علي بن أبي طالب عليه السلام.

ما ذكرت أنّ جدّك خير من جدّه فصدقت. رسول الله(ص) خير من أبى سفيان. وأمّا ما ذكرت أنّ أمّك خير من أمّه فصدقت، فاطمة بنت رسول الله(ص) خير من بنت بجدل. وأمّا ما ذكرت أنّ أباك خير من أبيه فقد قارع أبوك أباه، فقضى الله لأبيه على أبيك[1].وأمّا ما ذكرت أنّك خير منه فلهو أربّ منك وأعقل. ما يسرّني به مثلك ألف! رواه الطّبرانيّ وفيه الهيثم بن الرّبيع قال أبو حاتم شيخ ليس بالمعروف وبقيّة رجاله ثقات[2].

أقول: لابدّ من الاحتكام إلى الله ورّسوله في كلّ ما يختلف فيه المسلمون، فهل يرضى النّبيّ(ص) أن يقال له: إنّ ألفاً من مثل الحسين لا يساوون يزيد بن معاوية؟! و ما هي المزايا والسّجايا التي تجعل يزيد في هذا المستوى الذي لم يخطر ببال أحد؟!ولقد نوّه النّبيّ(ص) في مواطن عديدة بمقام الحسن والحسين وقال عنهما إنّهما إمامان قاما أو قعدا، فكيف يتجاهل معاوية كل هذا التّنويه من طرف النبيّ(ص) ويتفوّه بمثل ذاك الكلام؟! أوليس في ذلك تكذيب صريح للنّبيّ(ص) ؟! وحتّى لو فرضنا أنّ الحسين(ع) لم يكن إماما فإنّ المسلمين لا يتفاوتون في الفضل إلاّ بالأعمال الصالحة، ويزيد خال منها، لم يدّعها له أحد ممّن يعتبر قوله؛ وقد شهد عليه أهل زمانه بالفسق واستحلّوا الخروج عن طاعته وأخرجوا عامله من المدينة وكان الذي

---

(١) ناقض معاوية نفسه بهذا الكلام، ففي سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٤٠ : قال الجعفي : حدثنا يعلى بن عبيد ، عن أبيه ، قال : جاء أبو مسلم الخولاني وأناس إلى معاوية ، وقالوا : أنت تنازع عليا أم أنت مثله ؟ فقال لا والله ، إنّي لاعلم أنّه أفضل مني وأحقّ بالأمر منّي ، ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوما ، وأنا ابن عمّه ...

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي ، ج ٥ص ١٩٨.

كان، فكيف يبقى للدّين حرمة إذا كان الفاجر أفضل من مئة ألف من سيد شباب أهل الجنّة؟!

ثمّ إنّ معاوية يقول " قضى الله لأبيه على أبيك " ، ومعناه أنّ الله تعالى كان إلى جنب معاوية في حربه ضدّ علي(ع) . والنّبيّ(ص) قد سمّى فئة معاوية الفئة الباغية؛ فكيف يكون الله تعالى إلى صفّ الفئة الباغية وهو الذي حرّم البغي وقرنه بالشّرك؟ وإذا كان الأمر كما يدّعي معاوية يكون الله تعالى قد قضى لقتلة الأنبياء على الأنبياء!

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدريّ قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال آلله ما أجلسكم إلاّ ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلاّ ذاك قال أما إنّي لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله(ص) أقلّ عنه حديثا مني وإنّ النّبيّ(ص) خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا قال آلله ما أجلسكم إلاّ ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلاّ ذاك قال أما إنّي لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنّه أتاني جبريل فأخبرني أنّ الله عزّ وجلّ يباهي بكم الملائكة[1].

من حقّ المسلم المطّلع على سيرة النّبيّ(ص) أن يتساءل عن المنزلة التي يدّعيها معاوية منه؛ أوليس النّبيّ(ص) هو الذي قال عن معاوية "صعلوك لا مال له " ؟!

---

(١) صحيح مسلم، ج٤ص٢٠٧٥ الحديث رقم ٢٧٠١ .

وجاء في الإمامة والسّياسة ما يلي: قال معاوية[للحسين بن عليّ(ع)]:أمّا ما ذكرت من أنّك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمّة محمّد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزّور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللّهو خير منّي؟ فقال معاوية: مهلا عن شتم ابن عمّك، فإنّك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك. ثمّ التفت معاوية إلى النّاس وقال : أيّها الناس .. [1].

قلت: لا أظنّ منصفا يجيز لمعاوية أن يساوي بين سيّد شباب أهل الجنّة وبين من شهد عليه أهل الحجاز وغيرهم بالفسوق والفجور، وأعلنوا الثورة عليه. وفي قول معاوية "فيزيد والله خير لأمّة محمّد منك" افتراء على الله ورسوله وبهتان عظيم، وكيف يقول هذا مسلم بعد ما قال النّبيّ(ص) عن الحسن والحسين "ولداي هذان إمامان قاما أو قعدا "؟وفي أيّ شيء يمكن أن يكون يزيد بن معاوية أفضل من الحسين بن عليّ(ع) ؟! اللهمّ إلاّ أن يكون ذلك متعلّقا بأمنية معاوية " دفنا دفنا " فإنّ يزيد هو المؤهّل بلا شكّ لدفن سنّة النّبيّ(ص) وإحياء سنّة أشياخه. ولقد حكم يزيد بن معاوية ثلاث سنين فكانت شرّ سنين عرفها تاريخ المسلمين، فيها رميت الكعبة واستبيحت المدينة وقتل آل النّبيّ(ص) وسبيت بناته وذراريه.

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، ج ١ص ٢١١.

٥ـ تهمة الإمام علي(ع) بالمشاركة في قتل عثمان:

ومن المغالطات الكبيرة التي قام بها معاوية، ونشرها بين الناس، واتّخذها مبرّرا لسبّ عليّ(ع) ولعنه على المنابر، أن اتّهمه بالمشاركة في قتل عثمان، مع أنّه(ع) لم يكن بين الحاضرين في الدّار يومها. بل قد رووا أنّه أرسل ولديه الحسنين(ع) إلى بيت عثمان يدفعان عنه، ولكنّ الغيظ كان قد ملأ قلوب المسلمين من كثرة ما تلاعب بنو أميّة بالدّين، خصوصا ما كان يظهره مروان من الاستخفاف بهم، ومجابهتهم بما لا يليق من القول. قال ابن منظور: ومنه حديث عليّ كرّم الله وجهه لوددت أنّ بني أميّة رضوا ونفلناهم خمسين رجلا من بني هاشم يحلفون ما قتلنا عثمان ولا نعلم له قاتلا يريد نفلنا لهم[١]. وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: أخرج ابن عساكر عن أبي خلدة الحنفيّ قال: سمعت عليّا يقول: إنّ بني أميّة يزعمون أنّي قتلت عثمان ولا والله الذي لا إله إلاّ هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصوني[٢].

وفي تفسير الطّبريّ:[..] عن عمرو بن قيس السّكونيّ أنّه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية (**اليوم أكملت لكم دينكم..**) حتّى ختمها فقال نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة[٣]. وهو قول لم ينفرد به معاوية، فإنّ له فيه شركاء يجمعهم القفز على منصب الخلافة بغير حقّ. ومقصودهم جميعا التّعتيم على يوم

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور، ج١١ص٦٧٣.

(٢) تاريخ الخلفاء ، السيوطي، ج١ص١٦٣مطبعة السعادة مصر ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م . الطبعة الأولى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(٣) تفسير الطّبريّ، ج٦ص ٨٣

الغدير، وصرف الأذهان والأفكار عن قضيّة تنصيب عليّ(ع) يومها، وهيهات أن تحجب الشمس بالغربال! فلا عجب أن يجرّ كلّ واحد منهم النّار إلى قرصه. لكنّ الذي عليه التّحقيق هو أنّ الآية نزلت يوم غدير خمّ، وقد احتفل النّبيّ(ص) بذلك اليوم وبقي شيعة أهل البيت(ع) يهتدون بهداه، فحافظوا على الاحتفال بهذا اليوم الذي تجاهله غيرهم إلى يومنا هذا. وقد وردت روايات في نزول آية (**اليوم أكملت لكم دينكم**)في كتب الجمهور من طريق أبي سعيد وأبي هريرة وجابر بن عبد الله ومجاهد والإمامين الباقر والصادق(ع) .وأحبّذ للقارئ أن يطّلع على فصل خاصّ بهذه الآية عقده الأميني (ره) في موسوعة الغدير، تناول فيه ما دار حولها بتحقيق في غاية الدّقّة.

وعن أبي بشر قال: قال أبو ذرّ خرجت إلى الشّام فقرأت هذه الآية (**والذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله**) فقال معاوية: إنّما هي في أهل الكتاب. قال فقلت: إنّها لفينا وفيهم. حدّثني يعقوب بن إبراهيم قال حدّثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال: مررت بالرّبذة فإذا أنا بأبي ذرّ قال قلت له ما أنزلك منزلك هذا؟ قال كنت بالشّام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية (**والذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله**) قال فقال نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم، ثمّ ذكر نحو حديث هشيم عن حصين[1].

وفيه ردّ على ما زعمه ابن العربيّ من أنّ أبا ذرّ اختار الرّبذة على جوار النّبيّ(ص) ، فإنّ الحديث يصرّح أنّ الخروج كان بسبب اختلافه مع معاوية حول مضمون الآية.

(١) تفسير الطّبريّ (جامع البيان)، ج١٠ ص١٢٢ .

وقد أراد معاوية حذف الواو كيما تنطبق الآية على أهل الكتاب دون المسلمين، لكنّ أبا ذرّ لم يوافق على هذه المحاولة التّحريفيّة، وردّ عليه الرّدّ المناسب. ولا ريب أنّ أبا ذرّ رضي الله تعالى عنه وهو من السّابقين الأوّلين إلى الإسلام أدرى بأسباب النّزول من معاوية الذي أسلم عام الفتح بعد نزول أكثر القرآن.

ومن مغالطات معاوية روايته لحديث الطّائفة الظّاهرة على الحقّ، قال ابن حزم: " وذكروا ما حدّثناه عبد الله بن يوسف [..] عن ثوبان قال: قال رسول الله(ص): لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله ـ زاد العتكيّ وسعيد في روايتهما ـ وهم كذلك. و به إلى مسلم حدّثنا منصور [..] عمير بن هانئ، قال: سمعت معاوية على المنبر يقول: سمعت النّبيّ(ص) يقول: لا تزال طائفة من أمّتي قائمة بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس " [1].

ووجه المغالطة أنّ معاوية حين يذكر هذا الحديث إنّما يريد حزبه وجماعته، وإلاّ فإنّ ظاهر الحديث يجعل معاوية محلّ التّهمة، فإنّه هو الذي يصدق عليه " من خذلهم" و"من خالفهم"، وقد خالف هو عليّا(ع) الذي لا يفارقه الحقّ. وخالف أيضا أبا ذرّ صادق اللّهجة، وخالف خزيمة بن ثابت ذا الشّهادتين، فكيف تكون طائفته هي القائمة بأمر الله ؟! وقد وقع في شباك مغالطته الذّهبيّ وابن تيمية وابن كثير وابن قيّم الجوزيّة، وقبلهم الجوزجانيّ، إذ جعلوا ولاء عليّ دون غيره موجبا لإسقاط اعتبار الرّاوي وقادحا في عدالته.

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ج ٤ ص ٤٩٦.

ومن مغالطات معاوية ما ذكره ابن حزم في كتاب الإحكام، قال: أنبأنا محمّد بن سعيد [..] عن عبد الله بن طاووس عن أبيه قال: قال معاوية لابن عبّاس أنت على ملّة عليّ ؟ قال: ولا على ملّة عثمان، أنا على ملّة رسول الله(ص) [١]. فإنّ معاوية يريد أن يقول هنا إنّ لعليّ ملّة مخالفة لما عليه المسلمون، وقد ثبت أنّ عليّا(ع) أخبر أتباعه أيّام حرب صفين أنّه يظهر عليهم بعده رجل رحب البلعوم يأمرهم بسبّه والبراءة منه وقال لهم: أمّا السّبّ فسبّوني فإنّه زكاة لي ونجاة لكم، وأمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّي فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإسلام.

وقال ياقوت الحموي: الجوسق الخرب أيضا بظاهر الكوفة عند النّخيلة وكانت الخوارج قد اختلفت يوم النّهروان فاعتزلت طائفة في خمسمائة فارس مع فروة بن نوفل الأشجعيّ وقالوا لا نرى قتال عليّ بل نقاتل معاوية. وانفصلت حتّى نزلت بناحية شهرزور؛ فلما قدم معاوية من الكوفة بعد قتل عليّ رضي الله عنه تجمّعوا وقالوا لم يبق عذر في قتال معاوية، وساروا حتّى نزلوا النّخيلة بظاهر الكوفة. فأنفذ إليهم معاوية طائفة من جنده فهزمتهم الخوارج؛ فقال معاوية لأهل الكوفة: هذا فعلكم ولا أعطيكم الأمان حتى تكفوني أمر هؤلاء. فخرج إليهم أهل الكوفة فقاتلوهم فقتلوهم وكان عند المعركة جوسق خرب... [٢].

وفي هذا التّصرّف من المغالطة ما لا يخفى، فإنّ معاوية يحمّل أهل الكوفة تصرّفات الخوارج، ويعلّق أمانهم على قتال الخوارج ويقول بكل بساطة "هذا فعلكم

---

(١) المصدر السابق، ج ٤ ص ٥٧٤.

(٢) معجم البلدان ، ياقوت الحوي ، ج٢ص ١٨٥ .

ولا أعطيكم الأمان حتّى تكفوني أمر هؤلاء " وهو يعلم أنّ أهل الكوفة ليس لهم سلطان على الخوارج؛ وقد قال عليّ بن أبي طالب(ع) في بعض ما قال لأتباعه:" لا تقاتلوا الخوارج بعدي..."ومعلوم أنّ شيعة أهل البيت يتعبّدون بكلام عليّ(ع) لأنّ النّبيّ(ص) أمر بذلك وحثّ عليه، ويكفي لبيان ذلك قوله(ص) :"عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار" وقوله أيضا "عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض". وهكذا جعل معاوية أهل الكوفة بين أمرين محرجين بعد أن أعطاهم الأمان. والتّراجع في الأمان غدر لأنّ الأمان عهد وقد قال الله تعالى (**وأوفوا بالعهد**) فمن لم يف فقد غدر. فما الذي يختاره أهل الكوفة بين أن تهدر دماؤهم أو يقاتلوا من نهاهم عليّ بن أبي طالب(ع) عن قتالهم. إنّهم لا يملكون إلا أن يخالفوا إمامهم إبقاء على أنفسهم.

ومن مغالطات معاوية ما ذكره الذّهبيّ في سيَره عن ابن طاووس،عن أبي بكر بن حزم، عن أبيه قال: لمّا قتل عمّار دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال:قتل عمّار، وقد قال النّبيّ(ص) :"تقتله الفئة الباغية. "فدخل عمرو على معاوية فقال قتل عمار. فقال:قتل عمّار فماذا؟ قال: سمعت رسول الله(ص) يقول: تقتله الفئة الباغية". قال دحضت في بولك أو نحن قتلناه؟إنّما قتله عليّ وأصحابه الذين ألقوه بين رماحنا، أو قال بين سيوفنا[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء،الذهبي، ج ١ص ٤١٩.

قال المحقّق[١] بهامش الصّفحة معلّقا على كلام معاوية: وهذه مغالطة من معاوية، غفر الله له. وقد ردّ عليه عليّ رضي الله عنه بأنّ محمّدا(ص) إذا قتل حمزة حين أخرجه. قال ابن دحية: هذا من عليّ إلزام مفحم لا جواب عنه، وحجّة لا اعتراض عليها.

قال السّيوطيّ:وأخرج[٢]عن أبي الطّفيل عامر بن وائلة الصّحابيّ أنّه دخل على معاوية فقال له معاوية: ألست من قتلة عثمان؟ قال لا ولكنّي ممّن حضره فلم ينصره. قال: وما منعك من نصره؟ قال: لم تنصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية: أما لقد كان حقّه واجبا عليهم أن ينصروه. قال: فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشّام؟ فقال معاوية: أما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك أبو الطّفيل ثمّ قال: أنت وعثمان كما قال الشّاعر:

لا ألفينّك بعد الموت تندبني ** وفي حياتي ما زوّدتني زادا [٣] .

ومن مغالطات معاوية ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النّهج، قال: قال نصر: وحدّثنا عطية بن غنى، عن زياد بن رستم ، قال: كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر خاصّة، وإلى سعد بن أبي وقاص، وإلى محمّد بن مسلمة، دون كتابه إلى أهل المدينة، فكان كتابه إلى عبد الله بن عمر: أمّا بعد، فإنّه لم يكن أحد من قريش أحبّ إليّ أن يجتمع عليه النّاس بعد قتل عثمان منك، ثمّ ذكرت خذلك إيّاه، وطعنك على

(١) حققه شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد. طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣.

(٢) أي ابن عساكر .

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ج ١ص ٢٠٠.

أنصاره، فتغيّرت لك، وقد هوّن ذلك عليّ خلافك على عليّ، ومحا عنك بعض ما كان منك، فأعنّا ـ رحمك الله ـ على حقّ هذا الخليفة المظلوم، فإنّي لست أريد الإمارة عليك، ولكنّي أريدها لك، فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين. فأجابه عبد الله بن عمر: أمّا بعد، فإنّ الرّأي الذي أطمعك فيّ، هو الذي صيّرك إلى ما صيّرك إليه. أترك عليّا في المهاجرين والأنصار، وطلحة والزّبير وعائشة أمّ المؤمنين، وأتّبعك! وأمّا زعمك أنّي طعنت على عليّ، فلعمري ما أنا كعليّ في الإيمان والهجرة،ومكانه من النّبيّ(ص)، ونكايته في المشركين، ولكنّي عهد إليّ في هذا الأمر عهد ففزعت فيه إلى الوقوف وقلت: إن كان هذا هدى ففضل تركته، وإن كان ضلالا فشرّ نجوت منه، فأغن عنّا نفسك،والسّلام.

ومن مغالطات معاوية ما أورده السّيوطيّ في تاريخ الخلفاء قال: وأخرج ابن أبي شيبة عن الشّعبيّ قال: سمعت معاوية يقول ما تفرّقت أمّة قطّ إلا ظهر أهل الباطل على أهل الحقّ إلاّ هذه الأمّة[1]!!

وفي المستطرف: قال معاوية رضي الله تعالى عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه إلاّ فتحته ولا فتحت بابا فأرادت إغلاقه إلا أغلقته[2].

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ج١ص ٢٠٢.

(٢) المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، ج١ص٩٩.

٦ـ شجاعة معاوية:

قال ابن أبي الحديد: وحمل النّاس كلّهم حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشّام صفّ إلاّ أزالوه، حتى أفضوا إلى معاوية، فدعا معاوية بفرسه ليفرّ عليه . وكان معاوية بعد ذلك يحدّث فيقول: لمّا وضعت رجلي في الرّكاب، ذكرت قول عمرو بن الإطنابة[1]:

أبت لي عفـّتي وأبى بلائـي ** وأخذي الحمد بالثّمن الرّبيح

وإقدامي على المكروه نفسي ** وضربي هامة البطل المشـيح

وقولي كلّما جشأت وجاشت ** مكانك تحمـدي أو تستريحي "

فأخرجت رجلي من الرّكاب وأقمت، ونظرت إلى عمرو فقلت له: اليوم صبر وغدا فخر، فقال: صدقت. قال إبراهيم بن ديزيل: روى عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية، قال: أخذت بمعرفة فرسي ووضعت رجلي في الرّكاب للهرب، حتّى ذكرت شعر ابن الأطنابة، فعدت إلى مقعدي، فأصبت خير الدّنيا، وإني لراجٍ أن أصيب خير الآخرة[2]!

و في شرح النهج أيضا، قال إبراهيم:وروى أبو عبد الله المكّي، قال حدّثنا سفيان بن عاصم بن كليب الحارثي عن أبيه، قال: أخبرني ابن عبّاس قال: لقد حدّثني

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب ج١:ص٥٦١ : وابن الإطنابة رجل شاعر سمي بواحدة من هذه و الإطنابة أمّه، وهي امرأة من بني كنانة بن القيس بن جسر بن قضاعة واسم أبيه زيد مناة .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢ص ٢٢٣ .

معاوية أنّه كان يومئذ قد قرب إليه فرسا له أنثى، بعيدة البطن من الأرض، ليهرب عليها، حتى أتاه آت من أهل العراق، فقال له: إنّي تركت أصحاب عليّ في مثل ليلة الصّدر من منى، فأقمت، قال: فقلنا له: فأخبرنا من هو ذلك الرّجل؟ فأبى وقال: لا أخبركم من هو[١].

وفي أنساب الأشراف: بعث عليّ إلى معاوية: أن اخرج إلى أبارزك. فلم يفعل[٢].

وفي العقد الفريد: قال أبو الحسن: كان عليّ بن أبي طالب يخرج كل غداة بصفّين في سرعان الخيل فيقف بين الصّفين ثمّ ينادي: يا معاوية؛ علام يقتتل الناس؟ ابرز إليّ وأبرز إليك، فيكون الأمر لمن غلب! فقال له عمرو بن العاص : أنصفك الرّجل! فقال له معاوية: أردتها يا عمرو، والله لا رضيت عنك حتّى تبارز عليّا. فبرز إليه متنكّرا فلمّا غشيه عليّ بالسّيف رمى بنفسه على الأرض وأبدى له سوأته، فضرب عليّ وجه فرسه وانصرف عنه ! فجلس معاوية يوما (بعد ما استقرّ له الأمر وحضره عمرو) فنظر إليه فضحك فقال عمرو: أضحك الله سنّك ما الذي أضحكك؟ قال: من حضور ذهنك يوم بارزت عليّا إذ اتّقيته بعورتك! أما والله لقد صادفت منّانا كريما، ولولا ذلك لخرم رفغيك بالرّمح. فقال عمرو: أما والله إنّي (كنت) عن يمينك إذ دعاك إلى البراز فأحولّت عيناك وربا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك[٣].

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) أنساب الأشراف، البلاذريّ، ص ٣٠٣ .

(٣) العقد الفريد ، ابن عبد ربّه ، ج ٣ص ١١٠ ، كتاب العسجدة الثّانية في الخلفاء وتواريخهم تحت رقم(١٢).

وقال البلاذريّ[1]: وانهزمت ميمنة عليّ ثمّ ثابوا فأهمّت أهل الشّام أنفسهم وكثر القتل والجراح فيهم وركب معاوية فرسه وجعل ينشد شعر ابن الإطنابة الأنصاريّ — وهو عمرو بن عامر الخزرجيّ، وأمّه الأطنابة بنت شهاب من بلقين -: وقولي كلّما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي. فكان معاوية يقول بعد ذلك:ركبت فرسي ومن شأني الهرب حتى ذكرت شعر ابن الإطنابة :

أبت لي عفّتي وأبى حيائي * وإقدامي على البطل المشيح

وقولي كلّما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

[قال:] فأمسكني عن الهرب [2].

وفي حلية الأولياء:حدّثنا أبي [..] حدّثنا محمّد بن إدريس الشافعيّ قال دخل رجل من بني كنانة على معاوية بن أبي سفيان فقال له: هل شهدت بدرا؟ قال: نعم. قال: مثل من كنت؟ قال: غلام قمدود مثل عطباء الجلمود. قال: فحدّثني ما رأيت وحضرت. قال: ما كنّا إلاّ شهودا كأغياب وما رأينا ظفرا كان أوشك منه. قال: فصف لي ما رأيت. قال رأيت في سرعان النّاس عليّ بن أبي طالب غلاما شابّا ليثا عبقريّا يفرى الفري[3] لا يثبت له أحد إلاّ قتله ولا يضرب شيئا إلاّ هتكه. لم أرمن النّاس أحدا قطّ أنفق منه. يحمل حملة ويلتفت التفاتة كأنّه ثعلب روّاغ، وكأنّ له عينين في

---

(١) أنساب الأشراف، ص ٣٠٥.

(٢) العقد الفريد ، ابن عبد ربّه ، ج ٣ص ١١٠ ، كتاب العسجدة الثّانية في الخلفاء وتواريخهم .

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب، ج ١٥ص ١٥٤ : يفري الفري إذا كان يأتي بالعجب في عمله.

قفاه، وكأنّ وثوبه وثوب وحش؛ يتبعه رجل معلم بريش نعامة كأنّه جمل يحطم يبسا لا يستقبل شيئا إلاّ هدّه، ولا يثبت له شيء إلاّ ثكلته أمّه؛ شجاع أبله يحمل بين يديه ولا يلتفت وراءه. قيل: هذا حمزة بن عبد المطلب عمّ محمّد(ص) . قال: فرأيت ماذا؟ قال: رأيت ما وصفت لك، ورأيت جدّك عتبة وخالك الوليد حين قتلا ورأيت ما وصفت لمن حضر من أهلك لم يعفوا عنّه. قال: فكنت في المنهزمين قال: نعم. ما انهزمت عشيرتك، فإنّي كنت منهم. قال: لمّا انهزمت كنت في سرعانهم. قال: فأين رحت ؟ قال: ما رحت حتّى نظرت إلى الهضاب. قال: لقد أحسنت الهرب .قال فعلي ما احتسبه أبوك وبعده ما اتّعظت بمصرع كمصرع جدّك وخالك وأخيك. قال: إنّك لغليظ الكلام. قال: إنّي ممّن يفرّ. قال: إنّكم تبغضون قريشا. قال: أمّا من كان منهم أهله فنبغضه قال: ومن الذين هم أهله؟ قال: من قطع القرابة واستأثر بالفيء وطلب الحقّ فلمّا أعطيه منعه. قال: ما فيكم خير من أن يسكت عنك. قال: ذاك إليك. قال: قد فعلت . قال: قد سكتّ [1].

ولا يقنع معاوية بتحيّة كانت تقال لأبي بكر وعمر، قال البخاريّ:

حدّثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزّهريّ قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال قدم معاوية حاجّا حجّته الأولى وهو خليفة فدخل عليه عثمان بن حنيف الأنصاريّ فقال: السّلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله؛ فأنكرها أهل الشّام وقالوا: من هذا المنافق الذي يقصر بتحيّة أمير المؤمنين؟ فبرك عثمان على ركبته ثمّ قال: يا أمير

---

(١) حلية الأولياء ، أبو نعيم ،ج٩ص١٤٥ .

المؤمنين، إنّ هؤلاء أنكروا عليّ أمرا أنت أعلم به منهم، فوالله لقد حيّيت بها أبا بكر وعمر وعثمان فما أنكره منهم أحد. فقال معاوية لمن تكلّم من أهل الشّام: على رسلكم فإنّه قد كان بعض ما يقول، ولكنّ أهل الشّام لمّا حدثت هذه الفتن قالوا لا تقصر عندنا تحيّة خليفتنا، فإنّي أخالكم يا أهل المدينة تقولون لعامل الصّدقة أيّها الأمير[1].

ومعاوية أعلمهم بشجاعة عليّ(ع) ولكنّه لا يحبّها لكونها فعلت في أسلافه ما فعلت يوم بدر وأحد. قال ابن أبي الحديد: وانتبه يوما معاوية فرأى عبد الله بن الزّبير جالسا تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبد الله يداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت، فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبا بكر، قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقفت في الصّفّ إزاء عليّ بن أبى طالب! قال: لا جرم أنّه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها[2].

٧ـ وفاة معاوية:

كان معاوية في بداية عمره صعلوكا كما تقول عبارة النّبيّ(ص)، وبعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان صارت إليه ولاية الشام، فلم يتزحزح عنها إلاّ إلى قبره. وكان يقول عن نفسه إنه لا يأتي من بعده إلاّ من هو شرّ منه، كما أنّ من كان قبله خير منه. وقد كانت سنيّ حكمه استبدادية لا تعرف الرحمة، يحاسب فيها الناس

(١) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، ج١ص٣٥٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١ص٢١.

على معتقداتهم وميولهم ومشاعرهم، وهو أمر لم يسبقه إليه أحد. وقد سبق قوله"لا والله إلا دفنا دفنا" وهو ما يؤكّد أنّ أعماله كانت متعمّدة مقصودة، ولم تكن اجتهادات كما يزعم الذّهبيّ وابن تيمية ومن سار على نهجهما. والباحثون المنصفون لا يجدون أحدا من فضلاء الصّحابة يثني على معاوية، بل إنه يصعب عليهم أن يجدوا من حلفائه من يثني عليه وتلك أبيات عمرو بن العاص في قصيدته الجلجلية الشهيرة، منها قوله:

وحيث تركنا أعالي الرؤوس * نزلنا إلى أسفل الأرجل

فإن كان بينكما نسبة * فأين الحسام من المنجل

وأين الثّريّا وأين الثرى * وأين معاوية من علي

ولو أنه أتيح لغير بني أميّة أن يحكموا بعد هلاك معاوية مباشرة لكان تراثنا اليوم غير ما هو عليه. لكنّ الذين حكموا بعده هم بنو عشيرته بداية بابنه يزيد إلى مروان بن محمد الذي قتل ببوصير سنة١٣٢. فلا يتوقّع أن تصلنا كلّ أخباره وهو الحاكم المطلق اليد الذي كان يوزّع مال الله تعالى بين الشعراء المتزلّفين والمتملّقين، ويشرف بنفسه على وضع الأحاديث في ذمّ علي بن أبي طالب(ع) ومدح أعدائه. ومع ذلك فقد وصلنا ما يكفي لاستشفاف حقيقة ما كان يجري في دولته، وما كان يريد فعله لو امتدّ به العمر أكثر ممّا عاش.

قال ابن العماد : توفّي معاوية بن أبي سفيان بدمشق في رجب، وله ثمان وسبعون سنة. ولي الشّام لعمر وعثمان عشرين سنة وتملّكها بعد عليّ عشرين إلاّ شهرا وسار

بالرّعيّة سيرة جميلة[!][١] وكان من دهاة العرب و حلمائها، يضرب به المثل. وهو أحد كتبة الوحي، وهو الميزان في حبّ الصّحابة ومفض تاح الصّحابة ؛ سئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أيّما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لغبار لحق بأنف جواد معاوية بين يدي رسول الله خير من عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وأماتنا على محبته[٢].

وهذا كلام لابدّ من التّعليق عليه، فإنّه لا يخلو من تقليد ساذج لا يليق بأهل العلم. إذ كيف يكون مضرب المثل في الحلم وهو الذي دفن شيعة عليّ(ع) أحياء؟! وقد تقدّم سلوكه مع أهل الحرمين وتسليطه بسر بن أرطاة وزيادا على رقاب المسلمين يمعنان في القتل والصّلب، وقد كان أولى بصاحب الشّذرات أن يقول عنه إنّه كان رمزا من رموز الإرهاب في أبشع صوره، ولكنّه الانتماء المذهبيّ وتقديس الصّحابة برّهم و فاجرهم. ولو اتّبع الحقّ أهواءهم لفسدت السّماوات والأرض. ثمّ إنّ للشافعيّ كلاما يردّ كلام أحمد بن حنبل بخصوص فضل معاوية على عمر بن عبد العزيز، فقد قال الذهبي في معرض دفع تهمة التشيّع عن الشافعي: لو كان شيعيّا وحاشاه من ذلك لما قال الخلفاء الراشدون خمسة؛ بدأ بأبي بكر وختم بعمر بن عبد العزيز.

---

(١) هذا الكلام من ابن العماد يكذّبه الواقع، فإنّ سيرة معاوية كانت أبشع سيرة عرفها تاريخ المسلمين لما كان فيها من إرهاب فكري يشهد له قتل حجر بن عديّ و عمربن الحمق وعبد الرحمن بن عديس البلوي وغيرهم من الصحابة؛ وقد كان معاوية يصرّح بلعن من يحبّهم النّبيّ(ص) ويمنع الناس من الحديث في فضائل أهل البيتعليهم السلام.

(٢) شذرات الذهب ، ابن العماد ، ج١ص٦٥.

قال ابن عساكر [١]: وكان(معاوية) يقول رحم الله عبدا دعا لي بالعافية وقد رميت في أحسني وما يبدو منّي. ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي. ولمّا اعتلّ قال وددت أنّي لا أعمّر فوق ثلاث. فقيل: إلى رحمة الله ومغفرته. فقال: إلى ما شاء وقضى. قد علم أنّي لم آل وما كره الله غيّر. وكان عنده قميص رسول الله(ص) وإزاره ورداؤه وشعره [٢] فأوصاهم عند موته فقال: كفّنوني في قميصه، و أدرجوني في ردائه، وآزروني بإزاره، واحشوا منخري وشدقي بشعره، وخلّوا بيني وبين رحمة أرحم الرّاحمين. كان حليما وقورا، ولي العمالة من قبل الخلفاء عشرين سنة، واستولى على الإمارة بعد قتل عليّ عشرين سنة، فكانت الجماعة عليه عشرين سنة من سنة أربعين إلى سنة ستّين؛ فلما نزل به الموت قال: ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى وأنّي لم أل من هذا الأمر شيئا [٣].

ولا يعجب القارئ من كلامه هذا الذي يشتمّ منه رائحة الضّراعة، فإنّه لم ينفرد بذلك، بل إنّ الزّعيم الصّينيّ ماوتسي تونغ أيضا قال عند الموت كلاما يهدم نظريّاته الشّيوعيّة، فكتبت صحيفة البرافدا الرّوسيّة تذكر أنّه كان "يهذي " عند موته.

وعن محمّد بن إدريس الشّافعيّ قال: ذكروا أنّ معاوية بن أبي سفيان اعتمر فلما قضى عمرته وانصرف مرّ بالأبواء، فاطّلع في بئرها العادية [٤]، فضربته

(١) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر، ج ٥٩ص ٦١.
(٢)طالما ضحك معاوية على العقول، يحتفظ بقميص النّبيّ(ص) وردائه وشعره ولكنّه لا يتورّع عن محاربة أحبّ الخلق إليه وقتل حبيبه سيد شباب أهل الجنّة بالسّم.وقد قال النبيّ(ص) لعليّ وفاطمة والحسن والحسين " سلمكم سلمي وحربكم حربي " ، فمعاوية يحارب النّبيّ(ص) ويحتفظ بقميصه وشعره !!
(٣) أين هذا من قول عليّ عليه السلام " فزت ورب الكعبة " ؟
(٤) وعلى سبعة أميال من السقيا بئر الطلوب وهي بئر عادية، وهي التي اطلع فيها معاوية فأصابته اللّقوة فأغذّ السّير إلى مكّة [معجم ما استعجم ج٣ص٩٥٥].

اللّقوة [١]، فاعتمّ بعمامة سوداء أسبلها على ساقه ثمّ استوى جالسا فأذن للنّاس، فدخلوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد؛ فإنّ ابن آدم يعرض للبلاء ليؤجر ويعاقب بذنب أو يعتب ليعتب. ولست مخلوّا من واحدة من ثلاث. فإن ابتليت فقد ابتلي الصّالحون قبلي، وأرجو أن أكون منهم! وإن عوفيت فقد عوفي الصّالحون قبلي، وما آمن أن أكون منهم. وإن مرض عضو منّي فما أحصي صحّتي، وما عوفيت منه أطول. أنا اليوم ابن ستّين سنة[٢] فرحم الله عبدا دعا لي بالعافية فوالله لئن عتب علي بعض خاصّتكم فإنّي لحدث على عامّتكم، ثمّ بكى فارتفع النّاس عنه فقال له مروان بن الحكم: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال وقفت والله عمّا كنت عليه عزوفا، وكثر الدّمع في عيني، وابتليت في أحبّتي وما يبدو منّي. ولولا هواي في يزيد ابني لانصرف قصدي. فلمّا اشتدّ وجعه كتب إلى ابنه يزيد أدركني وسرج له البريد. قال: فخرج يزيد وهو يقول: جاء البريد بقرطاس يحثّ به(شعر) منه :

أغرّ أملح يستسقي الغمام به   لو قارع النّاس عن أحلامهم قرعا

قال فانتهى يزيد إلى الباب و به عثمان بن عنبسة. قال فقال له: مالك بجنب عن أمير المؤمنين؟ قال: فأخذ بيده فأدخله على معاوية فإذا هو مغمى عليه. قال: فانكبّ عليه يزيد ثم التفت إلى عثمان بن عنبسة فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون يا عثمان. لو فات شيء لفات أبو حيان لا عاجز ولا وكل*الحوّل القلّب الأريب فما تنفع وقت

---

(١) داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق.[لسان العرب ـ ابن منظور، ج١٥ص٢٥٣].

(٢) إنّ صحّت نسبة هذا الكلام إلى معاوية فهو أيضا داخل في مغالطاته، لأنّه يعني أنّه ولد عام الهجرة ولم يقل به أحد ، وإلاّ كان عمره يوم وفاة النبي(ص) إحدى عشرة سنة!وكيف يعقل أن تستشير فاطمة بنت قيس النّبيّ(ص) في الزّواج من غلام عمره إحدى عشرة سنة؟!

المنيّة الحيل*قال: صه. فرفع معاوية رأسه فقال: هو ذاك يا بنيّ، والله ما أصبحت أتخوّف على شيء فعلته إلا ما فعلته في أمرك، فإذا أنا متّ فانظر كيف يكون. صحبت رسول الله(ص) في غزوة تبوك وتبعته بإداوة من ماء أصبّه عليه فقال: ألا أكسوك؟ قلت: بلى يا رسول الله. فكساني قميصه الذي يلي جلده. وقد أخذ النّبيّ(ص) من شعره وأظفاره فأخذت وهو في موضع كذا، فإذا أنا متّ فأشعرني ذلك القميص دون كفني، واجعل ذلك الشّعر والأظفار في فمي وفي منخري. فإن يقع شيء فذاك، وإلاّ فانّ الله غفور رحيم. قال ثمّ توفّي معاوية فأقام ثلاثة لا يخرج إلى النّاس حتى قال النّاس قد اشتغل يزيد بشرب الخمر. ثمّ خرج إليهم في اليوم الرّابع، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد فإنّ معاوية بن أبي سفيان كان حبلا من حبال الله مدّه مادّه ثمّ قطعه، دون من قبله وفوق من بعده. ولست أعتذر ولا أتشاغل بطلب العلم. على رسلكم إذا كره الله شيئا غيّره؛ ثم نزل [1].

أقول:إنّ في قول يزيد " أغرّ أملح يستسقي الغمام به" استخفافا بشخص النّبيّ(ص) فإنّ هذا القول إنما قيل في حقّه من طرف عمّه أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقد استسقى النّبيّ(ص) وسقي الناس في لحظتهم والقصّة معلومة. وفي كتب المسلمين أنّ النّبيّ(ص) لعن معاوية ودعا عليه، وفي كتبهم أيضا أنّ عليّ بن أبي طالب(ع) قنت بلعن معاوية مدّة من الزّمان، فكيف يستسيغ المسلمون أن يستسقى بمن لعنه النّبيّ(ص) ولعنه علي بن أبي طالب(ع) ؟!

(١) حلية الأولياء ،أبو نعيم ،ج٩ص١٥٤و١٥٥ .

عن داود بن أبي هند قال: تمثّل معاوية عند الموت: **هو الموت لا منجا من الموت والذي*** **نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع**؛ ثمّ قال: اللّهمّ فأقل العثرة، وعاف من الزّلّة وجد بحلمك على جهل من لم يرج غيرك ولم يثق إلاّ بك، فإنّك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة مهرب إلاّ أنت. قال: فبلغني أنّ هذا القول بلغ سعيد بن المسيّب (ره) فقال: لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله، وإنّي لأرجو ألاّ يعذّبه الله عزّ وجل"[١].

وفي سير الذهبي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: أخرج معاوية يديه كأنّهما عسيبا نخل فقال: هل الدّنيا إلاّ ما ذقنا وجرّبنا؟ والله لوددت أنّي لم أغبر فيكم إلاّ ثلاثا ثمّ ألحق بالله. قالوا إلى مغفرة الله ورضوانه. قال: إلى ما شاء الله، قد علم الله أنّي لم آل ولو أراد الله أن يغيّر غيّر[٢].

لكن ابن أبي عاصم يرويها كما يلي[٣]:"أخرج معاوية ذراعيه كأنّهما عسيبا نخل فقال ما الدّنيا إلاّ ما رأينا وجرّبنا. والله لوددت أنّي لا أغير فيكم إلا ثلاثا حتّى ألحق بالله تعالى. قالوا يا أمير المؤمنين إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، وإلى ما شاء، قد علم الله تعالى أني لم آل وما أراد الله تعالى أن يغيّر غيّره". ولا يخفى ما في الجملة من الرّكاكة إذ لا فصل بين "إلى ما شاء الله "التي هي من كلامهم وبين" قد علم الله أني لم آل.."التي هي من كلام معاوية؛ ولأنّ عصر الذّهبيّ متأخّر عن عصر ابن أبي عاصم، فإنّه ليس أمامنا إلاّ أن نفترض التّصحيف أو تعمّد الخلط من طرف ابن أبي

(١) كتاب حسن الظن بالله ـ ابن أبي الدّنيا، ص ١٠٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٣ ص ١٦٠و١٦١.
(٣) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم ، ج ١ص ٣٧٨.

عاصم المرميّ بالنّصب، ومثل هذا العمل لا يصدر إلا ممّن فيه شيء من النّصب[1]؛وقد اتّهم ابن أبي عاصم بالنّصب. وفي طيّات كلامه ما يشعر بذلك، وأنا أورد هنا بعض ما أظنّه يقوّي نسبة النّصب إليه.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء(ج١ص١٩٥) في ترجمة معاوية: أفرد ابن أبي الدّنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفا في حلم معاوية.

وإضافة إلى التصنيف المستقل روى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني أمورا منها عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال ما رأيت أحدا بعد رسول الله أسود من معاوية! قيل: ولا أبو بكر؟ قال: ولا أبو بكر، قد كان أبو بكر خيرا منه وكان أسود منه. قيل: ولا عمر؟ قال: والله لقد كان عمر خيرا منه، ولكنه كان أسود منه. قيل وعثمان؟ قال والله إن كان عثمان لسيّدا ولكنّه كان أسود منه[2]. وأسود هنا من السّيادة.

ومنها أيضا: عن أبي الدّرداء رضي الله تعالى عنه قال: لا مدينة بعد عثمان ولا رخاء بعد معاوية رضي الله تعالى عنهما[3].

ومنها: وأمّا القارئ لكتاب الله عز وجل الفقيه في دين الله تعالى القائم على حدود الله تعالى فمروان بن الحكم[!][4]. وهذه أعجب من سابقاتها، فإنّ لقب مروان عند معاصريه "خيط باطل" وأعماله في الفتنة التي قتل فيها عثمان معلومة، وهو الذي

---

(١) يحتمل أيضا أن يكون التحريف من الناسخ .

(٢) الآحاد والمثاني ج ١ص ٣٧٩تحت رقم (٥١٦) .

(٣) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، ج ١ص ٣٨٢.

(٤) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم ،ج ١ص٣٩٣.

قتل طلحة يوم الجمل، وله بعد ذلك هنات وهنات. وقد ذكر الحاكم لعنه على لسان النّبيّ(ص)، فكيف يكون بعد ذلك "القارئ لكتاب الله عزّ وجلّ الفقيه في دين الله تعالى القائم على حدود الله تعالى" ؟!

ومنها:عن بشير بن عمر قال لنا رسول الله(ص) ذات يوم إنّي رأيت الملائكة(ع) في المنام أخذوا عمود الكتاب فعمدوا به إلي الشّام فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام[1]. هذا بخصوص انحراف ابن أبي عاصم عن علي(ع).

وبما أنّ الشّعراء يتّبعهم الغاوون فليس عجيبا أن يتوجّه أحدهم بكلام إلى معاوية بن يزيد يجعل موت معاوية فيه رزءا عظيما في الإسلام[!!] قال الحموي في خزانة الأدب: ومما جمع فيه من النّظم بين التّهنئة والتّعزية قول بعض الشّعراء ليزيد بن معاوية لمّا دفن أباه وجلس للتّعزية:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة   واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا

لا رزء أصبح في الإسلام نعلمه   كما رزئت ولا عقبى كعقباكا[2]

٨ـ ومن أخبار معاوية:

عن بلال بن سعد الأشعريّ أنّ معاوية كتب إلى أبي الدّرداء اكتب إليّ فسّاق دمشق، فقال: ما لي و فسّاق دمشق، ومن أين أعرفهم؟ فقال ابنه بلال: أنا أكتبهم

(١) الآحاد والمثاني، ج ٢ ص ٥٩ تخت رقم ٧٥٣.

(٢) خزانة الأدب لتقي الدين الحموي، ج ١ص١٣٩.

فكتبهم. قال: من أين علمت؟ما عرفت أنّهم فسّاق إلاّ وأنت منهم. ابدأ بنفسك ولم يرسل بأسمائهم[١].

وقال ابن قتيبة[٢]: مازح معاوية الأحنف بن قيس فما رئي مازحان أوقر منهما؛ قال له معاوية: يا أحنف ما الشيء الملفّف في البجاد؟ قال له: السّخينة يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر: "إذا ما مات ميت من تميم * فسرّك أن يعيش فجيء بزاد *بخبز أو بتمر أو بسمن*أو الشّيء الملفّف في البجاد* تراه يطوّف الآفاق حرصا* ليأكل رأس لقمان بن عاد. والملفّف في البجاد وطب اللّبن وأراد الأحنف أنّ قريشا كانت تعيّر بأكل السّخينة...

أقول: ليس كما ذهب إليه ابن قتيبة، وإنّما يريد قول الشّاعر في كفّار قريش:

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها وليغلبنّ مغالب الغلاّب

والأحنف بن قيس أعقل من أن يدخل آباء وأبناء النّبيّ(ص) في الذّم.

وقال ياقوت: وكان معاوية يقول أغبط النّاس عيشا عبدي أو قال مولاي سعد، وكان يلي أمواله بالحجاز ويتربّع[٣] جدّة و يتقيّظ الطّائف ويشتو بمكّة[٤].

---

(١) الأدب المفرد، البخاري، ج١ص٤٣٨.

(٢) أدب الكاتب، ابن قتيبة، ج١ص١١.

(٣) يتربّع من الربيع أي يقضي فصل الربيع و يتقيظ من القيظ وهو الحرّ ويقصد به هنا فصل الصيف و يشتو من الشتاء أي يقضي فصل الشتاء.

(٤) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤ ص١٢.

قلت: قد جاء في الحديث الشّريف النّهي عن قول الرجل عبدي وإنّما ينبغي أن يقول"غلامي". والثّانية أنّ معاوية يغبط كثيرا من النّاس على أنّهم يشبعون في بطونهم وهو يحلم بشبعة فلا يجد إليها سبيلا. وأمّا غلامه سعد فهو في ترحال دائم، إن يكن يصحبه أهله وولده فقد شقّ عليهم وحرمهم نعمة الاستقرار، وإن يكن بمفرده فما فاته أكثر ممّا نال.

وقال الأبشيهي: ذكر الإمام أبو عليّ القاليّ في كتاب الأمالي أنّ رجلا جاء إلى معاوية رضي الله تعالى عنه فقال له: سألتك بالرّحم التي بيني وبينك إلاّ ما قضيت حاجتي. فقال له معاوية: أمن قريش أنت؟ قال لا قال: فأيّ رحم بيني وبينك؟ قال: رحم آدم(ع) . قال: رحم مجفوّة والله! لأكوننّ أوّل من وصلها ثمّ قضى حاجته[1].

أقول: إذا كانت هذه هي الرّحم فما معنى قوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله؟ والذي لا شكّ فيه أنّ الله تعالى سوف يسأل كلّ أهل القبلة عن مودّة رحم النّبيّ(ص) ،لا عن رحم آدم التي يدخل فيها فرعون وهامان وجنودهما، وأبو جهل والوليد بن المغيرة ومن معهما، فإن يكن معاوية من أهل القبلة فحاله مع آل رسول الله(ص) معلومة، وليس فيها ما يستبشر به. وإن لم يكن منهم كما ذهب إليه الحمانيّ الكوفي[2] في قوله "مات معاوية على غير الإسلام" فالقضيّة غنيّة عن أن تناقش. فهلاّ رعى معاوية رحم النّبيّ وحرمته ؟

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، ج١ص٣٤٦.

(٢) الحافظ الإمام الكبير أبو زكريّا ابن المحدّث الثّقة أبي يحيى الحمّاني الكوفيّ صاحب المسند الكبير. قال عن معاوية بن أبي سفيان : إنّه مات على غير ملّة الإسلام ! ذكر ذلك العقيلي.

وفي معجم البلدان[١]:روي أنّ معاوية بن أبي سفيان مرّ بوادي القرى فتلا قوله تعالى(**أتتركون فيما ههنا آمنين. في جنات وعيون. و زروع ونخل**)الآية، ثمّ قال هذه الآية نزلت في أهل هذه البلدة وهي بلاد ثمود فأين العيون؟ فقال له رجل: صدق الله في قوله، أتحبّ أن أستخرج العيون؟ قال: نعم. فاستخرج ثمانين عينا. فقال معاوية: الله أصدق من معاوية !!

قال الأبشيهي في المستطرف:وحدّث الشّيخ نبيه الجوهريّ أنّه سمع الشّيخ الإمام عزّ الدّين بن عبد السّلام يقول: إنّ معاوية ابن أبي سفيان كان يأكل في كل يوم مائة رطل بالدّمشقي ولا يشبع[٢]!

وفي أنساب الأشراف(ص ٢٨٨):فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال له: يا معاوية ما تصنع ؟ أما ترضى أن تشتري من عمرو دينه بمصر. فأعطاه إيّاها وكتب له كتابا:[أن]لا ينقض شرط طاعة. فمحا عمرو ذلك وقال: اكتب لا ينقض طاعة شرطا. فقال له عتبة بن أبي سفيان: **أيّها المانع سيفا لم يهز*إنّما ملت إلى خزّ وقزّ * إنّما أنت خروف واقف * بين ضرعين وصوف لم يجزّ* أعط عمرا إنّ عمرا باذل * دينه اليوم لدنيا لم تحز** .

وفي معجم ما استعجم ج ٤ص ١٣٨٤ : حدّث سفيان بن عمرو بن دينار عن مولى لعمرو بن العاص أنّ عمرا أدخل في تعريش الوهط[٣] ألف ألف عود قام كل عود

(١) معجم البلدان، ج ٤ص ٣٣٨ .

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، ج ١ص ٣٩٢.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب ج ٧ص ٤٣٤ والوهط : المكان المطمئن من الأرض المستوي ينبت =

بدرهم، فقال معاوية لعمرو: من يأخذ مال مصرين يجعله في وهطين ويصلى سعير نارين.

معاوية الحليم:

قال ابن خلدون: وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصابته فيها لا تنزع، ومرقاته فيها تزلّ عنها الأقدام. (ذكر) أنّه مازح عديّ بن حاتم يوما يؤنّبه بصحبة عليّ! فقال له عديّ: والله إنّ القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنّ السّيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت إلينا من الغدر شبرا لندنينّ إليك من الشّرّ باعا. وإنّ حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا من أن نسمع المساءة في عليّ. فشم السّيف يا معاوية يبعث السّيف. فقال معاوية: هذه كلمات حقّ فاكتبوها وأقبل عليه ولاطفه وتحادثا وأخباره في الحلم كثيرة[1].

أقول: معرفة القائل تيسّر فهم المقول، وسيأتي لاحقا الحديث عن ابن خلدون وموقفه من أهل البيت(ع) ، واستخفافه بحديث الإمام المهديّ الذي يملأ الأرض

= فيه العضاه والسمر والطلح والعرفط ، وخص بعضهم به منبت العرفط ، والجمع أوهاط ووهاط . ويقال لما اطمأن من الأرض وهطة ، وهي لغة في وهدة ، والجمع وهط ووهاط ، وبه سمي الوهط . ويقال : وهط من عشر ، كما يقال : عيص من سدر . وفي حديث ذي المشعار الهمداني : على أن لهم وهاطها وعزازها ، الوهاط : المواضع المطمئنة ، واحدتها وهط ، و به سمي الوهط مال كان لعمرو بن العاص ، وقيل : كان لعبد الله بن عمرو بن العاص بالطائف ، وقيل : الوهط موضع ، وقيل : قرية بالطائف . والوهط : ما كثر من العرفط .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، ج١ص٤٠٨.

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٣ص٤.

عدلا كما ملئت ظلما وجورا. وليس ابن خلدون أوّل من تخرّج من مدرسة الأندلس الأمويّة ليسخّر قلمه ولسانه في العدوان على أهل البيت وشيعتهم؛ خرج ابن خلدون من الدّنيا وبقيت مدرسة أهل البيت(ع) كما كانت قبل ولادته، شامخة متجدّدة. والعاقل الذي يحكّم ضميره في ما يسمع ويقرأ لا يخفى عليه التّنافي التامّ بين الحلم المزعوم وبين سبّ عليّ بن أبي طالب(ع) ولعنه على المنابر، فإنّ الحليم يعاب عليه أن يسبّ أحدا من العوامّ في الشّارع، فكيف بمن يسبّ على المنابر من هو من النّبيّ(ص) بمنزلة هارون من موسى، ويخرج من الدّنيا مصرّا على ذلك موصيا بإدامته من بعده ، وهو يعلم أنّ الله تعالى يحبّ عليّا وأنّ النبيّ(ص) يحبّ عليّا، فهل يقدم الحليم على مثل هذا؟!

وقال الأبشيهي: غضب معاوية على يزيد فهجره فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة، وبهم نصول على كل جليلة؛ فإن غضبوا فأرضهم، وإن سألوا فأعطهم، وإن لم يسألوا فابتدئهم. ولا تنظر إليهم شزرا فيملّوا حياتك ويتمنّوا وفاتك. فقال معاوية: يا غلام إذا رأيت يزيد فاقرأه السّلام. واحمل إليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب. فقال يزيد: مَن عند أمير المؤمنين ؟ فقيل له: الأحنف، فقال يزيد بن معاوية: عليّ به. فقال: يا أبا بحر كيف كانت القصّة؟ فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصّلة[1].

قلت: أين غاب حلم الرّجل وهو يهجر أقرب النّاس إليه وأمسّهم به رحما؟

(١) نفس المصدر، ج٢ص٢١.

معاوية يخدع طلحة والزبير:

لم يتورّع معاوية عن أسلوب يجد من خلاله طريقا إلى إضعاف جهة عليّ(ع)، وتحريض النّاس عليه، وقد كان من أمره أن خدع طلحة والزّبير الصحابيّين البدريّين الذين شهدا يوم الغدير، وسمعا رسول الله(ص) يومها يقول: "من كنت مولاه فعليّ مولاه". لقد كان طلحة والزّبير يوم بدر تحت راية رسول الله(ص)، وكان معاوية تحت راية قريش الكافرة، ثمّ دارت الأيّام وصار طلحة والزّبير ومعاوية في خندق واحد، مقابل راية النّبيّ(ص)؛ قال ابن أبي الحديد: فلمّا قدم رسوله على معاوية، وقرأ كتابه، بعث رجلا من بني عميس، وكتب معه كتابا إلى الزّبير بن العوام، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزّبير أمير المؤمنين[!] من معاوية بن أبى سفيان: سلام عليك، أمّا بعد، فإنّي قد بايعت لك أهل الشّام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبى طالب فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهرا الطّلب بدم عثمان، وادعوا النّاس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتّشمير أظفركما الله، وخذل مناوئكما! فلمّا وصل هذا الكتاب إلى الزّبير سرّ به، وأعلم به طلحة وأقرأه إيّاه، فلم يشكّا في النّصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف عليّ(ع) [1].

هل كان حقّا ما ذكره معاوية من أنّه بايع لهما أهل الشّام، وأنّه بايع لطلحة من بعد الزّبير؟! إنّ ما ورد في الكتاب يدلّ على دهاء معاوية من جهة، وعلى سذاجة

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ١ص ٢٣١.

الصّحابيّين البدريّين الذين رشّحهما عمر للخلافة من جهة أخرى؛ فمعاوية يتقن ضرب أصحاب النّبيّ(ص) بعضهم ببعض ليصفو له الجوّ ويتمكّن من تنفيذ مخطّطه، وليس في مصلحته بقاء الزّبير وطلحة على قيد الحياة مع اشتهار قضيّة السّتّة المرشّحين للخلافة. لذلك شجّعهما وحرّضهما على محاربة عليّ(ع)، وراح يعدهما ويمنّيهما وما يعدهما إلاّ غرورا. وانتهت القصّة بخروج الرّجلين من الدّنيا على حال لا تحمد، فقد قتلا جميعا في يوم واحد وهما يحاربان إمام زمانهما؛ وبموجب الحديث الذي رواه مسلم وغيره[1] "من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة ومن قاتل تحت راية عميّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمّتي يضرب برّها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس منّي ولست منه " يكون معاوية قد مات ميتة جاهليّة، لأنّ كلّ الأوصاف السّابقة تنطبق عليه،ولا ينفعه ما ينسب إليه من الاجتهاد إذ لا اجتهاد مع كلام النّبيّ(ص) .

---

(١) الحديث رواه مسلم ، ج٦ص ٢٠ و البخاري في صحيحه ج٨ص٨٨ و١٠٥وفي سنن النسائي ج٧ص١٢٣ وسنن البيهقي، ج٨ص١٥٦و١٥٧و سنن الدارمي، ج٢ص ٢٤١ ، و مجمع الزوائد ج ١ص ٣٢٤ وج ٥ص ٢١٨ وما بعدها، وهو أيضا في مسند أحمد، ج ١ص ٢٩٧و ٣١٠و ج ٢ص ٧٠و٨٣ و٩٣و١٢٣و ١٥٤وج ٣ص ٤٤٥وج ٤ص ٩٦، ومسند أبي داوود ص٢٥٩ ، ومصنف عبد الرزاق ج٢ص ٣٧٩ و مصنف ابن أبي شيبة ج ٨ص٥٩٨و ٦٠٥ ، ومسند ابن راهويه ج١ص١٩٢،و تفسير القرطبي ج١٤ ص٥٦ وتفسير ابن كثير ج١ص٥١٨والمعيار و الموازنة لأبي جعفر الإسكافي ص٢٤ ومسند ابن الجعد ص ٣٣٠ .

معاوية يخدع عبد الله بن سلام القرشي:

قال محمّد بن عقيل :(ومن مخزياته الفاضحة) تفريقه بالحيلة بين عبد الله بن سلاّم القرشيّ وزوجته أرينب بنت إسحاق حين تعشّقها خمّيره يزيد ليزوّجه بها معاونة له على الإثم والعدوان. وقد روى القصّة كلّها ابن قتيبة رحمه الله تعالى في كتاب الإمامة، ورواها عبد الملك بن بدرون الحضرميّ الإشبيليّ في كتابه أطواق الحمامة بشرح البسامة وغيرهما[1].

وقد تبيّن ممّا سبق أنّ الخديعة أمر مألوف لدى معاوية، يمارسه متى أمكنته الفرصة للوصول إلى مآربه ومآرب ذويه، ولا يرقب في مؤمن إلاّ ولا ذمّة ولا يراعي عهدا ولا حرمة. وقد تسامح معه في هذا كثير من المؤرخين وأصحاب السّير والتّراجم لأنّ الرّجل ملك وتربّع على كرسيّ الحكم، والذي يطالع تعامل الفقهاء والمحدّثين مع كثير ممّن حكموا لا يرتاب في أنّ الحكم في تراث المسلمين تحكّم في الشّريعة وسمح للحاكم أن يلغي أحكام السّماء ليثبت أحكامه هو، وأمثلة ذلك لا تخفى على الباحث النّزيه.

(١) النصائح الكافية ـ محمد بن عقيل الشافعي، ص١٢٨.

الفصل الخامس

أعمال معاوية المنافية للإسلام

- اغتيال الحسن بن علي عليهما السلام
- قتل شيعة علي عليه السلام
- إحراق دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه
- قتل الصحابي الجليل عمرو بن الحمق رضي الله عنه
- مقبرة واحدة للمسلمين واليهود
- سياسة التجويع
- الذين قتلهم معاوية بغير السم
- سلوك الأتقياء لا سلوك الأشقياء
- سلوك معاوية مع غير المسلمين
- قصة الأخوال



- الاغتيالا ت بالسم
- الذين سقاهم الخلفاء السم على طريقة معاوية

أعمال معاوية المنافية للإسلام

كان لمعاوية مواقف وأعمال لا يقرّها الإسلام، ولا تستسيغها النّفوس الأبيّة، وإن حاول المدافعون عنه أن يبرّروها؛ وليس هو أوّل من حكم فاستبدّ، لكنّه تميّز عن غيره بأن ذهب إلى أبعد حدّ في التّشفّي من خصومه، والتّنكيل بمعارضيه، واستعمال كلّ الوسائل لتشويههم ونسبة النّقائص إليهم؛ بل بلغ به الأمر إلى أن رغّب النّاس في الكذب على النّبي(ص) ، ولم يتورّع عن ملاحقة علي بن أبي طالب(ع) بالسّبّ والشّتم واللّعن بعد أن فارق الدّنيا.

والنّزول إلى هذا المستوى في معاملة الخصوم ليس فيه ما يفخر به صاحبه، وإنّما يكشف عن سوء طبع ودناءة همّة لا أكثر. ولأنّ أسلوب معاوية في التّعامل مع عليّ(ع) تدنّى إلى ما تدنّى إليه، فقد نفر منه حتّى الذين لا يدينون بالإسلام ورأوا فيه دليلا على انحطاط معاوية وهو على عرشه وشموخ عليّ(ع) وهو في قبره. ولعلّ ذلك ممّا دفع الشّاعر المسيحي بولس سلامة إلى كتابة القصائد الغرّ في مدح ابن عم رسول الله(ص) والدّفاع عنه، ولعلّه أيضا ممّا دفع الكاتب المسيحيّ جورج جرداق إلى ذلك التّمجيد في كتابه "الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة ". وللأمانة فإنّه لا يسعنا إلاّ أن نكبر في الرّجلين هذا الإنصاف الذي لا يتراجع أمام الانتماء الطّائفي، ولا يبخس النّاس أشياءهم لكونهم مخالفين.

لقد أراد معاوية بأساليبه الحطّ من شأن علي بن أبي طالب(ع) فلم يوفّق، بل انقلب عليه فعله ولم يزد ذلك عليّا إلا محبّة في نفوس أتباعه وعظمة في صدور المطّلعين على سيرته وأقواله. وقد كان في وسع معاوية أن يحاكمه إلى التّاريخ والضّمير الإنسانيّ، ويترك للنّاس أن يحكموا كلّ على شاكلته، لكنّه أراد أن يحسم الأمر

بنفسه ويقدّم الحكم لمن يأتي بعده غير قابل للطّعن! واحتاط معاوية وعمل لذلك بكلّ ما أوتي، لكنّه لم يضع في حسابه أنّ الأرض لا تخلو من طلاّب الحقيقة الذين لا ينخدعون بزخرف، وفاته أنّ النّفوس الخيّرة توّاقة إلى من يجسّد الخير شديدة النّفور ممّن يجسّد الشّرّ.

من أعمال معاوية التي يظهر فيها الاستخفاف بالدّين أنّه صلّى الجمعة يوم الأربعاء[١] وصلّى بدون بسملة فاعترض عليه المهاجرون والأنصار[٢].

ومن أعماله صلب رأس عمرو بن الحمق: وكان رأسه أوّل رأس صلب في الإسلام [٣].

ومنها ما فعله بسر بن أرطاة، بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف ، وأمره أن يقتل كلّ من كان في طاعة عليّ(ع) ، فقتل خلقا كثيرا ، وقتل فيمن قتل ابني عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب، وكانا غلامين صغيرين.. [٤].

أقول: لئن كان المؤرّخون وروّاد علم الكلام يصوّبون عليّا(ع) ويخطّئون أصحاب الجمل وأصحاب صفّين، فإنّهم يتوقّفون في مسألة الخارج عن جماعة المسلمين، ويفتحون لأهل الباطل مصاريع التّبرير والاجتهاد، لأنّهم إن لم يفعلوا ذلك تعيّن عليهم رفع اليد عن عدالة جميع الصحابة التي طالما تعبّدوا بها. فمن خلال الكلام السّابق يظهر أنّ جرم الذين هجم عليهم بسر وقتل منهم وأخاف هو طاعتهم لعلي(ع)

(١) راجع تذكرة الخواص : ٩٣.

(٢) راجع مصنف عبد الرّزاق، ج٢ص ٩٢الحديث ٢٨١٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١ ص ٢٥٩.

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ١ ص ٣٤٠.

لا غير، وطاعة وليّ الأمر عند الجمهور أمر لابدّ منه، لكنّها ههنا سقطت لتعارضها مع عدالة جميع الصحابة. وما طرحوه من اجتهاد من طرف معاوية بن أبي سفيان وعائشة زوج النبي(ص) لا يكون له وزن عند من يحترم كلام النّبي(ص) ، لأنّ الاجتهاد إنّما يقوم في إطار ضوابط شرعية تحدّدها الأحكام؛ والأحكام تقضي أنّ وليّ الدّم هو الذي يطالب بالقصاص، وهذا وفق المراتب والطّبقات الموجودة في أحكام المواريث. ومن لم يكن له وليّ فالحاكم الشرعيّ وليّه، ولم تكن عائشة ولا معاوية من أولياء عثمان في حضور أولاد الأخير وبناته. فكان المفروض أن يأتي أولاد عثمان وبناته إلى عليّ بن أبي طالب(ع) ويطالبوا بحقّهم في القصاص إن كان هناك قصاص. والحال أنّ عثمان قتل نفسه، لأنّ المسلمين من صحابة وتابعين استنفدوا معه كلّ الأساليب والوسائل ليتنحّى عن الحكم بعد أن ثبت عجزه عن إدارته بطريقة صحيحة، لكنّه أبى إلا التمسّك بالكرسيّ حتى الموت، وزعم أنّ الله تعالى هو الذي نصبه فقال "لا أنزع قميصا ألبسنيه الله " وهذا افتراء عظيم على الله تعالى، لأنّ عبد الرّحمن بن عوف هو الذي ألبسه إياه. وعبد الرحمن بن عوف نفسه ندم على بيعة عثمان حينما تبيّن له أنّ الأمر لن يعود إليه. ومات عبد الرحمن في وضع لا يحسد عليه، فإنّه وإن كان كثير المال إلاّ أنّ عثمان فرض عليه الإقامة الجبرية حين منع الناس من مجالسته، بعد حوار دار بينهما اتّهم فيه عبد الرّحمن بن عوف عثمان بالتّلاعب بأموال المسلمين، وتبرّأ من بيعته وقال بالحرف الواحد [1]: "

(١) يشهد لذلك ما في شرح نهج البلاغة، ج ١ص ١٩٥و ١٩٦ :وقال أبو هلال العسكري في كتاب " الأوائل " : استجيبت دعوة علي عليه السلام في عثمان وعبد الرحمن ، فما ماتا إلاّ متهاجرين متعاديين ، أرسل عبد الرحمن إلى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : لقد وليتك ما ولّيتك من أمر الناس...

يا ابن عفان، لقد صدقنا عليك ما كنّا نكذب فيك، وإني أستعيذ بالله من بيعتك "[١].

١ـ اغتيال الحسن بن عليّ(ع)

وهو أمر يؤذي رسول الله(ص)، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم. قال اليعقوبي: توفّي الحسن بن عليّ سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، ووصّى أن يدفن عند رسول الله إلاّ أن تخاف فتنة فينقل إلى مقابر المسلمين. فاستأذن الحسين عائشة فأذنت له، فلمّا توفّي أرادوا دفنه عند النّبيّ لم يعرض إليهم سعيد بن العاص وهو الأمير، فقام مروان بن الحكم وجمع بني أميّة وشيعته ومنع عن ذلك، فأراد الحسين الامتناع فقيل له إنّ أخاك قال إذا خفتم الفتنة ففي مقابر المسلمين وهذه فتنة، فسكت. وصلّى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين: لولا أنّه سنّة لما تركتك تصلّي عليه[٢]. وقال: وتوفي الحسن بن علي في شهر ربيع الأول سنة ٤٩. ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخي، إنّ هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السّمّ ولم أسقه مثل مرّتي هذه، وأنا ميّت من يومي؛ فإذا أنا متّ فادفنّي مع رسول الله، فما أحد أولى بقربه منّي، إلاّ أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم[٣].

وفي كتاب المقريزي: قد روي أنّ معاوية هو الذي سمّ الحسن[٤].

وقال ابن كثير: [..] عن أمّ موسى أنّ جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السّمّ فاشتكى منه شكاة، قال فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحوا من أربعين يوما. وروى بعضهم أنّ يزيد بن معاوية بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمّي

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٩٦.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٣١٥.
(٣) تاريخ اليعقوبي، ج٢ص٢٥٨.
(٤) النزاع والتخاصم، المقريزي، ص ٣٦.

الحسن وأنا أتزوّجك بعده، ففعلت، فلمّا مات الحسن بعثت إليه فقال: إنّا والله لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟ وعندي أنّ هذا ليس بصحيح وعدم صحّته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى[١].

ولا يعجب القارئ من قول ابن كثير "عندي أنّ هذا ليس بصحيح وعدم صحته عن أبيه معاوية أولى" ، فإنّ ما ليس بصحيح عند ابن كثير وافر كثير، والمعيار فيه أن يتضمّن قدحا في بني أميّة، والرّجل شاميّ، وقد كان مفتونا بحبّ شيخه ابن تيمية، وموقف ابن تيمية من عليّ بن أبي طالب وأهل البيت(ع) معلوم.

وقال ابن الأثير[٢]: في هذه السّنة توفّي الحسن بن عليّ سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكنديّ، ووصّى أن يدفن عند رسول الله إلاّ أن تخاف فتنة فينقل إلي مقابر المسلمين .وقال ابن الجوزي[٣]: قال محمّد بن سلام الجمحيّ عن ابن جعدة قال كانت جعدة بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن عليّ فدسّ إليها يزيد أن سمّي حسنا ففعلت. فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال: إنّا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا ؟وقال في صفوة الصفوة: وقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه أن بنت الأشعث بن قيس كانت تحت الحسن بن علي فزعموا أنّها هي التي سمّته[٤].

و في وفيات الأعيان: قال القتبيّ يقال إنّ امرأته جعدة بنت الأشعث سمّته ومكث شهرين وإنّه ليرفع من تحته كلّ يوم كذا وكذا طست من دم. وكان يقول: سقيت السّمّ مرارا ما أصابني ما أصابني في هذه المرّة. وخلف عليها رجل من قريش

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير، ج ٨ص ٤٧ .
(٢) الكامل ، ابن الأثير ، ج٣ ص٣١٥ .
(٣) المنتظم، ابن الجوزي، ج٥ ص ٢٢١.
(٤) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ج١ ص٧٦٢.

فأولدها غلاما، فكان الصّبيان يقولون له يا ابن مسمّة الأزواج[1].
طالع أيضا بخصوص سمّ الحسن : تذكرة الخواصّ ١٩٢ ،وأنساب الأشراف (الكبير) ج٣ص٤٨-٥٥،وربيع الأبرار ج٤ص٢٠٨،وتاريخ الخلفاء للسيوطي ج١ ص١٩٢.

٢ـ قتل شيعة علي(ع) :

قال ابن أبي الحديد: دعا بسر بن أبي أرطاة، وكان قاسي القلب فظّا سفّاكا للدّماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكّة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة عليّ إلاّ بسطت عليهم لسانك، حتى يروا أنّهم لا نجاء لهم، وأنك محيط بهم. ثمّ اكفف عنهم، وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة عليّ حيث كانوا[2].

٣ـ إحراق دار أبي أيوب الأنصاري:

ومعلوم أنّ لدار أبي أيّوب الأنصاريّ حرمة خاصّة بين بيوت الأنصار، فإنّها إضافة إلى كونها دار أحد الأنصار الذين شهدوا مع النّبي(ص) المشاهد، هي أيضا الدّار المباركة التي بركت عندها ناقة النّبي(ص) غداة الهجرة الشّريفة، وفيها أمضى النبيّ الأكرم الأيام الأولى قبل تمام بناء المسجد. وإذا كان كذلك فإنّه يعزّ على أهل الإيمان والولاء أن يروا دارا آوت نبيّهم تلتهمها النّيران. لكنّ المؤرّخين لا يشيرون إلى هذا خشية أن يتنبّه العامّة ويلحّوا في طلب تفسير معقول، فتنكشف اللّعبة ويتبيّن

---

(١) وفيات الأعيان، ج٢ص٦٦.
(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢ص ٦.

حقد معاوية وأهله وأنصاره على النبي(ص) وعلى الإسلام والمسلمين. قال ابن أبي الحديد: ودعا النّاس [أي بسر بن أرطاة] إلى بيعة معاوية فبايعوه. ونزل فأحرق دورا كثيرة منها دار زرارة بن حرون أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الزّرقيّ، ودار أبي أيوب الأنصاريّ. وتفقّد جابر بن عبد الله فقال: ما لي لا أرى جابرا ! يا بني سلمة، لا أمان لكم عندي أو تأتوني بجابر. فعاذ جابر بأمّ سلمة رضي الله عنها فأرسلت إلى بسر بن أرطاة فقال: لا أؤمنه حتى يبايع، فقالت له أمّ سلمة: اذهب فبايع، وقالت لابنها عمر: اذهب فبايع ، فذهبا فبايعاه[1] .

وفي تاريخ خليفة: واجتمع الناس على معاوية، وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. ودخل الكوفة فخرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء بالنّخيلة، فبعث إليه معاوية خالد بن عرفطة العذريّ حليف بني زهرة في جمع من أهل الكوفة، فقتل ابن أبي الحوساء في جمادى سنة إحدى وأربعين فيما ذكر أبو عبيدة وأبو الحسن. قال أبو عبيدة وأبو الحسن: لما قتل ابن أبي الحوساء خرج حوثرة بن ذراع، فسرح إليه معاوية عبد الله بن عوف بن أحمر في ألف، فقتل حوثرة في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين [2].

٤ـ قتل الصحابيَ الجليل عمرو بن الحمق:

عمرو بن الحمق ، يعرف بالكاهن، صحب الرسول(ع) وشهد المشاهد مع عليّ وقتله معاوية بالجزيرة ، وكان رأسه أوّل رأس صلب في الإسلام[3] . وقال خليفة

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢ص ١٠ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٥٣.

(٣) الاشتقاق ، الزّجّاج ، ص ٤٧٤.

العصفري[(١)]: وعمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو لحي من ساكني الكوفة. قتل بالموصل سنة أحدى وخمسين قتله عبد الرحمن بن عثمان الثّقفي وبعث برأسه إلى معاوية. روى أحاديث. وفي كتاب المقريزي: الذي [أي معاوية] قاتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ الخلافة من الحسن بن علي رضي الله عنه، واستلحق زياد بن سميّة من زنية، واستخلف على الأمّة ابنه يزيد القرود ويزيد الخمور[(٢)].

أقول: في الكلام السّابق ثلاثة أمور من عظائم ما أتى به معاوية، وفيها جميعا خالف النّبي(ص) مخالفة لا سبيل إلى تبريرها.

٥ـ مقبرة واحدة للمسلمين واليهود:

في شرح النهج: وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصّلاة عليه[أي على عثمان]، فأرسل عليّ(ع)، فمنع من رجم سريره، وكفّ الذين راموا منع الصّلاة عليه، ودفن في حشّ كوكب، فلمّا ظهر معاوية على الأمر أمر بذلك الحائط فهدم، وأدخل في البقيع، وأمر النّاس أن يدفنوا موتاهم حول قبره، حتى اتّصل بمقابر المسلمين بالبقيع[(٣)].

وقال ابن كثير: وقد اعتنى معاوية في أيّام إمارته بقبر عثمان، ورفع الجدار بينه وبين البقيع، وأمر النّاس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتّصلت بمقابر المسلمين[(٤)].

---

(١) طبقات خليفة بن خياط ص ١٨٠.
(٢) النزاع والتخاصم، المقريزي، ص ٥٦.
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٥٨.
(٤) البداية والنّهاية، ابن كثير، ج ٧ص ٢١٤.

وفي تاريخ ابن كثير أيضا: كانت له(ص) سريتان، إحداهما مارية بنت شمعون القبطيّة أهداها له صاحب إسكندريّة، واسمه جريج بن مينا، وأهدى معها أختها شيرين ـ وذكر أبو نعيم أنّه أهداها في أربع جوار والله أعلم ـ وغلاما خصيّا اسمه مابور، وبغلة يقال لها الدّلدل، فقبل هديّته واختار لنفسه مارية وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها حفن من كورة أنصنا، وقد وضع عن أهل هذه البلدة معاوية بن أبي سفيان في أيّام إمارته الخراج إكراما لها، من أجل أنّها حملت من النّبيّ(ص) بولد ذكر، وهو إبراهيم(ع)؛ قالوا: وكانت مارية جميلة بيضاء أعجب بها النّبيّ(ص) وأحبّها وحظيت عنده، ولا سيما بعدما وضعت إبراهيم ولده[1].

قلتُ: أما كان في وسع معاوية أن يعامل بني هاشم ببعض ما عامل به أهل القرية المذكورة؟! وكيف يعامل المصريّين لأجل حمل مارية بإبراهيم ثمّ يفضّل يزيد على سيّد شباب أهل الجنّة ويرفع بذلك صوته بين المسلمين؟ وما باله لا يكرم آل خديجة التي حملت من النّبي(ص) بأكثر من واحد؟! لطالما ضحك معاوية على المسلمين!

٦ـ سياسة التجويع:

وسياسة التجويع عمل غير إنساني، يقوم به أناس لا خلاق لهم، يحاولون من خلاله الضغط على الطرف المقابل، وإن كان الأمر يختلف في حالة الحرب، فإنّ الحصار داخل في حيلها وتمهيداتها لأنّه أسلوب من أساليبها، يهدف إلى إضعاف العدوّ، وللنّاس في ذلك مواقف وأقوال يطول ذكرها. أمّا في حالة السّلم فإنه لا يعقل

(١) البداية والنهاية، ج ٥ ص ٣٢٤ .

أن يجوّع الحاكم أفراد رعيّته، ويمنعهم حقوقهم. غير أنّ معاوية كان يفعل ذلك مع المعارضين لسياسته؛ قال الخطيب البغدادي: انصرف ثابت بن قيس إلى منزله فيجد الأنصار مجتمعة في مسجد بني ظفر يريدون أن يكتبوا إلى معاوية في حقوقهم أوّل ما استخلف، وذاك أنّه حبسهم سنتين أو ثلاثا لم يعطهم شيئا، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نريد أن نكتب إلى معاوية. فقال: ما تصنعون أن يكتب إليه جماعة؟ يكتب إليه رجل منّا، فإن كانت كائنة برجل منكم فهو خير من أن تقع بكم جميعا وتقع أسماؤكم عنده. فقالوا: فمن ذاك الذي يبذل نفسه لنا؟ قال: أنا. قالوا: فشأنك. فكتب إليه وبدأ بنفسه فذكر أشياء منها نصرة النّبيّ(ص) وغير ذلك وقال: حبست حقوقنا، واعتديت علينا وظلمتنا، وما لنا إليك ذنب إلاّ نصرتنا للنّبيّ(ص). فلما قدم كتابه على معاوية دفعه إلى يزيد فقرأه ثم قال له: ما الرأي؟ فقال: تبعث فتصلبه على بابه. فدعا كبراء أهل الشّام فاستشارهم فقالوا: تبعث إليه حتى تقدم به ههنا، وتقفه لشيعتك ولأشراف النّاس حتى يروه، ثمّ تصلبه. فقال: هل عندكم غير هذا؟ قالوا: لا. فكتب إليه: قد فهمت كتابك وما ذكرت، وقد علمت أنّها كانت ضجرة لشغلي وما كنت فيه من الفتنة التي أشهرت فيها نفسك، فأنظرني ثلاثا. فقدم كتابه على ثابت فقرأه على قومه وصبحهم العطاء في اليوم الرابع[1].

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١ص ١٨٧ .

وقال البكري: لما حبس معاوية الميرة عن أهل البصرة كتب إليه أهلها، فلم يقرأ من كتبهم إلا كتاب الأحنف، فكان فيه: يا أمير المؤمنين خبزا، خبزا، خبزا ! فإنّ الجائع أدنى همّه نجران، وإنّ الشّبعان لا يجاوز همّه سفوان. فأمر بإطلاق الميرة[1].

٧ـ الذين قتلهم معاوية بغير السم:

حجر بن عدي

قال ابن خلدون: وبعث معاوية هدبة بن فيّاض القضاعيّ، والحسين بن عبد الله الكلابيّ، وأبا شريف البدريّ إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتله، فأتوهم وعرض عليهم البراءة من عليّ[!] فأبوا، وصلّوا عامّة ليلتهم، ثمّ قدّموا من الغد للقتل، وتوضّأ حجر وصلّى وقال: لولا أن يظنّوا بي الجزع من الموت لاستكثرت منها. اللّهمّ إنّا نستعديك على أمشاء أهل الكوفة يشهدون علينا، وأهل الشام يقتلوننا. ثمّ مشى إليه هدبة بن فيّاض بالسّيف فارتعد، فقالوا: كيف وأنت زعمت أنّك لا تجزع من الموت؟ فابرأ من صاحبك وندعك. فقال: وما لي لا أجزع وأنا بين القبر والكفن والسّيف؟ وإن جزعت من الموت لا أقول ما يسخط الرّبّ. فقتلوه وقتلوا ستّة معه وهم شريك بن شدّاد، وصيفيّ بن فضيل، وقبيصة بن حنيفة ومحرز بن شهاب، وكرام بن حبان، ودفنوهم وصلّوا عليهم [!] وعبد الرحمن بن حسان العنزيّ. جيء بكريم بن الخثعمي إلى معاوية فطلب منه البراءة من عليّ فسكت، واستوهبه سمرة بن عبد الله الخثعمي من معاوية فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة، فنزل إلى الموصل. ثم سأل عبد الرحمن بن حسّان عن عليّ فأثنى خيرا، ثمّ عن عثمان فقال:

---

(١) معجم ما استعجم ، البكري، ٣ ص ٧٤٠ .

أوّل من فتح باب الظلّم وأغلق باب الحقّ، فردّه إلى زياد ليقتله شرّ قتلة، فدفنه حيّا، وهو سابع القوم[١].

متى كان حبّ عليّ بن أبي طالب موجبا للقتل في الإسلام؟! و متى كانت البراءة من عليّ(ع) من الإسلام؟ وليت ابن خلدون علّق على ذلك كما يطيل التعليق حين يمرّ بشيء يتعلّق بأهل البيت(ع) وشيعتهم. وحجر بن عديّ من خيرة الصّحابة وأشرافهم، وابن خلدون نفسه يذكر أنّه كان من الأمراء على أهل النّفير الذين قدموا على عليّ(ع) بذي قار، فركب إليهم ورحّب بهم[٢]. فلا شكّ في عدالته، ومع ذلك فقد قتله معاوية ظلما وعدوانا، وقد استنكرت عائشة زوج النّبي(ص) قتله، فلابدّ لابن خلدون من صرف نظر القارئ واختصار المطلب بقوله"وخبره معروف". وبعد هذا هل يوافق ابن خلدون عائشة زوج النّبي(ص) في موقفها من قتله ـ وهو الذي يأخذ عنها نصف دينه ـ أم يعدّها في هذا المقام مجتهدة مخطئة مأجورة، كما هي عادته لتبرير أعمال معاوية؟!.

والعجب من ابن خلدون كيف يسمح لنفسه بمخالفة النّبي(ص) في الدّعيّ، فقد قال(ص) :"الولد للفراش و للعاهر الحجر" ، وهذه قاعدة مؤكّدة لقول الله تعالى في سورة الأحزاب:(ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)، فلو كان ابن خلدون يحترم كلام الله تعالى وكلام رسوله(ص) ، ويعمل بحكم إبطال التّبنّي، لما قال عن زياد بن سعيد الرّوميّ إنّه ابن أبي سفيان، ولكنّه يعزّ على ابن خلدون أن يقرّ بوجود العهر والفجور عند آل حرب أبا عن جدّ، لذلك خطّت يمينه الباطل وقال بكلّ بساطة "على الثّورة بأخيه زياد". وهذا يزيد بن مقرع شاعر معاصر لمعاوية وزياد يقول:

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٣ص١٣ .

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١٦٠.

ألا أبلــغ معاوية بن حرب ❊ مغلغــلة من الرّجل الــيماني
أتغضب أن يقال أبوك عفّ ❊ وترضى أن يــقال أبــوك زان !!
فأقسم إنّ رحمك من زياد ❊ كرحــم الفــيل من ولد الأتان[١]

فإذا كان ابن خلدون يعتقد أنّ الفيل وابن الأتان أخوان فأنعم به.

❊ عمرو بن الحمق (سبق الحديث عنه) .

❊ عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة.

وعن الزّهريّ، عن القاسم بن محمّد، قال: قال معاوية لعبد الرحمن: كن على ما في نفسك، ولا تشرف لأهل الشّام فإنّي أخشى أن يسبقوني بنفسك. ثمّ كن من أمرك على ما بدا لك. قال فلم يلبث إلاّ قليلا حتى توفي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه[٢] !

كيف توفّي؟ولماذا يقتله أهل الشّام إذا كانوا يعلمون أنّه ابن خليفتهم الأوّل وأخو أمّهم؟!

❊ محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة

و عن الزّهريّ عن القاسم قال: قدم معاوية المدينة فاستأذن على عائشة فأذنت له وحده، ولم يدخل معه أحد، فلمّا دخل قالت عائشة: أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا فيقتلك كما قتلت أخي محمّد بن أبي بكر [!] قال: ما كنت تفعلين ذلك. قالت: لم؟ قال: إنّي في بيت أمن. قالت: أجل [٣].

(١) أنساب الأشراف(الكبير)، البلاذري ، ج٤ ص ٧٨.
(٢) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، ج ١ ص ٤٧١ .
(٣) نفس المصدر، ج ١ص ٤٧٥.

وفي رأيي أنّ كلام عائشة يتعلّق بعبد الرّحمن بن أبي بكر، فإنّ محمّدا لم يكن في جيشها يوم الجمل ولا بعده، وكان مباينا لها لموقفها من علي بن أبي طالب(ع)، فكان أبغض أهلها إليها؛ فلم تكن لتقدّم الحديث عن قتل محمّد على الحديث عن قتل عبد الرحمن. ويقوّي ذلك أنّ عائشة زوج النبي(ص) قد استحلّت قتل أخيها محمّد بن أبي بكر يوم الجمل، وهي تعلم مدى وفائه لعليّ بن أبي طالب(ع) وتفانيه في خدمته؛ فلم يكن قتله ليسوءها . بخلاف عبد الرّحمن بن أبي بكر الذي يمكنها أن تقوم بدعوة ودعاية لترشيحه للخلافة في غياب معاوية ؛

ومع أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر صحابيّ وابن خليفة، فإنّه لا حرج في قتله حينما يكون قاتله معاوية، لأنّه لا حقّ للتّاريخ في الخروج عن الخطّ الأمويّ الحاكم. ،. وقد اعترض عبد الرحمن بن أبي بكر حين تحدّثوا عن ولاية العهد ليزيد بن معاوية وأبدى معارضة صريحة؛ أخرج عبد بن حميد، والنسائي وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، عن محمّد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه، قال مروان: سنّة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: سنّة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي قال الله فيه: (**والذي قال لوالديه أفٍّ لكما**) الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمّي الذي نزلت فيه لسمّيته[1]، ولكنّ رسول الله(ص) لعن أبا مروان، ومروان في صلبه، فمروان من لعنة الله.، فكان همّ معاوية بن أبي سفيان اغتيال عبد الرحمن بن أبي بكر بعد أن اغتال الحسن بن علي(ع) وسعد بن أبي وقّاص آخر جماعة الشّورى الذين رشّحهم عمر للخلافة.

---

(١) لماذا لا تسمّيه ، وما المانع؟! مثل هذا الكتمان يترك ثغرات في علم التّفسير لأنّ تفاصيل أسباب النّزول لا غنى للمفسّر عنها.

إذاً ، فقد قتل خال المسلمين اثنين من أخوال المسلمين، ولم يرقب فيهما إلاّ ولا ذمّة، ولم يرع لأبيهما حرمة، لأنّه لم يكن يهمّه سوى تمهيد الأمر لابنه يزيد .

**** محمّد بن أبي حذيفة :**

قال البلاذري في بيان أسره وقتله: وأمّا محمّد ابن أبي حذيفة، فإنّ محمّد بن أبي بكر خلّفه حين زحف إلى عمرو بن العاص[على ما]تحت يده، فلمّا قتل ابن أبي بكر، جمع من النّاس مثل ما كان مع ابن أبي بكر[فزحف إلى] عمرو وأصحابه فآمنه عمرو، ثمّ غدر به[!] وحمله إلى معاوية ومعاوية بفلسطين، فحبسه في سجن له، فمكث غير طويل ثم إنّه هرب، وكان معاوية يحبّ نجاته، فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام ـ وكان عثمانيّا ـ: أنا أتبعه، فخرج في خيل فلحقه بحوران وقد دخل غارا، فدلّ عليه فأخرجه، وخاف أن يستبقيه معاوية ـ إن أتاه به ـ فضرب عنقه[1].

وروى بعد ذلك أقوالا من باب " قيل" مختلفة الألفاظ متقاربة المعنى، تكشف عن رسوخ معاوية وأتباعه في الغدر، وتنصّلهم من آداب وتعاليم الإسلام[2].

---

(١) أنساب الأشراف، ص ٤٠٧.

(٢) من بين ما روى البلاذري (أنساب الأشراف ص ٤٠٨) :وحدثني أبو خيثمة ، وخلف بن سالم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : لما اجتمع أمر معاوية وعمرو بن العاص بعد الجمل وقبل صفين ، سار عمرو في جيش إلى مصر ، فلما قرب منها لقيه محمد ابن أبي حذيفة في الناس ، فلما [رأى] عمرو كثرة من معه أرسل إليه فالتقيا واجتمعا ، فقال له عمرو : إنه قد كان ما ترى وقد بايعت هذا الرجل وتابعته ، وما أنا راض بكثير من أمره ولكن له سنّا ، وإني لأعلم أن صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقدما ، وأولى بهذا الأمر ، ولكن واعدني موعدا التقي أنا وأنت فيه على مهل في غير جيش تأتي في مئة راكب ليس معهم إلا السيوف في القرب وآتي في مثلهم . فتعاقدا وتعاهدا على ذلك ، و اتعدا العريش لوقت جعلاه بينهما ، ثم تفرقا ورجع عمرو = إلى معاوية ، فأخبره الخبر ، فلما حلّ الأجل ، سار كل واحد منهما إلى صاحبه في مئة راكب ، وجعل عمرو له جيشا خلفه ، وكان ابن [أبي] حذيفة يتقدمه فينطوي خبره [كذا] فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على أثره ،

هذا الرّجل ابن شهيد، وهو في نفس الوقت ابن خال معاوية لأنّ أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة أخو هند أمّ معاوية، وهو أيضا[1] زوج آمنة بنت عمرو بن حرب بن أميّة الأمويّة بنت عمّ معاوية ولدت لأبي حذيفة عاصما، ذكر ذلك ابن سعد. وبذلك تستوثق الرّحم بينهما من الجهتين جميعا. ولكنّ معاوية وجماعته يرون فيه خطرا لأنّه لم يكن أمويّ الهوى. فمعاوية يقتل أخوال المسلمين وأبناء أخواله أيضا، وقد ذكر الذّهبيّ وغيره كلاما لا بدّ من التثبّت منه، لأنّ من عادة الذّهبيّ ومن على شاكلته أن ينطلقوا من مبانيهم في الحكم على الأشخاص، ومن هذه المباني موقف الشّخص من عثمان؛ فإذا كان الشّخص راضيا عن عثمان، عاذرا له في كلّ ما فعل، عدّلوه ووثّقوه ودافعوا عنه؛ وإن كان غير راض عن سيرة عثمان بحثوا له عن سبب ليشنّوا هجومهم، ويصوّبوا سهامهم بلا رأفة ولا رحمة. ولو كانوا يطلبون الحقّ في ما ذهبوا إليه لرعوا حرمة حديث النّبي(ص) ، فإنّه أخبر عن أبي ذرّ وعمّار أنّهما من أصدق النّاس لهجة، وقد كان موقفهما من عثمان غير قابل للنّقاش.

وقد ذكروا في كيفيّة قتل محمّد بن أبي حذيفة أقوالا مع أنّها(أي القتْلة)لا تكون إلاّ واحدة، والذي يبدو أصحّها ما رواه ابن حجر في الإصابة، وذلك أنّه يناسب

فعلم محمد أنه قد غدر به ، فانحاز إلى قصر بالعريش فتحصن فيه ، فرماه عمرو بالمنجنيق حتى أخذ أخذا فبعث به عمرو إلى معاوية فسجنه عنده ، وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد ابن أبي حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تصنع له طعاما وترسل به إليه وهو في السجن،فلما سار معاوية إلى صفين،أرسلت ابنة قرظة بشئ فيه مساحل من حديد إلى ابن أبي حذيفة،فقطع بها الحديد عنه،ثم جاء فاختبأ في مغارة بجبل الذيب بفلسطين فدك ينظر عليه رشدين مولى أبي حذيفة أبيه، وكان معاوية خلفه على فلسطين فأخذه فقال له محمد: أنشدك الله خليت سبيلي فقال له:أخلي سبيلك فتذهب إلى ابن أبي طالب وتقاتل معه ابن عمتك وابن عمك معاوية[كذا]، وقد كنت فيمن شايع عليا على قتل عثمان . فقدمه فضرب عنقه.

(١) الضمير يعود على أبي حذيفة.

سلوك معاوية وطريقته في التّخلّص من معارضيه. قال ابن حجر: ثم كان من مسير معاوية بن أبي سفيان إلى مصر لما أراد المسير إلى صفين فرأى ألاّ يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة خلفه، فسار إليهم في عسكر كثيف فخرج إليهم ابن أبي حذيفة في أهل مصر، فمنعوه من دخول الفسطاط. فأرسل إليهم إنّا لا نريد قتال أحد، وإنّما نطلب قتلة عثمان. فدار الكلام بينهم في الموادعة، واستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصّلت بن مخرمة بن المطّلب بن عبد مناف، وخرج مع جماعة منهم عبد الرحمن بن عديس[1] وكنانة بن بشر وأبو شمر بن أبرهة بن الصباح. فلمّا بلغوا به غدر بهم عسكر معاوية، وسجنوهم إلى أن قتلوا بعد ذلك [2].

ولا عجب ألاّ يبالي معاوية برحم محمّد بن أبي حذيفة، فإنّ أبا حذيفة كان من السّابقين إلى الإسلام وخالف أباه وعمّه الذين كانا من كبراء بني أميّة يومها؛ وقد كانت هند بنت عتبة أمّ معاوية تبغض أخاها أبا حذيفة بغضا شديدا. ولعلّ معاوية ورث ذلك منها، وإلاّ فإنّ سيرة أبي حذيفة لا غبار عليها. قال ابن حجر في الإصابة: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشّي العبشميّ[3] قال معاوية اسمه مهشم وقيل هشيم وقيل هاشم وقيل قيس كان من السّابقين إلى الإسلام وهاجر الهجرتين وصلّى إلى القبلتين. قال ابن إسحاق: أسلم بعد ثلاثة وأربعين إنسانا وتقدّم له ذكر في ترجمة سالم مولى أبي حذيفة وثبت ذكره في الصّحيحين في قصّة سالم من طريق الزّهريّ، عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّ أبا حذيفة

---

(١) عبد الرحمن بن عديس البلوي ممّن بايع تحت الشجرة يوم كان معاوية على الشّرك..

(٢) الإصابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٦ ص ١٠.

(٣) العبشمي نسبة إلى عبد شمس بن عبد مناف.

بن عتبة كان ممّن شهد بدرا يكنى سالما. قالوا كان طوالا حسن الوجه استشهد يوم اليمامة وهو ابن ستّ وخمسين سنة [١].

*** عبد الرحمن بن عديس البلوي:**

وهو من الصّحابة الذين بايعوا تحت الشّجرة، ولم يكن راضيا عن سيرة عثمان. قال ياقوت: الجليل بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة ولام أخرى جبل الجليل في ساحل الشّام ممتدّ إلى قرب حمص، كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به ممّن ينبز بقتل عثمان بن عفّان رضي الله عنه منهم محمّد بن أبي حذيفة، وكريب بن أبرهة. وهناك قتل عبد الرّحمن بن عديس البلويّ، قتله بعض الأعراب لمّا اعترف عنده بقتل عثمان، كذا قال أبو بكر بن موسى [٢].

٨ـ سلوك الأتقياء غير سلوك الأشقياء:

لا شكّ أنّ عمل الإنسان كاشف عن مستوى إيمانه، وأنّ الإيمان الصحيح يدفع صاحبه إلى التخلّق بالأخلاق الفاضلة واجتناب السفالات. والذي يتتبّع سيرة معاوية بعين النّزاهة والموضوعيّة والإنصاف، بعيدا عن تأثير ثقافة الكرسيّ، لا يخفى عليه دناءة معاوية حين تسنح له الفرصة بالغدر أو الانتقام والتّشفّي؛ والذين زعموا أنّ معاوية كان حليما قد جنوا على التّراث وحرّفوا وزيّفوا، غير أنّ ما فعلوه لا ينطلي على أولي البصائر السليمة. قال ابن أبي الحديد: ولمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء، وأحاطوا بشريعة الفرات، وقالت رؤساء الشّام له اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا، سألهم عليّ(ع) وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا والله، ولا قطرة

---

(١) الإصابة ، ابن حجر العسقلاني، ج ٧ ص ٧٤ .

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحمويّ، ج٢ص١٥٧.

حتى تموت ظمئا كما مات ابن عفّان. فلمّا رأى(ع) أنّه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت منه الرّؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم. فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضا بالأيدي فلا حاجه لك إلى الحرب. فقال: لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم! افسحوا لهم عن بعض الشّريعة، ففي حدّ السّيف ما يغني عن ذلك. فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصّفح فناهيك بها جمالا وحسنا، وإن نسبتها إلى الدّين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام[1].

قلت: إنّ جند الشّام جند سوء، لا يشكّ في ذلك موحّد بعد أن سمّاهم النبي(ص) "الفئة الباغية". ولا يتوقّع من الفئة الباغية إلا البغي قولا وعملا. وقد حاولوا قتل جيش عليّ(ع) عطشا، ثمّ ردّ الله كيدهم في نحورهم فانقلبوا خاسئين. وكان من حقّ عليّ(ع) أن يقتلهم عطشا كما حاولوا أن يقضوا عليه عطشا(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)؛ لكنّه نفس رسول الله(ص) بنصّ القرآن الكريم، تأبى همّته العالية وأخلاقه السامية أن يقلّد الانتهازيّين الذين لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة. فهو يترفّع عن سلوك معاوية وجيشه تديّنا وتكرّما، ويسجّل بذلك في صحائف الإسلام موقفا رائعا تنحني أمامه رؤوس قادة الجيوش في كلّ زمان ومكان. وقد أشار في بعض كلماته إلى مثل هذا الموقف إشارة تضع النّاس أمام ضمائرهم وجها لوجه، بحيث يعرف كلّ واحد موقفه وموقعه بعيدا عن مدح

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١ص ٣٢.

المادحين وقدح القادحين؛ قال(ع) :"إنّ الوفاء توأم الصّدق ولا أعلم جنّة أوقى منه. ولا يغدر من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيسا ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة. مالهم قاتلهم الله! قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين "[1].

٩ـ سلوك معاوية مع غير المسلمين:

قال ابن خلدون :وأما المسعوديّ فذكر ترتيب هؤلاء القياصرة من بعد الهجرة والفتح كما ذكره ابن العميد، قال والمشهور بين النّاس أنّ الهجرة وأيّام الشيخين كان ملك الروم فيها لهرقل. قال: وفي كتب أهل السّير أنّ الهجرة كانت على عهد قيصر بن مورق، ثمّ كان بعده ابنه قيصر بن قيصر أيّام أبي بكر، ثمّ هرقل بن قيصر أيّام عمر، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشّام أيّام أبى عبيدة وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سفيان، فاستقر بالقسطنطينية؛ وبعده مورق بن هرقل أيّام عثمان، وبعده مورق بن مورق أيّام عليّ ومعاوية، وبعده قلفط بن مورق آخر أيّام معاوية وأيّام يزيد ومروان بن الحكم. كان معاوية يراسله ويراسل أباه مورق، وكانت تختلف إليه علامة نياق، وبشّره مورق بالملك وأخبره أنّ عثمان يقتل، وأنّ الأمر يرجع إلى

(١) نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام) ، محمد عبده ، ج١ص ٩٢ .

معاوية، وهادى[١] ابنه قلفط حين سار إلى حرب عليّ رضي الله عنه، ثمّ نزلت جيوش معاوية مع ابنه يزيد القسطنطينية وهلك عليها في حصاره أبو أيوب الأنصاري[٢].

١٠ـ قصة الأخوال:

لم يكن حديث عن خال المؤمنين أيّام النّبي(ص) ، ولا أيّام أبي بكر وعمر وعثمان، وإنّما ابتدع ذلك أثناء حرب صفّين، فقد ذكر نصر بن مزاحم المنقريّ عن عمر بن سعد ما يلي: حدثّني أبو عبد الله يزيد الأودي أنّ رجلا منهم كان يقال له عمرو بن أوس، قاتل مع عليّ يوم صفّين وأسره معاوية في أسرى كثيرة، فقال له عمرو بن العاص: اقتلهم. قال عمرو بن أوس لمعاوية: إنّك خالي فلا تقتلني. فقامت إليه بنو أود فقالوا: هب لنا أخانا. فقال: دعوه، فلعمري لئن كان صادقا ليستغنينّ عن شفاعتكم، وإن كان كاذبا فإنّ شفاعتكم لمن ورائه. فقال له معاوية: من أين أنا خالك ؟ فما بيننا وبين أود من مصاهرة. فقال: فإذا أخبرتك فعرفت فهو أماني عندك؟ قال: نعم. قال: ألست تعلم أنّ أمّ حبيبة ابنة أبى سفيان زوجة النّبيّ صلى الله عليه هي أمّ المؤمنين؟ قال: بلى. قال: فأنا ابنها وأنت أخوها، فأنت خالي. فقال معاوية: ما له لله أبوه، ما كان في هؤلاء الأسرى أحد يفطن لها غيره وقال: خلّوا سبيله.

وقال القرطبيّ:قال الشافعي رضي الله عنه تزوّج الزّبير أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي أخت عائشة ولم يقل هي خالة المؤمنين. وأطلق قوم هذا وقالوا معاوية خال المؤمنين، يعني في الحرمة لا في النّسب[٣].

---

(١) الأصح هادن من الهدنة لكي يتفرّغ لمحاربة عليّ(ع)،وهو بهذا يقدّم محاربة المسلمين على محاربة الكفار.
(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٢ ص٢٢٨ .
(٣) تفسير القرطبي، ج١٤ ص١٢٦ .

وإذا كان خال المؤمنين من كان أخا إحدى أزواج النّبي(ص) فإنّ من الأخوال:

*** عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة (أخو عائشة).**

*** محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة (أخو عائشة).**

* عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة (أخو عائشة) قال محمّد بن سعد : ورمي عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ [أي يوم الطائف] فاندمل الجرح ثمّ انتفض به بعد ذلك فمات منه[1] .

* موسى بن الحارث بن الطفيل من دوس، قال خليفة: " وهو أخو عائشة وعبد الرحمن بن أبي بكر لأمّهما "[2]. لكنّ ابن سعد يسميه "عوف بن الطفيل" ولعلّهما اثنان ويقول عنه[3]: أخو عائشة وعبد الرحمن ابني أبي بكر الصديق لأمّهما أم رومان.

* عبد الله بن عمر بن الخطاب (أخو حفصة).

* عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب (أخو حفصة) مات في حدّ الخمر.

* عبيد الله بن عمر بن الخطاب (قتل في صفّين تحت راية معاوية).

* عبد الله بن حجش بن رئاب (أخو زينب بنت جحش).

* عبيد الله بن حجش بن رئاب (أخو زينب بنت جحش) هاجر إلى الحبشة وتنصّر ومات بها على النّصرانيّة. قال محمد بن سعد: قالوا وهاجر عبد الله وعبيد الله

(١) الطبقات الكبرى، ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٥.

(٣) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، ج٥ص٢٥١ .

ابنا جحش إلى أرض الحبشة في المرّة الثانية وكانت مع عبيد الله زوجته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان فتنصّر عبيد الله بأرض الحبشة ومات بها ورجع عبد الله إلى مكّة[١].

* أبو أحمد بن جحش بن رئاب(أخو زينب بنت جحش). روى ابن سعد عن يزيد بن رومان أن أبا أحمد بن جحش أسلم مع أخويه عبد الله وعبيد الله قبل أن يدخل النّبيّ(ص) دار الأرقم يدعو فيها.

* المهاجر بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو مخزوم المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها.

* عبد الله بن أبي أميّة واسمه حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي صهر النّبيّ(ص) وابن عمّته عاتكة وأخو أم سلمة رضي الله عنها. استشهد في حصار الطائف[٢].

* زهير بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها ، ذكره هشام بن الكلبيّ في المؤلّفة.

*ربيعة بن أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أخو أم سلمة رضي الله عنها. ذكره ابن سعد في معرض ذكر ولد عبد العزيز بن عمران الأعرج[٣].

*عامر بن أبي أميّة بن المغيرة المخزومي أخو أمّ سلمة رضي الله عنها ، من الطّلقاء. ذكره الذّهبيّ في "من له رواية في كتب الستة"[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ، ج ٣ص ٨٩.
(٢) الإصابة ، ابن حجر ج ٤ ص ١٠. و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٥٨.
(٣) الطبقات الكبرى ج٥ ص٤٣٦ .
(٤) من له رواية في كتب الستة، الذّهبيّ، ج ١ص ٥٢٢ تحت رقم ٢٥٢٦.

* مالك بن زمعة وهو أخو سودة بنت زمعة زوج النّبيّ(ص) وكان قديم الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثّانية ومعه امرأته عميرة بنت السّعديّ بن وقدان. أجمعوا على ذلك كلّهم في روايتهم جميعا، وتوفّي مالك بن زمعة وليس له عقب[1].

* عبد الله بن زمعة بن جدّ إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزّهريّ من جهة أمّه[2].

* عبد بن زمعة جدّ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان من جهة أمّه، ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق. وله أيضا ترجمة في أسد الغابة[3].

* عمرو بن الحارث بن أبي ضرار.قال خليفة: وهو أخو جويرية بنت الحارث زوج النّبيّ(ص) روى ما ترك النّبيّ(ص) عند موته إلاّ بغلته وسلاحه وأرضا جعلها صدقة[4].

* عبد الله بن الحارث بن أبي ضرار. ذكره ابن ماكولا في ترجمة مطهّر بن موسى في إكمال الكمال [ج٧ص٢٦٢].

ويؤيّد ذلك ما ذكره ابن عساكر حيث يقول" فأسلمت جويرية مع أبيها وأخويها وحسن إسلامها، وخطبها النّبيّ(ص) كما بلغنا فنكحها، وكانت جويرية قبل عند ابن عمّ لها يقال له عبد الله ذو الشّقرة "[5].

* عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ضرار المصطلقيّ ذكره المزّيّ في تهذيب الكمال[ج٨ ص٨٤]في ترجمة ابنه محمّد بن عبد الرحمن.

---

(١) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، ج ٤ص ٢٠٤ و الثقات ، ابن حبان ، ج ٦ ص ٧.
(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٣ ص ٢٠٦.
(٣) أسد الغابة ، ابن الاثير، ج ٣ ص ٣٣٥ .
(٤) طبقات خليفة بن خياط، ص١٨٠ .
(٥) تاريخ مدينة دمشق، ج ٣ ص ٢١٨.

* السّائب بن الحارث بن حزن بن بجير،جدّ عبد الله بن معبد بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف من جهة أمّه أمّ جميل[١].

* قطن بن الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، جدّ محمّد بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب من جهة أمّه الفرعة. ذكره المزّيّ في تهذيب الكمال نقلا عن الزبير بن بكار[٢].

*حزام بن خويلد بن أسد ، أخو خديجة أمّ المؤمنين ووالد حكيم. ذكره ابن الأثير في الصحابة، وذكره ابن حجر في الإصابة[٣].

هؤلاء أربعة وعشرون رجلا كل واحد منهم أخو إحدى أزواج النّبي(ص) ، ولم يقل عن أحد منهم إنّه خال المؤمنين. وحكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد، فكيف انفرد معاوية بهذا اللّقب؟!

خال المؤمنين يقتل أخوال المؤمنين !

والمفروض أنّ لأخوال المؤمنين(إخوة أزواج النّبي(ص))حرمة يضمنها الإسلام، فبعضهم صحابة، وبعضهم تابعون، وقد شاركوا في الفتوحات، ووقفوا إلى جانب حكومات كلّ من أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يؤذوا بني أميّة لا من قريب ولا من بعيد، باستثناء محمّد بن أبي بكر الذي لم يكن يخفي مخالفته لمنهج أبيه و مباينته لحكومة السّقيفة، إضافة إلى إنكاره على عثمان ما أنكره سائر المسلمين؛ فهل رعى لهم معاوية حرمتهم حينما استولى على الحكم؟!

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٥ص ٣١٦.

(٢) تهذيب الكمال ، المزّيّ، ج ٣٥ ص ٢٦٠.

(٣) الإصابة ، ابن حجر، ج ٢ص ١٧٧تحت رقم (٢٠٩٣) .

أما عبيد الله بن عمر فإنّه لم يقتله غيلة لكن قتله حيلة، لأنّه يعلم أنّ وجوده يرسم ظلاّ لعمر بن الخطّاب، ومن الممكن أن يستميل بعض النّاس و يحدث في جيشه فرقة. ويشهد لذلك ما فعله معاوية بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فيما بعد، مع أنّ خالد بن الوليد لا يرقى إلى منزلة عمر بن الخطاب. لقد تأكّد معاوية من أنّ وجود عبيد الله بن عمر في جيشه لا يكون من مصلحته، لا على المدى القريب ولا على المدى البعيد، فقرّر أن يتخلص منه، بطريقة لا يلام فيها، وفعلا نجح في ذلك. قال محمّد بن سعد: " أخبرنا محمّد بن عمر قال حدثني محمّد بن عبد الله بن عبيد بن عمير قال سمعت رجلا من أهل الشّام يحدّث في مجلس عمرو بن دينار فسألت عنه بعد فقيل هو يزيد بن يزيد بن جابر يقول: إنّ معاوية دعا عبيد الله بن عمر فقال: إنّ عليّا كما ترى في بكر بن وائل قد حامت عليه، فهل لك أن تسير في الشّهباء؟ قال نعم. فرجع عبيد الله إلى خبائه فلبس سلاحه. ثمّ إنّه فكّر وخاف أن يقتل مع معاوية على حاله، فقال له مولى له: فداك أبي، إنّ معاوية إنّما يقدّمك للموت إن كان لك الظّفر فهو يلي وإن قتلت استراح منك ومن ذكرك[!] فأطعني واعتل "[1].قلت: ولم يستمع عبيد الله إلى نصيحة مولاه، وكان حتفه في تدبير معاوية له[2].

١١ـ الاغتيالات بالسم:

اعتمد العرب ـ وقبلهم اليهود وغيرهم ـ السّمّ في الفتك بخصومهم، وإن كان منهم من يسقي سيفه السّمّ حتّى يلفظه ليقطع بموت المضروب به. ومن الأمثلة على

(١) الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، ج ٥ ص ١٧ .

(٢) قتله هاشم المرقال في حرب صفّين.

ذلك ما قاله ابن ملجم الخارجيّ بعد ضرب عليّ(ع) . ذكر ابن سعد في الطبقات ما يلي: قالت أمّ كلثوم بنت عليّ يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين. قال: ما قتلت إلاّ أباك. قالت: فوالله إنّي لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس. قال فلم تبكين إذاً ؟ ثمّ قال: والله لقد سممته شهرا يعني سيفه فإن أخلفني فأبعده الله وأسحقه[1].

وذكر ابن كثير مثل ذك في قصّة ضرب معاوية فقال:"وجاء الطبيب فقال لمعاوية: إنّ جرحك مسموم، فإمّا أن أكويك وإمّا أن أسقيك شربة فيذهب السّمّ ولكن ينقطع نسلك. فقال معاوية: أمّا النّار فلا طاقة لي بها، وأمّا النّسل ففي يزيد وعبد الله ما تقرّبه عيني! فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه..." [2].

وقد ينضحون الثّوب بالسّمّ، ومن ذلك ما رواه اليعقوبيّ قال: وكان امرؤ القيس قد مدح قيصر فسار الطّرمّاح الأسديّ إلى قيصر فقال له: إنّ امرأ القيس شتمك في شعره، وزعم أنّك علج أغلف. فوجّه قيصر إلى امرئ القيس بحلّة قد نضح فيها السّمّ، فلمّا لبسها تقطّع جلده وأيقن بالموت[3].

وقال ابن ماكولا في الإكمال: "وفي التّوضيح" وبالتّعريف أبو الجبر الكنديّ أحد الملوك في الجاهليّة وهو الذي أهدى للحارث بن كلدة سميّة أمّ زياد لمّا عالجه من السّمّ الذي سمّه جيش كسرى فبرئ، ثمّ نقض عليه بعد ذلك في توجّهه إلى اليمن[4] ".

---

(١) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، ج ٣ ص ٣٧ .

(٢) البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ص ٣٦٤ .

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج١ ص ٢٢٠ .

(٤) إكمال الكمال، ابن ماكولا، ج ٢ ص ١٨ .

وقد ثبت أنّ النّبي(ص) تعرّض للسّمّ، ففـي الـصحيح عـن الزّهـريّ، قـال عـروة: قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله(ص) يقول فـي مرضـه الـذي مـات فيـه: يـا عائشة، ما أزال أجد ألم الطّعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطـاع أبهـري من ذلك السّمّ[١]. وقال النووي في شرح مسلم: وهي معجزة للنّبـيّ(ص) فـي سـلامته من السّمّ المهلك لغيره، وفى إعلام الله تعالى له بأنّها مسمومة وكـلام عـضو منهـا لـه؛ فقد جاء في غير مسلم أنّه(ص) قال: إنّ الذّراع تخبرنـي أنّهـا مـسمومة. وهـذه المـرأة اليهوديّة الفاعلة للسّمّ اسمها زينب بنت الحارث أخت مرحب اليهوديّ..[٢].

وعن ابن شهاب قال: كان أبو بكر والحارث بن كلـدة يـأكلان حريـرة أهـديت لأبي بكر، فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسـول الله إنّ فيهـا سـمّ سـنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد. فرفع يده، فلم يزالا عليلين حتّى ماتا في يـوم واحـد عند انقضاء السّنة. أخرجه في الصفوة والفضائل. وأخرج صـاحب الـدرّة اليتيمـة فـي أخبار المدينة وزاد فمرض خمسة عـشر يومـا. قـالوا ألا نـدعو لـك طبيبـا؟ فقـال: قـد رآني. قالوا فما قال لك: قال: قال إنّي أفعل مـا أشـاء. وقيـل إنّ اليهـود سـمّت لـه فـي أرزة[٣].

فهذه أخبار تفيد أنّ السّمّ كان معمولا به عند العرب، وطالما اختاره الملوك قبـل ذلك وبعده للتخلّص من خصومهم دون أن توجّه إلـيهم أصـابع الاتّهـام. وعلـى نهـج أولئك الملوك جرى معاوية في التخلّص من خصومه، لتمهيد الطّريق لابنه يزيد. ولم

---

(١) صحيح البخاريّ، ج ٥ ص١٣٧.
(٢) شرح مسلم، النووي، ج ١٤ص ١٧٩.
(٣) الرّياض النّضرة، محب الدين الطبري، ج٢ص٢٤٢.

يرع معاوية في المؤمنين إلاّ ولا ذمّة، ولم يشفع لهم عنده شيء، فسقاهم السّمّ واحدا بعد واحد، حتّى قيل "مات في أيّام معاوية جماعة كثيرة من أكابر النّاس والأمراء من المسلمين بالسّمّ ".ولا يخفى موقف الإسلام من هذا العمل الدنيء، حتى لو مورس ضدّ المشركين؛ وقد رووا في مسند الشاميّين أنّ رسول الله(ص) نهى أن يلقى السّمّ في آبار المشركين[1].

الذين سقاهم معاوية السّم :

الحسن بن علي(ع) :

سبق الحديث عن سمّه في فصل (اغتيال الحسن بن علي(ع)) . والقصة مذكورة في مصنّف ابن أبي شيبة (ج٨ص٦٣١) ومستدرك الحاكم (ج٣ص١٧٦)، وشرح نهج البلاغة (ج١٦ص١٠) وتاريخ ابن عساكر(ج١٣ ص٢٨٣) والتعديل والتجريح للباجي (ج١ص٤٧٥)، وأسد الغابة لابن الأثير (ج١ص٩٨) في ترجمة الأشعث بن قيس، وتهذيب الكمال للمزّيّ (ج٦ ص٢٥٣). ومع ذلك يقول ابن خلدون في تاريخه:" وما ينقل من أنّ معاوية دسّ إليه السّمّ مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشّيعة وحاشا لمعاوية من ذلك "[2]! أقول: فينبغي ـ بناء على كلام ابن خلدون ـ أن يكون المزّيّ وابن الأثير والباجيّ وابن أبي الحديد من الشّيعة .

---

(١) مسند الشاميّين، الطبراني، ج ٤ ص ٣٣٦ .
(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١٨٧.

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد:

قال السّعديّ: ومات في أيّام معاوية جماعة كثيرة من أكابر النّاس والأمراء من المسلمين بالسّمّ؛ ومن ذلك حدّثنا أبو عبد الله محمّد بن الحسن بن محمّد الكاتب البغداديّ [..] عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد عن أبي ذئب عن أبي سهيل أنّ معاوية لمّا أراد أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشّام: إنّ أمير المؤمنين قد كبرت سنّه، ورقّ جلده، ودقّ عظمه، واقترب أجله. يريد أن يستخلف عليكم؛ فمن ترون؟ فقالوا: عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد. فسكت وأضمرها، ودسّ ابن أثال النّصرانيّ الطّبيب إليه فسقاه سمّا فمات. وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر[1] بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكّة وكان أسوأ الناس رأيا في عمّه، لأنّ أباه المهاجر كان مع عليّ رضي الله عنه بصفّين وكان عبد الرّحمن بن خالد مع معاوية. وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه هاشميّ المذهب. فلما قتل عمّه عبد الرّحمن مرّ به عروة بن الزّبير فقال له: يا خالد، أتدع لابن أثال نقي أوصال عمّك بالشّام وأنت بمكّة مسبل إزارك تجرّه وتخطر فيه متخائلا؟ فحمي خالد ودعا مولى له يقال له نافع فأعلمه الخبر وقال له: لا بدّ من قتل ابن أثال. وكان نافع جلدا شهما. فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يتمسّى عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى اسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج، فقال خالد لنافع: إيّاك أن تعرض له أنت فإنّي أضربه، ولكن احفظ ظهري واكفني من ورائي؛ فإن رأيت شيئا يريدني من ورائي فشأنك. فلمّا حاذاه وثب إليه فقتله، وثار إليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه؛ فلمّا غشوهما حملا عليهم فتفرّقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقا ضيّقا ففاتا النّاس. وبلغ معاوية الخبر فقال: هذا

(١) كان المهاجر بن خالد بن الوليد شيعيّا جلدا وكان مع عليّ عليه السلام في صفّين..

خالد بن المهاجر انظروا الزّقاق الذي دخل فيه، ففتّش عليه وأتي به فقال له: لا جزاك الله من زائر خيرا ، قتلت طبيبي. فقال: قتلت المأمور وبقي الآمر. فقال له: عليك لعنة الله، أما والله لو كان تشهّد مرّة واحدة لقتلتك به. معك نافع؟ قال: لا. قال: بلى والله، وما اجترأت إلاّ به؛ ثمّ أمر بطلبه فوجد فأتي به فضرب مائة سوط ولم ينل خالدا بشيء أكثر من أن حبسه وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثني عشر ألف درهم أدخل بيت المال منها ستّة آلاف وأخذ ستّة آلاف. فلم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتّى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السّلطان لنفسه وأثبت الذي يدخل بيت المال.. . قال السّعديّ بعد ذلك(1): وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم البغداديّ في كتاب الأمثال: إنّ معاوية بن أبي سفيان كان خاف أن يميل النّاس إلى عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد فاشتكى عبد الرّحمن فسقاه الطّبيب شربة عسل فيها سمّ فأحرقته، فعند ذلك قال معاوية: لا جدّ إلاّ ما أقعص عنك من تكره. قال: وقال معاوية أيضا حين بلغه أنّ الأشتر سقي شربة عسل فيها سمّ فمات " إنّ لله جنودا منها العسل ". ونقلت من تاريخ أبي عبد الله محمد بن عمر الواقديّ قال: لمّا كان في سنة ثمان وثلاثين بعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الأشتر واليا على مصر بعد قتل محمّد بن أبي بكر، وبلغ معاوية مسيره فدسّ إلى دهقان بالعريش فقال: إن قتلت الأشتر فلك خراجك عشرين سنة. فلطف له الدّهقان فسأل أيّ الشّراب أحبّ إليه فقيل العسل، فقال: عندي عسل من عسل برقة، فسمّه وأتاه به فشربه فمات. وفي تاريخ الطّبريّ أنّ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما مات مسموما في أيّام معاوية. وكان عند معاوية كما قيل دهاء فدسّ إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس وكانت زوجة الحسن

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، السعدي ، ج١ص١٧٢ .

رضي الله عنه شربة وقال لها: إن قتلت الحسن زوّجتك بيزيد. فلما توفي الحسن بعثت إلى معاوية تطلب قوله فقال لها في الجواب أنا أضنّ بيزيد[١].

سعد بن أبي وقاص :

وعن شعبة، عن أبي بكر بن حفص، قال: توفّي الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقّاص في أيّام متقاربة، وذلك بعد ما مضى من ولاية إمارة معاوية عشر سنين، وكانوا يروون أنّه سقاهما السّمّ[٢].

مالك الأشتر النخعي:

قال اليعقوبي: لمّا بلغ معاوية أنّ عليّا قد وجّه الأشتر عظم عليه، وعلم أنّ أهل اليمن أسرع إلى الأشتر منهم إلى كلّ أحد، فدسّ له سمّا، فلمّا صار إلى القلزم من الفسطاط على مرحلتين نزل منزل رجل من أهل المدينة يقال له (...)فخدمه وقام بحوائجه، ثمّ أتاه بقعب فيه عسل قد صيّر فيه السّمّ، فسقاه إيّاه فمات الأشتر بالقلزم، و بها قبره، وكان قتله وقتل محمّد بن أبي بكر في سنة ٣٨[٣]. وفي شرح نهج البلاغة: قال إبراهيم: وحدّثنا محمّد بن عبد الله بن عثمان، عن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدائني، أنّ معاوية أقبل يقول لأهل الشّام: أيّها النّاس، إنّ عليّا قد وجّه الأشتر إلى مصر، فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا يدعون عليه في دبر كلّ صلاة، وأقبل الذي سقاه السّمّ إلى معاوية فأخبره بهلاك الأشتر، فقام معاوية في النّاس خطيبا، فقال: أمّا

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، السّعديّ، ج١ ص١٧١.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ـ ج ١٦ ص ٤٩ .

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٩٤ .

بعد، فإنّه كان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان، فقطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر، وقد قطعت الأخرى اليوم ، وهو مالك الأشتر[١] .

١٢ـ الذين سقاهم الخلفاء السمّ على طريقة معاوية:

من سنّ سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. ولم يثبت أنّ أحد الخلفاء الأربعة سقى معارضيه وخصومه السمّ، وبذلك يكون معاوية أوّل من سنّ هذه السّنّة وجدّ فيها واجتهد وأحاط نفسه بجماعة من المتطبّبين من أهل الكتاب ذكرهم السعديّ في " عيون الأنباء في طبقات الأطباء ". وأنا مورد ههنا أسماء بعض أعيان الأمّة ممّن قضى بالسمّ على طريقة معاوية.

الإمام عليّ بن موسى الرضا(ع) [٢] :

قال ابن حبّان: مات عليّ بن موسى الرّضا بطوس من شربة سقاه إيّاها المأمون فمات من ساعته، وذلك في يوم السّبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين، وقبره بسناباذ خارج النّوقان مشهور يزار بجنب قبر الرّشيد، قد زرته مرارا كثيرة، وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر عليّ بن موسى الرّضا صلوات الله على جدّه وعليه ودعوت الله إزالتها عنّى إلا أستجيب لي وزالت عنّي تلك الشّدّة، وهذا شيء جرّبته مرارا فوجدته كذلك " [٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٦ ص ٧٦.

(٢) اقتصرت على ذكر الإمام الرضا عله السلام اختصاراً، وإلاّ فإنّ الإمام الكاظم والإمام الصّادق وقبلهما الباقر والسّجاد وأيضا الأئمّة من ذرّيّة الرّضا عليه السلام قضوا بالسّمّ على يد معاصريهم من الخلفاء العبّاسيين .

(٣) الثّقات ، ابن حبّان، ج٨ص٤٥٦ . و انظر مقاتل الطالبين ص ٣٧٨ .

الحسن بن الحسن المثنى:

وهو المعروف بالحسن المثنّى، دسّ إليه السّمّ سليمان بن الوليد بن عبد الملك فمات سنة ٩٧ هـ وعمره عند موته ثلاث وخمسون سنة [(١)].

زيد بن موسى بن جعفر:

أخذوه وحملوه إلى المأمون بمرو مقيّدا فسأل الرّضا(ع) في أمره فعفا عنه، ثمّ سقاه السّمّ وقتله. قبره بمرو [(٢)].

إدريس بن عبد الله الأصغر:

قال أبو نصر: وأبو عبد الله إدريس بن عبد الله الأصغر بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب(ع) ، هرب إلى بلد فاس و طنجة مع مولاه راشد. فاستدعاهم إلى الدّين فأجابوه وملّكوه. فاغتم الرّشيد لذلك حتى امتنع من النّوم، ودعا سليمان بن جرير الرقّيّ ـ متكلّم الزّيديّة ـ وأعطاه سمّا، فورد عليه متوسّما بالمذهب فسرّ به إدريس بن عبد الله. ثمّ طلب منه غرّة ووجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السّمّ وهرب [(٣)].

محمد بن محمد بن زيد الشهيد:

توفّي محمّد بن محمّد بن زيد الشّهيد بمرو، سقاه السّمّ المأمون في سنة اثنتين ومائتين وهو ابن عشرين سنة. (يقال) إنّه كان ينظر إلى كبده يخرج من حلقه قطعا

(١) سرّ السلسلة العلوية ، أبونصر البخاري ص٤ .
(٢) نفس المصدر، ص ٣٧.
(٣)نفس المصدر، ص ١٢.

يلقيه في طشت ويقلّبه بخلال في يده حتّى مات، لا عقب لمحمّد بن محمّد بن زيد[١].

أبو حنيفة النعمان (مؤسّس المذهب):

في تاريخ بغداد: جاء كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى أن احمل أبا حنيفة. قال: فغدوت إليه ووجهه كأنه مسح. قال: فحمله إلى بغداد فعاش خمسة عشر يوما ثمّ سقاه فمات، وذلك في سنة خمسين. ومات أبو حنيفة وله سبعون سنة[٢]. وقال ابن العماد الدّمشقيّ عند ذكر أحداث سنة خمسين ومائة: وقد روى أنّ المنصور سقاه السّمّ فمات شهيدا رحمه الله[٣]، سمّه لقيامه مع إبراهيم. قاله في العبر .

عبد الله بن محمد بن عليّ:

وكذلك كان مصير أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب. حبسه الوليد بن عبد الملك في شيء كان بينه وبين زيد بن الحسن وأراد قتله، فوفد عليه عليّ بن الحسين(ع) وسأله في إطلاقه فأطلقه. ثمّ قتله سليمان بن عبد الملك سقاه السّمّ فمات بالحميمة من أرض الشّام، لا عقب له[٤].

و تردّد ابن عساكر في من سمّ أبا هاشم بين الوليد وسليمان ،قال[٥]: فخرج[أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن عليّ]عن دمشق متوجّها إلى المدينة فدسّ إليه الوليد إنسانا يبيع اللّبن وفيه السّمّ. وكان عبد الله يحبّ اللّبن ويشتهيه؛ فلمّا سمعه ينادي على

---

(١) نفس المصدر، ص٦٧. وبهامش الصفحة ٧٩ منه: "ومحمّد الأمير الجليل الشّهيد ، سقاه المعتصم السّمّ فمات".
(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١٣ ص ٣٣١.
(٣) شذرات الذّهب، ابن العماد الدّمشقيّ ، ج١ص٢٢٨ .
(٤) سرّ السلسلة العلويّة ، أبو نصر البخاريّ، ص٨٥ .
(٥) ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ج ١٩ص ٣٧٦ .

اللّبن تاقت إليه نفسه فاشترى له منه فشربه فأوجعه بطنه واشتدّ به الأمر فأمر أصحابه فغدوا به إلى الحميمة، و بها محمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس، فنزل عليه فمرّضه وأحسن إليه. فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى محمّد بن عليّ ببيته وعلمه وأسبابه كلّها، وأمر شيعته الكيسانيّة بالائتمام به فدفن؛ وقد روي أن الذي سمّ أبا هاشم سليمان بن عبد الملك .

يزيد بن الوليد :

قال اليعقوبي: وكان في بيت مال الوليد يوم قتل سبعة وأربعون ألف ألف دينار، ففرّقها يزيد عن آخرها، وكان قدريّا، وتوفي لانسلاخ ذي القعدة، وصلّى عليه إبراهيم بن الوليد، ودفن بدمشق، وقيل إنّ أخاه إبراهيم سقاه السّمّ[١].

مروان بن الحكم :

ذكر أبو حنيفة الدينوريّ في الأخبار الطّوال(ص ٢٨٥) أنّ مروان نظر يوما إلى خالد بن يزيد بن معاوية، وهو غلام من أبناء سبع سنين، يمشي مشية أنكرها، فقال له: ما هذه المشية يا ابن الرّطبة؟ فشكا الغلام ذلك إلى أمّه، فقالت له: إنّه لا يقول بعد هذا. فسقته السّمّ، فلمّا أحسّ بالموت جمع بني أميّة وأشراف أهل الشّام، فبايع لابنه عبد الملك.

يحي بن عبد الله بن الحسن:

وفي تاريخ بغداد: فقال[أي هارون الرّشيد] ألا ترون إلى هذا الرّجل أكلّمه فلا يكلّمني؟ فلمّا أكثرنا عليه أخرج لسانه كأنّه كرفسة[٢] ووضع يده عليه أي إنّي لا

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٣٣٦ .

(٢) الكرفسة واحدة الكرفس قال ابن منطور في لسان العرب ج٦ص١٩٦ : الكرفس بقلة من أحرار البقول معروف قيل هو دخيل.

اقدر أتكلّم قال فجعل هارون يتغيّظ ويقول: إنّه[1] أنا سقيته السّمّ، والله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه، قال: وقال عليّ أيمان البيعة إن كنت سقيته ولا أمرت أن يسقى. قال: فالتفتّ حين بلغت السّتر وإذا بيحي قد سقط على وجهه لا حركة به[2].

عمر بن عبد العزيز:

قال ابن عساكر : أخبرنا أبوعليّ الحدّاد [..] ابن مشكان عن مجاهد قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: يا مجاهد ما يقول النّاس فيّ ؟ قلت: يقولون مسحور. قال: ما أنا بمسحور؛ ثمّ دعا غلاما له فقال له: ويحك ما حملك على أن تسقيني السّمّ؟ قال ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق. قال: هاتها، فجاء بها فألقاها في بيت المال وقال: اذهب حيث لا يراك أحد[3] .وقال أيضا: [..]أبو زيد الدّمشقي قال: لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر إليه قال: أرى الرّجل قد سقي السّمّ ولا آمن عليه الموت. فرفع عمر بصره فقال: ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السّمّ. قال الطّبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قد عرفت حين وقع في بطني. قال: فتعالج يا أمير المؤمنين، فإني أخاف أن تذهب نفسك. قال: ربّي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته. اللهمّ خر لعمر في لقائك. قال فلم يلبث إلا أيّاما حتّى مات (ره) [4] .

---

(١) الصّواب " إنّه يريكم أني سقيته السّمّ " كما في مقاتل الطالبيين ص٣٢١.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ١٤ ص ١١٦ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٥ص ٢٥٠ .

(٤) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر، ج ٦٦ص ٢٥٦ .

قال الذّهبيّ بعد أن أورد خبر سمّ عمر بن عبد العزيز: " قلت:كانت بنو أميّة قد تبرّمت بعمر، لكونه شدّد عليهم، وانتزع كثيرا ممّا في أيديهم ممّا قد غصبوه، وكان قد أهمل التحرّز، فسقوه السّمّ "[1] .

محمد بن عبد الله العباسي :

في تاريخ دمشق: كان الخصيب يظهر النّصرانية وهو زنديق معطّل لا يبالي من قتل، فأرسل المنصور رسولا يأمره أن يتوخّى قتل محمّد بن عبد الله أبي العبّاس. فاتّخذ سمّا قاتلا ثمّ انتظر علّة تحدث بمحمّد فوجد حرارة فقال له الخصيب: خذ شربة دواء. فقال: هيّئها لي. فهيّأها له، ثمّ جعل فيها ذلك السّمّ، ثمّ سقاه إيّاه فمات منها. فكتبت أمّ محمّد بن أبي العبّاس إلى أبي جعفر المنصور تخبره أنّ الخصيب قتل ابنها، فكتب المنصور يأمر بحمله إليه. فلمّا صار إليه ضربه ثلاثين سوطا ضربا خفيفا وحبسه أيّاما، ثمّ وهب له ثلاثمائة درهم وخلاّه[2]!

نعم، هكذا يتصرّف الخليفة المسئول عن الدّماء والأموال والأعراض، يقتل ابن أخيه بواسطة زنديق معطّل، ثمّ يظهر عقوبة الزّنديق استخفافا بمشاعر أمّ المقتول، وإذا تتبّعت أقوال المؤرّخين في وصف المنصور فإنّك ستجد المديح يكال بلا حساب، وفي قلب بغداد تمثال لهذا الرّجل الذي بنى مدينة بغداد؛ لكنك ستجدهم يعتّمون على ما فعله بذرية رسول الله(ص) إذ كان يدفنهم أحياء في الأساطين التي تبنى عليها قصوره وقصور حاشيته، ومن تدبّر سيرته مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن تبيّن له أنّ المنصور كان جبّارا راسخا في الخبث حتى النّخاع. ويكفيك

---

(١) تاريخ الإسلام ، الذهبي، ج٧ص٢٠٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر، ج ٥٣ ص ٤١٠ .

أنّه يستعين بزنديق لقتل ابن أخيه بكل برودة دم، غير مبال بما في ذلك من قطيعة رحم، والقرآن الكريم يقول:(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله وأصمّهم وأعمى أبصارهم)!

الخليفة العباسي المنتصر بالله :

قال السّيوطيّ في ترجمة المنتصر[1]: ولما ولي صار يسبّ الأتراك، ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء، فعملوا عليه وهمّوا به فعجزوا عنه لأنّه كان مهيبا شجاعا فطنا متحرّزا؛ فتحيّلوا إلى أن دسّوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه فأشار بفصده ثمّ فصده بريشة مسمومة فمات. ويقال إنّ ابن طيفور نسي ذلك ومرض، فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضا. وقيل بل سمّ في كمّثراة وقيل مات بالخوانيق.

ثابت بن نصر الخزاعي (من عمّال هارون الرشيد):

قال اليعقوبي: ووجّه المأمون بنصر بن حمزة ابن مالك الخزاعيّ إلى الثغور، وقد ولّى الرشيد إيّاها ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي وخيف معصيته، فتسلّمها منه نصر بن حمزة، وتولّى الثغور، ولم يلبث ثابت بن نصر إلاّ أقلّ من جمعة حتّى مات، فقيل إنّ نصر بن حمزة بن مالك سقاه السّمّ[2].

(١) تاريخ الخلفاء، السّيوطيّ، ج١ص٣٥٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ص ٤٥٥ .

الخليفة العباسي الراشد :

قال ابن الجوزي: في سبب موت الرّاشد ثلاثة أقوال، أحدها: أنّه سقي السّمّ ثلاث مرّات، والثّاني أنه قتله قوم من الفرّاشين الذين كانوا في خدمته، والثّالث: أنه قتله الباطنيّة، وقتلوا بعده[١].

ابن الرّومي (الشاعر):

قال ابن كثير في ترجمة ابن الرّومي: (سنة ست وسبعين ومائتين) وذكر أنّ سبب وفاته أنّ وزير المعتضد القاسم بن عبيد الله كان يخاف من هجوه ولسانه، فدسّ عليه من أطعمه وهو بحضرته خشكنانجة مسمومة، فلمّا أحسّ بالسّمّ قام، فقال له الوزير: إلى أين؟ قال: إلى المكان الذي بعثتني إليه. قال: سلّم على والدي: فقال: لست أجتاز على النّار[٢].

الملك القاهر بهاء الدين الأيوبي :

قال ابن كثير: ثّم لمّا كان يوم السّبت خامس عشر المحرّم، توفي الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، عن أربع وستين سنة، وكان رجلا جيّدا، سليم الصّدر، كريم الأخلاق، ليّن الكلمة، كثير التّواضع، يعاني ملابس العرب ومراكبهم، وكان معظّما في الدّولة شجاعا مقداما. وقد روى عن ابن الليثي وأجاز للبرزاليّ. قال البرزاليّ: ويقال إنّه سمّ، وذكر غيره أنّ

---

(١) المنتظم ، ابن الجوزي، ج ١٠ص ٧٦ .

(٢) البداية والنّهاية، ابن كثير، ج ١١ ص ٨٦ .

السلطان الملك الظّاهر سمّه في كأس خمر ناوله إيّاه فشربه وقام السّلطان إلى المرتفق ثمّ عاد وأخذ السّاقي الكأس من يد القاهر فملأه وناوله السّلطان الظّاهر والسّاقي لا يشعر بشئ ممّا جرى، وأنسى الله السّلطان ذلك الكأس، أو ظنّ أنّه غيره لأمر يريده الله ويقضيه، وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السّمّ، فشرب الظّاهر ما في الكأس، ولم يشعر حتّى شربه. فاشتكى بطنه من ساعته، ووجد الوهج والحرّ والكرب الشّديد من فوره؛ وأمّا القاهر فإنّه حمل إلى منزله وهو مغلوب فمات من ليلته[1].

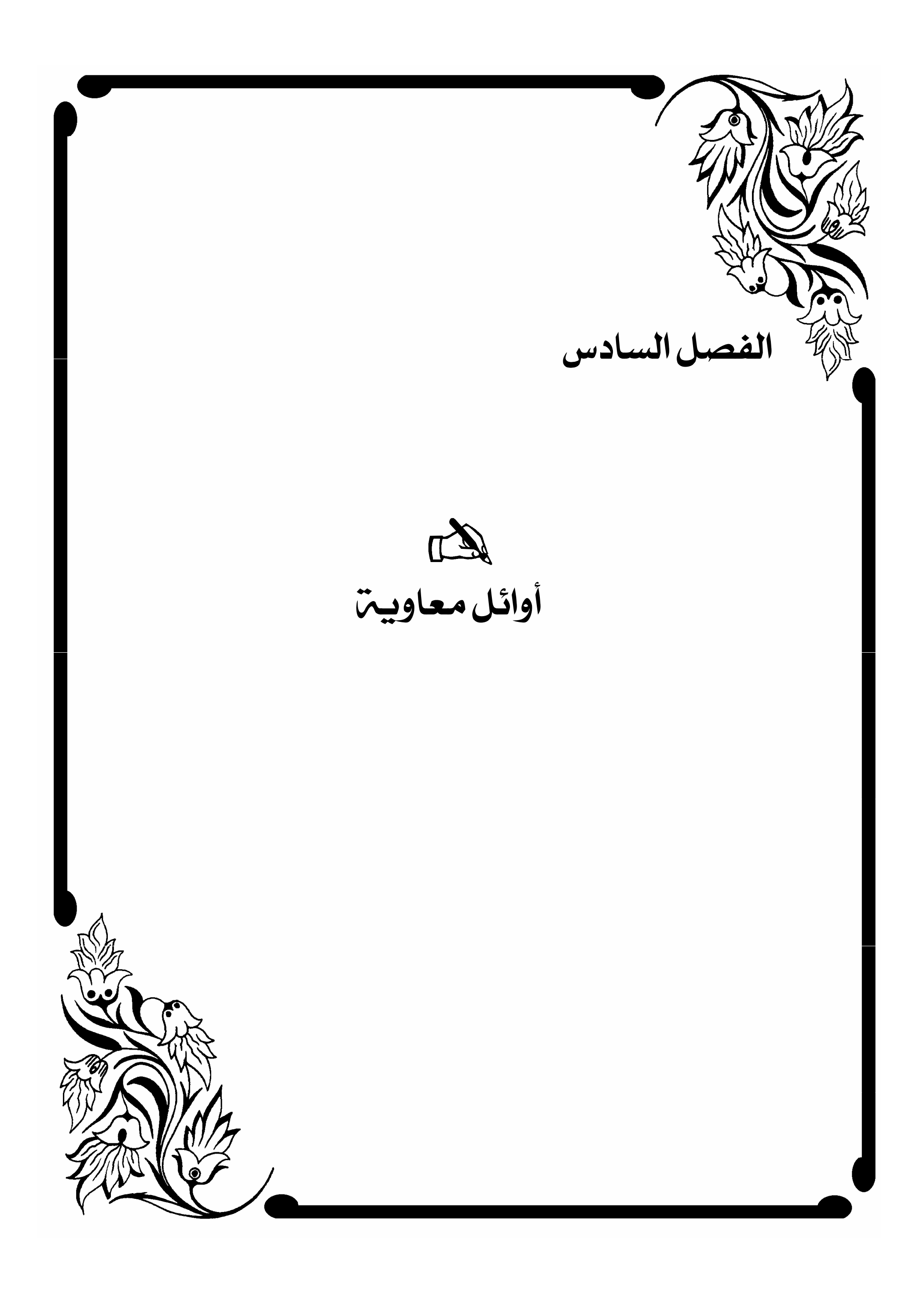
والقائمة طويلة، وإنّما أوردت ما سبق من أسماء الأعيان ليعلم أنّ الاغتيال بالسّمّ صار سنّة جارية معمولا بها في أوساط الحكم على وجه الخصوص، وأنّ الخلفاء والوزراء والقضاة ـ المسئولين عن حفظ دماء النّاس وأموالهم وأعراضهم ـ لم يكونوا يتورّعون عن إتلاف النّفوس عمدا بالسّمّ إذا اقتضت مصلحتهم ذلك، ولا يبالون أن يكون الضّحايا من ذرّيّة النبي(ص) أو كبار الفقهاء كأبي حنيفة النّعمان. ومع كلّ ما سبق من أعمال معاوية المنافية للإسلام ، واستخفافه بحديث النّبي(ص) ، لا يتورع أقوام أن يستدلّوا بعمله في الأحكام الشّرعيّة؛ يقول محمّد بن الحسن الشيباني في معرض بعض استدلالاته : وعلى هذا لو أراد الإمام أن يجهّز جيشا فإن كان في بيت المال سعة فينبغي له أن يجهّزهم بمال بيت المال ولا يأخذ من الناس شيئا، وإن لم يكن في بيت المال سعة كان له أن يتحكّم على النّاس بما يتقوّى به الذين يخرجون إلى الجهاد. لأنه نصب ناظرا لهم، وتمام النظر في ذلك على ما روي أنّ معاوية رضي الله عنه ضرب بعثا على أهل الكوفة، فرفع عن جرير بن عبد الله وعن ولده فقالا: لا

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ، ج ١٣ص ٣٢١ .

نقبل ذلك ولكن نجعل من أموالنا للغازي [1].

لكن إذا عُلم أنّ الشّيبانيّ يسمّي المغيرة بن شعبة أحد أئمّة المسلمين، فلا عجب. والشّيبانيّ هو أحد صاحبي أبي حنيفة وكان مقرّبا من الدّولة.

(١) كتاب السّير الكبير، محمّد بن الحسن الشيباني، ج١ص١٣٩.



الفصل السادس

أوائل معاوية

أوائل معاوية

أدخل معاوية في الإسلام أمورا ليست منه في شيء، أملاها عله مزاجه إذ لا دليل علها من الشريعة، يذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

قال السّيوطي: وأوّل من استخلف وليّ العهد في حياته معاوية، وهو أول من أتّخذ الخصيان لخدمته[1]. وفي الموطّإ: عن ابن شهاب، أنّه قال: أوّل من أخذ من الأعطية الزّكاة معاوية بن أبي سفيان. قال مالك: السّنّة التي لا اختلاف فيها عندنا، أنّ الزكاة تجب في عشرين دينارا عينا. كما تجب في مائتي درهم[2]. وهو في المدوّنة الكبرى بنفس اللفظ[3].

وفي الموطإ أيضا: حدّثني عن مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، أنّ الناس كانوا، إذا رموا الجمار، مشوا ذاهبين وراجعين . وأوّل من ركب، معاوية بن أبي سفيان[4].

وقال الشّوكانيّ في نيل الأوطار: أخرج ابن أبي شيبة عن طاووس قال: خطب رسول الله(ص) قائما وأبو بكر، و عمر، وعثمان، وأوّل من جلس على المنبر معاوية[5].

---

(١) تاريخ الخلفاء ، السّيوطي، ج١ص٢٣ .

(٢) الموطأ، الإمام مالك ، ج ١ص ٢٤٦ .

(٣) المدونة الكبرى، الإمام مالك، ج ١ص ٢٧٢: قال ابن القاسم حدثني مالك عن ابن شهاب أنه قال أوّل من أخذ من الأعطية الزكاة معاوية بن أبى سفيان.

(٤) موطأ مالك ، ج ١ص ٤٠٧ .

(٥) نيل الأوطار، الشّوكانيّ ، ج ٣ص ٣٣٠.

قال الشوكاني: وروى الطّبريّ عن أبي هريرة أنّ أوّل من ترك التّكبير معاوية، وروى أبو عبيد أنّ أوّل من تركه زياد. وهذه الرّوايات غير متنافية، لأنّ زيادا تركه بترك معاوية، وكان معاوية تركه بترك عثمان، وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء، وحكى الطّحاويّ أنّ بني أميّة كانوا يتركون التّكبير في الخفض دون الرّفع، و ما هذه بأوّل سنّة تركوها. قال الشّوكانيّ: وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد قال: أوّل من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان. وقيل: أوّل من فعل ذلك معاوية، حكاه القاضي عياض وأخرجه الشافعيّ عن ابن عبّاس بلفظ حتّى قدم معاوية فقدّم الخطبة. ورواه عبد الرّزاق عن الزّهريّ بلفظ: أوّل من أحدث الخطبة قبل الصّلاة في العيد معاوية. وقيل: أوّل من فعل ذلك زياد بالبصرة في خلافة معاوية، حكاه القاضي عياض أيضا. وروى ابن المنذر عن ابن سيرين أنّ أوّل من فعل ذلك زياد بالبصرة قال: ولا مخالفة بين هذين الأثرين وأثر مروان، لأنّ كلاّ من مروان وزياد كان عاملا لمعاوية، فيحمل على أنّه ابتدأ ذلك وتبعه عمّاله. قال العراقيّ: الصّواب أنّ أوّل من فعله مروان بالمدينة في خلافة معاوية، كما ثبت ذلك في الصّحيحين عن أبي سعيد الخدريّ. قال: ولم يصحّ فعله عن أحد من الصّحابة، لا عمر ولا عثمان ولا معاوية ولا ابن الزّبير[1].

(١) نيل الأوطار، ج٢ص٢٦٦.

قال الشّوكانيّ: وروى ابن أبي شيبة في المصنّف بإسناد صحيح عن ابن المسيّب قال: أوّل من أحدث الأذان في العيد معاوية، وقد زعم ابن العربي أنّه رواه عن معاوية من لا يوثق به[١].

وفي كتاب التمهيد: واختلف في أوّل من فعل ذلك منهم فذكر ابن أبي شيبة قال حدّثنا وكيع قال حدّثنا هشام الدّستوائيّ عن قتادة عن سعيد بن المسيّب قال: أوّل من أحدث الأذان في العيدين معاوية. قال وحدّثنا وكيع قال حدّثنا أبي عن عاصم بن سليمان عن أبي قلابة قال: أوّل من أحدث للعيد الأذان في العيدين ابن الزّبير . قال وحدّثنا عبد الله بن إدريس عن حصين قال أوّل من أخرج المنبر في العيدين بشر بن مروان وأوّل من أذّن في العيدين زياد. قال وحدّثنا حسين عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال: أوّل من اتّخذ العودين وخطب جالسا وأذّن في العيدين قدّامه زياد. قال وحدّثنا إسحاق بن منصور قال حدّثنا أبو كدينة عن أبي إسحاق عن يحيى بن وثاب قال: أوّل من جلس على المنبر في العيدين وأذّن فيهما زياد الذي يقال له ابن أبي سفيان[٢]. قلت: هذه العبارة تدلّ على ورع يحي بن وثاب واحتياطه لدينه، فإنّه قال الذي " يقال له ابن أبي سفيان "وهو بهذا لا يقرّ بادّعاء زياد المنافي للقرآن الكريم. قال الشّوكانيّ: وللبخاريّ : وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين. وعن أبي سعيد قال: كنّا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام، أو صاعا من شعير، أو صاعا من تمر، أو صاعا من أقط، أو صاعا من زبيب. أخرجاه، وفي رواية: كنّا نخرج زكاة الفطر إذ

---

(٢) نيل الأوطار ، الشوكاني، ج٣ ص ٣٦٤ .

(٢) التمهيد ، ابن عبد البر ، ج١٠ص٢٤٢و٢٤٣.

كان فينا رسول الله(ص) صاعا من طعام، أو صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، أو صاعا من زبيب، أو صاعا من أقط، فلم نزل كذلك حتّى قدم علينا معاوية المدينة فقال: "إنّي لأرى مدّين من سمراء الشّام يعدل صاعا من تمر فأخذ النّاس بذلك". قال أبو سعيد: فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه؛ رواه الجماعة لكنّ البخاريّ لم يذكر فيه: قال أبو سعيد فلا أزال الخ. وابن ماجه لم يذكر لفظة "أو فشيء منه"[1].

وابن حزم في الإحكام يذكر القصّة كما يلي: حدّثنا أحمد بن عمر[. .] حكيم بن حزام، عن عياض بن سعد قال: ذكرت لأبي سعيد الخدريّ صدقة الفطر فقال: لا أخرج إلاّ ما كنت أخرج في عهد النّبيّ(ص) : صاعا من تمر، أو صاعا من شعير، أو صاع زبيب، أو صاع أقط، فقلت له: أو مدّين من قمح؟ قال: لا، تلك قيمة معاوية لا أقبلها، ولا أعمل بها[2].

فالذي يفهم من قول أبي سعيد الخدريّ "لا أقبلها " أنّه لا يعتبرها من الإسلام، وقوله " لا أعمل بها " يفهم منه أنّ العمل بها غير مبرئ للذّمّة، وإن كان ذلك لا يحتاج إلى دليل باعتبار أنّ معاوية يخالف النبيّ(ص) في المسألة، ويقدّم رأيه على قول وفعل و تقرير النبيّ(ص) .

قال ابن أبي عاصم: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدّثنا جرير عن مغيرة عن الشّعبيّ قال أوّل من خطب جالسا معاوية حين كثر شحمه وعظم بطنه. قال أبو بكر بن عمرو:

(١) نيل الأوطار، ج٤ص ٢٤٩.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ج ٧ص ٩٩٥.

ولم يرد الخلاف لأنّه كانت به علّة فلم يستطع أن يقوم، ليس كما ظنّوا [(١)]. أقول: ينبغي البحث والتّحقيق في قوله ″ ليس كما ظنّوا ″ ؟!

قال ابن أبي عاصم في الحديث الذي يليه: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة أخبرنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق أوّل من خطب جالسا معاوية رضي الله تعالى عنه ثمّ اعتذر إلى النّاس فقال إنّي اشتكي قدمي.

وأقول: إذا كان معاوية يشتكي قدمه إلى درجة ألاّ يستطيع القيام فلمَ لم يُنب غيره؟! [ولعلّ من الفقهاء من يرى ذلك الوجع الشديد من المرض المعفي من حضور الجمعة]!

قال ابن أبي عاصم: حدّثنا وهبان [. .]عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال بعث معاوية رضي الله تعالى عنه إلى مروان بن الحكم بالمدينة ليبايع لابنه يزيد فقال رجل من أهل الشّام: ما يحبسك؟ قال : حتّى يجيء سعيد بن زيد فيبايع فإنّه أنبل أهل البلد وإنّه إذا بايع بايع النّاس[(٢)].

وهذه أيضا من أوائل معاوية، لم يسبقه إليها أحد، إذ لم يبايع أحد لمن بعده قبل معاوية باتّفاق؛ وهذه البيعة هي التي جرّت على المسلمين الويلات، فكان قتل أهل بيت النّبيّ(ص) بتلك الطريقة، وكانت وقعة الحرّة، وكان ضرب الكعبة بالمنجنيق، وكان ما كان؛ ومعاوية أعلم النّاس بابنه. ثمّ إنّ مروان يقول عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ″إنّه أنبل أهل البلد ″، وهذا غير مقبول، فإنّ في نسبه أمرا فظيعا تشمئزّ منه النّفوس، أعتذر للقارئ عن الاكتفاء بالإشارة إلى مصادره، فقد ذكره ابن قتيبة

(١) الآحاد والمثاني ، ابن أبي عاصم ، ج ١ص ٣٨٠.

(٢) الآحاد والمثاني، ج ١ ص ١٧٨ .

في المعارف، وابن الكلبيّ في المثالب، والبلاذري في الأنساب. وكيف يسمح صاحب دين لنفسه أن يقول عن سعيد بن زيد" أنبل أهل البلد " في حضور الحسين بن عليّ(ع) سيّد شباب أهل الجنّة؟!

وهناك أمر تفرّد به معاوية من بين النّاس حتى صار يضرب به المثل، إذ يمكن أن يقال بحقّ إنّ معاوية هو الملك الذي يحلم بشبعة واحدة، ومن الشّقاء أن يعيش المرء في قمّة التّرف ولا ينال شبعة واحدة. وقد بلغ به الأمر أنّه كان ينظر إلى الحاضرين وهم يأكلون، ويدقّق النّظر في طريقة أكلهم، يغبطهم على ذلك. قال ابن منظور[(١)]: وفي الخبر أنّ معاوية رأى رجلا يجيد الأكل فقال إنّه لمخضد! الخضد شدّة الأكل و مخضد مفعل منه، كأنّه آلة للأكل.

قال ابن عدي: حدّثنا أحمد بن عبد الله [. .] عن أبى سلمة، عن أبى هريرة أنّ الدّية كانت على عهد النّبيّ(ص) وأبي بكر و عمر وعثمان وعليّ دية المسلم واليهوديّ والنصرانيّ سواء، فلما استخلف معاوية صيّر دية اليهوديّ والنّصرانيّ على النّصف، فلمّا استخلف عمر بن عبد العزيز ردّه إلى القضاء الأوّل[(٢)].

قلتُ:إن صحّ هذا فإنّ معاوية يكون قد خالف النّبيّ(ص) والخلفاء الأربعة. فكيف يكون رأسّ أهل السّنّة والجماعة؟!

وفي تفسير القرطبيّ: السّابعة عشرة، قال مالك رحمه الله وكان الخلفاء يقضون بأنفسهم، وأوّل من استقضى معاوية[(٣)].

---

(١) لسان العرب، ج٣ص١٦٣ .
(٢) ميزان الاعتدال، ج ١ ص ٣٠٤.
(٣) تفسير القرطبيّ، ج١٥ ص ١٨٠ .

وقال الجصّاص: قال الزّهريّ و هو من أفقه أهل المدينة في عصره: القضاء بالشّاهد واليمين بدعة، وإنّ أوّل من قضى به معاوية[(١)].

وقال اليعقوبي: توفي عمرو [بن العاص] ليلة الفطر سنة ٤٣ فأقرّ معاوية ابنه عبد الله بن عمرو، ثمّ استصفى مال عمرو، فكان أوّل من استصفى مال عاملٍ. ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلاّ شاطر ورثته ماله، فكان يكلّم في ذلك فيقول: هذه سنّة سنّها عمر بن الخطّاب[(٢)].

وقال ابن خلدون في تاريخه[(٣)]: فأما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتّخذ سياجا على المحراب فيحوزه وما يليه، فأوّل من اتّخذها معاوية بن أبي سفيان حين طعنه الخارجيّ، والقصّة معروفة؛ وقيل أوّل من اتّخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليمانيّ، ثمّ اتّخذها الخلفاء من بعدهما، وصارت سنّة في تمييز السّلطان عن النّاس في الصلاة.

---

(١) كتاب الفصول في الأصول، الجصاص، ج ١ص ١٩٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٢٢١.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج١ ص ٢٦٩.



الفصل السابع

أقوال في معاوية

- أحاديث النبي(ص) في معاوية
- أقوال علي عليه السلام في معاوية
- أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم



١ـ أحاديث النبي(ص) في معاوية:

وهي أفضل ما يبدأ به في هذا الباب، فإنّ قوله(ص) يأتي بعد القرآن، فهو أصدق ما قال مخلوق وأشرفه. وقد ثبتت عنه أحاديث في حقّ معاوية أشهرها " لا أشبع الله بطنه ". ومن تتبّع الأحاديث الواردة في ذمّ معاوية وطالع سيرة الرّجل لم يشكّ في صحّة ذلك وانسجامه مع أفعال أوّل ملوك بني أميّة؛ لكنّ المؤرّخين والمحدّثين من أولي النّزعة الأمويّة لم يرق لهم ذلك ولم تقبله نفوسهم، فراحوا يضربون من كلّ جهة لعلهم يضعفون تلك الأحاديث، ويقدحون في من بلّغها إلى المسلمين. ولا أدري ما الذي يحمل رجلا قضى قسما من عمره في طلب العلم، وعرف مصير المدافعين عن الباطل، وقرأ مرّات ومرّات قوله تعالى (**ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا**) ـ لا أدري ـ ما الذي يدفعه إلى الدّفاع عن شخص مثل معاوية ليس للنّبيّ(ص) عنده حرمة! وهؤلاء الذين يدافعون عن معاوية هم أنفسهم يتوقّفون ويتردّدون حين يتعلّق الأمر بعليّ بن أبي طالب(ع). فإذا وجدوا من ربأ بنفسه عن متابعة معاوية في باطله، انهالوا عليه قدحا وطعنا وسلبوه حتّى التّكريم الذي آتاه الله تعالى كلّ بني آدم[1]؛ وأمّا حينما يتعلّق الأمر بشخص يصرّح ببغض عليّ(ع) ،فتراهم يلتمسون له المعاذير، ويوجّهون ويؤوّلون ولو اقتضى الأمر تكذيب النّبيّ(ص)، كما هو شأنهم في نسبة الاجتهاد إلى عبد الرحمن بن ملجم الذي سمّاه النّبيّ(ص) بصريح العبارة "أشقاها ". ولا يفوتني في هذا المقام إلاّ أن أكبر وأجلّ وأحيّي أولئك الذين وفوا للنّبيّ(ص) فدافعوا عن أحبّائه

---

(١) إشارة إلى الآية (٧٠) من سورة الإسراء: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً.

وتبرّأوا من أعدائه. وقد عقدت فصلا خاصّا بالمدافعين عن معاوية طيّ هذا الكتاب يأتي لاحقا إن شاء الله تعالى.

قال البلاذري: حدّثني إسحاق [..] عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت عند رسول الله(ص) فقال يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت على غير ملّتي، وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء، فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء؛ قال: فطلع معاوية فقال النبي(ص) هو هذا [1].

قال الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماريّ بخصوص هذا الحديث: " وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، وهو يرفع كل غمّة عن المؤمن المتحيّر في شأن هذا الطاغية قبّحه الله، ويقضي على كل ما يموّه به المموّهون في حقه "[2].

وقال ابن عقيل الشافعيّ: أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو يعلى كلاهما عن أبي برزة رضي الله عنه قال كنّا مع النّبيّ(ص) فسمع صوت غناء فقال انظروا ما هذا؟ فصعدت فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنّيان، فجئت فأخبرت النّبيّ(ص) فقال: اللهمّ اركسهما في الفتنة ركسا. اللهمّ دعّهما في النّار دعّا. وأخرجه الطبرانيّ في الكبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما بمثل هذا. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثنا أبي حدّثنا عبد الله بن محمّد وسمعته أنا من عبد الله بن محمّد بن شيبة حدّثنا محمّد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال أخبرني رب هذا الدّار أبو هلال قال سمعت أبا برزة رضي الله عنه قال كنّا مع رسول الله(ص) في سفر فسمع رجلين يتغنّيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول لا يزال حواري تلوح

---

(١) أنساب الأشراف (الكبير) ج٥ ص١٣٤ دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع ١٩٩٦ تحقيق سهيل زكار والدكتور رياض زركلي.

(٢) جؤنة العطار (مخطوط) ـ أحمد بن الصديق الغماري ـ ج٢ص١٥٤.

عظامه ... فقال النّبيّ(ص) من هما؟ قال فقالوا: فلان وفلان [!] قال فقال النّبيّ(ص) اللهمّ اركسهما ركسا ودعّهما إلى النّار دعّا أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي يعلى حدّثنا علي بن المنذر. حدّثنا ابن فضيل حدّثنا يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن ابن أبي برزة رضي الله عنه قال كنّا مع النّبيّ(ص) فسمع غناء فقال: انظروا ما هذا؟ فصعدت فنظرت، فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنّيان. فجئت فأخبرت النّبيّ(ص)، فقال: اللهم اركسهما في الفتنة ركسا اللهمّ دعّهما إلى النّار دعّا. قال ابن الجوزيّ لا يصحّ يزيد بن أبي زياد كان يلقّن بآخره فيتلقّن. قلت[1]: يزيد بن أبي زياد احتجّ به الأربعة، وروى له مسلم مقرونا، وقد مرّ عن الحافظ العسقلانيّ أنّه قال يزيد وإن ضعّفه بعضهم من قبل حفظه فلا يلزم أنّ كلّ ما يحدّث به موضوع . قال الجلال السّيوطيّ: ما قاله ابن الجوزيّ لا يقتضي الوضع، قال: وله شاهد من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما رواه الطّبرانيّ في الكبير، حدّثنا أحمد بن عليّ ابن الجار ود الأصبهانيّ، حدّثنا عبد الله بن عباد عن سعيد ، حدّثنا عيسى بن الأسود النّخعيّ، عن ليث، عن طاووس، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: سمع النّبيّ(ص) رجلين وساق نحو سياق أحمد، وسمّى الرجلين معاوية وعمرو بن العاص. ورواه ابن قانع في معجمه: حدّثنا محمّد بن كامل، حدّثنا عبد الله بن عمر، حدّثنا سعيد أبو العبّاس التّيميّ، حدّثنا سيف بن عمر، حدّثني أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن صالح شقران رضي الله عنه قال: بينما نحن ليلة في سفر إذ سمع النّبيّ(ص) صوتا، فذكر الحديث وسمّى الرّجلين معاوية بن رافع وعمرو بن رفاعة، وقال في آخر الحديث فمات عمرو بن رفاعة قبل أن يقدم

(١) القائل هو محمد بن عقيل الشافعيّ.

النّبيّ(ص) من السّفر. قال الجلال: هذه الرواية أزالت الإشكال وبيّنت أنّ الوهم وقع في الحديث في لفظه واحدة، وهي قوله ابن العاص، وإنّما هو ابن رفاعة أحد المنافقين؛ وكذلك معاوية بن رافع أحد المنافقين[1].

أقول: هذا الحديث موجود في كثير من مصادر الجمهور، ولكن تركه على حاله لا يناسب معتقد العامّة في عدالة جميع الصّحابة، ودفاعهم بصورة خاصّة عن معاوية، لذلك امتدّت يد التّحريف كالعادة، وراحت تارة تخفي الأسماء وتعبّر عنها بـ"رجلين"، وتارة تعبّر بـ" فلان وفلان "، وتارة تأتي باسمين مشابهين من أجل التّعتيم

.وراحت إلى العطّار تبغي جمالها* وهل يصلح العطّار ما أفسد الدّهر!

وهذه قائمة المصادر التي ورد فيها الحديث:

- مصنف ابن أبي شيبة[2] ج٧ص٥٢٦ بدل معاوية وعمرو (فلان وفلان).
- مجمع الزوائد٨ص١٢١ [3]بدل معاوية وعمرو (فلان وفلان) .
- أحمد في مسنده [4]: ج٤ص٤٢١ بدل معاوية وعمرو(فلان وفلان).
- مسند البزار[5]ج٩ص٣٠٣ بدل معاوية وعمرو (رجلين).
- مسند البزار ج٩ص٣١٠ بدل معاوية وعمرو (رجلين) .
- المعجم الأوسط[1]ج٧ص١٣٣ بدل معاوية وعمرو(رجلا يطارح رجلا)

---

(١) النصائح الكافية لمحمّد بن عقيل ص ١٢٥، والحديث أحرجه أحمد في مسنده ج٤ص٤٢١ مؤسسة قرطبة وأبو يعلى ج١٣ص٤٣٠ دار المأمون للتراث دمشق، ١٤٠٤هـ

(٢) مكتبة الرشد الرياض، ١٤٠٩ .

(٣) دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ .

(٤) مؤسسة قرطبة مصر.

(٥) مؤسسة علوم القرآن، بيروت،١٤٠٩.

ـ مسند أبي يعلى[٢] ج١٣ ص ٤٣٠ بدل معاوية وعمرو(فلان وفلان) .

ـ المعجم الكبير[٣] ج١١ص٣٨ معاوية وعمرو بن العاص .

ـ سير أعلام النبلاء[٤] ج٣ص١٣٢ معاوية وعمرو بن العاص .

ـ سير أعلام النبلاء ج٦ص١٣١ معاوية وعمرو بن العاص .

ـ ميزان الاعتدال[٥] ج٧ص٢٤١ معاوية وعمرو .

ـ الكامل(العقيلي)[٦] ج٤ص٤ معاوية بن التابوت ورفاعة بن عمرو بن التابوت.

ـ كتاب المجروحين[٧] (ابن حبان) ج٣ص١٠١ معاوية وعمرو .

ـ معجم الصحابة[٨] ج٢ص٢٣ معاوية بن التّابوت ورفاعة بن عمرو بن التابوت.

ـ نقد المنقول[٩] (ابن قيم الجوزية)ج١ص١٠٩ وفيه يقول ابن القيم:

وحديث نظر النّبيّ(ص) إلى معاوية وعمرو بن العاص فقال اركسهما في الفتنة ركسا ودعّهما إ إلى النّار دعّا كذب مختلق.

ـ المنار المنيف[١٠] (ابن قيم الجوزية) ج١ص١١٨.وهنا أيضا يقول :

---

(١) دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ .

(٢) دار المأمون، دمشق، ١٤٠٤ .

(٣) مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤ .

(٤) دار الرسالة، بيروت،١٤١٢.

(٥) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.

(٦) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩.

(٧) دار الوعي، حلب.

(٨) مكتبة الغرباء، المدينة،١٤١٢ .

(٩) دار القادري، بيروت، ١٤١١ .

(١٠) مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب، ١٤٠٢ .

وحديث نظر النّبيّ(ص) إلى معاوية وعمرو بن العاص فقال اللهم اركسهما في الفتنة ركسا ودعهما إلى النار دعّا كذب مختلق.

ـ القول المسدد[1] (ابن حجر العسقلاني)ج١ص٦٠.

وفي موطإ مالك:. ..عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، عن فاطمة بنت قيس، أنّ أبا عمرو بن حفص طلّقها البتّة وهو غائب بالشام فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته فقال: والله مالك علينا من شيء.فجاءت إلى النّبيّ(ص) فذكرت ذلك له فقال"ليس لك عليه نفقة"وأمرها أن تعتدّ في بيت أمّ شريك. ثمّ قال "تلك امرأة يغشاها أصحابي.اعتدّي عند عبد الله بن أمّ مكتوم.فإنّه رجل أعمى.تضعين ثيابك عنده، فإذا حللت فآذنيني" قالت: فلما حللت ذكرت له أنّ معاوية بن أبى سفيان، وأبا جهم بن هاشم خطباني. فقال النّبيّ(ص) " أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه. وأمّا معاوية فصعلوك لا مال له. انكحي أسامة بن زيد" . قالت: فكرهته. ثمّ قال" انكحي أسامة بن زيد"، فنكحته فجعل الله في ذلك خيرا. واغتبطت به[2].وقال ابن القيم: وقد قال النّبيّ(ص): أمّا معاوية فصعلوك لا مال له، وأمّا أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه[3] .قلتُ: وليس من عادة النّبيّ(ص) أن يقول عمّن لا مال له إنّه صعلوك، فقد كان سلمان وأبو ذرّ وغيرهما من أجلاّء الصّحابة فقراء لا مال لهم ولم يقل(ص) عن أحد منهم إنّه صعلوك.

وفي مجمع الزوائد: في حديث لعمرو بن الحمق الخزاعيّ رضي الله عنه: ..ثمّ

---

(١) مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٦هـ

(٢) موطإ مالك، ج٢ص٥٨٠.

(٣) إعلام الموقعين، ج٣ ص٦٤.

هاجرت إلى النّبيّ(ص)، فبينا أنا عنده ذات يوم فقال لي: يا عمر و، هل لك أن أريك آية الجنّة تأكل الطّعام وتشرب الشّراب وتمشي في الأسواق؟ قلت: بلى بأبي أنت. قال: هذا وقومه، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال لي: يا عمرو هل لك أن أريك آية النّار تأكل الطعام، وتشرب الشّراب، وتمشي في الأسواق؟ قلت بأبي أنت. قال: هذا وقومه آية النّار، وأشار إلى رجل؛ فلمّا وقعت الفتنة ذكرت قول النّبيّ(ص)، ففررت من آية النّار إلى آية الجنّة، وأرى بني أميّة قاتلي بعد هذا. قلت الله ورسوله أعلم. قال: والله إن كنت في حجر في جوف جحر لا ستخرجني بنو أميّة حتّى يقتلوني، حدّثني به حبيبي رسول الله(ص) إنّ رأسي أوّل رأس يحتزّ في الإسلام وينقل من بلد إلى بلد. رواه الطبرانيّ في الأوسط وفيه عبد الله بن عبد الملك المسعوديّ وهو ضعيف[1].

أقول: هب أنّ المسعوديّ ضعيف، أو أنّ الحديث ضعيف، أليس هذا هو ما جرى بعد وفاة النّبيّ(ص) بثلاثين سنة؟!ألم يقتل عمرو بتلك الطريقة نفسها وحمل رأسه كما قال ؟!

شاهدنا من الحديث آية الجنّة وآية النّار. وقد قال عمرو بن الحمق الخزاعيّ رضي الله عنه لّما وقعت الفتنة فررت من آية النّار إلى آية الجنّة، وقد كان على رأس الفئة المحقّة علي بن أبي طالب(ع) كما هو قول النّبيّ(ص) في الحديث، ولم يبق إلاّ آية النّار على رأس الفئة الباغية !

ومن أهمّ الأحاديث الدالة على ضلال معاوية كلمة النبي(ص) في قتل عمار بن

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٩ ص ٤٠٦.

ياسر رضي الله عنهما، والحديث رواه البخاري في صحيحه: (ج ١ص ١١٥)، ورواه مسلم في صحيحه (ج ٤ص ٢٢٣٦).وقد ذكره الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين في مسند أبى سعيد الخدري قال: إنّ النّبيّ(ص) قال : ويح لعمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلي الجنة ويدعونه إلى النار[١]. قال المناوي في فيض القدير: قال القاضي في شرح المصابيح يريد به معاوية وقومه. وهذا صريح في الإخبار بالمغيبات يدعوهم أي عمّار يدعو الفئة وهم أصحاب معاوية الذين قتلوه بوقعة صفّين في الزّمان المستقبل إلى الجنّة أي إلى سببها وهو طاعة الإمام الحقّ ويدعونه إلى سبب النّار وهو عصيانه ومقاتلته. قالوا وقد وقع ذلك في يوم صفّين دعاهم فيه إلى الإمام الحقّ ودعوه إلى النّار وقتلوه، فهو معجزة للمصطفى وعلم من أعلام نبوته وإن قول بعضهم المراد أهل مكّة الذين عذّبوه أوّل الإسلام فقد تعقّبوه بالرّدّ قال القرطبيّ وهذا الحديث من أثبت الأحاديث وأصحّها ولمّا لم يقدر معاوية على إنكاره قال إنما قتله من جاء به[٢].

قلت: وهو صريح في أنّ معاوية من دعاة النّار، والدّعوة إلى النّار من أعمال المشركين بدليل قول الله تعالى في سورة البقرة (الآية ٢٢١) " ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النّار والله يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ".

---

(١) لفظ الحديث في صحيح البخاري ج ١ ص ١١٥: حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه عليّ انطلقا إلى أبى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم انشأ يحدثنا حتى أتى ذكره بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي(ص) فينفض التراب عنه ويقول ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن .

(٢) فيض القدير ، المناوي ، ج٦ص٣٦٥ .

ولابن كثير كلام في ما جاء في الحديث يأتي لاحقا إن شاء الله تعالى في الفصل الخاص بصفّين.

وقال ابن أبي الحديد: " روى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش ، عن أنس بن مالك، قال: سمعت النّبيّ(ص): سيظهر على النّاس رجل من أمّتي، عظيم السرم، واسع البلعوم، يأكل ولا يشبع، يحمل وزر الثّقلين يطلب الإمارة يوما، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه، قال: وكان في يد النّبيّ(ص) قضيب، قد وضع طرفه في بطن معاوية. قلت: هذا الخبر مرفوع مناسب لما قاله عليّ(ع) في نهج البلاغة، ومؤكّد لاختيارنا أنّ المراد به معاوية ، دون ما قاله كثير من النّاس أنّه زياد والمغيرة "[1] .

وفي السّير [2]: [..] عن أبي سعيد مرفوعا: " إذا رأيتم فلانا يخطب على منبري، فاقتلوه ".رواه جندل بن والق، عن محمّد بن بشر، فقال بدل " فلانا " : معاوية.وتابعه الوليد بن القاسم، عن مجالد.

وأورد فخر الدّين الرّازيّ في المحصول[3] قصّة فيها كلام بين الحسن بن علي(ع) ومعاوية وبطانته فيها قول الحسن لمعاوية: " إنك كنت ذات يوم تسوق بأبيك ويقود به أخوك هذا القاعد وذلك بعدما عمي أبو سفيان، فلعن النّبيّ(ص) الجمل وراكبه وسائقه وقائده، فكان أبوك الرّاكب، وأخوك القائد، وأنت السائق. ثمّ قال لعمرو بن العاص: إنّما أنت سبّة كما أنت، فأمّك زانية اختصم فيك خمسة نفر من قريش كلهم يدعي عليك أنك أبنه، فغلب عليك جزار قريش من ألأمهم حسبا وأقلهم منصبا

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ١٠٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي، ج ٣ص ١٤٩ .

(٣) المحصول ، الرازي، ج ٤ ص ٣٤٠ .

وأعظمهم لعنة؛ ما أنت إلا شانئ محمد فأنزل الله تعالى على نبيه(ص) إن شانئك هو الأبتر. ثم هجوت النّبيّ(ص) تسعين قافية فقال النّبيّ(ص) اللهمّ إنّي لا أحسن الشّعر فالعنه بكلّ قافية لعنة ...".

٢ـ أقوال علي(ع) في معاوية

وإنما قدّمته(ع) للحديث الذي رواه البخاريّ وغيره، وفيه قول رسول الله(ص) لعليّ(ع) : " أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.".فهذه منزلة عليّ(ع) التي ارتضاها له الله ورسوله، ومن توهّم أنّ شهادة عليّ لا تقبل في معاوية لمكان الخصومة بينهما فإنّه يجد الجواب عن ذلك مستوفى لاحقا إن شاء الله تعالى.

قال ابن أبي الحديد[١]: ومن خطبة له(ع) : ألا وإن الشّيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله، وإنّ معي لبصيرتي ما لبست على نفسي، ولا لبس عليّ. وأيم الله لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه، لا يصدرون عنه، ولا يعودون إليه .

قال ابن أبي الحديد في شرح الخطبة: يمكن أن يعني بالشّيطان الشّيطان الحقيقيّ، ويمكن أن يعني به معاوية، فإن عنى معاوية، فقوله: " قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله " كلام جارٍ على حقائقه، وإن عنى به الشّيطان، كان ذلك من باب الاستعارة، ومأخوذا من قوله تعالى: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك)، والرّجل: جمع راجل، كالشّرب، جمع شارب، والرّكب: جمع راكب .

قال ابن أبي الحديد [٢]: ودعا عليّ(ع) على بسر فقال : اللهمّ إنّ بسرا باع دينه بالدّنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده ممّا عندك؛ اللهمّ فلا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١ ص ٢٣٩ .
(٢) نفس المصدر السابق ج ٢ص ١٨ .

تمته حتّى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللهم العن بسرا وعمرا ومعاوية وليحلّ عليهم غضبك، ولتنزل بهم نقمتك وليصبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين .

وفيه أيضا: فقال عليّ(ع) : أيّها النّاس، إنّي أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم صغارا ورجالا، فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال، ويحكم إنّها كلمة حقّ يراد بها باطل ! إنّهم ما رفعوها أنّهم يعرفونها ويعملون بها، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة ! أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا[١] .

وقال في كتاب إلى معاوية: وأمّا استواؤنا في الحرب والرّجال فلست بأمضى على الشّكّ منّي على اليقين.وليس أهل الشّام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة. وأمّا قولك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن. ولكن ليس أميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطّلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب[٢]، ولا المهاجر كالطّليق، ولا الصّريح كاللّصيق، ولا المحقّ كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل . ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنّم وفي أيدينا بعد فضل النّبوّة التي أذللنا بها العزيز

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٢١٦.

(٢) يستفاد من هذا أنّه لو كان أبو طالب رضي الله عنه مات ـ والعياذ بالله ـ على الكفر كما يدّعي خصوم أهل البيت عليهم السلام ، وكان أبو سفيان مات على الإسلام لما جاز لعليّ(ع) أن يفضّل أبا طالب عليه، ولما فوّتها معاوية أيضا. وإنّما ظهر القول بكفر أبي طالب ـ والعياذ بالله ـ في زمن المنصور العباسي حتى يوهم الناس أنّه ابن العمّ المؤمن (العبّاس) وأنّ ألفاطميين أبناء العمّ غير المؤمن، وقد كانت حياة النبيّ (ص) أهمّ عند أبي طالب من حياة أبنائه، وأشعاره في مدح النبي (ص) معلومة، ولو كان على غير عقيدته لاتخذ موقفا مشابها لموقف أبي لهب.

ونعشنا بها الذّليل[١].

وفي مصنّف ابن أبي شيبة : [..] عبد الرحمن بن مغفل قال: صلّيت مع عليّ صلاة الغداة، قال: فقنت فقال في قنوته: " اللهم عليك بمعاوية وأشياعه، وعمرو بن العاص وأشياعه، وأبي الأعور السّلمي وأشياعه، وعبد الله بن قيس و أشياعه[٢].

وقال(ع) : ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرّعيّة وولاة أمر الأمّة ؟ بغير قدم سابق ولا شرف باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشّقاء وأحذّرك أن تكون متماديا في غرّة الأمنية مختلف العلانية والسّريرة[٣].

وفي جمهرة خطب العرب: وولي عثمان رضي الله عنه فعمل بأشياء عابها النّاس عليه فساروا إليه فقتلوه، ثمّ أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم، فقالوا لي بايع؛ فأبيت عليهم، فقالوا لي: بايع فإنّ الأمّة لا ترضى إلاّ بك، وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق النّاس. فبايعتهم، فلم يرعني إلاّ شقاق رجلين قد بايعاني، وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عزّ وجلّ له سابقة في الدّين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله وللمسلمين عدوّا هو وأبوه حتّى دخلا في الإسلام كارهين[٤].

وفيه أيضا: انهدوا إليهم عليكم السّكينة والوقار، وقار الإسلام وسيما الصّالحين. فو الله لأقرب قوم من الجهل قائدهم ومؤذّنهم معاوية، وابن النابغة، وأبو الأعور

(١) نهج البلاغة، ج ٣ ص ١٧.

(٢) المصنّف ، ابن أبي شيبة، ج٢ ص ٢١٦.

(٣) في نهج البلاغة، ج ٣ ص ١١.

(٤) جمهرة خطب العرب، ج١ص٣٣٦.

السّلمي، وابن أبي معيط شارب الخمر المجلود حدّا في الإسلام، وهم أولى من يقومون فينقصونني ويجدبونني. وقبل اليوم ما قاتلوني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام[١].

قال ابن أبي الحديد: فلما بلغ عليّا(ع) ما صنع معاوية قال :

يا عجبا لقد سمعت منكرا ** كذبا على الله يشيب الشّعرا

يسترق السّمع ويعشي البصرا ** ما كان يرضي أحمدا لو أخبرا

أن يقرنوا وصيّه و الأبترا ** شاني الرّسول واللّعين الأخزرا[٢]

والمقصود باللّعين الأخزر معاوية، ولو لم يكن معاوية مستحقّا للّعن لما لعنه عليّ(ع) .

وقال البلاذري: وانصرف أهل الشّام إلى معاوية فسلّموا عليه بالخلافة وبايعوه، ورجع ابن عبّاس و شريح بن هانئ إلى عليّ بالخبر، فكان عليّ إذا صلّى الغداة قنت فقال: اللهمّ العن معاوية، وعمرا، وأبا الأعور، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرّحمن بن خالد بن الوليد، والضّحاك بن قيس، والوليد بن عقبة . فبلغ ذلك معاوية فكان يلعن عليّا، والأشتر، وقيس بن سعد، والحسن والحسين، وابن عبّاس، وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم[٣] .

ومن كلام لعليّ(ع) : والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر . ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة

---

(١) جمهرة خطب العرب، ج١ص٣٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، ج ٢ ص٦٩.

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ٣٥١ .

كفرة.ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة[١].

وقال ابن منظور: في حديث عليّ رضوان الله عليه ودّ معاوية أنّه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة أي أحد لأنّ النّار ينفخها الصّغير والكبير والذّكر و الأنثى[٢].

تلكم كانت أقوال عليّ(ع) في معاوية وقد قال النبيّ(ص) "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار" وقال أيضا: " عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ.."، وتأتي بعد أقواله(ع) أقوال الإمام الحسن(ع) ومن بعده صحابة وتابعين:

٣ـ الحسن بن علي(ع):

كتب إليه الحسن: فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية! على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدّين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله(ص) ولكتابه[٣].

٤ـ عائشة بنت أبي بكر

قال الأبشيهي: " ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلّم عليه وأقعده عند رجليه وقال: ألا تعجب من قول أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم أنّي لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا"[٤].

---

(١) نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٨٠.
(٢) لسان العرب، ج٣ص٦٣.
(٣) مقاتل الطالبيين ، الأصفهاني، ص٣٥ وشرح نهج البلاغة ج١٦ص٣٤.
(٤) المستطرف في كل فن مستظرف، ج١ص٣٥١.

وهذا قول من يؤخذ عنها نصف الدّين، والتي كانت حليفا لمعاوية في حرب عليّ إلى أن قتل معاوية أخويها فقلبت له ظهر المجنّ. وأما قوله "دخل عليه الحسن.." فإن كان يقصد الحسن البصري فلا غرابة فيه، أمّا أن يكون المقصود الإمام المجتبى فهيهات أن يرضى ابن سيدة نساء أهل الجنّة بالقعود عند رجلي ابن آكلة الأكباد، تأبى ذلك حجور طابت، وأرحام طهرت.

وفي السّير: ...عن الأسود، قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطّلقاء ينازع أصحاب محمّد في الخلافة؟ قالت: وما يعجب؟ هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون مصر أربع مئة سنة[١] .

ولا يخفى ما تضمّنه الكلام من تشبيه معاوية بفرعون.

٥ ـ صعصعة بن صوحان:

قال لمعاوية:" ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنّفير ممّن أجلب على النّبيّ(ص) ، إنّما أنت طليق وابن طليق، أطلقكما رسول الله، فأنّى تصحّ الخلافة لطليق"[٢].

٦ ـ سعد بن أبي وقاص:

قال البلاذري في أنساب الأشراف: حدّثني أبو مسعود الكوفيّ، عن ابن الكلبيّ، عن عوانة، عن أبيه قال: قال سعد بن أبي وقّاص لمعاوية في كلام جرى[بينهما]: قاتلت عليّا وقد علمت أنّه أحقّ بالأمر منك؟! فقال معاوية: ولم ذاك ؟ قال: لأنّ النّبيّ(ص) يقول [فيه] من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.

---

(١) سير أعلام النبلاء الذهبي، ج ٣ ص ١٤٣.
(٢) مروج الذهب ، المسعودي ، ج٣ ص ٥٠ ط دار السعادة سنة ١٣٧٧.

ولفضله في نفسه وسابقته. قال: فما كنت قطّ أصغر في عيني منك الآن. قال سعد: ولم؟ قال: لتركك نصرته وقعودك عنه وقد علمت هذا من أمره[١].

وقال الذّهبيّ في السّير: وروى عمر بن الحكم: عن عوانة قال: دخل سعد على معاوية، فلم يسلّم عليه بالإمرة، فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت. قال فنحن المؤمنون ولم نؤمّرك، فإنّك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرّني أنّي على الذي أنت عليه وأنّي هرقت محجمة دم [٢].

٧ـ جرير بن عبد الله البجلي :

قال البلاذريّ: ثم قام جرير فقال: يا أهل الشّام، إنّ من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير، قد كانت بالبصرة ملحمة إن يسفح البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام بعدها، فاتّقوا الله ورووا في عليّ ومعاوية، وانظروا أين معاوية من عليّ، وأين أهل الشّام من المهاجرين والأنصار، ثمّ انظروا لأنفسكم فلا يكون أحد أنظر لها منها. ثمّ سكت وسكت معاوية فلم ينطق، وقال: أبلعني ريقي يا جرير . فأمسك [جرير][٣] .

وفي كتاب من ابن عبّاس إلى عمرو بن العاص: فإن كنت أردت الله بذلك ، فدع مصر وارجع إلى بيتك، فإنّ هذه حرب ليس معاوية فيها كعليّ. بدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العذر، وابتدأها معاوية بالبغي فانتهى منها إلى السّرف، وليس أهل الشّام فيها كأهل العراق، بايع عليّا أهل العراق وهو خير منهم ، وبايع أهل الشّام

---

(١) أنساب الأشراف ، البلاذري ، [هامش ص ١٠٩] تحقيق محمد باقر المحمودي .

(٢) سير أعلام النبلاء، ج ١ص ١٢٢ .

(٣) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ٢٨٤ .

معاوية وهم خير منه ، ولست وأنا فيها سواء، أردت الله، وأردت مصر، فإن ترد شرّا لا يفتنا وإن ترد خيرا لا تسبقنا [إليه][١].

٨ـ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي:

قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ القوم لو كانوا الله يريدون ولله يعملون ما خالفونا، ولكنّ القوم إنّما يقاتلوننا فرارا من الأسوة، وحبّا للأثرة، وضنّا بسلطانهم، وكرها لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إحن في نفوسهم وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيها آباءهم وأعوانهم. ثمّ التفت إلى النّاس فقال: كيف يبايع معاوية عليّا وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجدّه عتبة في موقف واحد! والله ما أظنّهم يفعلون، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصف فيهم قنا المران وتقطع على هامهم السّيوف، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد، وتكون أمور جمّة بين الفريقين[٢].

وقال أيضا: إنّ معاوية ادّعى ما ليس له، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحقّ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، وزيّن لهم الضّلالة، وزرع في قلوبهم حبّ الفتنة، ولبّس عليهم الأمور، وزادهم رجسا إلى رجسهم. وأنتم والله على نور وبرهان؛ قاتلوا الطّغام الجفاة..[٣].

---

(١) أنساب الأشراف، البلاذري، ص ٣٠٨.

(٢) جمهرة خطب العرب، ج١ص٣٢٠ .

(٣) جمهرة خطب العرب، ج١ص٣٥٢.

٩ـ الحسن البصري :

قوله المشهور في معاوية الذي أورده الزّمخشريّ في ربيع الأبرار: إنّ في معاوية لثلاث مهلكات موبقات: غصب الأمّة أمرها، وفيهم بقايا من أصحاب رسول الله، وولّى ابنه سكّيرا خمّيرا يلبس الحرير ويضرب بالطّنبور، وادّعى زيادا و ولاّه العراق وقد قال رسول الله(ص): "الولد للفراش وللعاهر الحجر"، وقتل حجرا وأصحاب حجر. ويل له من حجر وأصحاب حجر"!

وبلفظ آخر: أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلاّ واحدة لكانت موبقة له:

(١) أخذه الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصّحابة ذوو الفضيلة.

(٢) استخلافه بعده ابنه سكّيرا خمّيرا يلبس الحرير ويضرب الطّنابير.

(٣) ادّعاؤه زيادا وقد قال النّبيّ(ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر.

(٤) قتله حجرا وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر، و يا ويلا له من حجر وأصحاب حجر[١].

١٠ ـ أبو القاسم البلخي:

قال ابن أبي الحديد: قلت: قال شيخنا أبو القاسم البلخيّ رحمه الله تعالى: قول عمرو له: " دعني عنك " كناية عن الإلحاد، بل تصريح به، أي دع هذا الكلام لا أصل له، فإنّ اعتقاد الآخرة أنّها لا تباع بعرض الدّنيا من الخرافات. وقال رحمه الله تعالى: وما زال عمرو بن العاص ملحدا، ما تردّد قطّ في الإلحاد والزّندقة، وكان معاوية مثله،

(١) الخلافة والملك، أبو الأعلى المودودي، ص١٠٦.

ويكفي من تلاعبهما بالإسلام حديث السّرار المرويّ، وأنّ معاوية عضّ أذن عمرو، أين هذا من سيرة عمر؟وأين هذا من أخلاق عليّ(ع) وشدّته في ذات الله، وهما مع ذلك يعيبانه بالدّعابة[1] !

١١ ـ عمرو بن العاص:

قال عمرو[لمعاوية]: ليس كلّ ما ذكرت عظيما، أمّا ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله أو يأتيك به، وإن قاتل لم يضرّك. وأمّا قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذّهب والفضّة وسله الموادعة، فإنّه إليها سريع. وأمّا عليّ، فلا والله يا معاوية، ما يسوّي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء، وإنّ له في الحرب لحظّا ما هو لأحد من قريش، وإنّه لصاحب ما هو فيه إلاّ أن تظلمه. كذا في رواية نصر بن مزاحم عن محمّد بن عبيد الله[2].

١٢ ـ السّهمي (ابن عمّ عمرو بن العاص):

قال ابن أبي الحديد: قال نصر، وكان لعمرو بن العاص ابن عمّ من بني سهم، أريب، فلمّا جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى وقال: ألا تخبرني يا عمرو بأيّ رأي تعيش في قريش! أعطيت دينك، وتمنّيت دنيا غيرك ! أترى أهل مصر ـ وهم قتلة عثمان ـ يدفعونها إلى معاوية وعليّ حيّ ! أتراها إن صارت لمعاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدّمه في الكتاب ؟ فقال عمرو : يا ابن أخي إنّ الأمر لله دون عليّ ومعاوية، فقال الفتى:

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٦٥.
(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢ص ٦٤.

ألا يا هند أخت بني زياد ❊ ❊ رمي عمرو بداهية البلاد

إلى أن يقول:

أ لم تعرف أبا حسن عليّا ❊ ❊ وما نالت يداه من الأعادي

عدلت به معاوية بن حرب ❊ ❊ فيا بعد البياض من السّواد !

ويا بعد الأصابع من سهيل ❊ ❊ ويا بعد الصّلاح من الفساد ! (١)

١٣ـ عبد الله بن عبّاس:

قال ابن عبّاس: ابن عمّ رسول الله وصهره، وأوّل ذكر صلّى معه، بدريّ قد شهد مع رسول الله(ص) كلّ مشاهده التي فيها الفضل، ومعاوية مشرك كان يعبد الأصنام. والذي ملك الملك وحده وبان به وكان أهله، لقد قاتل عليّ بن أبي طالب(ع) مع النّبيّ وهو يقول صدق الله ورسوله ومعاوية يقول كذب الله ورسوله! فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصّبر، والله إنّا لنعلم إنّكم لعلى حقّ وإنّ القوم لعلى باطل(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ص ٦٨.

(٢) جمهرة خطب العرب، ج١ص ٣٥١.

١٤ـ عبد الله بن الزبير:

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ: قال الهيثم" ثمّ إنّ ابن الزّبير مضى إلى صفيّة بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر، فذكر لها أنّ خروجه كان غضبا لله تعالى ورسوله والمهاجرين والأنصار من أثرة معاوية وابنه وأهله بالفيء، وسألها مسألته أن يبايعه[١].

١٥ ـ النجاشي الشاعر:

في الأخبار الطّوال:

فقولوا لكعب أخي وائل ومن جعل الغثّ يوما سمينا

جعلتم عليّا وأشياعه نظير ابن هند أما تستحونا[٢]

١٦ـ قيس بن سعد بن عبادة:

قال ابن خلدون: " وكان له انحياش إلى عليّ في حروبه مع معاوية، وهو القائل لمعاوية بعد مهلك عليّ رضي الله عنه[٣] وقد عرّض به معاوية في تشيّعه فقال: والآن ماذا يا معاوية؟ والله إنّ القلوب التي أبغضناك بها لفي صدورنا، وإنّ السّيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا"[٤].

(١) الأغاني ـ الأصفهاني، ج١ص٢٨ .

(٢) الأخبار الطّوال ، الدينوريّ، ص ١٦١.

(٣) لا يقول ابن خلدون "بعد شهادة علي" مع أنه شهيد المحراب باتفاق المسلمين، لكن يقول بعد مهلك علي!

(٤) تاريخ ابن خلدون ج ٢ص ٢٩٤.

١٧ ـ وائل بن حجر :

في تاريخ ابن خلدون: " قدم وائل بن حجر راغبا في الإسلام فدعا له ومسح رأسه ونودي "الصّلاة جامعة" سرورا بقدومه، وأمر معاوية أن ينزله بالحرّة؛ فمشى معه وكان راكبا، فقال له معاوية: أعطني نعلك أتوقّى بها الرّمضاء! فقال: ما كنت لألبسها وقد لبستَها؛ وفى رواية لا يبلغ أهل اليمن أنّ سوقة لبس نعل ملك! فقال: أردفني ؛ قال لست من أرداف الملوك. ثمّ قال: إنّ الرّمضاء قد أحرقت قدمي. قال: امش في ظلّ ناقتي كفاك به شرفا! ويقال إنّه وفد على معاوية في خلافته فأكرمه "[1].

فمعاوية في نظر هذا الملك من ملوك اليمن "ليس من أرداف الملوك"، وإنّما هو من "السوقة" و"لا ينبغي أن يبلغ أهل اليمن أنّ سوقة لبس نعل ملك"؛ و "كفاه شرفا أن يمشي في ظلّ ناقة هذا الملك". وكلّ هذا يقوّي معنى "الصعلوك" في الحديث النبويّ الذي تقدّم ذكره. ولو كان لمعاوية شرف في الجاهلية أو صدر الإسلام لما خفي على هذا الملك من ملوك اليمن!

١٨ ـ محمّد بن مسلمة :

قال نصر في وقعة صفّين: فكتب إليه محمّد [بن مسلمة]: "أمّا بعد، فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله مثل الذي في يدي. فقد أخبرني رسول الله(ص) بما هو كائن قبل أن يكون، فلمّا كان كسرت سيفي، وجلست في بيتي واتّهمت الرّأي على الدّين، إذ لم يصحّ لي معروف آمر به، ولا منكر أنهى عنه. وأمّا أنت فلعمري ما طلبت إلا الدّنيا، ولا اتّبعت إلاّ الهوى؛ فإن تنصر عثمان ميتا فقد خذلته

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٢ص٥٦.

حيّا. فما أخرجني الله من نعمة ولا صيّرني إلى شكّ. إن كنت أبصرت خلاف ما تحبني به ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار، فنحن أولى بالصّواب منك "[١].

١٩ ـ محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة:

وقد ارتأيت إيراد رسالة محمّد بن أبي بكر إلى معاوية بن أبي سفيان كاملة كما جاءت في كتاب وقعة صفّين لنصر، نظرا لكون الرّجل ابن خليفة المسلمين وأخا عائشة وعبد الرحمن، وإن يكن معاوية خال المسلمين فمحمّد بن أبي بكر أيضا خالهم، وأين أمّ حبيبة من عائشة عند المخالفين لأهل البيت(ع) ؟! وفي الرسالة تهم واضحة لمعاوية في دينه، وإصرار من محمّد بن أبي بكر أنّ أبا سفيان مات على غير الإسلام. وأنّ معاوية ابنه خلفه على ذلك، قال نصر: " وكتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية: **بسم الله الرّحمن الرّحيم**؛ من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر؛ سلام على أهل طاعة الله ممّن هو مسلم لأهل ولاية الله. أمّا بعد؛ فإنّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقا بلا عنت ولا ضعف في قوّته، ولا حاجة به إلى خلقهم، ولكنّه خلقهم عبيدا، وجعل منهم شقيّا وسعيدا، وغويّا ورشيدا، ثمّ اختارهم على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمدا(ص) ، فاختصّه برسالته، واختاره لوحيه، وائتمنه على أمره، وبعثه رسولا مصدّقا لما بين يديه من الكتب، ودليلا على الشّرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أوّل من أجاب وأناب، وصدّق ووافق وأسلم وسلّم أخوه وابن عمّه علي بن أبي طالب(ع) ، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الرّوع، حتّى برز سابقا لا نظير له في

(١) وقعة صفين ، نصر بن مزاحم ، ص ٧٦ .

جهاده، ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو، المبرّز السّابق في كلّ خير، أوّل النّاس إسلاما، وأصدق النّاس نيّة، وأطيب النّاس ذرّيّة، وأفضل النّاس زوجة، وخير النّاس ابن عمّ. وأنت اللّعين ابن اللّعين. ثمّ لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشّاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقيّة الأحزاب، ورؤوس النّفاق والشّقاق للنّبيّ(ص) . والشاهد لعليّ مع فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله عليهم، من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه، والشّقاء في خلافه ، فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعليّ وهو وارث رسول الله، ووصيّه وأبو ولده، وأوّل النّاس له اتّباعا، وآخرهم به عهدا، يخبره بسرّه ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه؟! فتمتّع ما استطعت بباطلك، وليمدد لك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى. وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا. واعلم أنّك[إنّما] تكايد ربّك الذي قد أمنت كيده وأيست من روحه. وهو لك بالمرصاد ، وأنت منه في غرور ، وبالله وأهل رسوله عنك الغناء، والسّلام على من اتّبع الهدى[(1)].

٢٠ـ معاوية بن أبي سفيان:

وهذا رأي معاوية في نفسه: عن ثابت مولى سفيان بن أبي مريم قال: سمعت معاوية رضي الله تعالى عنه يقول" يا أيّها النّاس؛ والله ما أنا بخيركم ! وإنّ بينكم من هو

---

(١) وقعة صفّين ، نصر بن مزاحم، ص١١٨ .

خير منّي، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم لكم ولاية، و أنكاكم في عدوّكم، وأدركم حلبا" [١].

وأنت ترى أنه قدّم ابن عمر وابن عمرو بن العاص على سيدي شباب أهل الجنة الذين يصلّي عليهما كل موحّد في صلاته أحبّ أم كره.

وعن همام بن محمّد عمّن حدّثه أنّ معاوية قام في جمعة شهدها فقال:" ألا إنّ من زرع فقد آن حصاده، فقد بلغت سنّا ما بلغها أحد من أهل بيتي إلاّ هلك؛ و أيم الله ما أحسبني أغبر فيكم إلاّ قليلا، ولا أراكم ترون بعدي إلاّ من هو شرّ منّي كما لم يكن قبلي إلاّ من هو خير منّي" [٢].

٢١ـ الحمانيّ الكوفي صاحب المسند الكبير:

الحافظ الإمام الكبير أبو زكريّا ابن المحدّث الثّقة أبي يحيى الحمّاني الكوفيّ صاحب المسند الكبير. قال عن معاوية بن أبي سفيان: إنّه مات على غير ملّة الإسلام ! ذكر ذلك العقيليّ [٣].

وهو [أي الحمانيّ] من رجال مسلم ووثّقه ابن معين [٤]! وقال عنه عمر بن شاهين في تاريخ أسماء الثقات– ص١٥٩ تحت رقم(٩١٢): وأبو يحيى الحمانيّ ثقة، وابنه

(١) الآحاد و المثاني ، ابن أبي عاصم ، ج ١ص ٣٧٧.

(٢) الآحاد و المثاني ، ج١ ص ٣٧٩.

(٣) ضعفاء العقيلي، ج ٤ ص ٤١٤: حدثني أحمد بن محمد بصدقة قال سمعت زياد بن أيوب دلويه سمعت يحيى بن عبد الحميد يقول: مات معاوية على غير ملّة الإسلام.

(٤) في الثقات ، ابن حبان ، ج ٧ ص ١٢١ : أبو يحيى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن الذي يقال له بشمين وحمان من تميم يروى عن الأعمش وابن أبى خالد روى عنه ابنه يحيى بن عبد الحميد وكان يحيى بن معين يقول الحمانيّ وأبوه ثقات.أقول: وهذا الموقف من معاوية هو الذي جعل الجوزجاني يقول عنه كما في(تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي ج ١٤ ص ١٨١): " يحيى بن عبد الحميد ساقط متلون ترك حديثه فلا

ثقة، وأبو يحيى اسمه عبد الحميد. وقال أيضا: حدّثني عمر بن أبي السّريّ الحافظ قال سمعت عبد الله بن محمد بن منيع يقول كنّا على باب يحيى بن عبد الحميد الحمانيّ فجاء يحيى بن معين على بغلته فسأله أصحاب الحديث فأبى وقال: جئت مسلّما على أبي زكريّا، فدخل ثمّ خرج فسألوه عنه فقال: " ثقة ، ثقة".

٢٢ـ معاوية بن يزيد بن معاوية:

قال القندوزي: وإنّ معاوية بن يزيد بن معاوية لمّا ولي العهد صعد المنبر فقال: " إنّ هذه الخلافة حبل الله ـ تعالى ـ وإنّ جدّي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منه عليّ بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيّته، فصار في قبره رهينا بذنوبه، ثمّ قلّد أبي الأمر وكان غير أهله، ونازع ابن بنت رسول الله(ص)، فقصف عمره، وأبتر عقبه، وصار في قبره رهينا بذنوبه. ثمّ بكى وقال: (إنّ) من أعظم الأمور خسارة علينا علمنا بسوء مصرعه، وبؤس منقلبه، وقد قتل عترة النّبيّ(ص)، وأباح الخمر وخرب الكعبة، ولم أذق حلاوة الخلافة، فلا أذوق مرارتها، ولا أتقلّدها فشأنكم في أمركم، والله لئن كانت الدّنيا خيرا فقد نلنا منها حظّا، وإن كانت شرّا فكفى ذرّيّة أبي سفيان ما أصابوا منها" [(١)].

وأورد الدّميري قريبا منه في حياة الحيوان، قال: إنّ معاوية بن يزيد قال على المنبر في مجتمع أهل الشّام : ألا إنّ جدّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من أولى به منه ومن غيره ، لقرابته من النّبيّ(ص) وعظم فضله وسابقته: أعظم المهاجرين قدرا "، وأشجعهم قلبا "، وأكثرهم علما"، وأوّلهم إيمانا" وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صحبة،

ينبعث ".

(١) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، ج ٣ ص ٣٦.

ابن عمّ النّبيّ(ص)، وصهره وأخوه، زوّجه ابنته فاطمة، وجعله لها بعلا "، باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيّدي شباب أهل الجنة، وأفضل هذه الأمّة، تربية الرسول، وابني فاطمة البتول من الشّجرة الطّيّبة الطّاهرة الزّكيّة.. إلى آخر كلامه.

٢٣ـ عبد الرزاق الصنعاني:

و في معجم البلدان عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي قلت عبد الرّزاق أكان يتشيّع ويفرط في التّشيّع؟ فقال: أمّا أنا فلم أسمع منه في هذا شيئا، ولكن كان رجلا تعجبه الأخبار. أنبأنا مخلد الشّعيريّ قال كنّا عند عبد الرّزاق فذكر رجل معاوية فقال: لا تقذّروا مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان.

٢٤ـ محمد بن عقيل الشافعي:

قال: (فرقة) حكموا بفسقه، وأوجبوا بغضه في الله، وأجازوا لعنه، ومنعوا من تسويده و التّرضّي عنه تعظيما له وإجلالا، وهم أهل الحقّ والهدى ورئيسهم الأكبر يعسوب الدّين وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. (وفرقة) ثانية آنست من الحقّ جانبا، وأدركت من شعاع الحقيقة وميضا، وعرفت معاوية وفظاعة شأنه، وعظيم طغيانه وفاحش عصيانه، ولكن قامت لديهم شبه زخرفها متقدّموهم، ونمّقها سابقوهم، فأحجموا بسببها عن تفسيقه وإعلان بغضه، ولم يجيزوا لأنفسهم ما أجازته الفرقة الأولى زاعمين أنّ السّلامة في المسألة، والنجاة في الاحتياط؛ وجمدوا على ذلك وقعدوا عن الاجتهاد والبحث في إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، وهذه الفرقة المرجوّ لها إن شاء الله الرّجوع إلى الصّواب، والتّنكّب عن مسالك الخطإ إذا انقشع بالبحث غبار الشّبه التي قامت لديهم، وأزيح ستار التّمويه الملتبس عليهم، لاسيما إذا استحضروا قول الله تبارك وتعالى " فلا

وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلّموا تسليما". (وفرقة) ثالثة أطروه بما ليس فيه، والبسوه غير لباسه، ووضعوا الأحاديث في فضله، وانتحلوا له المناقب وبدّلوا سيّئاته حسنات، يريدون أن يرفعوا له في الدّين علما وضعه الله، ويحاولون أن ينصبوا له من الحقّ لواء نكسه الله، عنادا للحقّ ومغالاة في التّعصّب، لا يلتفتون إلى دليل ولا يقبلون حجّة، يدفعون المتواتر في شأنه بالتّأويل، ويقابلون الآحاد بالتّضعيف، ليزهقوا روح الحقّ وينعشوا روح الباطل، ولهم أتباع وأذناب منتشرون في نواحي الأرض ملأوا البقاع نعيقا، وأفعموا اليفاع نهيقا، لا تجد لديهم عند البحث إلاّ الصّخب، والسّباب، والنّفور عن سماع الحقّ، والتّعصّب الصّرف لمقلّديه. (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون).(وهؤلاء) لا كلام لنا معهم، ولا التفات إلى هذرهم وهذيانهم، ولا اعتبار بخلافهم، ولا نظر إلى تمحّلهم و انتحالهم، ولا طمع في هدايتهم، في آذانهم وقر عن سماع الحقّ، وعلى أبصارهم غشاوة عن نور الهدى. (أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا. أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون. إن هم إلاّ كالأنعام، بل أضلّ سبيلا). وليس جوابهم إلا إهانتهم بالإعراض عنهم والسّكوت عند كلامهم، فإنّما هم فئة الشّقاق والعناد، وعبيد العصبيّة والهوى، إن يتّبعون إلاّ الظّنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدى ، يحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون.

قلتُ: هذا الكلام من طرف رجل شافعيّ المذهب يستحقّ عميق التّأمّل والتّدبّر، لأنّه يعبّر عن واقع تعيشه الأمّة منذ قرون، ولو لم ترد أحاديث في ذمّ معاوية ولعنه لكان الأمر سهلا قابلا للأخذ والرّد، إنّما الثابت أنّ استخفاف معاوية بالشّريعة كان

جليّا لا يحتمل التّأويل عند أولي البصائر، وهو ممّا يؤكّد صحّة تلك الأحاديث وانسجامها مع حرص النّبيّ(ص) على الأمّة ورحمته ورأفته بها.(**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**)[١] .

وقال ابن عقيل: (فقد لعن الله) جلّت عظمته في هذه الآيات المفسدين في الأرض والقاطعين أرحامهم، ولعن المؤذين لله ورسوله، ولعن الظّالمين مكرّرا، ولعن المعتدين والذين لا يتناهون عن المنكر، ولعن من قتل مؤمنا متعمّدا، ولعن من نقض الميثاق، ولعن الأئمّة الدّاعين إلى النّار، ولعن الكاذبين على ربّهم. (وقد لعن)النّبيّ(ص) من أحدث حدثا أو آوى محدثا، ولعن من ضارّ بمسلم أو مكر به، ولعن من سبّ أصحابه، ولعن الرّاشي والمرتشي و الرائش، ولعن من غيّر منار الأرض، ولعن السّارق، ولعن شارب الخمر ومشتريها وحاملها والمحمولة إليه. وقال من يلعن عمّارا لعنه الله، ولعن من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمّر عليهم أحدا محاباة، ولعن من أخاف أهل المدينة ظلما. وأيّ صفة من هذه الصّفات لم يتلبّس بها ذلك الطّاغية، حتّى يفلت من دخوله تحت عمومها؟ والعمل بما جاء في كتاب الله تعالى والتّأسّي بالنّبيّ(ص) مطلوب ومشروع، (قال الله تعالى): لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية وكذا التّأسي بالملائكة لأنّهم معصومون"[٢].

---

(١) النصائح الكافية، محمّد بن عقيل، ص ٢١ .

(٢) النصائح الكافية، محمد بن عقيل الشافعي ، ص ٢٥ .

٢٥ـ سيد قطب:

قال سيد قطب في كتابه "كتب وشخصيّات": (إنّ معاوية وزميله عمرا لم يغلبا عليّا لأنّهما أعرف منه بدخائل النّفوس وأخبر منه بالتّصرّف النّافع في الظّرف المناسب، ولكن لأنّهما طليقان في استخدام كلّ سلاح ، وهو مقيّد بأخلاقه في اختيار وسائل الصّراع؛ وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغشّ والخديعة والنّفاق والرّشوة وشراء الذّمم لا يملك عليّ أن يتدلّى إلى هذا الدرك الأسفل؛ فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنّه لفشل أشرف من كلّ نجاح.

٢٦ـ حامد حفني داود:

قال:"ونحن نرى أنّ انتصار معاوية على الإمام إنّما هو صورة من صور الثّأر والتّآمر التي نزع إليها الشّرك بعد أن غلبه الإسلام، فيه على حدّ تعبيرنا قصاص المتمسلمين وأدعياء الإسلام من المسلمين المؤمنين حقّا..وهم الذين قتلوا آباءهم وأجدادهم من أجل الحق وإعلاء كلمة الإسلام "[1].

وقال أيضا: ثمّ اجتهد(معاوية) في المطالبة بدم عثمان، كما اجتهدت أمّ المؤمنين من قبل، ولكنّ اجتهاده لم يكن لأجل مصلحة الجماعة الإسلاميّة، ولا لأجل المعاني الإنسانيّة، وإنّما ليجد من وراء ذلك القصد مطيّة رخيصة يصل بها إلى منصب الخلافة ـ عنوة ـ فكان اجتهاده باطلا، وذلك أسوأ مراتب الاجتهاد إن صحّ لنا أن نسمّي ذلك النّوع اجتهادا. وأصاب عليّ حين نبّه الجماعة الإسلاميّة إلى بطلان معاوية في موفقه فأصاب وأصاب كلّ من انحاز إلى جماعته، على حين أساء معاوية

(١) نظرات في الكتب الخالدة، حامد حفني داود، ص٤٨ . دار العلم مطبوعات النجاح، القاهرة١٣٩٩هـ

إلى الجماعة الإسلاميّة وكذلك أساء كلّ من سلك مسلكه وورد مورده؛ فما من محارب قتل في جيش عليّ رضي الله عنه دفاعا عن مثله ومبادئه إلاّ وهو شهيد مجتهدا كان أو مقلّدا، وما من محارب قتل في جيش معاوية دفاعا عن مزاعمه إلاّ وهو عاص مجتهدا كان أو مقلّدا، ذلك لأنّه من الفئة الباغية التي قتلت عمّار بن ياسر كما نصّ عليه الحديث النبويّ[1].

موقف الخليفة العباسي (المعتضد) :

قال الطبري[2]: في هذه السنة [أي سنة ٢٨٤] عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على النّاس، فخوّفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامّة، وأنّه لا يأمن أن تكون فتنة، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله. وذكر أنّ أوّل شيء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامّة بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والقضيّة والشّهادات عند السّلطان إلاّ أن يسألوا عن شهادة إن كانت عندهم، وبمنع القصّاص من القعود على الطّرقات، وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السّلام، في الأرباع والمحالّ والأسواق، فقرئت يوم الأربعاء لستّ بقين من جمادى الأولى من هذه السّنة؛ ثمّ منع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصّاص من القعود في الجامعين، ومنع أهل الحلق في الفتيا أو غيرهم من القعود في المسجدين، ومنع الباعة من القعود في رحابهما. وفي جمادى الآخرة نودي في المسجد الجامع بنهي النّاس عن الاجتماع على قاصّ أو غيره، ومنع القصّاص وأهل الحلق من القعود. وفي يوم الحادي عشر وذلك يوم الجمعة نودي في الجامعين بأنّ الذّمة بريئة ممّن اجتمع من النّاس على مناظرة أو

(١) نظرات في الكتب الخالدة، ص ١٥١ .دار العلم،مطبوعات النجاح. القاهرة١٣٩٩ هـ
(٢) تاريخ الطبري، ج ٨ ص ١٨٢إلى ص ١٩٠.

جدل، وأنّ من فعل ذلك أحلّ بنفسه الضّرب؛ وتقدّم إلى الشّراب والذين يسقون الماء في الجامعين ألاّ يترحّموا على معاوية، ولا يذكروه بخير. وتحدّث النّاس أنّ الكتاب الذي أمر المعتضد إنشاءه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلمّا صلّى النّاس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ.



الفصل الثامن

معاوية وسبّ عليّ عليه السلام

- حكم من سب الصحابة
- كلام في سبّ ولعن علي عليه السلام

في صحيح مسلم[1] عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: ثمّ أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسبّ أبا التّراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثا قالهن له النّبيّ(ص) فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النّعم. سمعت رسول الله(ص) يقول له وخلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ يا رسول الله خلّفتني مع النّساء والصّبيان، فقال له النّبيّ(ص) أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر لأعطينّ الرّاية رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليّا، فأتي به أرمد فبصق في عينه، ودفع الرّاية إليه ففتح الله عليه. ولمّا نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله(ص) عليّا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي.

وأخرج الحافظ محمّد بن ماجه بإسناده عن عبد الرّحمن بن ساباط عن سعد قال[2]: قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد، فذكروا عليّا فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله(ص) يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه. وسمعته يقول : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي.و سمعته يقول :لأعطينّ الرّاية اليوم رجلا يحبّ الله ورسوله .

١ـ حكم من سب الصحابة:

قال ابن حجر الهيتمي: قال القاضي عياض في سبّ الصّحابة قد اختلف العلماء فيه و مشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب الموجع. قال مالك (ره) من شتم النّبيّ قُتل، وإن شتم الصّحابة أُدّب. و قال أيضا: من شتم أحدا من أصحاب النّبيّ أبا

---

(١) صحيح مسلم، ج٤ص١٨٧١ الحديث رقم ٢٤٠٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق الأرنؤوط.
(٢) سنن ابن ماجه، ج١ص٤٥ .

بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية[!!] أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال أو كفر قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة النّاس نُكّل نكالا شديدا[1].

أقول : يبقى أمر ابن حجر الهيتميّ غامضا، لأنّه من جهة يعتقد بخلافة الرّاشدين الأربعة ورابعهم عليّ(ع) ، لكنّه في مقام البيان قفز من عثمان إلى معاوية كأنّ عليّا لم يولد ولم يرزق ، ولا أدري على وجه الدّقّة ما هو الدّافع لهذه القفزة وإن كنت لا استبعد أن يكون تنبّه إلى أنّه إن ذكر من سبّ عليّا ألزم نفسه بمؤاخذة من سبّوه وشتموه ولعنوه على المنابر واتّخذوا لعنه سنّة دامت ثمانين سنة. أين يصنّف مثل هذا حين يصدر من مثل الهيتميّ؟ فهو من جهة يورد أقوالا تجعل من ينسب معاوية إلى الضّلال أو الكفر يقتل، ومن جهة أخرى يتغاضى تماما عن سبّ عليّ(ع) ، وهذا تدليس مهما هذّبنا العبارة والتمسنا لابن حجر المعاذير، لأنّه على فرض المساواة بين علي(ع) ومعاوية ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ يتوجّب على ابن حجر أن يلتزم القواعد التي أقرّها العقلاء وتسالموا عليها، ومنها "حكم الأمثال ".

وقال في الصواعق : وأخرج البغويّ والطّبرانيّ وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر عن عياض الأنصاريّ " احفظوني في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدّنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلّى الله منه ومن تخلّى الله منه يوشك أن يأخذه "[2].

---

(١) الصّواعق المحرقة، ج١ص١٤٠.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، ج١ص١٢.

وفيه أيضا: وأخرج هو والذّهبيّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما مرفوعا يكون في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم، فإنّهم مشركون. وأخرج أيضا عن إبراهيم بن حسن بن حسن بن عليّ عن أبيه عن جدّه رضي الله عنهم قال: قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال رسول الله يظهر في أمّتي في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة يرفضون الإسلام[1].

أقول: من المؤسف ألاّ يكون كلام عليّ(ع) راجحا إلاّ حين يتعلّق بالرافضة! ولم تظهر عبارة الرّافضة بهذا المعنى إلا في القرن الثاني؛ ولكنّ الحاقدين على أهل البيت(ع) وأتباعهم لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة، ولذلك تراهم لا يبالون أن يوردوا أيّ شيء من شأنه أن يبرّر حقدهم على من أمروا بمودّتهم في القرآن الكريم.

وأيضا في الصّواعق المحرقة (ج١ص١٣) : أخرج الدّارقطنيّ عن عليّ عن النّبيّ(ص) قال: سيأتي من بعدي قوم لهم نبز يقال لهم الرّافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم، فإنّهم مشركون. قال: قلت يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على السّلف.

أقول : من دلائل وضع هذا الحديث ورود عبارة "السّلف" التي لم تظهر إلاّ في نهاية القرن الأوّل، وإلاّ فمن يكون سلف النّبيّ(ص) ؟!

قال الهيتميّ: [..] التّرمذيّ عن عبد الله بن مغفل:الله الله في أصحابي لا تتّخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبّهم فبحبّي أحبّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم

---

(١) الصواعق المحرقة، ج١ص١٢ .

فقد أذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه [١].

وقال أيضا: روى أحمد ومسلم عن أبي موسى " النّجوم أمنة للسّماء فإذا ذهبت النّجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمّتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمّتي ما يوعدون.

وروى الطّبرانيّ والحاكم عن جعدة بن هبيرة خير النّاس قرني الذي أنا فيه ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم والآخرون أراذل (اهـ).

أقول: كيف يصف النّبيّ(ص) الآخرين بأنّهم " أراذل " ثمّ يقول بعد ذلك فيما رواه الحافظ الهيثميّ في مجمع الزوائد والطّبرانيّ في المعجم الكبير وابن عبد البرّ في التّمهيد [٢]: " أعجب النّاس إيمانا قوم يجيئون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني ويصدّقونني ولم يروني، أولئك إخواني " ؟!

---

(١) الصّواعق المحرقة ، ابن حجر الهيتمي ، ج١ص١٤.

(٢) مجمع الزوائد ج٨ص٣٠٠ عن ابن عباس والمعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص٨٧ و إسناده محمد بن خالد الراسبي عن محمد بن معاوية بن صالح عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن أبن عباس ، والحديث في كتاب التمهيد لابن عبد البرّ ج ٢٠ ص٢٤٧ وما بعدها بألفاظ متعددة : حدثنا خلف بن قاسم قال حدثنا عبد الله بن عمر بن إسحاق الجوهري قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن وعثمان عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال قيل يا النّبيّ أرأيت من آمن بك ولم يرك وصدقك ولم يرك فقال ص أولئك إخواننا طوبى لهم طوبى لهم ومن حديث ابن أبي أوفى قال خرج علينا النّبيّ (ص) يوما فعقد وجاء عمر فقال يا عمر إني أشتاق إلى إخواني فقال عمر ألسنا بإخوانك يا رسول الله؟ قال لا ولكنكم أصحابي، وإخواني قوم آمنوا بي ولم يروني. أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا محمد ابن إبراهيم الديبلي قال حدثنا علي بن زيد الفرائضي قال حدثنا موسى بن داود عن همام عن قتادة عن أنس عن أبي أمامة أن النبي(ص) قال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يراني وآمن بي رواه أبو داود الطيالسي قال حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن أبي أمامة قال سمعت النّبيّ (ص) يقول طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبعا لمن لم يراني وآمن بي [قال ابن عبد البرّ] وهذا الحديث في مسند أبي داود الطيالسي أخبرنا بجميعه أحمد بن

وفي الصواعق المحرقة أيضا:حكى النّوويّ بأسانيد صحيحة عن سفيان الثّوريّ أنّ من قال إنّ عليّا كان أحقّ بالولاية فقد خطّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السّماء[1].

وفي الصّواعق المحرقة أيضا (ج١ص٧٥) : وأما أبو بكر فقد علمت من النّصوص السّابقة المصرّحة بخلافته، وعلى فرض أن لا نصّ عليه أيضا ففي إجماع الصّحابة عليها غنى عن النّص[!] إذ هو أقوى منه لأنّ مدلوله قطعيّ ومدلول خبر الواحد ظنّيّ.

سعيد ابن بشر وأحمد بن = =عبد الله بن محمد بن علي إجازة عن مسلمة بن قاسم عن جعفر بن محمد بن الحسن الأصبهاني عن يونس بن حبيب بن عبد القاهر عن أبي داود وذكر مسلم بن الحجاج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال : من أشدّ أمتي حبّا لي ناس يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله . ومن مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي (ص) فقال أتدرون أيّ الخلق أفضل إيمانا قلنا الملائكة قال وحقّ لهم بل غيرهم قلنا الأنبياء قال حقّ لهم بل غيرهم قلنا الشّهداء قال هم كذلك وحقّ لهم بل غيرهم ثم قال النّبيّ (ص) أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني يجدون ورقا فيعملون بما فيه هم أفضل الخلق إيمانا وحدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر قال حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال حدثنا إسحاق بن محمد بن حمدان قال حدثنا أبو يحيى زكرياء بن يحيى الساجي قال حدثنا محمد بن المتني قال حدثنا ابن أبي عدي عن ابن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال سمعت النّبيّ (ص) وسلم يقول أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيمانا قلنا الملائكة وذكر الحديث كما تقدم وذكر سنيد عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب قال: قال ابن عباس يوما لأصحابه أي الناس أعجب إيمانا قالوا الملائكة قال وكيف لا تؤمن الملائكة والأمر فوقهم قالوا الأنبياء قال وكيف لا تؤمن الأنبياء والأمر ينزل عليهم غدوة وعشية قالوا فنحن قال كيف لا تؤمنون وأنتم ترون من النّبيّ ص ما ترون ثم قال: قال النّبيّ (ص) أعجب الناس إيمانا قوم يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني أولئك أخواني حقّا وكان سفيان بن عيينة يقول تفسير هذا الحديث وما كان مثله بين في كتاب الله وهو قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله .

(١) الصواعق المحرقة، ج١ص٤٤ .

وقال الهيتميّ[1]:فمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أنّ من أنكر خلافة الصّدّيق أو عمر فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم، وقال الصّحيح أنّه كافر، والمسألة مذكورة في كتبهم في الغاية للسّروجيّ، والفتاوى الظّهيريّة، والأصل لمحمّد بن الحسن، وفي الفتاوى البديعيّة، فإنّه قسم الرّافضة إلى كفّار وغيرهم، وذكر الخلاف في بعض طوائفهم وفي من أنكر إمامة أبي بكر، وزعم أنّ الصحيح أنّه يكفّر. وفي المحيط أنّ محمّدا لا يجوّز الصلاة خلف الرّافضة، ثم قال لأنّهم أنكروا خلافة أبي بكر وقد اجتمعت الصّحابة على خلافته . وفي الخلاصة من كتبهم أنّ من أنكر خلافة الصّدّيق فهو كافر، و في تتمّة الفتاوى والرّافضيّ المتغالي الذي ينكر خلافة أبي بكر يعني لا تجوز الصّلاة خلفه.

أقول : لقد جنى أصحاب هذه الفتاوى على أنفسهم لأنّهم أدخلوا قصّة السّقيفة في العقائد، وليست منها، وحكموا بالكفر على المطهّرين بنصّ الكتاب الكريم الذين يصلّى عليهم في كلّ صلاة، والذين وردت أحاديث في الصّحيحين وغيرهما تفيد أنّهم سادة أهل الجنّة! فهذه فاطمة بنت رسول الله(ص) أنكرت خلافة أبي بكر صراحة واتّهمته بمخالفة القرآن الكريم، وماتت وهي ساخطة عليه، ولم تره أهلا للصّلاة عليها فأوصت ألاّ يصلّي عليها؛ وبناء على قوله: " وفي الخلاصة من كتبهم أنّ من أنكر خلافة الصّدّيق فهو كافر " يصبح كونها((**سيّدة نساء أهل الجنّة**)) في غاية الإشكال، لكنّه وارد في صحيح البخاريّ، ودون الطّعن في ذاك الصّحيح خرط

---

(١) الصواعق المحرقة ، ابن حجر الهيتمي ، ج١ص١٣٨.

القتاد؛ وتبقى القضيّة مطروحة لأهل البصائر والمتدبّرين. وهذا عليّ بن أبي طالب(ع) وهو من النّبيّ(ص) بمنزلة هارون من موسى، وهو السّاقي على الحوض، لم يزل يشكو ظلم قريش إيّاه إلى أن خرج من الدّنيا شهيدا، ولم يعتقد بشرعيّة السّقيفة ولم يصحّح فعل أصحابها، والأخبار في ذلك كثيرة، وقصّته مع أنس بن مالك في الرّحبة معلومة، عاش أنس بعدها ساترا وجهه ببرقع. ولو كان عليّ يصحّح خلافة أبي بكر لما رفض الخلافة حين اشترط عليه عبد الرحمن بن عوف أن يعمل بسيرة الشّيخين، وليس هذا محلّ مناقشة ذلك، وإنّما هي إشارة لمن أراد أن يطّلع. فما أورده ابن حجر الهيتميّ من الفتاوى لا يزيد على أن يكشف عن مدى عداوة أصحابها للنّبيّ(ص) وتعلّقهم بالكرسيّ! وإنّ ثقافة مبنيّة على تقديس الكرسيّ وتعظيم من تعاقبوا عليه لهي أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون. أوليس عمر بن الخطّاب نفسه يطعن في السقيفة و يسمّيها فلتة؟! وهو الذي أسّسها وهدّد لأجلها بإحراق بيت كان جبريل يستأذن لدخوله؟! أو ليس عمر نفسه يقول " فمن عاد لمثلها فاقتلوه " ؟ فإن كان ما يقول حقّا فإنّ جماعة السّقيفة يكونون مستحقّين للقتل لأنّ حكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد!

قال ابن حجر الهيتميّ: وفي الفتاوى البديعيّة من أنكر إمامة أبي بكر رضي الله عنه فهو كافر، وقال بعضهم وهو مبتدع، والصّحيح أنّه كافر. وكذلك من أنكر خلافة عمر في أصحّ الأقوال، ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك[1].

---

(١) في الصواعق المحرقة، ج١ص١٣٩.

قال الهيتمي: ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفر الرّوافض الذين يبغضون الصّحابة، قال لأنّ الصّحابة يغيظونهم ومن غاظه الصّحابة فهو كافر؟وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثمّ وافقه الشّافعيّ رضي الله تعالى عنه في قوله بكفرهم ووافقه أيضا جماعة من الأئمّة. قال(ج٣ص٢٥٧): وأما من سبّ أحدا من الصّحابة رضي الله عنهم [**وكأنّ عليّا ليس من الصّحابة**] فإن كان جاهلا فمعذور، وإن قامت عليه الحجّة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله(ص) فهو كافر، وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النّبيّ(ص) عن حاطب وحاطب مهاجر بدري: دعني أضرب عنق هذا المنافق.فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا بل كان مخطئا متأوّلا، وقد قال النّبيّ(ص) آية النفاق بغض الأنصار. وقال لعليّ: لا يبغضك إلا منافق[1]. أقول: ومع ذلك فقد حكم ابن حزم باجتهاد عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ(ع) وأبي الغادية قاتل عمّار بن ياسر رضي الله عنهما، فقد حكم في الفصل بأنّهم مجتهدون وهم مأجورون فيما أخطأوا . قال[2]: قطعنا أنّ معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرا واحدا.وعدّ (في الصفحة ١٦٠) معاوية وعمر وبن العاص من المجتهدين، ثم قال:" إنّما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيما المفتون، وفي المفتين من يرى قتل السّاحر وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل الحرّ بالعبد وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه؛ فأيّ فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما ؟ لولا الجهل والعمى والتّخليط بغير علم"!

(١) الصواعق المحرقة ، ج٢ص٦٠٧.
(٢) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ، ج٤ص١٦١ .

وقد بقي سبّ علي بن أبي طالب(ع) سنّة جارية على عهد بني أميّة باستثناء مدّة حكم عمر بن عبد العزيز.ولم يكن الأمويّون يتورّعون عن أذى من يرفض سبّ عليّ مهما كانت منزلته، ومهما ارتفع مقامه واشتهر تديّنه.قال الذّهبيّ في ترجمة عبد الرحمن بن أبي ليلى: الإمام أبو عيسى الأنصاريّ الكوفيّ الفقيه والد[القاضي]محمّد رأى عمر يمسح على خفّيه، وروى عن عثمان وعليّ وابن مسعود وأبي ذرّ وطائفة؛ مولده في أثناء خلافة عمر بالمدينة، قال ابن سيرين جلست إليه وأصحابه يعظّمونه [كأنه أمير]. وعن أبي حصين أنّ الحجّاج استعمل عبد الرحمن بن أبي ليلى على القضاء ثمّ عزله ثمّ ضربه ليسبّ عليّا رضي الله عنه وكان يورّي ولا يصرّح، ثمّ [إنّه] خرج مع ابن الأشعث وغرق (ره) ليلة دجيل سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين [1].

٢ـ كلام في سب و لعن علي عليه السلام

قال ابن حجر العسقلانيّ[2]: ثمّ كان من أمر عليّ ما كان، فنجمت طائفة أخرى حاربوه، ثمّ اشتدّ الخطب فتنقّصوه واتّخذوا لعنه على المنابر سنّة، ووافقهم الخوارج على بغضه، وزادوا حتى كفّروه مضموما ذلك منهم إلى عثمان، فصار النّاس في حقّ عليّ ثلاثة: أهل السّنّة والمبتدعة من الخوارج والمحاربين له من بني أميّة وأتباعهم؛ فاحتاج أهل السنّة إلى بثّ فضائله، فكثر النّاقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك...

وقال الحاكم[3]:اخبرنا أحمد بن كامل القاضي [..] عن أبي عبد الله الجدليّ قال

(١) تذكرة الحفّاظ ، الذهبي ، ج ١ص ٥٨ .
(٢) في فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، ج ٧ص ٧١ .
(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٢١، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦هـ.

دخلت على أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت لي أيسبّ النّبيّ(ص) وسلم فيكم؟ فقلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله(ص) يقول من سبّ عليّا فقد سبّني * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه بكير بن عثمان البجليّ عن أبي إسحاق بزيادة ألفاظ[1] *.

وفي تاريخ اليعقوبي [2]:وروي أنّه ـ أي زياد بن أبيه ـ كان أحضر قوما بلغه أنّهم شيعة لعليّ ليدعوهم إلى لعن عليّ والبراءة منه، أو يضرب أعناقهم، وكانوا سبعين رجلا...

وفي تاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكر والكامل لابن الأثير: أقبل[أي معاوية] على عبد الرحمن العنزيّ فقال إيه يا أخا ربيعة ما قولك في عليّ؟ قال دعني ولا تسألني فإنّه خير لك. قال: والله لا أدعك حتّى تخبرني عنه؛ قال: أشهد أنّه كان من الذّاكرين الله كثيرا، ومن الآمرين بالحقّ والقائمين بالقسط والعافين عن النّاس. قال فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظّلم وأرتج أبواب الحقّ! قال: قتلت نفسك! قال: بل إيّاك قتلت، ولا ربيعة بالوادي. يقول حين كلّم شمر الخثعميّ في كريم بن عفيف الخثعميّ ولم يكن له أحد من قومه يكلّمه فيه. فبعث به معاوية إلى

(١) حديث بكير هو: سمعت أبا إسحاق التّميميّ يقول سمعت أبا عبد الله الجدليّ يقول حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا النّاس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النّبيّ(ص) فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعيّ؛ فأجابها رجل جلف جاف لبّيك يا امّاه! قالت: يسبّ النّبيّ(ص) في ناديكم؟ قال: وأنّى ذلك؟ قالت: فعليّ بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدّنيا. قالت: فاني سمعت النّبيّ(ص) يقول من سبّ عليّا فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى *

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ص٢٣٥ (دار صادر بيروت) .

زياد وكتب إليه: أما بعد، فإنّ هذا العنزي شرّ من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها، واقتله شرّ قتلة. فلما قدم به على زياد بعث به زياد إلى قسّ النّاطف فدفن به حيّا! [1].

أقول:نعم، هذا هو الحلم الذي لا يدانيه حلم حليم " اقتله شرّ قتلة "، لأنّ القتلة البسيطة لا تشفي غليل معاوية الحليم، فهو يريد شرّ قتلة لخصومه، والحلم إنّما يجسّده العفو عن الخصوم عند المقدرة.

وفي المستدرك[2]: حدّثنا أبو جعفر أحمد [..]سمعت أبا إسحاق التميمي يقول سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: ثم حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوج النّبيّ(ص) فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أماه! قالت: يسبّ رسول الله(ص) في ناديكم؟ قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدّنيا[!] قالت: فإني سمعت رسول الله(ص) يقول من سب عليّا فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى قال(أخبرنا) أبو أحمد محمّد [..]عن معاوية بن ثعلبة عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله(ص) من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّا فقد أطاعني، ومن عصى عليّا فقد عصاني * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه *(أخبرني) محمّد بن أحمد[..] ابن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسبّ عليّا عند ابن عبّاس فحصبه ابن عباس

---

(١) تاريخ الطّبريّ ج٣ص ٢٣٠-٢٣١ ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت، و تاريخ ابن عساكر ج٢ص ٣٧٩، دار الفكر ١٤١٥ هـ، والكامل لابن الأثير ج٣ ص ٢٠٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ.

(٢) المستدرك ، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٢١.

فقال يا عدوّ الله آذيت رسول الله(ص) إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدّنيا والآخرة واعدّ لهم عذابا مهينا لو كان رسول الله(ص) حيّا لآذيته * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه *

وفي جمهرة خطب العرب: تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم عليّا وقال والله ما أعيبه في قضيّة يخون ولا في حكم يميل ولكنّه قتل عثمان[1].

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: جلس معاوية رضي الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البرءاة من عليّ بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه[!]فجاءه رجل من بني تميم فأراده على ذلك فقال: يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت إلى المغيرة فقال: إنّ هذا رجل فاستوص به خيرا [2].

ولا يفوت التنبيه على أنّ المغيرة بن شعبة مات وهو مصرّ على لعن عليّ بن أبي طالب(ع) على المنبر. ففي سير الذهبيّ: خطب المغيرة فنال من عليّ... [3].

و فيه أيضا (ص١٠٣) أنّ المغيرة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ و سبّ فقال سعيد بن زيد من يسبّ هذا يا مغيرة قال : يسبّ عليّ بن أبي طالب...

وفي سير الذهبي: خطب المغيرة فنال من عليّ.. [4].

---

(١) جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، ج ٢ص٢٢، المكتبة العلمية بيروت .

(٢) البيان و التّبيين ، الجاحظ ، ج١ ص ٢٦٦، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ،الذّهبيّ ، ج١ ص١٠٥، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٤١٣هـ.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج١ ص١٠٤.

وفي المعجم الكبير[١]:عبد الملك بن الصباح المسمعي حدّثنا عمران بن حدير أظنه عن أبي مجلز قال: قال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لمعاوية إنّ الحسن بن علي عييّ، وإنّ له كلاما ورأيا، وإنّه قد علمنا كلامه يتكلّم فلا يجد كلاما، فقال: لا تفعلوا. فأبوا عليه، فصعد عمرو المنبر فذكر عليّا ووقع فيه، ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى على عثمان ثمّ وقع في عليّ رضي الله عنه...

وقال الأبشيهيّ[٢]:حكي أنّ معاوية رضي الله تعالى عنه بينما هو جالس في بعض مجالسه وعنده وجوه النّاس فيهم الأحنف بن قيس، إذ دخل رجل من أهل الشّام فقام خطيبا، وكان آخر كلامه أن لعن عليّا ـ رضي الله تعالى عنه ولعن لاعنه ـ فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا القائل لو يعلم أنّ رضاك في لعن المرسلين للعنهم فاتّق الله يا أمير المؤمنين، ودع عنك عليّا رضي الله تعالى عنه، فلقد لقي ربّه وأفرد في قبره وخلا بعمله، وكان والله المبرور سيفه، الطّاهر ثوبه، العظيمة مصيبته. فقال معاوية: يا أحنف، لقد تكلّمت بما تكلّمت، وأيم الله لتصعدنّ على المنبر فتلعنه طوعا أوكرها. فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري شفتاي به أبدا. فقال: قم فاصعد. قال: أما والله لأنصفنّك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل إن أنصفتني؟ قال أصعد المنبر فأحمد الله وأثني عليه، وأصلّي على نبيّه محمّد، ثمّ أقول: أيّها الناس إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليّا، ألا وإنّ معاوية وعليّا اقتتلا فاختلفا، فادّعى كلّ واحد منهما أنه مبغيّ عليه

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ٣ص ٧١و٧٢، دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، ج١ص١٠٠.

وعلى فئته، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله. ثمّ أقول : اللهمّ ألعن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية. اللهمّ العنهم لعنا كثيرا. أمّنوا رحمكم الله! يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحي. فقال معاوية: إذا نعفيك يا أبا بحر.

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إنّ عليّا قد قطعك وأنا وصلتك، ولا يرضيني منك إلاّ أن تلعنه على المنبر! قال: أفعل. فصعد المنبر ثمّ قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه: "أيّها النّاس؛ إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنه الله"! ثمّ نزل. فقال له معاوية: إنّك لم تبيّن من لعنت منهما، بيّنه. فقال: والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام إلى نيّة المتكلّم.

أقول: ليس عجيبا أن تنطلي مغالطة ما على أهل حيّ أو قرية، لكن عجيب أن تنطلي على أجيال من أهل القراءة والكتابة، الذين تتميّز عندهم المفاهيم بحدودها ورسومها؛ فكيف غاب عمّن ينسبون إلى معاوية الحلم أنّ قلبه كان غليظا لا أثر للرّحمة فيه؟! وهل يجتمع الحلم وبغض عليّ والحسن والحسين؟ أليس الحليم هو الذي يعفو عند المقدرة عمّن أساء إليه؟ فمتى فعل معاوية هذا وتلك قصّته مع حجر بن عديّ وأصحابه، وله قصّة مع عمرو بن الحمق، وقصّة مع عبد الرحمن العنزيّ تجعل الولدان شيبا[1]، وقصّة أخرى مع عبد الرحمن بن عديس البلويّ الذي بايع تحت الشجرة؛ ثمّ إنّ الحليم لا يذكر من خرج من الدنيا إلاّ بخير، ومعاوية كان

(١) القصة مذكورة في كل من تاريخ الطّبريّ ج٣ص ٢٣٠و٢٣١. مؤسسة الأعلمي ، بيروت، و تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص٣٧٩ دار الفكر ١٤١٥، والكامل لابن الأثير ج ٣ص ٢٠٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ

يسبّ عليّ بن أبي طالب(ع) و يشتمه ويلعنه على المنبر ويشترط ذلك على كلّ من يولّيه على رقاب المسلمين؛ وهل يجتمع الحلم والغدر؟ وقد افتتح معاوية حكمه بالغدر حين قال أمام الملإ في مسجد الكوفة " ألا وإنّ كل شرط أعطيته للحسن بن عليّ فتحت قدميّ هاتين "[1]!

(١) العبارة في شرح نهج البلاغة كما يلي: وأما أبو إسحاق السّبيعيّ فقال : إنّ معاوية قال في خطبته بالنّخيلة : ألا إنّ كل شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به . قال أبو إسحاق : وكان والله غدّارا .(شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٤٦).



الفصل الثامن

معاوية وسب علي عليه السلام

- حكم من سب الصحابة
- كلام في سب ولعن علي عليه السلام

في صحيح مسلم[1] عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: ثمّ أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسبّ أبا التّراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثا قالهن له النّبيّ(ص) فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النّعم. سمعت رسول الله(ص) يقول له وخلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ يا رسول الله خلّفتني مع النّساء والصّبيان، فقال له النّبيّ(ص) أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر لأعطينّ الرّاية رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليّا، فأتي به أرمد فبصق في عينه، ودفع الرّاية إليه ففتح الله عليه. ولمّا نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله(ص) عليّا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي.

وأخرج الحافظ محمّد بن ماجه بإسناده عن عبد الرّحمن بن ساباط عن سعد قال[2]: قدم معاوية في بعض حجّاته فدخل عليه سعد، فذكروا عليّا فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله(ص) يقول من كنت مولاه فعليّ مولاه. وسمعته يقول : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي.و سمعته يقول :لأعطينّ الرّاية اليوم رجلا يحبّ الله ورسوله .

١ـ حكم من سب الصحابة:

قال ابن حجر الهيتمي: قال القاضي عياض في سبّ الصّحابة قد اختلف العلماء فيه و مشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب الموجع. قال مالك (ره) من شتم النّبيّ قُتل، وإن شتم الصّحابة أُدّب. و قال أيضا: من شتم أحدا من أصحاب النّبيّ أبا

(١) صحيح مسلم، ج٤ص١٨٧١ الحديث رقم ٢٤٠٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق الأرنؤوط.
(٢) سنن ابن ماجه، ج١ص٤٥ .

بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية[!!] أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال أو كفر قُتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة النّاس نُكّل نكالا شديدا[1].

أقول : يبقى أمر ابن حجر الهيتميّ غامضا، لأنّه من جهة يعتقد بخلافة الرّاشدين الأربعة ورابعهم عليّ(ع) ، لكنّه في مقام البيان قفز من عثمان إلى معاوية كأنّ عليّا لم يولد ولم يرزق ، ولا أدري على وجه الدّقّة ما هو الدّافع لهذه القفزة وإن كنت لا استبعد أن يكون تنبّه إلى أنّه إن ذكر من سبّ عليّا ألزم نفسه بمؤاخذة من سبّوه وشتموه ولعنوه على المنابر واتّخذوا لعنه سنّة دامت ثمانين سنة. أين يصنّف مثل هذا حين يصدر من مثل الهيتميّ؟ فهو من جهة يورد أقوالا تجعل من ينسب معاوية إلى الضّلال أو الكفر يقتل، ومن جهة أخرى يتغاضى تماما عن سبّ عليّ(ع) ، وهذا تدليس مهما هذّبنا العبارة والتمسنا لابن حجر المعاذير، لأنّه على فرض المساواة بين علي(ع) ومعاوية ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ يتوجّب على ابن حجر أن يلتزم القواعد التي أقرّها العقلاء وتسالموا عليها، ومنها "حكم الأمثال ".

وقال في الصواعق : وأخرج البغويّ والطّبرانيّ وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر عن عياض الأنصاريّ " احفظوني في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدّنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلّى الله منه ومن تخلّى الله منه يوشك أن يأخذه "[2].

---

(١) الصّواعق المحرقة، ج١ص١٤٠.

(٢) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، ج١ص١٢.

وفيه أيضا: وأخرج هو والذّهبيّ عن ابن عبّاس رضي الله عنهما مرفوعا يكون في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم، فإنّهم مشركون. وأخرج أيضا عن إبراهيم بن حسن بن حسن بن عليّ عن أبيه عن جدّه رضي الله عنهم قال: قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال رسول الله يظهر في أمّتي في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة يرفضون الإسلام[1].

أقول: من المؤسف ألاّ يكون كلام عليّ(ع) راجحا إلاّ حين يتعلّق بالرافضة! ولم تظهر عبارة الرّافضة بهذا المعنى إلا في القرن الثاني؛ ولكنّ الحاقدين على أهل البيت(ع) وأتباعهم لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمّة، ولذلك تراهم لا يبالون أن يوردوا أيّ شيء من شأنه أن يبرّر حقدهم على من أمروا بمودّتهم في القرآن الكريم.

وأيضا في الصّواعق المحرقة (ج١ص١٣) : أخرج الدّارقطنيّ عن عليّ عن النّبيّ(ص) قال: سيأتي من بعدي قوم لهم نبز يقال لهم الرّافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم، فإنّهم مشركون. قال: قلت يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على السّلف.

أقول : من دلائل وضع هذا الحديث ورود عبارة "السّلف" التي لم تظهر إلاّ في نهاية القرن الأوّل، وإلاّ فمن يكون سلف النّبيّ(ص) ؟!

قال الهيتميّ: [..] التّرمذيّ عن عبد الله بن مغفل:الله الله في أصحابي لا تتّخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبّهم فبحبّي أحبّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم

(١) الصواعق المحرقة، ج١ص١٢ .

فقد أذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه [1].

وقال أيضا: روى أحمد ومسلم عن أبي موسى " النّجوم أمنة للسّماء فإذا ذهبت النّجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمّتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمّتي ما يوعدون.

وروى الطّبرانيّ والحاكم عن جعدة بن هبيرة خير النّاس قرني الذي أنا فيه ثمّ الذين يلونهم ثمّ الذين يلونهم والآخرون أراذل (اهـ).

أقول: كيف يصف النّبيّ(ص) الآخرين بأنّهم " أراذل " ثمّ يقول بعد ذلك فيما رواه الحافظ الهيثميّ في مجمع الزوائد والطّبرانيّ في المعجم الكبير وابن عبد البرّ في التّمهيد [2]: " أعجب النّاس إيمانا قوم يجيئون من بعدي، يؤمنون بي ولم يروني ويصدّقونني ولم يروني، أولئك إخواني " ؟!

---

(١) الصّواعق المحرقة ، ابن حجر الهيتمي ، ج١ص١٤.

(٢) مجمع الزوائد ج٨ص٣٠٠ عن ابن عباس والمعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص٨٧ و إسناده محمد بن خالد الراسبي عن محمد بن معاوية بن صالح عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن أبن عباس ، والحديث في كتاب التمهيد لابن عبد البرّ ج ٢٠ ص٢٤٧ وما بعدها بألفاظ متعددة : حدثنا خلف بن قاسم قال حدثنا عبد الله بن عمر بن إسحاق الجوهري قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن وعثمان عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال قيل يا النّبيّ أرأيت من آمن بك ولم يرك وصدقك ولم يرك فقال ص أولئك إخواننا طوبى لهم طوبى لهم ومن حديث ابن أبي أوفى قال خرج علينا النّبيّ (ص) يوما فعقد وجاء عمر فقال يا عمر إني أشتاق إلى إخواني فقال عمر ألسنا بإخوانك يا رسول الله؟ قال لا ولكنكم أصحابي، وإخواني قوم آمنوا بي ولم يروني. أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا محمد ابن إبراهيم الديبلي قال حدثنا علي بن زيد الفرائضي قال حدثنا موسى بن داود عن همام عن قتادة عن أنس عن أبي أمامة أن النبي(ص) قال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يراني وآمن بي رواه أبو داود الطيالسي قال حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن أبي أمامة قال سمعت النّبيّ (ص) يقول طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبعا لمن لم يراني وآمن بي [قال ابن عبد البرّ] وهذا الحديث في مسند أبي داود الطيالسي أخبرنا بجميعه أحمد بن

وفي الصواعق المحرقة أيضا:حكى النّوويّ بأسانيد صحيحة عن سفيان الثّوريّ أنّ من قال إنّ عليّا كان أحقّ بالولاية فقد خطّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السّماء(١).

وفي الصّواعق المحرقة أيضا (ج١ص٧٥) : وأما أبو بكر فقد علمت من النّصوص السّابقة المصرّحة بخلافته، وعلى فرض أن لا نصّ عليه أيضا ففي إجماع الصّحابة عليها غنى عن النّص[!] إذ هو أقوى منه لأنّ مدلوله قطعيّ ومدلول خبر الواحد ظنّيّ.

سعيد ابن بشر وأحمد بن = =عبد الله بن محمد بن علي إجازة عن مسلمة بن قاسم عن جعفر بن محمد بن الحسن الأصبهاني عن يونس بن حبيب بن عبد القاهر عن أبي داود وذكر مسلم بن الحجاج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي (ص) قال : من أشدّ أمتي حبّا لي ناس يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله . ومن مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي (ص) فقال أتدرون أيّ الخلق أفضل إيمانا قلنا الملائكة قال وحقّ لهم بل غيرهم قلنا الأنبياء قال حقّ لهم بل غيرهم قلنا الشّهداء قال هم كذلك وحقّ لهم بل غيرهم ثم قال النّبيّ (ص) أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني يجدون ورقا فيعملون بما فيه هم أفضل الخلق إيمانا وحدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر قال حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال حدثنا إسحاق بن محمد بن حمدان قال حدثنا أبو يحيى زكرياء بن يحيى الساجي قال حدثنا محمد بن المتني قال حدثنا ابن أبي عدي عن ابن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال سمعت النّبيّ (ص) وسلم يقول أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيمانا قلنا الملائكة وذكر الحديث كما تقدم وذكر سنيد عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب قال: قال ابن عباس يوما لأصحابه أي الناس أعجب إيمانا قالوا الملائكة قال وكيف لا تؤمن الملائكة والأمر فوقهم قالوا الأنبياء قال وكيف لا تؤمن الأنبياء والأمر ينزل عليهم غدوة وعشية قالوا فنحن قال كيف لا تؤمنون وأنتم ترون من النّبيّ ص ما ترون ثم قال: قال النّبيّ (ص) أعجب الناس إيمانا قوم يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني أولئك أخواني حقّا وكان سفيان بن عيينة يقول تفسير هذا الحديث وما كان مثله بين في كتاب الله وهو قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله .

(١) الصواعق المحرقة، ج١ص٤٤ .

وقال الهيتميّ[1]:فمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أنّ من أنكر خلافة الصّدّيق أو عمر فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم، وقال الصّحيح أنّه كافر، والمسألة مذكورة في كتبهم في الغاية للسّروجيّ، والفتاوى الظّهيريّة، والأصل لمحمّد بن الحسن، وفي الفتاوى البديعيّة، فإنّه قسم الرّافضة إلى كفّار وغيرهم، وذكر الخلاف في بعض طوائفهم وفي من أنكر إمامة أبي بكر، وزعم أنّ الصحيح أنّه يكفّر. وفي المحيط أنّ محمّدا لا يجوّز الصلاة خلف الرّافضة، ثم قال لأنّهم أنكروا خلافة أبي بكر وقد اجتمعت الصّحابة على خلافته . وفي الخلاصة من كتبهم أنّ من أنكر خلافة الصّدّيق فهو كافر، و في تتمّة الفتاوى والرّافضيّ المتغالي الذي ينكر خلافة أبي بكر يعني لا تجوز الصّلاة خلفه.

أقول : لقد جنى أصحاب هذه الفتاوى على أنفسهم لأنّهم أدخلوا قصّة السّقيفة في العقائد، وليست منها، وحكموا بالكفر على المطهّرين بنصّ الكتاب الكريم الذين يصلّى عليهم في كلّ صلاة، والذين وردت أحاديث في الصّحيحين وغيرهما تفيد أنّهم سادة أهل الجنّة! فهذه فاطمة بنت رسول الله(ص) أنكرت خلافة أبي بكر صراحة واتّهمته بمخالفة القرآن الكريم، وماتت وهي ساخطة عليه، ولم تره أهلا للصّلاة عليها فأوصت ألاّ يصلّي عليها؛ وبناء على قوله: " وفي الخلاصة من كتبهم أنّ من أنكر خلافة الصّدّيق فهو كافر " يصبح كونها((**سيّدة نساء أهل الجنّة**)) في غاية الإشكال، لكنّه وارد في صحيح البخاريّ، ودون الطّعن في ذاك الصّحيح خرط

(١) الصواعق المحرقة ، ابن حجر الهيتمي ، ج١ص١٣٨.

القتاد؛ وتبقى القضيّة مطروحة لأهل البصائر والمتدبّرين. وهذا عليّ بن أبي طالب(ع) وهو من النّبيّ(ص) بمنزلة هارون من موسى، وهو السّاقي على الحوض، لم يزل يشكو ظلم قريش إيّاه إلى أن خرج من الدّنيا شهيدا، ولم يعتقد بشرعيّة السّقيفة ولم يصحّح فعل أصحابها، والأخبار في ذلك كثيرة، وقصّته مع أنس بن مالك في الرّحبة معلومة، عاش أنس بعدها ساترا وجهه ببرقع. ولو كان عليّ يصحّح خلافة أبي بكر لما رفض الخلافة حين اشترط عليه عبد الرحمن بن عوف أن يعمل بسيرة الشّيخين، وليس هذا محلّ مناقشة ذلك، وإنّما هي إشارة لمن أراد أن يطّلع. فما أورده ابن حجر الهيتميّ من الفتاوى لا يزيد على أن يكشف عن مدى عداوة أصحابها للنّبيّ(ص) وتعلّقهم بالكرسيّ! وإنّ ثقافة مبنيّة على تقديس الكرسيّ وتعظيم من تعاقبوا عليه لهي أوهن من بيت العنكبوت لو كانوا يعلمون. أوليس عمر بن الخطّاب نفسه يطعن في السقيفة و يسمّيها فلتة؟! وهو الذي أسّسها وهدّد لأجلها بإحراق بيت كان جبريل يستأذن لدخوله؟! أو ليس عمر نفسه يقول " فمن عاد لمثلها فاقتلوه " ؟ فإن كان ما يقول حقّا فإنّ جماعة السّقيفة يكونون مستحقّين للقتل لأنّ حكم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد!

قال ابن حجر الهيتميّ: وفي الفتاوى البديعيّة من أنكر إمامة أبي بكر رضي الله عنه فهو كافر، وقال بعضهم وهو مبتدع، والصّحيح أنّه كافر. وكذلك من أنكر خلافة عمر في أصحّ الأقوال، ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك[1].

(١) في الصواعق المحرقة، ج١ص١٣٩.

قال الهيتمي: ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفر الرّوافض الذين يبغضون الصّحابة، قال لأنّ الصّحابة يغيظونهم ومن غاظه الصّحابة فهو كافر؟وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية، ومن ثمّ وافقه الشّافعيّ رضي الله تعالى عنه في قوله بكفرهم ووافقه أيضا جماعة من الأئمّة. قال(ج٣ص٢٥٧): وأما من سبّ أحدا من الصّحابة رضي الله عنهم [**وكأنّ عليّا ليس من الصّحابة**] فإن كان جاهلا فمعذور، وإن قامت عليه الحجّة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى وسرق، وإن عاند الله تعالى في ذلك ورسوله(ص) فهو كافر، وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النّبيّ(ص) عن حاطب وحاطب مهاجر بدري: دعني أضرب عنق هذا المنافق.فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا بل كان مخطئا متأوّلا، وقد قال النّبيّ(ص) آية النفاق بغض الأنصار. وقال لعليّ: لا يبغضك إلا منافق[1]. أقول: ومع ذلك فقد حكم ابن حزم باجتهاد عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ(ع) وأبي الغادية قاتل عمّار بن ياسر رضي الله عنهما، فقد حكم في الفصل بأنّهم مجتهدون وهم مأجورون فيما أخطأوا . قال[2]: قطعنا أنّ معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرا واحدا.وعدّ (في الصفحة ١٦٠) معاوية وعمر وبن العاص من المجتهدين، ثم قال:" إنّما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيما المفتون، وفي المفتين من يرى قتل السّاحر وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل الحرّ بالعبد وفيهم من لا يراه، وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه؛ فأيّ فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما ؟ لولا الجهل والعمى والتّخليط بغير علم"!

(١) الصواعق المحرقة ، ج٢ص٦٠٧.
(٢) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ، ج٤ص١٦١ .

وقد بقي سبّ علي بن أبي طالب(ع) سنّة جارية على عهد بني أميّة باستثناء مدّة حكم عمر بن عبد العزيز.ولم يكن الأمويّون يتورّعون عن أذى من يرفض سبّ عليّ مهما كانت منزلته، ومهما ارتفع مقامه واشتهر تديّنه.قال الذّهبيّ في ترجمة عبد الرحمن بن أبي ليلى: الإمام أبو عيسى الأنصاريّ الكوفيّ الفقيه والد[القاضي]محمّد رأى عمر يمسح على خفّيه، وروى عن عثمان وعليّ وابن مسعود وأبي ذرّ وطائفة؛ مولده في أثناء خلافة عمر بالمدينة، قال ابن سيرين جلست إليه وأصحابه يعظّمونه [كأنه أمير]. وعن أبي حصين أنّ الحجّاج استعمل عبد الرحمن بن أبي ليلى على القضاء ثمّ عزله ثمّ ضربه ليسبّ عليّا رضي الله عنه وكان يورّي ولا يصرّح، ثمّ [إنّه] خرج مع ابن الأشعث وغرق (ره) ليلة دجيل سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين [1].

٢ـ كلام في سب و لعن علي عليه السلام

قال ابن حجر العسقلانيّ[2]: ثمّ كان من أمر عليّ ما كان، فنجمت طائفة أخرى حاربوه، ثمّ اشتدّ الخطب فتنقّصوه واتّخذوا لعنه على المنابر سنّة، ووافقهم الخوارج على بغضه، وزادوا حتى كفّروه مضموما ذلك منهم إلى عثمان، فصار النّاس في حقّ عليّ ثلاثة: أهل السّنّة والمبتدعة من الخوارج والمحاربين له من بني أميّة وأتباعهم؛ فاحتاج أهل السنّة إلى بثّ فضائله، فكثر النّاقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك...

وقال الحاكم[3]:اخبرنا أحمد بن كامل القاضي [..] عن أبي عبد الله الجدليّ قال

(١) تذكرة الحفّاظ ، الذهبي ، ج ١ص ٥٨ .
(٢) في فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، ج ٧ص ٧١ .
(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٢١، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦هـ.

دخلت على أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت لي أيسبّ النّبيّ(ص) وسلم فيكم؟ فقلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله(ص) يقول من سبّ عليّا فقد سبّني * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه بكير بن عثمان البجليّ عن أبي إسحاق بزيادة ألفاظ[1] *.

وفي تاريخ اليعقوبي[2]: وروي أنّه ـ أي زياد بن أبيه ـ كان أحضر قوما بلغه أنّهم شيعة لعليّ ليدعوهم إلى لعن عليّ والبراءة منه، أو يضرب أعناقهم، وكانوا سبعين رجلا...

وفي تاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكر والكامل لابن الأثير: أقبل[أي معاوية] على عبد الرحمن العنزيّ فقال إيه يا أخا ربيعة ما قولك في عليّ؟ قال دعني ولا تسألني فإنّه خير لك. قال: والله لا أدعك حتّى تخبرني عنه؛ قال: أشهد أنّه كان من الذّاكرين الله كثيرا، ومن الآمرين بالحقّ والقائمين بالقسط والعافين عن النّاس. قال فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظّلم وأرتج أبواب الحقّ! قال: قتلت نفسك! قال: بل إيّاك قتلت، ولا ربيعة بالوادي. يقول حين كلّم شمر الخثعميّ في كريم بن عفيف الخثعميّ ولم يكن له أحد من قومه يكلّمه فيه. فبعث به معاوية إلى

---

(١) حديث بكير هو: سمعت أبا إسحاق التّميميّ يقول سمعت أبا عبد الله الجدليّ يقول حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا النّاس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النّبيّ(ص) فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعيّ؛ فأجابها رجل جلف جاف لبّيك يا امّاه! قالت: يسبّ النّبيّ(ص) في ناديكم؟ قال: وأنّى ذلك؟ قالت: فعليّ بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدّنيا. قالت: فاني سمعت النّبيّ(ص) يقول من سبّ عليّا فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى *

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ص٢٣٥ (دار صادر بيروت).

زياد وكتب إليه: أما بعد، فإنّ هذا العنزي شرّ من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها، واقتله شرّ قتلة. فلما قدم به على زياد بعث به زياد إلى قسّ النّاطف فدفن به حيّا![1].

أقول:نعم، هذا هو الحلم الذي لا يدانيه حلم حليم " اقتله شرّ قتلة "، لأنّ القتلة البسيطة لا تشفي غليل معاوية الحليم، فهو يريد شرّ قتلة لخصومه، والحلم إنّما يجسّده العفو عن الخصوم عند المقدرة.

وفي المستدرك[2]: حدّثنا أبو جعفر أحمد [..]سمعت أبا إسحاق التميمي يقول سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول: ثم حججت وأنا غلام، فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوج النّبيّ(ص) فسمعتها تقول: يا شبيب بن ربعي، فأجابها رجل جلف جاف: لبيك يا أماه! قالت: يسبّ رسول الله(ص) في ناديكم؟ قال: وأنى ذلك؟ قالت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدّنيا[!] قالت: فإني سمعت رسول الله(ص) يقول من سب عليّا فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى قال(أخبرنا) أبو أحمد محمّد [..]عن معاوية بن ثعلبة عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله(ص) من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّا فقد أطاعني، ومن عصى عليّا فقد عصاني * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه *(أخبرني) محمّد بن أحمد[..] ابن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسبّ عليّا عند ابن عبّاس فحصبه ابن عباس

(١) تاريخ الطّبريّ ج٣ص ٢٣٠-٢٣١ ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت، و تاريخ ابن عساكر ج٢ص ٣٧٩، دار الفكر ١٤١٥ هـ، والكامل لابن الأثير ج٣ ص ٢٠٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ.
(٢) المستدرك ، الحاكم النيسابوري، ج ٣ ص ١٢١.

فقال يا عدوّ الله آذيت رسول الله(ص) إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدّنيا والآخرة واعدّ لهم عذابا مهينا لو كان رسول الله(ص) حيّا لآذيته * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه *

وفي جمهرة خطب العرب: تكلّم المغيرة بن شعبة فشتم عليّا وقال والله ما أعيبه في قضيّة يخون ولا في حكم يميل ولكنّه قتل عثمان[1].

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: جلس معاوية رضي الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البرءاة من عليّ بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه[!] فجاءه رجل من بني تميم فأراده على ذلك فقال: يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نبرأ من موتاكم. فالتفت إلى المغيرة فقال: إنّ هذا رجل فاستوص به خيرا [2].

ولا يفوت التنبيه على أنّ المغيرة بن شعبة مات وهو مصرّ على لعن عليّ بن أبي طالب(ع) على المنبر. ففي سير الذهبيّ: خطب المغيرة فنال من عليّ... [3].

و فيه أيضا (ص١٠٣) أنّ المغيرة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسبّ و سبّ فقال سعيد بن زيد من يسبّ هذا يا مغيرة قال : يسبّ عليّ بن أبي طالب...

وفي سير الذهبي: خطب المغيرة فنال من عليّ.. [4].

---

(١) جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، ج ٢ص٢٢، المكتبة العلمية بيروت .

(٢) البيان و التّبيين ، الجاحظ ، ج١ ص ٢٦٦، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ،الذّهبيّ ، ج١ ص١٠٥، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٤١٣هـ.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج١ ص١٠٤.

وفي المعجم الكبير[١]:عبد الملك بن الصباح المسمعي حدّثنا عمران بن حدير أظنه عن أبي مجلز قال: قال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لمعاوية إنّ الحسن بن علي عييّ، وإنّ له كلاما ورأيا، وإنّه قد علمنا كلامه يتكلّم فلا يجد كلاما، فقال: لا تفعلوا. فأبوا عليه، فصعد عمرو المنبر فذكر عليّا ووقع فيه، ثمّ صعد المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى على عثمان ثمّ وقع في عليّ رضي الله عنه...

وقال الأبشيهيّ[٢]:حكي أنّ معاوية رضي الله تعالى عنه بينما هو جالس في بعض مجالسه وعنده وجوه النّاس فيهم الأحنف بن قيس، إذ دخل رجل من أهل الشّام فقام خطيبا، وكان آخر كلامه أن لعن عليّا ـ رضي الله تعالى عنه ولعن لاعنه ـ فقال الأحنف: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا القائل لو يعلم أنّ رضاك في لعن المرسلين للعنهم فاتّق الله يا أمير المؤمنين، ودع عنك عليّا رضي الله تعالى عنه، فلقد لقي ربّه وأفرد في قبره وخلا بعمله، وكان والله المبرور سيفه، الطّاهر ثوبه، العظيمة مصيبته. فقال معاوية: يا أحنف، لقد تكلّمت بما تكلّمت، وأيم الله لتصعدنّ على المنبر فتلعنه طوعا أوكرها. فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين، إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجري شفتاي به أبدا. فقال: قم فاصعد. قال: أما والله لأنصفنّك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل إن أنصفتني؟ قال أصعد المنبر فأحمد الله وأثني عليه، وأصلّي على نبيّه محمّد، ثمّ أقول: أيّها الناس إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن عليّا، ألا وإنّ معاوية وعليّا اقتتلا فاختلفا، فادّعى كلّ واحد منهما أنه مبغيّ عليه

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج ٣ص ٧١و٧٢، دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، ج١ص١٠٠.

وعلى فئته، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم الله. ثمّ أقول : اللهمّ ألعن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية. اللهمّ العنهم لعنا كثيرا. أمّنوا رحمكم الله! يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص حرفا ولو كان فيه ذهاب روحي. فقال معاوية: إذا نعفيك يا أبا بحر.

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب: إنّ عليّا قد قطعك وأنا وصلتك، ولا يرضيني منك إلاّ أن تلعنه على المنبر! قال: أفعل. فصعد المنبر ثمّ قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه: "أيّها النّاس؛ إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنه الله"! ثمّ نزل. فقال له معاوية: إنّك لم تبيّن من لعنت منهما، بيّنه. فقال: والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام إلى نيّة المتكلّم.

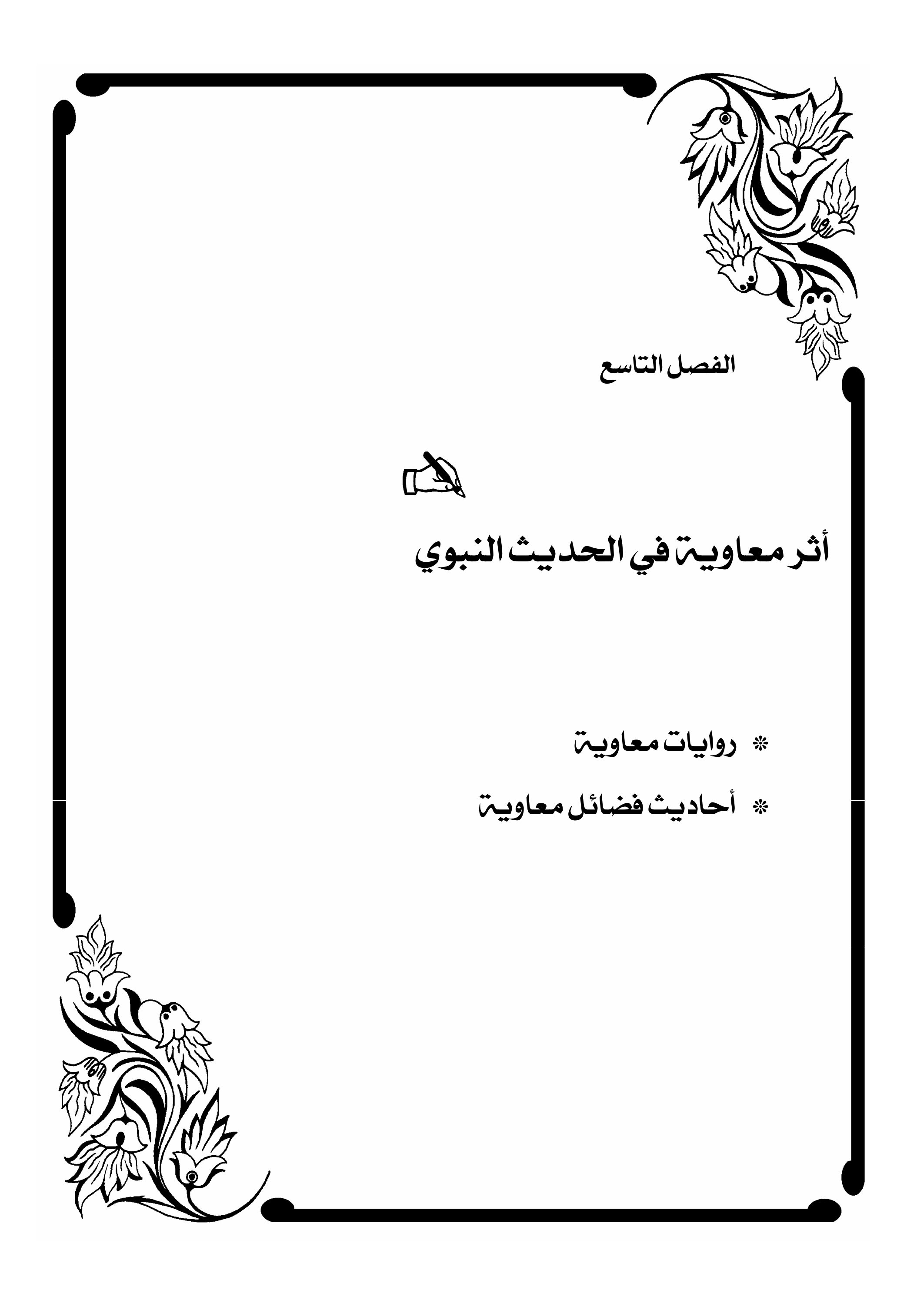
أقول: ليس عجيبا أن تنطلي مغالطة ما على أهل حيّ أو قرية، لكن عجيب أن تنطلي على أجيال من أهل القراءة والكتابة، الذين تتميّز عندهم المفاهيم بحدودها ورسومها؛ فكيف غاب عمّن ينسبون إلى معاوية الحلم أنّ قلبه كان غليظا لا أثر للرّحمة فيه؟! وهل يجتمع الحلم وبغض عليّ والحسن والحسين؟ أليس الحليم هو الذي يعفو عند المقدرة عمّن أساء إليه؟ فمتى فعل معاوية هذا وتلك قصّته مع حجر بن عديّ وأصحابه، وله قصّة مع عمرو بن الحمق، وقصّة مع عبد الرحمن العنزيّ تجعل الولدان شيبا[1]، وقصّة أخرى مع عبد الرحمن بن عديس البلويّ الذي بايع تحت الشجرة؛ ثمّ إنّ الحليم لا يذكر من خرج من الدنيا إلاّ بخير، ومعاوية كان

---

(١) القصة مذكورة في كل من تاريخ الطّبريّ ج٣ص ٢٣٠و٢٣١. مؤسسة الأعلمي ، بيروت، و تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص٣٧٩ دار الفكر ١٤١٥، والكامل لابن الأثير ج ٣ص ٢٠٩ ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥ هـ

يسبّ عليّ بن أبي طالب(ع) و يشتمه ويلعنه على المنبر ويشترط ذلك على كلّ من يولّيه على رقاب المسلمين؛ وهل يجتمع الحلم والغدر؟ وقد افتتح معاوية حكمه بالغدر حين قال أمام الملإ في مسجد الكوفة " ألا وإنّ كل شرط أعطيته للحسن بن عليّ فتحت قدميّ هاتين[1]!

(١) العبارة في شرح نهج البلاغة كما يلي: وأما أبو إسحاق السّبيعيّ فقال : إنّ معاوية قال في خطبته بالنّخيلة : ألا إنّ كل شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به . قال أبو إسحاق : وكان والله غدّارا .(شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ١٦ ص ٤٦).



الفصل التاسع

أثر معاوية في الحديث النبوي

* روايات معاوية
* أحاديث فضائل معاوية

١ـ روايات معاوية

لمعاوية روايات في كتب الحديث والتّفسير، تلقّاها العلماء بالقبول بناء على ثقافة الكرسيّ التي تجعل الحاكم فوق كلّ اعتبار، وقد قام بأعمال منافية للإسلام تعمّد فيها جرح مشاعر المسلمين، والاستخفاف بشخص النّبيّ(ص) . والحقيقة المرّة أنّ وضع الأحاديث على عهد معاوية كان أعظم منه في أيّ زمن سابق أو لاحق، فإنّه أشرف بنفسه على ذلك، وقرّب الوضّاعين الكذّابين، وحارب الصّادقين الورعين. وعلى الرّغم من أنّ علماء الجرح والتّعديل يؤاخذون الرّواة على كلّ صغيرة وكبيرة، إلى درجة أن يبطلوا أهليّة الرّجل للرواية لأنّه قرأ كتاب "المثالب"، فإنّهم تساهلوا مع معاوية مع كلّ موبقاته، وزادوا على ذلك أن جعلوا محبّته و الترضّي عنه علامة على الصّلابة في الدّين والتّمسّك بالسّنّة. وأنا مورد هنا شيئا من رواياته ومعلّق على ما جاء فيها متى تطلّب الأمر ذلك.

قال ابن قانع في المعجم:" حدّثنا عليّ بن محمّد أخبرنا أبو الوليد أخبرنا شعبة قال سعد بن إبراهيم أنبأني قال: سمعت معبد الجهنيّ يقول: كان معاوية قلّما حدّث عن النّبيّ(ص) فذكر هؤلاء الكلمات عن النّبيّ(ص) قال إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيرا يفقّهه في الدّين، وإنّ هذا المال حلو خضر فمن يأخذه بحقّه يبارك له فيه وإيّاكم والتّمادح فإنّه الذّبح"[١].

لكنّ معاوية كان يحبّ التّمادح، وقد سبقت قصّته مع عبادة بن الصّامت في هذا المعنى[٢].

---

(١) معجم الصحابة ، ابن قانع ، ج٣ص٧٢.
(٢) القصة ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ٢ص ٧ .

وفي الحلية[1]: حدّثنا مخلد [..] حدّثنا أبو عبد ربه قال سمعت معاوية على منبر دمشق يقول: سمعت رسول الله(ص) يقول إنّه لم يبق من الدّنيا إلا بلاء وفتنة، وإنّما العمل كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله. رواه الوليد بن مسلم. وعن ابن عبّاس مثله. لم يروه عن معاوية إلا أبو عبد ربه. حدّثنا محمّد بن علي[. .] عن أبي عبد ربه قال سمعت معاوية يقول سمعت النّبيّ(ص) يقول إنّ الله لا يغلب، ولا يخلب، ولا ينبّأ بما لا يعلم، ومن يرد الله به خيرا يفقّهه في الدّين. تفرّد به ثابت عن أبي عبد ربه. حدّثنا مخلد بن جعفر حدّثنا جعفر الفريابيّ حدّثنا سليمان بن عبد الرّحمن حدّثنا محمّد بن شعيب . وحدّثنا فاروق الخطابيّ [..]عن عبيدة عن أبي المهاجر أنّه حدّثه عن معاوية أنّه قال: سمعت رسول الله(ص) يقول إنّ رجلا كان يعمل السّيّئات وقتل سبعا وتسعين نفسا كلّها يقتل ظلما بغير حقّ، فأتى ديرانيّا فقال: يا راهب، إنّ الآخر لم يدع شيئا من الشرّ إلاّ قد عمله، إنّه قتل سبعا وتسعين نفسا كلّها قتل ظلما بغير حقّ، فهل له من توبة؟ قال: لا. فضربه فقتله. ثمّ أتى آخر فقال له مثل ما قال لصاحبه فقال: ليس لك توبة. فقتله. ثم أتى آخر فقال له مثل ما قال لهما فردّ عليه مثل ما ردّا عليه فقتله أيضا. ثم أتى راهبا آخر فقال له إنّ الآخر لم يدع شيئا من الشّرّ إلاّ قد عمله إنّه قتل مائة نفس كلّها ظلما يقتل بغير حقّ فهل له من توبة؟ فقال: والله لئن قلت لك إنّ الله لا يتوب على من تاب إليه لقد كذبت، ههنا دير فيه قوم متعبّدون فأتهم فاعبد الله معهم. فخرج تائبا حتّى إذا كان ببعض الطّريق بعث الله إليه

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم ، ج٥ص١٦٢.

ملكا فقبض نفسه، فحضرت ملائكة العذاب وملائكة الرّحمة فاختصموا فيه، فبعث الله إليهم ملكا فقال لهم: أيّ الدّيرين كان أقرب فهو منهم؛ فقاسوا ما بينهما، فوجدوه أقرب إلى دير التّوابين بقيس أنملة، فغفر الله له. تفرّد به عبيدة بن عبد ربه عن معاوية، ورواه جماعة عن قتادة عن أبي الصديق عن أبي سعيد الخدري، ورواه ابن عائذ عن المقدام بن معدي كرب، ورواه ابن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدا لله بن عمرو ورواه ابن لهيعة عن عبيد الله بن المغيرة .

وعن ربيعة بن يزيد عن معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو أنّهما سمعا رسول الله(ص) يقول: لا قدّست أمّة لا يقضى فيها بالحقّ فيأخذ ضعيفها حقّه من قويّها غير متعتع، رواه بقيّة عن سعيد عن يونس بن ميسرة عن معاوية وعبد الله مثله مرفوعا[(١)].

قلت: لو لم يرو معاوية هذا الحديث لكان خيرا له، فإنّه جسّد علوّ فرعون في الأرض، ودفن النّاس أحياء، وسلّط المجرمين على المؤمنين، وجعل من المنابر التي يفترض أن تبثّ الخير وتدعو إليه محطّات تبثّ لعن أولياء الله تعالى وأحبّاءه. فمتى أخذ الضعيف حقّه من القويّ في دولة معاوية؟!

وقال القنوجي: في حديث معاوية رضي الله عنه قال: إن النّبيّ(ص) نهى عن الأغلوطات. رواه أبو داود[(٢)].

(١) حلية الأولياء، ج٦ ص١٢٨.
(٢) أبجد العلوم ، القنوجي، ج١ص ٣٦٠.

وعن محمّد بن كعب القرظي قال معاوية بن أبي سفيان على المنبر: " إنّه لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منع الله، ولا ينفع ذا الجدّ منه الجدّ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. سمعت هؤلاء الكلمات من رسول الله على هذه الأعواد "[١].

وفي مقدمة ابن الصلاح: في حديث يروى عن معاوية بن أبي سفيان قال: لعن النّبيّ(ص) الذين يشقّقون الخطب تشقيق الشّعر. ذكر الدّارقطنيّ عن وكيع أنّه قاله مرّة بالحاء المهملة وأبو نعيم شاهد فردّه عليه بالخاء المعجمة المضمومة . .[٢] .

و عن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن عتبة: توفّي رسول الله(ص) وهو ابن ثلاث وستّين فقال عامر بن سعد: حدّثني جرير قال: كنّا عند معاوية فقال: توفّي رسول الله(ص) وهو ابن ثلاث وستّين. وعن الشعبي عن معاوية بن أبي سفيان : قال توفي رسول الله(ص) وهو ابن ثلاث وستّين سنة[٣] .

إن يكن معاوية قد قال هذا الكلام في حياة العبّاس بن عبد المطلب وغيره ممن حضروا ولادة النّبيّ(ص) ففي كلامهم ما يغني عن كلامه، فإنّهم شهدوا ولم يشهد، لأنّه ولد قبل الهجرة بعشرين سنة، وكان عمر النّبيّ(ص) يومها ثلاثا وثلاثين سنة، فلا يمكن أن تكون شهادته شهادة عيان. وإن يكن قد قال هذا الكلام بعد وفاة العبّاس وغيره، فإنّما هو تحصيل حاصل لأنّ النّاس كانوا قد عرفوا تفاصيل حياة النّبيّ(ص) في حياته من طرف شهود لا تردّ شهادتهم، أمثال ظئره حليمة السّعدية والشّيماء

---

(١) الأدب المفرد ، البخاري ، ج ١ص ٢٣٢.
(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٧١ .
(٣) تاريخ خليفة بن خياط العصفري ص ٥٨ .

أخته من الرضاعة، وفاطمة بنت أسد[(١)] رضي الله عنها التي ربّته حتّى إنّه كان يسميها أمّه، والعبّاس عمّه وجماعة كثيرة ، فأين كلام معاوية من كلام هؤلاء؟!

وبالمناسبة فقد حرص بعض السّذّج أن يجعلوا بين وفاة النّبيّ(ص) ووفاة أبي بكر شبها فزعموا أنّ أبا بكر أيضا توفّي وعمره ثلاث وستّون سنة، لكنّهم رووا بعد ذلك أمورا يحار لها اللّبيب، ففي تاريخ خليفة: عن ابن أبي عديّ عن حبيب بن الشّهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصمّ أنّ رسول الله(ص) قال لأبي بكر: أنا أكبر أم أنت ؟ قال: بل أنت أكبر وأكرم وخير، وأنا أسنّ منك. وكانت ولايته [يعني ولاية أبي بكر] سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما ويقال عشرة أيام[(٢)]! وهذا كلام عجيب لأنّه إذا كان أبو بكر أسنّ من النبيّ(ص) فكيف يكون عمره يوم وفاته ثلاثا وستّين وقد بقي بعد النّبيّ(ص) سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما؟! والحال أنّه على فرض كونهما ولدا في سنة واحدة يكون أبو بكر يوم وفاته قد تجاوز الخامسة والستين !!

ولمعاوية مثلها في وفاة عمر: فعن جرير عن معاوية قال: مات عمر وهو ابن ثلاث وستّين. وروى أبو أحمد وسلم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر عن الشّعبيّ عن معاوية مثله[(٣)].

---

(١) فاطمة بنت أسد رضي الله عنها توفّيت في حياة النبي (ص) لكن لا شكّ أنها كانت تتحدث عن طفولة النبي(ص) لمن حولها من المهاجرات والأنصاريّات.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط العصفري، ص ٨١.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط العصفري، ص ١٠٩.

ونفس الكلام في الطبقات ـ وفي الإسناد حريز بن عثمان النّاصبيّ المشهور الذي كان يلعن عليّا(ع) قبل الخروج من المسجد سبعين مرّة ويقول لا أحبّه قتل آبائي ـ: أخبرنا يحيى بن عبّاد قال أخبرنا شعبة قال أخبرني أبو إسحاق عن عامر بن سعد عن حريز أنّه سمع معاوية يقول توفي عمر وهو ابن ثلاث وستين[1].

وبعد، فإنّ الموت في الثّالثة والسّتّين ليس فضيلة في نفسه، والإنسان لا يختار يوم وفاته، فالمسيحيّ يموت في الثالثة والسّتّين، واليهوديّ يموت في الثّالثة والسّتّين، والبوذيّ يموت فيها، وكذا من لا دين له. وهذا نوح(ع) لعلّه تجاوز الألف، وإبراهيم(ع) تجاوز الثّمانين، وزكريّا(ع) بلغ من الكبر عتيّا، ويعلم الله عمر يعقوب بن إسحاق يوم وفاته وقد حكى القرآن قول أولاده(إنّ له أبا شيخا كبيرا)فلماذا كل هذا الحرص والتّركيز على الثالثة والسّتّين؟!

وكان من كلام معاوية كما في شرح النهج[2]: فإن تركتم شيخنا هذا يموت على فراشه وإلاّ خرج منكم ولا ينفعكم سبقكم وهجرتكم. فقال له عليّ(ع) : ما أنت وهذا يا بن اللّخناء! فقال معاوية: مهلا يا أبا الحسن عن ذكر أمّي، فما كانت بأخسّ نسائكم[3]! ولقد صافحها رسول الله صلى الله عليه يوم أسلمت، ولم يصافح امرأة غيرها، أما لو قالها غيرك! فنهض عليّ(ع) ليخرج مغضبا فقال عثمان: اجلس، فقال له: لا أجلس، فقال: عزمت عليك لتجلسنّ، فأبى وولّى، فأخذ عثمان طرف ردائه فترك

---

(١) الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، ج ٣ص ٣٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ـ ج١ص ٣٣٩.

(٣) مرّ بك سابقا أنّها كانت من ذوات الرايات، وأنها كانت تذكر بعهر وفجور، وقد هجاها حسان بن ثابت بذلك ولم يتجرّا على نفيه أحد من بني أمية لا معاوية ولا غيره.

الرّداء في يده وخرج، فأتبعه عثمان بصره، فقال والله لا تصل إليك ولا إلى أحد من ولدك[١]. والمقصود هنا القول المنسوب إلى معاوية "ولقد صافحها رسول الله صلى الله عليه يوم أسلمت ولم يصافح امرأة غيرها" وفيه تهمة كبيرة للنّبيّ(ص) فإنّ مصافحة الأجنبيّة حرام باتّفاق العلماء، ولا يمكن لمعاوية أن يتفوّه بمثل هذا وقد كان غائبا حين أسلمت أمّه يوم فتح مكّة!! فالكلام لا يعدو أن يكون زيادة من الرّواة النّواصب الذين لم يجدوا مطعنا في عليّ(ع) فراحوا يمدحون أعداءه باختلاق ما لا يكون، ولو على حساب النبيّ(ص) وقيم الإسلام. وإذا كان النبيّ(ص) لم يتحمّل النظر إلى وحشيّ قاتل حمزة، فكيف يتحمّل من مضغت كبده ولاكتها ويخصّها بالمصافحة من بين سائر النساء، (**فويل لهم ممّا كتبت أيديهم وويل لهم ممّا يكسبون**).

وعن بقيّة بن الوليد عن خليد عن معاوية رحمه الله قال: قال رسول الله(ص) النّاس يعملون بالخير على قدر عقولهم[٢].

وفي هذا شهادة من معاوية على نفسه بنقصان عقله، فإنّ حظّه من الخير حظّ الأعمى من النّور، وقد قال عليّ(ع) فيه وفي أصحابه " صحبتهم صغارا وكبارا فكانوا شرّ صغار وشرّ كبار".

---

(١) أقول: لقد حنث عثمان في قوله هذا، فإنّ أشرف وأعظم خلافة هي الخلافة الإلهية التي تكون على يد الإمام المهدي يملأ الأرض عدلا كما ملأها بنو أمية ومن سار على نهجهم ظلما وجورا، والمهدي من ولد عليّ(ع)، ولم يتحقّق هذا لأحد قبله.

(٢) كتاب العقل وفضله ـ ابن أبي الدّنيا ـ ص ٣٧.

وعن يعلى بن شدّاد قال سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول سمعت النّبيّ(ص) يقول: ألا إن كلّ مسكر حرام على كلّ مسلم [1].

قال الدّكتور عجيل جاسم النّمشي[2]:وعن معاوية أنّ النّبيّ(ص) قال " إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثمّ إذا شربوا فاجلدوهم ثمّ إذا شربوا الرّابعة فاقتلوهم " رواه الخمسة إلا النّسائيّ. قال التّرمذيّ: إنّما كان هذا في أوّل الأمر ثمّ نسخ بعده ، هكذا روى محمّد بن إسحاق عن محمّد بن المنكدر .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش، ثم أتينا بالطعام فأكلنا، ثم أتينا بالشّراب فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي فقال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله(ص) . قال معاوية: كنت أجمل شباب قريش وأجوده ثغرا، وما شيء كنت أجد له لذّة كما كنت أجده وأنا شابّ غير اللّبن أو إنسان حسن الحديث يحدّثني[3]. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد[4]:" رجاله رجال الصحيح ".

وسيأتي في فصل "موقف معاوية من السّنّة "الحديث عن اعتراض أبي الدّرداء روايا الخمر تساق إلى معاوية[5]، فإن كان معاوية صادقا في ما يرويه فلماذا يستقبل الرّوايا، وما باله يشرب المحرّم كما في الحديث السابق؟!

---

(١) كتاب ذمّ المسكر ـ ابن أبي الدّنيا، ص٦١.
(٢) هامش الصّفحة ٤٠٣ من فصول الجصّاص.
(٣) مسند أحمد بن حنبل، ج٥ص٣٤٧.
(٤) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج٥ ص٤٢.
(٥) " القصة رواها ابن عساكر والحسن بن سفيان وابن منده . ذكر ذلك ابن عقيل في " النصائح الكافية" ص ١٢٣.

وفي كتاب الآحاد والمثاني: عن جرير أنّه سمع معاوية رضي الله تعالى عنه يخطب يقول: توفّي النّبيّ(ص) وهو ابن ثلاث وستّين وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما(١).

أقول: يموت الأنبياء وعمر أحدهم ثلاث وستّون سنة، ويموت الأولياء وعمر أحدهم ثلاث وستون، ويموت الطّواغيت وعمر أحدهم ثلاث وستّون؛ فلا أدري ماذا يقصد معاوية بهذا الكلام إن صحّ عنه!! وكذلك الشّأن بالنّسبة للولادة، والله كلّ يوم هو في شأن، في كلّ يوم يولد للمؤمنين وللمشركين؛ وإنّما تكون بركة يوم الولادة ويوم الوفاة إذا انضمّ إليها عمل صالح واستقامة في الدّين؛ والمتتبّع للتّراجم والسّير يجد من الصّالحين من ولد في اليوم الذي ولد فيه أحد الجبّارين، فلو كان اليوم بذاته مباركا لعمّتهما البركة. ولعلّ معاوية من أعلم النّاس بأنّ فاطمة بنت رسول الله(ص) ماتت واجدة على الشّيخين، غاضبة عليهما، متأذّية منهما، وقد قال النبي(ص) في حقها: "من آذاها فقد آذاني" ، وقال أيضا: " من أغضبها فقد أغضبني ".

وعن أبي عبد ربه قال سمعت معاوية يقول "سمعت رسول الله(ص) يقول لم يبق من الدّنيا إلاّ بلاء وفتنة فأعدّوا للبلاء صبرا "(٢).

ولا يفوت اللبيب ههنا أن يتذكّر أنّ الجزء الأكبر من البلاء المذكور قد جرى على يد معاوية، بدليل ما ذكره المدائنيّ في كتاب " الأحداث " كما نقل ابن أبي الحديد في الشرح (٣).

---

(١) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، ج١ص ٨١.

(٢) السّنن الواردة في الفتن ، الداني ـ ج١ص١٨٢ .

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١١ ص ٤٤ روى أبو الحسن على بن محمد بن أبى سيف المدائني في كتاب (الأحداث) قال كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبى تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته

و عن زيد بن أبي عتّاب قال: قام معاوية على المنبر فقال قال النّبيّ(ص) النّاس تبع لقريش في هذا الأمر، خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام[1].

قلت: إن صحّ هذا الحديث فإنّه يجرّد الخليفتين أبا بكر وعمر من الأفضلية التي فرضت على المسلمين بالحديد والنّار، فإنّ أبا سفيان نفسه يسمّي تيما وعديّا أذلّ حيّ في قريش، وحديث دغفل المشهور[2] يضع الخليفة أبا بكر في "زمعات قريش" .

وروى الزبير بن بكار عن معاوية قوله: أمّا أبو بكر فلم يرد الدّنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدّنيا ولم يردها، وأمّا نحن فتمرّغنا فيها ظهرا لبطن[3].

أقول: إن كان معاوية يقصد بـ "نحن" نفسه وبني أميّة فقوله صحيح، لا يدافعه أحد، وإن كان يقصد كلّ من سوى أبي بكر وعمر فغير صحيح؛ وقد حفظ النّاس قول عليّ بن أبي طالب في الدّنيا " غرّي غيري غرّي غيري، طلّقتك ثلاثا ". وموقف

وكان = =اشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي و الأرجل و سمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.

(١) السنن الواردة في الفتن، ج٢ص٤٨٦ تحت رقم ١٩٥ .

(٢) الخبر مذكور في الإصابة، ج٢ص٣٨٩(دار الجيل ١٤١٢ بيروت هـ) **وكتاب** الثقات -ابن حبان، ج١ص٨١وج٣ص١١٩ (دار الفكر ١٣٩٥هـ) ولسان العرب، ج١ص٣٧٩ (دار صادر بيروت) و الفائق للزمخشري ج٣ص٤٢٣ (دار المعرفة لبنان ط٢).، و البداية و النهاية ج ٣ص ١٤٢(مكتبة المعارف بيروت) والرياض النضرة ج٣ص٥٣ (دار الغرب الإسلامي بيروت١٩٩٦)،فليطالع هناك.

(٣) الصواعق المحرقة ، ابن حجر الهيتمي ، ج١ص ٢٨٤ .

علي بن أبي طالب(ع) من الدّنيا معلوم بغضّ النّظر عن هذا القول أيضا، ويكفي في ذلك أنّ المدارس الصوفيّة كلّها ـ باستثناء النقشبندية ـ تدّعي أنّ طريقتها تتّصل به(ع) ، وليس هنا مجال مناقشة ذلك، وإنّما القصد إيراد ما تواتر عند أهل العلم من إعراض عليّ(ع) عن زخارف الدّنيا؛ ونحن لا نتوقّع من معاوية أن يمدح عليّا(ع) ، ولكن كان الأولى به أن يقول " أنا " لا أن يقول " نحن " لأنّه هو وأصحابه قد تمرّغوا فيها فعلا، كما أنّ عليّا وأصحابه زهدوا فيها فعلا. على أنّ حبّ الدنيا لا ينحصر في المال والمطعم والمسكن، فإنّ أعلى مراتب حبّ الدنيا حبّ الرئاسة، ولم يكن الشّيخان (أبو بكر وعمر) زاهدين في الرّئاسة كما يدّعي معاوية؛ وكيف يكون ذلك وقد استسهلا دونها تحريق بيت فاطمة بنت رسول الله الذي عظّم الله حرمته، وفيه المطهّرون بنصّ الكتاب العزيز. ومن استصغر شأن ذلك لم يفقه قوله تعالى(**وتحسبونه هيّنا وهو عند الله عظيم**). فمعاوية إنّما أراد من الكلام السّابق تغييب زهد عليّ(ع) في ما تنافس فيه غيره، وإظهاره بصورة واحد من الحكّام، بينما هو من رسول الله بمنزلة هارون من موسى.

وفي ما هو قريب من هذا المعنى تصبّ رواية كعب التي يقول فيها: تدور خمسا وعشرين بعد وفاة نبيهم(ص) ثمّ تنشأ فتنة فيكون فيها قتل وقتال، ثمّ يعودون في الأمن والطمأنينة حتى يكونوا في الاستواء كالدوامة، يعني معاوية، ثم تنشأ فتنة يكون فيها قتل وقتال، فإنّي أجدها في كتاب الله المظلمة تلوي بكل ذي كبر[1].

---

(١) الفتن، نعيم بن حماد، ج١ص٥٨.

يسمّي كعب كتابه " كتاب الله " بعد أن أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أنّ اليهود قد حرّفوا الكلم عن مواضعه، وقد شهد معاوية نفسه على كعب الأحبار هذا بالكذب[1]. وقال المحّقق بهامش الصفحة ٤٩٠ من الجزء٣ من سير أعلام النبلاء[2]:" وما يحكيه كعب عن الكتب القديمة فليس بحجّة عند أحد من أهل العلم ، . . . . وقال : وليس كل ما نسب إليه في الكتب بثابت عنه، فإنّ الكذّابين من بعده قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يقلها، وأخطأ من زعم أنّه خرج له البخاري ومسلم، فإنّهما لم يسندا من طريقه شيئا من الحديث، وإنّما جرى ذكره في "الصّحيحين" عرضا، وليس يؤثر عن أحد من المتقدّمين توثيق كعب، إلاّ أنّ بعض الصّحابة أثنى عليه بالعلم ".

والدليل على كذب كعب أو من نسب الحديث إليه حديث سفينة " الخلافة ثلاثون سنة " في صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٦ وتهذيب الكمال ج١٠ص٣٧٨ والمعجم الكبير للطبراني ج١ص٥٥ ومسند ابن الجعد ص ٤٧٩ ومسند ابن راهويه ج٤ ص١٦٤ والآحاد والمثاني ج١ص١١٦ وكتاب السّنّة لابن أبي عاصم ص٥٤٩ وموارد الظمآن للهيثميّ ص٣٦٩ والبداية والنّهاية ج٣ص٢٦٦. وإنّما أريد من راء حديث كعب التّشكيك في خلافة عليّ(ع) وإضفاء الشّرعيّة على ملك معاوية. ولا ينقضي العجب من قوله " ثمّ يعودون في الأمن و الطمأنينة "؟! لأنّه إن كان يقصد

(١) قال البخاري في التاريخ الصغير ج ١ص ٨٧: حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال أن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

(٢) سير أعلام النبلاء (بتحقيق نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي)، مؤسسة الرسالة بيروت ـ ١٤١٣هـ

مدّة حكم معاوية فإنّها كانت أمنا وطمأنينة على المجرمين والملحدين وأعداء النبيّ(ص) ؛ وأمّا المؤمنون الصادقون فإنّهم لم ينجوا من كيد وسطوة معاوية وزياد بن سميّة واستبدادهما. وكيف يسمّى زمن أمن وطمأنينة زمن لا يستطيع المرء فيه أن يسمّي ابنه عليّا تيمّنا باسم من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. نعم، لقد خاف النّاس على أنفسهم وأهليهم فالتزموا الصمت، وصمت المكره غير صمت الرّاضي؛ والدّليل على ذلك اندلاع الثّورات إثر وفاة معاوية وقمعها بشدّة من طرف يزيد ابنه بطريقة لا تزال تشوّه تاريخ المسلمين إلى اليوم لا يرحضها شيء.

و في كتاب الجهاد: حدّثنا أشياخنا أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يقول: ليرقع أحدكم ثوبه وليصلحه فإنّه لا جديد لمن لا خلق له[1]. وعن شعبة عن عبد الله الشّاميّ قال سمعت معاوية يخطب وهو يقول يا أهل الشّام حدّثني الأنصاريّ يعني زيد بن أرقم أنّ رسول الله(ص) قال لا يزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ حتّى يأتي أمر الله وإنّي أراكموهم يا أهل الشام[2]. قلت: هذا التّطبيق داخل في الكذب على النّبيّ(ص) ، فإنّه لا خلاف بينهم في أنّه قال في حقّ عمّار بن ياسر رضي الله عنهما " تقتله الفئة الباغية "، وعليه يكون أهل الشّام الفئة الباغية. فكيف تكون الفئة الباغية هي الطائفة التي لا تزال تقاتل على الحقّ؟!

(١) كتاب الجهاد ، عبد الله بن المبارك ص١٧٧ .
(٢) مسند أبي داوود، ص٩٤ .

وقال السيوطي في الإتقان: أخرج الترمذيّ عن معاوية سمعت رسول الله يقول " طلحة ممّن قضى نحبه "[١] . قلت: وهذا يعارضه ما واجه به عمر بن الخطّاب طلحة حيث قال له: إنّ النّبيّ(ص) توفّي وهو ساخط عليك للكلمة التي قلت[٢]. ويصادره الواقع أيضا فإنّ طلحة مات عاصيا يحارب إمامه بعد أن بايعه، وبيعة عليّ(ع) كانت عن طواعية في المسجد لا في سقيفة. وقد سمّى النّبيّ(ص) جماعة الجمل " النّاكثين "ولا يكون النّاكث ممّن صدق ما عاهد الله عليه، فإن النّكث وصدق العهد لا يجتمعان أبدا.

وعن رجاء بن أبي سلمة قال بلغني أنّ معاوية كان يقول عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر فإنّه كان قد أخاف النّاس في الحديث عن النّبيّ(ص) [٣].

وفي التلبيس: روى أبو داوود في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان أنّه قام فقال ألا إنّ رسول الله قام فينا فقال ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة[٤]، وإنّ هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ،ج٢ص٥٢٤.

(٢) قال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج٥ص٢١٤ : وأخرج ابن أبى حاتم عن السدي رضي الله عنه قال بلغنا أنّ طلحة بن عبيد الله قال أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لنتزوّجنّ نساءه من بعده !! فنزلت هذه الآية. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال : قال طلحة بن عبيد الله لو قبض رسول الله (ص) تزوّجت عائشة رضي الله عنها فنزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله.. الآية . وأخرج ابن سعد عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنّه قال إذا توفّي رسول الله (ص) تزوّجت عائشة رضي الله عنها .

(٣) تذكرة الحفاظ ، الذهبي ج ١ص٧ .

(٤) الحديث في يقظة أولي الاعتبار ج١ص ١٩٨كما يلي: عن معاوية رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله فقال ألا إنّ من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة وإنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث وسبعين

النّار، وواحدة في الجنّة وهي الجماعة، وإنّه سيخرج من أمّتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه[1].

أقول: إنّ الحسن والحسين وأمّهما وأباهما قطعا في الجنّة، فهم وأتباعهم الفرقة الناجية؛ فهل يكون معهم من سبّهم وشتمهم ولعنهم وحاربهم وقتلهم؟! ثمّ أيّة جماعة يقصد معاوية؟جماعة فيها عليّ(ع) والحسنان، أم جماعة ليس فيها عليّ ولا الحسنان؟ إنّه ليس في وسعنا إرضاء محبّي معاوية على حساب النبيّ(ص) ، فقد أخبر أنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأنّ أباهما خير منهما، وأخبر أيضا أنّ عليّا(ع) مع الحقّ والحقّ معه يدور معه حيث دار، وأخبر أنّ عليّا(ع) مع القرآن والقرآن معه ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

ولم يأل معاوية جهدا في محاربته وسبّه ولعنه، والمنصف لا يرى في ذلك إلاّ سبّ القرآن وسبّ الحقّ. وإذا أضفنا إلى ذلك حديث النّبي(ص) " من سبّ عليّا فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى " تمّ النّصاب. فأين يكون محلّ الفئة الباغية من الإعراب في جملة الثّلاث وسبعين فرقة؟!

وفي صحيح البخاري عن الزّهري قال كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدّث أنّه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص يحدّث أنّه

اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة وهى الجماعة أخرجه أبو داود في كتاب السّنة له وهذا الحديث رواه أبو داود من طريقين أحدهما من طريق أحمد بن حنبل ومحمّد بن يحيى الذّهلى والثاني من طريق عمر بن عثمان عن بقية عن صفوان تفرد به صفوان عن أزهر(اهـ).

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ج١ص ١٥.

سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية فقام فأثنى على الله بما هو أهله، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّه بلغني أنّ رجالا منكم يتحدّثون أحاديث ليست في كتاب الله تعالى، ولا تؤثر عن رسول الله(ص) ، فأولئك جهّالكم، فإيّاكم والأماني التي تضلّ أهلها، فإني سمعت رسول الله(ص) يقول: إنّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين[1].

هذا الأمر في قريش كما يقول معاوية، لكنّه انتقل إلى الأتراك والفرس والمغول...؛ واقتتلت قريش فيما بينها كلّ يريده لنفسه، ومعاوية نفسه عادى خيرة قريش عترة النبيّ(ص) وحاربهم وسبّهم وافترى عليهم، فأين الحرج في أن يكون ملك من قحطان؟! ثمّ إنّ عبد الله بن عمرو بن العاص لم يقل ما قال تخمينا وإنّما حدّث به، وأحاديثه بعضها عن النّبيّ(ص) وبعضها عن أهل الكتاب. فلماذا لم يتوجّه إليه معاوية شخصيّا؟! ثمّ إنّ في ذيل الحديث الذي احتجّ به معاوية شرطا تجاهله وهو القرشيّ الفصيح والدّاهية الفطن، فالحديث يقول " ما أقاموا الدين "والقاعدة أنّه بانتفاء الشّرط ينتفي المشروط. فإذا لم يقيموا الدّين كان انتقال الأمر إلى قحطانيّ أو غير قحطانيّ أمرا معقولا، لا غرابة فيه.

ولعلّ هذه الحادثة تفسّر بعض ما كان يقوم به معاوية من إيقاد نار الفتنة بين العدنانيّة و القحطانيّة وإغراء الشّعراء بهجاء القبائل. ثمّ ما معنى قول معاوية "لا تؤثر عن رسول الله" ؟ فمتى أحاط معاوية بكلّ أحاديث النّبيّ(ص) وهو الذي أسلم عام

---

(١) صحيح البخاري، ج٣ص١٢٨٩، ح ٣٣٠٩، دار ابن كثير بيروت ١٤٠٩ تحقيق د. مصطفى ديب البغا.

الفتح في آخر حياة النبي(ص) ؟! ومتى كان للطّلقاء علم بالحديث؟ على أنّه لا يخفي على القارئ ما في كلام معاوية من تكذيب لعبد الله بن عمرو، فقد قال بصريح العبارة " بلغني أنّ رجالا منكم يتحدّثون أحاديث ليست في كتاب الله تعالى ولا تؤثر عن رسول الله(ص) "؛وإذا لم تكن الأحاديث في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله(ص) فمن أين جاءت؟! ألا يتحرّج المسلمون بعد ذلك في أخذ الأحاديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقد اتّهمه معاوية صراحة باختلاق الأحاديث و نسبتها إلى النبيّ(ص) ؟

قال ابن كثير[1]: قال الإمام أحمد:حدثنا أبو المغيرة [. .]عبد الله بن لحيّ، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكّة، قام حين صلّى الظّهر فقال: إنّ رسول الله(ص) قال:«إنّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملّة، وإنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث وسبعين ملّة ـ يعني الأهواء ـ كلّها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة ، وإنه سيخرج في أمّتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» والله يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم(ص) لغيركم من النّاس أحرى أن لا يقوم به، وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به، وقد ورد هذا الحديث من طرق.

---

(١) تفسير ابن كثير، ج٢ص٧٨.

٢ـ أحاديث فضائل معاوية:

خير ما يفتتح به هذا الفصل قول الحافظ الذّهبيّ عن إسحق بن راهويه أنّه قال: " لا يصحّ عن رسول الله(ص) في فضل معاوية شيء "[١].

والذّهبيّ غير متّهم في عقيدته في معاوية، بل هو معدود في محبّيه والمدافعين عنه، وكذلك إسحاق بن راهويه شيخ البخاريّ. وللرّجلين في الرّواية والدّراية منزلة لا يستطيع الطّاعنون نفيها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وإذا ضممنا إلى ذلك موقف النسائيّ وقوله المشهور، تمّ نصاب شهادة أكثر من اثنين من أولي الخبرة، فإنّ الذّهبيّ وإن كان في عقيدته لا يضلّل معاوية إلا أنّه لم يعقّب على كلام إسحاق بن راهويه. وقد عقد ابن القيّم في(نقد المنقول) " فصلا خاصّا بما وضع في فضائل معاوية بن أبي سفيان فقال:ومن ذلك ما وضعه بعض جهلة أهل السّنّة في فضائل معاوية بن أبي سفيان. قال إسحاق بن راهويه لا يصحّ في فضائل معاوية بن أبي سفيان عن النّبيّ(ص) شيء. قلت[٢] ومراده ومراد من قال ذلك من أهل الحديث أنّه لم يصحّ حديث في مناقبه بخصوصه، وإلاّ فما علم عندي في مناقب الصّحابة على العموم ومناقب قريش فمعاوية رضي الله عنه داخل فيه[٣].

وهذا التّعليق من طرف ابن القيّم من أعجب ما يلاقيه الباحث، فإنّه لا يعدو أن يكون تحصيل حاصل، لأنّ إسحاق بن راهويه ذكر معاوية ولم يذكر معه غيره، فما

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج٣ص ١٣٢.

(٢) القائل هو ابن القيّم.

(٣) نقد المنقول ، ابن قيم الجوزية ، ج١ص١٠٦.

معنى قول ابن القيّم " في مناقبه بخصوصه"؟! وأمّا ما يرد في مناقب الصّحابة على وجه العموم فإن لم يشترط فيه الإيمان دخل فيه المنافقون، وإن اشترط فيه الإيمان تعيّن إثبات إيمان معاوية أوّلا، وهو أمر دونه خرط القتاد بعد أن ثبت قول النّبيّ(ص) لعليّ(ع) : " لا يبغضك إلاّ منافق " ولا يختلف اثنان في بغض معاوية لعليّ(ع) . ومع ذلك، فإنّ بعض المحدّثين كانوا يشترطون في من يأخذ عنهم أن يكون موقفه من معاوية موقف المعظّم المبجّل .

قال الخطيب البغدادي:سمعت غير واحد يحكي عن أبي عمر الزّاهد أنّ الأشراف والكتّاب وأهل الأدب كانوا يحضرون عنده ليسمعوا منه كتب ثعلب وغيرها وكان له جزء قد جمع فيه الأحاديث التي تروى في فضائل معاوية[علما أنّه لا يصحّ في فضل معاوية شيء] فكان لا يترك واحدا منهم يقرأ عليه شيئا حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء، ثمّ يقرأ عليه بعده ما قصد له. وكان جماعة من أهل الأدب يطعنون على أبي عمر ولا يوثّقونه في علم اللّغة حتى قال لي عبيد الله بن أبي الفتح يقال إنّ أبا عمر لو كان طار طائر لقال حدّثنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ ويذكر في معنى ذلك شيئا. فأمّا الحديث فرأينا جميع شيوخنا يوثّقونه فيه ويصدّقونه[1] . وهذا الجوزجانيّ يتّهم الحمانيّ لكلمته في معاوية؛ قال الخطيب البغدادي:حدّثنا عبد العزيز بن أحمد [..] حدّثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانيّ قال: يحيى بن عبد الحميد ساقط متلوّن ترك حديثه فلا ينبعث[2] . وهذا موقف الذهبيّ من أبي بكر بن أبي دارم الكوفي إذ يقول

---

(١) تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي ج ٣ ص ١٦٠.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ج ١٤ص ١٨١ . أقول:وكلمة الحمانيّ هي " مات معاوية على غير الإسلام ". وقد كلّفته هذه الكلمة غاليا، وصوّبت إليه سهام الحشوية. وثّقه ابن معين، وقال الرّماديّ بخصوص تكلّمهم = =

فيه[1]: مات أبو بكر[بن أبي دارم] في المحرّم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة وقيل سنة إحدى وخمسين. قال الحاكم هو رافضيّ غير ثقة. وقال محمّد بن حمّاد الحافظ كان مستقيم الأمر عامّة دهره ثمّ في آخر أيّامه، كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب. حضرته ورجل يقرأ عليه أنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت محسنا، وفي خبر آخر قوله تعالى وجاء فرعون عمر ومن قبله أبو بكر والمؤتفكات عائشة وحفصة فوافقته وتركت حديثه. قلت[2] شيخ ضالّ معثر[3].

نعم، كان مستقيم الأمر عامّة دهره حتّى قُرئ عليه كتاب المثالب وانكشفت له مسرحية السقيفة، فسقطت عدالته فجأة! وأصبح في نظر الذّهبيّ شيخا ضالاّ معثرا.

وهذه جملة من الأحاديث المفتعلة التي اختلقها أعداء عليّ بن أبي طالب(ع) ليقدّموا من أخّره الله ويؤخّروا من قدّمه الله غافلين عن قوله تعالى " ومن يهن الله فما له من مكرم":

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله(ص) أرحم أمّتي بأمّتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدّهم حياء عثمان، و أقضاهم عليّ بن أبي طالب. ولكلّ نبيّ حواريّ وحواريّ طلحة والزّبير. وحيثما كان سعد بن أبي وقّاص كان الحقّ معه، وسعيد بن زيد من أحبّاء الرّحمن، وعبد الرّحمن بن عوف من تجّار

فيه كما في(تاريخ بغداد ج١٤ص ١٧٩) : هو عندي أوثق من أبي بكر بن أبي شيبة وما يتكلّمون فيه إلاّ من الحسد.

(١) سير أعلام النبلاء ج١٥ ص٥٧٨.

(٢) القائل هو الذهبيّ.

(٣) المعثر : من تكثر منه العثرات.

الرّحمن و أبو عبيدة بن الجرّاح أمين الله وأمين رسول الله، ولكل نبيّ صاحب سرّ وصاحب سرّي معاوية بن أبي سفيان، فمن أحبّهم فقد نجا ومن أبغضهم فقد هلك. أخرجه الملا في سيرته[1].

والمفروض أنّ الحديث يدور حول العشرة، لأنّ الفصل يتحدّث عنهم، وعنوان الكتاب يشير إليهم لا إلى غيرهم، وهم معلومون عند الجمهور، أوّلهم أبو بكر وبعده عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليّ(ع) ثمّ طلحة، ثمّ الزّبير، ثمّ سعد بن أبي وقّاص، ثمّ سعيد بن زيد، ثمّ عبد الرّحمن بن عوف ثمّ أبو عبيدة بن الجرّاح. فهؤلاء عشرة ليس فيهم أنصاريّ واحد[2]! فمن أين جاء اسم معاوية ومن الذي أقحمه في القائمة؟! إنّ هذا لا يناسب عنوان الفصل لأنّه يصرّح بعشرة، والمدرجون في الحديث أحد عشر رجلا! وبما أنّ أسماء العشرة معلومة عند المسلمين في بقيّة الكتب، وكلّهم من المهاجرين وليس معاوية من المهاجرين إذ لا هجرة بعد الفتح ، فلا شكّ أنّ يد التّحريف قد امتدّت إلى الرّواية ـ على فرض ثبوتها ـ إمّا قديما أو حديثا، وليس هذا أوّل ما يشكّك في صحّة أحاديث الفضائل.

وفي طبقات الحنابلة ج١ص٣٤٧: عن مهنّا قال سألت أحمد عن معاوية بن أبي سفيان فقال له صحبة فقلت ومن أين هو قال مكّيّ قطن الشّام.

---

(١) الرياض النضرة ـ محب الدين الطبري ـ ج١ص٢١٦.

(٢) هذا الحديث وأمثاله مما اختلقه معاوية وأتباعه حقدا على الأنصار الذين نصروا رسول اله(ص) على قريش، وقد حرض معاوية وابنه يزيد شاعرا نصرانيا (هو الأخطل) على هجاء الأنصار فقال أبياتا في ذلك منها : ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الأنصار.

وقال السّيوطيّ: أخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية: سمعت النّبيّ(ص) وسلم يقول اللهمّ علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب[1]!

قلت: بدل التّعليق، أحبّذ للقارئ أن يتمعّن في البحث الذي جاء به حسن السّقاف في كتابه(**تناقضات الألبانيّ**) بخصوص هذا الحديث.

قال السّيوطيّ : وأخرج ابن أبي شيبة في المصنّف والطّبرانيّ في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال: قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي النّبيّ(ص) يا معاوية إذا ملكت فأحسن. وكان معاوية رجلا طويلا أبيض جميلا مهيبا وكان عمر ينظر إليه فيقول هذا كسرى العرب. وعن عليّ قال لا تكرهوا إمرة معاوية فإنّكم لو فقدتموه لرأيتم الرّؤوس تندر عن كواهلها. وقال المقبريّ تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية. وكان يضرب بحلمه المثل. وقد أفرد ابن أبي الدّنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفا في حلم معاوية. قال ابن عون: كان الرّجل يقول لمعاوية والله لتستقيمنّ بنا يا معاوية أو لنقوّمنّك فيقول بماذا؟ فيقول: بالخشب فيقول إذن نستقيم. وقال قبيصة بن جابر: صحبت معاوية فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه. ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشّام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلمّا مات يزيد استخلفه على دمشق فأقرّه عمر، ثمّ أقرّه عثمان وجمع له الشّام كلّه، فأقام أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة. قال كعب الأحبار: لن يملك أحد هذه الأمّة ما ملك معاوية[2] قال الذّهبيّ: توفّي كعب قبل أن يستخلف

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ج١ص ١٩٤.

(٢) هذا القول غير صحيح، فإنّ الخليفة العبّاسي النّاصر لدين الله ملك مدّة أطول و في ظروف رخاء وعزّة، قال الذّهبيّ فيما نقل عنه السّيوطيّ في تاريخ الخلفاء ج١ص٤٤٨: " لم يل الخلافة أحد أطول مدّة منه فإنّه =

معاوية، قال وصدق كعب فيما نقله[1] فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض بخلاف غيره ممّن بعده، فإنّه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك وخرج معاوية على عليّ.

أقول: إضافة إلى بطلان قول كعب، وبطلان قول الذّهبيّ كما أشرت إليه بهامش الصفحة، فإنّ استدلال السّيوطيّ ومن على شاكلته عجيب، حيث يركّزون على مسألة الخروج وعدم الخروج. أليس قد خرج مسيلمة وغيره على النبيّ(ص) ؟ فهل يقدح ذلك في شرعيّة حكمه؟! وإنّما يلام الخارج لا الحاكم الشّرعيّ. وإنّك لا تجد من عوامّ النّاس من يقتنع بما اقتنع به السّيوطيّ ومن ينحو نحوه إذا تبيّن له الأمر على وجهه. وليتنا كنّا نعلم شيئا عن إحساسات السّيوطيّ ووجدانيّاته حينما يقرأ حديث النّبيّ(ص) "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار" وحديث "عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ".

= أقام فيها سبعا وأربعين سنة ولم تزل مدة حياته في عزّ وجلالة وقمع للأعداء واستظهار على الملوك ولم يجد ضيما ولا خرج عليه خارجيّ إلاّ قمعه ولا مخالف إلاّ دفعه وكلّ من أضمر له سوءا رماه الله بالخذلان " اهـ

أقول : وكان على مذهب الشّيعة الإماميّة لا خلاف بين المؤرّخين في ذلك.

(١) هذا من عجائب ما يأتي به الذّهبيّ، فإنّه منقوض بما قاله في حقّ الناصر لدين الله العبّاسيّ ـ كما سبق ـ، ولا خلاف بين المؤرخين في أنّ مدة خلافة الناصر تجاوزت الأربعين عاما . وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء (ج١ص٤٥٠) في وصف مدة خلافته: قال ابن النّجار: " فتح البلاد العديدة وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدّمه من الخلفاء والملوك وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين وكان أشد بني العباس تنصدع لهيبته الجبال وكان حسن الخلق لطيف الخلق " (اهـ). أقول : وشذّ ابن الأثير فتحامل عليه بدافع الانتماء المذهبيّ لأنّ النّاصر كان معلنا بتشيّعه. ولا يفوت التنبيه إلى أنّ كثيرا مما كان كعب الأحبار يدّعي وجوده في التّوراة لا وجود له في التوراة المتداولة بين أيدي الناس اليوم بشتّى اللغات، وهذا معناه أنّه كان لكعب توراة خاصة به، لا علاقة لها بتوراة موسى عليه السلام.

وإليك كلاما يزيد المؤمن بصيرة في دينه؛ قال حسن بن عليّ السّقّاف في كتابه تناقضات الألباني[1]: حديث عمير بن سعيد قال: لا تذكروا معاوية إلاّ بخير فإنّي سمعت رسول الله(ص) يقول: " اللهمّ اهد به ". رواه التّرمذيّ في سننه(ج٥ ص٦٨٧) وغيره. قلت: صحّحه الألبانيّ في (صحيح سنن التّرمذيّ ج ٣ ص ٢٣٦) فقال: (صحيح بما قبله) اهـ! قلت[2]: كلاّ والذي برأ النّسمة، فإنّه حديث موضوع لاشكّ في ذلك فإنّ في سنده عمر وبن واقد، وقد قال فيه الألبانيّ نفسه في ضعيفته[3] (ج٢ص٣٤١) متناقضا: (وعمرو بن واقد متروك كما في التّقريب)اهـ وقال في صحيحته (ج١ص٤٥٨)عن طريق فيها عمرو هذا: (فهذه طريق أخرى عن إسماعيل ولكنّها واهية فإنّ عمرو بن واقد متروك) اهـ قلت: بل هو كذّاب كذّبه جماعة من الحفّاظ، ففي(تهذيب التهذيب) (ج٨ص١٠٢) قال أبو مسهر: كان يكذب، وقال البخاريّ وأبو حاتم ودحيم ويعقوب بن سفيان: ليس بشيء وكان مروان يقول: عمرو بن واقد: كذّاب. وقال النّسائيّ و الدّارقطنيّ والبرقانيّ: متروك الحديث . . وقال ابن حبّان: يقلّب الأسانيد ويروي المناكير عن المشاهير واستحقّ التّرك (اهـ). فعلى الألبانيّ أن يضرب على هذا الحديث لأنّه موضوع وراويه كذّاب متروك وهو لا ينفع ولا يصلح في الشّواهد!(انتهى كلام السّقّاف).

ومن أحاديث الفضائل: عن خارجة بن زيد عن أبيه مرفوعا: يا أمّ حبيبة ! لله أشدّ حبّا لمعاوية منك، كأنّي أراه على رفارف الجنّة. قال الذّهبيّ: خبر باطل اتّهم بوضعه

(١) تناقضات الألباني الواضحات — السقّاف ـ ج ٢ص ٢٢٧.
(٢) القائل هو السّقّاف.
(٣) ضعيفته : أي سلسلة الأحاديث الضعيفة ، وصحيحته سلسلة الأحاديث الصحيحة.

محمّد بن رجاء[1]. قلتُ: الله أشدّ حبّا لعليّ(ع) وأشدّ حبّا لمعاوية، و"حبّ المتعاديين شرعه أن تحبّ موسى(ع) وفرعون، وإبراهيم(ع) ونمرود، وجبرائيل(ع) وإبليس، والإمام الخمينيّ رحمه الله وصدّام حسين! وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون.

وقال ابن كثير: ثمّ ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شكّ في فضل معاوية، أضربنا عنها صفحا، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصّحاح والحسان والمستجادات عمّا سواها من الموضوعات والمنكرات [2].

والحقّ أنّ ابن كثير يغالط وكأنّ الله لا يعلم كثيرا مما يصنع، لأنّ التي يسمّيها صحاحا مستجادة أيضا لا يصحّ منها شيء كما سبق بيانه من قول أهل الفنّ، وتدفعها أحاديث صحيحة واردة في مدح عليّ وأهل بيته(ع) وذمّ معاوية وأهل بيته، وحاشا لرسول الله(ص) أن يكون في كلامه تناقض وهو الذي لا ينطق عن الهوى. ولكنّ ابن كثير شاميّ أمويّ الهوى، وشيخه ابن تيمية الحرّانيّ، ومن يشابه شيخه فما ظلم.

وقد ذهب بعضهم إلى نسبة أحاديث باطلة إلى عليّ بن أبي طالب(ع) ليضفوا صبغة الشّرعيّة على ملك معاوية الذي سماه النّبيّ(ص) ملكا عضوضا. ومن ذلك ما رواه نعيم في الفتن: عن سفيان بن الليل قال سمعت حسن بن عليّ يقول سمعت عليّا رضي الله عنه يقول سمعت النّبيّ(ص) يقول: لا تذهب اللّيالي والأيّام حتى يجتمع أمر

---

(١) ميزان الاعتدال، ج٣ ص٥٦.

(٢) البداية والنهاية، ج٨ ص١٢٢.

هذه الأمّة على معاوية[١]. وهذا شيء تأباه القلوب المتبصّرة والضمائر الحية النّزيهة، فإنّه لا أحد من المنصفين بقول باجتماع النّاس على معاوية[٢]. كيف وهو القائل في مسجد الكوفة بعد صلح الحسن " وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم ". وإذا كان النّاس قد اجتمعوا عليه فما باله يتتبّع شيعة عليّ(ع) في كلّ مكان ويتفنّن في قتلهم وتعذيبهم، لا يراعي فيهم صحبتهم النّبيّ(ص) وسوابقهم في الإسلام !! غير أنّ ههنا حديثا يستشفّ منه موقف النّبيّ(ص) من معاوية واستخفاف الأخير بأمر النّبيّ(ص) وتعامله معه بسوء الأدب. ففي صحيح مسلم وغيره من طريق ابن عبّاس قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله(ص) قد جاء فقلت: ما جاء إلاّ إليّ. فاختبأت على باب، فجاءني فخطاني خطى أو خطاتين ثم قال: اذهب فادع لي معاوية. قال: فذهبت فدعوته له فقيل: إنّه يأكل، فأتيت النّبيّ(ص) فقلت: إنّه يأكل فقال: اذهب فادعه، فأتيته الثّانية فقيل:إنّه يأكل فأخبرته، فقال في الثّالثة: لا أشبع الله بطنه قال: فما شبع بعدها[٣].

هذا الحديث عدّه ابن كثير منقبة لمعاوية فقال: "قد انتفع معاوية بهذه الدّعوة في دنياه وأخراه، أمّا في دنياه فإنّه لمّا صار إلى الشّام أميرا، كان يأكل في اليوم سبع

---

(١) الفتن ـ نعيم بن حماد ج١ص١٢٧.

(٢) دعوى اجتماع الناس على ملك معاوية تشبه دعوى المخلوع صدّام إجماع العراقيّين على انتخابه بنسبة ١٠٠٪ قبيل سقوطه ونهايته التعيسة.

(٣) صحيح مسلم ج٨ص٢٨[دار الفكر بيروت]وأسد الغاية ج٤ص٣٦٨ وتهذيب الكمال ج١ص٣٣٨[مؤسسة الرسالة ١٤٠٦]وتهذيب الكمال ج٢٢ص٣٤٤[مؤسسة الرسالة١٤١٢]وميزان الاعتدال ج٣ص٢٣٩[دار المعرفة بيروت]وسير أعلام النبلاء ج٥ص٣٨٨[مؤسسة الرسالة بيروت١٤١٢]وشرح مسلم ج١٦ ص١٥٦ [دار الكتاب العربي بيروت١٤٠٧].

مرّات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم[!] ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ويقول: والله ما أشبع وإنّما أعياه، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كلّ الملوك! وأمّا في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاريّ وغيره من غير وجه عن جماعة من الصّحابة أنّ النّبيّ (ص) قال:اللهمّ إنّما أنا بشر فأيّما عبد سببته[1] أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفّارة وقربة تقرّبه بها عندك يوم القيامة. فركّب مسلم من الحديث الأوّل وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ولم يورد له غير ذلك .

أقول: أوّل ما يلفت انتباه المتتبّع للكلام محاولة ابن كثير التّحريف والتزوير ونسبة الباطل إلى نبيّ الهدى، فإنّه(ص) دعا ـ في الحديث ـ على معاوية ولم يدع له، والفرق بين الدّعوتين معلوم، وهذا شأن أفعال معيّنة في اللّغة العربية مثل رغب ومال وانصرف وغيرها، فإنّها تدور مدار الحرف الذي يليها، وهو يحقّق نسبة التّقابل فيها ، فإن قال القائل: "رغب فيه" أو "رغب إليه" فإنّه يقصد بذلك الميل والطّلب، أمّا إن قال " رغب عنه " فإنّه يقصد التّرك والإعراض والنّفور. فمع أنّ الفعل واحد إلاّ أنّ المعنى تغيّر بتغيّر حرف المعنى الذي يليه. وكذلك الشّأن في "مال" و"انصرف" و"تولّى"وغيرها. وهو الشّأن نفسه في الفعل "دعا"؛ إذا قلت "دعا له" فإنّ معناه طلب الرّحمة، وأمّا "دعا عليه" فالمقصود منه طلب نزول النّقمة،

(١) هذا الحديث يتضمّن القدح في شخص النبيّ الكريم(ص) إذ يدّعي راويه أنّ النّبيّ(ص) يسبّ من ليس أهلا للسّبّ ويجلد من ليس أهلا للجلد، وهذا ينافي قوله تعالى " وإنّك على خلق عظيم " وكيف يقول النبيّ(ص) للمسلمين : " المؤمن ليس بسبّاب. . " ويقول أيضا " سباب المسلم فسوق " ثم يبادر إلى فعل ما نهى الآخرين عن فعله ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

والنّسبة بين الفعلين معلومة لكلّ من يعرف العربيّة. لكنّ ابن كثير مع تيقّنه أنّ النّبيّ(ص) أفصح من نطق بالعربية يأبى إلاّ الانقياد للتّعصّب المقيت. وكيف يصحّ ما ذهب إليه ابن كثير بعد أن حذّر النّبيّ(ص) من الإكثار من الأكل، وذمّ فاعله، وقال عن المعدة إنّها بيت الدّاء، وقال بصريح العبارة: " ما ملأ ابن آدم وعاء شرّا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا بدّ فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه". وقد ملأ معاوية الأثلاث كلّها بأكلاته السّبع، إضافة إلى الحلوى والفاكهة. ولو أنّ غير معاوية فعل هذا لأنزل عليه ابن كثير وابلا من اللّوم والتّوبيخ، ولشبّهه بالأنعام السّائمة، ولقال عنه ما شاء الله أن يقول، ولكن معاوية هو الفاعل، وإذا فلا بأس بفتح باب التّأويل وتحريف كلام النّبيّ(ص) ولو بما يضحك الثكلى! أين ذلك من قول علي(ع) " ألا وإنّ خليفتكم قد اكتفى من طعامه بقرصيه ومن لباسه بطمريه " ؟!

قال ابن عساكر: أخبرنا أبو محمّد بن الإسفرايني[..] محمّد بن زياد عن عوف بن مالك الأشجعي قال: بينما أنا راقد في كنيسة يوحنّا ـ وهي يومئذ مسجد يصلى فيها ـ إذ انتبهت من نومي فإذا أنا بأسد يمشي بين يدي فوثبت إلى سلاحي ، فقال الأسد : مه . إنّما أرسلت إليك برسالة لتبلّغها، قلت: ومن أرسلك ؟ قال: الله أرسلني إليك لتبلغ معاوية السّلام وتعلمه أنّه من أهل الجنّة! فقلت له:ومن معاوية ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان [1].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر ج ٥٩ ص ١٠٩ /دار الفكر ، بيروت ١٤١٥.

قلتُ: ليس هذا ببعيد!(وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه)؛ فلا عجب أن يرسل الوحوش إلى الوحوش!

محمّد بن زياد هو الحمصيّ، شاميّ ناصبيّ من ألدّاء أعداء أمير المؤمنين عليّ(ع) ، وثقه ابن معين، وقال: ثقة مأمون، وذكره ابن حبّان في الثّقات وقال لا يعتدّ بروايته إلاّ ما كان من رواية الثّقات عنه[1]. وقال الحاكم: "اشتهر عنه النّصب كحريز بن عثمان"[2]. أمّا عوف بن مالك الأشجعيّ فصحابيّ، لكن له أخبار تنمّ عن شخصية مذبذبة. قال ابن حزم:"من طريق محمد بن إسحاق في مغازيه عن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن مالك الأشجعيّ قال: كنت في غزوة ذات السلاسل، فذكر قسمته الجزور بين القوم وأنّهم أعطوه منها فأتى به إلى أصحابه فطبخوه فأكلوه، ثمّ سأله أبو بكر وعمر عنه، فأخبرهما فقالا له: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا! ثمّ قاما يتقيّآن ما في بطونهما"[3]. وقال محمّد بن سعد في الطبقات الكبرى[4]: عوف بن مالك الأشجعيّ أسلم قبل حنين وشهد حنينا ، وكانت راية أشجع معه يوم فتح مكّة، وتحوّل إلى الشّام في خلافة أبي بكر فنزل حمص، وبقي إلى أوّل خلافة عبد الملك بن مروان، ومات سنة ثلاث وسبعين. وكان يكنى أبا عمرو.

وقال ابن سعد أيضا:أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجليّ قال أخبرنا أبو سنان عن بعض أصحابه أنّ النّبيّ(ص) آخى بين أبي الدّرداء وبين عوف بن مالك الأشجعيّ.

---

(١) نعيم بن حماد أيضا قالوا عنه ما قالوا، وهو مشهور بمخالفته لأبي حنيفة وردوده على الجهمية، وقد وثّقه أحمد ويحي بن معين؛ والباحث في مسألة الجرح والتّعديل يجد أنّه قلّما يسلم من الجرح أحد حتّى رؤساء المذاهب .

(٢) تهذيب التهذيب ج٩ ص١٧٠ .

(٣) المحلى - ابن حزم ج ٨ ص ١٤٣.

(٤) الطبقات الكبرى ـ ابن سعد، ج ٧ ص ٤٠٠ دار صادر بيروت .

قال محمّد بن عمر: وشهد عوف بن مالك خيبر مسلما وكانت راية أشجع مع عوف بن مالك يوم فتح مكّة. قال أخبرنا عبيد الله بن موسى وعبد الوهّاب بن عطاء قالا: أخبرنا أسامة بن زيد اللّيثيّ عن مكحول قال: جاء عوف بن مالك الأشجعيّ إلى عمر بن الخطاب وعليه خاتم من ذهب فضرب عمر يده وقال أتلبس الذّهب؟ فرمى به فقال له عمر: ما أرانا إلا وقد أوجعناك وأهلكنا خاتمك. فجاء من الغد وعليه خاتم من حديد فقال: حلية أهل النّار؟ فجاء من الغد وعليه خاتم من ورق فسكت عنه. قال محمّد بن عمر وتحوّل عوف بن مالك إلى الشّام في خلافة أبي بكر فنزل حمص وبقي إلى أوّل خلافة عبد الملك بن مروان ومات سنة ثلاث وسبعين وكان يكنى أبا عمرو[١].

فالرّجل كان دائما مع أهل الشام، لم ينصر عليّا(ع) ضدّ النّاكثين والقاسطين والمارقين، ولا هو نصر الحسين(ع) يوم كربلاء ،والله سائله عن ذلك بموجب آية مودة القربى.

وفي طبقات خليفة: عوف بن مالك يكنى أبا عبد الرحمن ويقال أبا[٢] عمرو، من ساكني الشّام. مات سنة ثلاث وسبعين[٣].

وفي التاريخ الكبير:عن أبي بردة عن عوف بن مالك سمع النّبيّ(ص) يقول: "الشّفاعة لمن مات من أمّتي لا يشرك بالله شيئا"[٤]. وفي التاريخ الكبير أيضا:"عوف بن مالك أبو عبد الرحمن الأشجعيّ نزل الشّام، له صحبة. وقال ابن عفير عن عطّاف

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ،ج٤ص ٢٨٠ ، دار صادر بيروت
(٢) "أبا" الثانية مفعول ثان لفعل يكنى المحذوف.
(٣) طبقات خليفة، ص ٩٥، دار الفكر، ١٤١٤.
(٤) التاريخ الكبير، البخاري، ج ١ص ١٨٤.

عن إسماعيل بن رافع غزا عوف مع يزيد بن معاوية قسطنطينية، كنّاه عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح، وقال يحيى بن واضح كنيته أبو حمّاد، وقال عبد الله بن صالح حدّثني معاوية بن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك كنّا نرقي في الجاهليّة فقلنا يا رسول الله كيف ترى في الرّقى؟قال اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرّقى ما لم يكن شرك "[1]. وفيه أيضا[2]:عن مسلم بن قرظة الأشجعيّ عن عوف بن مالك الأشجعيّ عن النّبيّ(ص) (خياركم و)خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم (وقال الحميدي حدّثنا الوليد قال حدّثني جابر سمع رزيقا سمع مسلم بن قرظة سمع عوفا عن النّبيّ(ص) مثله). وفي التاريخ الصغير:عوف بن مالك غزا مع يزيد بن معاوية قسطنطينية كنيته أبو عبد الرحمن الأشجعيّ سكن الشّام[3].

هذا في ما يخصّ الصحابيّ عوف بن مالك الأشجعيّ الذي علّم منطق الأسود، وإذا كان الله تعالى يصطفي من الملائكة رسلا ومن النّاس، فإنّ الرّسول في قصّة مالك الأشجعيّ أسد؛ وكان مالك نائما في كنيسة هي مسجد يصلّى فيه! وفي عوف هذا كلام على عهد النبيّ(ص) ، فقد ذكر علاء الدين المارديني (الشهير بابن التّركمانيّ) في كتابه الجوهر النّقيّ[4]أنّ مدديّا قتل روميّا فاستكثر عليه خالد بن الوليد سلبه، فشكاه عوف بن مالك للنّبيّ(ص) فأمره بردّ سلبه له، ثمّ غضب(ص) على

(١) التاريخ الكبير، البخاري، ج ٧ ص٥٦.
(٢) نفس المصدر، ج ٧ص ٢٧١.
(٣) التاريخ الصغير، البخاري، ج ١ ص ١٥٢: دار المعرفة بيروت ١٤٠٦.
(٤) الجوهر النقي ، المارديني، ج ٦ص ٣١٠.

عوف فقال: يا خالد لا تردّ عليه .. الحديث. قال ابن حزم بخصوص هذه الواقعة[١]: " وثالثها أنّ في نصّه أنّ(ص) إنّما أمره بأن لا يردّ عليه لأنّه علم أنّ القاتل صاحب السّلب أعطاه بطيب نفس ولم يطلب خالدا به، وأنّ عوفا يتكلّم فيما لا حقّ له فيه. وهذا هو نصّ الخبر ". أقول : فمن كانت هذه حاله مع النّبيّ(ص) إلى درجة أن غضب عليه فإنّه لا يستبعد أن تكون سيرته غير محمودة في زمن الفتنة.

وبخصوص ملك معاوية وابنه يصرّ عبد الله بن عمرو بن العاص على محاولة الحطّ من شأن عليّ بن أبي طالب وسيدي شباب أهل الجنة؛ ففي كتاب الفتن عن عقبة بن أوس السّدوسيّ قال: قال عبد الله بن عمرو:" أبو بكر الصديق أصبتم اسمه، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه، ابن عفان ذو النور قتل مظلوما أوتي كفلين من الرّحمة، ملك الأرض المقدّسة معاوية وابنه. قالوا: ألا تذكر حسنا ألا تذكر حسينا؟ قال: فعاد لمثل كلامه حتى بلغ معاوية وابنه وزاد السّفّاح وسلام ومنصور وجابر والأمين وأمير العصب كلّهم لا يرى مثله، ولا يدرك مثله، كلّهم من بني كعب بن لؤي فيهم رجل من قحطان؛ منهم من لا يكون إلا يومين، منهم من يقال له لتبايعنا أو لنقتلنك فإن لم يبايعهم قتلوه"[٢].

قلت: وأنت ترى كيف استنكر السّامعون واعترضوا كلامه قائلين: ألا تذكر حسنا ألا تذكر حسينا؟! إنّهم لم يقولوا له ألا تذكر عليّا، لأنّ ذكر عليّ(ع) قضيّة تمسّ أمن الدّولة، لكنّهم سألوه عن حسن وحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، وعاد

---

(١) المحلى ، ابن حزم ، ج ٧ ص ٣٣٨.

(٢) كتاب الفتن ، نعيم بن حماد ، ج١ص ١١٠ .

لمثل كلامه! ولا عجب من ذلك إذا علم أنّ الرّجل حارب عليّا(ع) في صفّين، وأقرّه معاوية على ما كان تحت يد أبيه من حطام الدّنيا، وقد كان معاوية يشترط على الذين ينصّبهم في المناصب المرموقة أن يسبّوا عليّا ويشتموه ويلعنوه على المنابر، ويقصوا محبّيه ويقرّبوا أعداءه؛ ولم يرفض عبد الله بن عمرو بن العاص هذه الشّروط الآثمة ولا استعفى من منصبه، بل بقي على ولائه لمعاوية المستلزم معاداته لعليّ وأهل بيته(ع) .

وفي الفتن: عن ابن علية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال بعد عمر ابن عفّان ثمّ معاوية وابنه[1]. قلت: إن يكن الحديث على جهة الإخبار فهو بمنزلة تحصيل الحاصل بعد أن ذكر النّبيّ(ص) فتنة بني أميّة وما يجنونه في حقّ أهل بيته(ع) . وإن يكن الحديث مقصودا منه إضفاء الشّرعيّة على حكم بني أميّة فجوابه (ضعف الطالب والمطلوب)، لأنّ الشّرعيّة لا تكون بكلام شخص أو رأيه. وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص هذا ملازما لكعب الأحبار اليهوديّ، أخذ عنه كثيرا من الضّلالات، وكان كثير من النّاس يتجنّبون الرّواية عنه لأجل ذلك. على أنّ عبد الله بن عمرو مات بعد وفاة كلّ من معاوية وابنه يزيد[2]، ولا مانع أيضا أن يكون مطّلعا على مؤامرة اغتيال عمر، فإنّه من تلاميذ كعب الأحبار الذي تنبّأ بقتل عمر بعد ثلاث

---

(١) نفس المصدر السابق، ج١ص١٢٥ .

(٢) قال ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ١٦٧ : " قال الواقديّ مات [عبد الله بن عمرو] بالشّام سنة خمس وستّين وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين وقال ابن البرقيّ قيل مات بمكّة وقيل بالطائف وقيل بمصر ودفن في داره قاله يحيى بن بكير. وحكى البخاريّ قولا آخر أنّه مات سنة تسع وستّين؛ وبالأوّل جزم ابن يونس، وقال ابن أبي عاصم مات بمكّة وهو ابن اثنتين وسبعين وقيل مات سنة ثمان وستين وقيل تسع وستين " .اهـ

لا أكثر ولا أقلّ، وزعم أنّ اغتيال عمر موجود في التوراة، وهاهي التوراة في المكتبات ومدارس الكتابيين ومواقع الأنترنيت لا ذكر فيها لابن الخطاب!!



الفصل العاشر

عقائد معاوية

- كلام حول إيمان معاوية
- عقيدة معاوية في الإسراء والمعراج
- عقيدة معاوية في النبي(ص)
- معاوية و التبرك
- معاوية وشهداء أحد
- معاوية و هجاء الأنصار
- معاوية وإبطال الحدود
- معاوية والصلاة



- موقف معاوية من السنة
- استلحاق زياد
- معاوية والحديث النبوي
- معاوية والغدر

إيمان معاوية:

لا يصحّ اختصار الحديث عن إيمان معاوية بن أبي سفيان في ذكر ما كان عليه من الشّرك قبل فتح مكة، وما شارك فيه غيره من الطلقاء والمؤلّفة قلوبهم؛ بل لا بدّ من تتبّع ما صدر منه في المعتقدات التي أجمع عليها أهل القبلة، وعلى رأسها وجوب الاعتقاد بكل ما في القرآن الكريم، وما ثبت صدوره عن النّبيّ(ص) . وقد كان معاوية في هذين مضطربا غير واضح الموقف، ويتجلّى ذلك في قضية استلحاق زياد التي أنكر فيها معلوما من الدين بالضرورة؛ فقد نزل قرآن يتلى يحرّم التبنّي، وتتابعت الأحاديث في لعن من ادّعى إلى غير أبيه، ومع ذلك ادّعى معاوية أنّ زياد بن عبيد لم يكن ابن عبيد الذي ولد على فراشه، وإنّما كان لأبي سفيان الأمويّ . وقد أحدث ذلك في حياة زياد نفسه اضطرابا وبلبلة، لأنّه باعتبار كونه لأبي سفيان ـ من باب الفرض ـ لا يحلّ له أن يقطع رحم أخته ـ المزعومة ـ أمّ حبيبة ، وهذا ما لم تتحمّس له أمّ حبيبة للتّنافس الذي كان بين أزواج النّبيّ(ص) ؛ ولم أعثر على نصّ يفيد أنّ زيادا زار المدينة ورآها من دون حجاب، وإن يكن حدث ذلك، فهو لا يعني أكثر من سقوط آخر ما يتحصّن به آل حرب من علقة برسول الله(ص) عن طريق الزواج الذي تمّ يوم لم يكن لأبي سفيان على ابنته ولاية، لما بين إسلامها وكفره؛ والذي أراه أسدّ وأصوب لتبيّن الموقف من معاوية بخصوص عقائد المسلمين، هو تتبّع مواقفه من النّبيّ(ص) في أيّام حكمه في دمشق في مالا يقبل النّقاش من أمور تسالموا عليها، إضافة إلى أقوال من تعتبر أقوالهم من المتكلّمين والمحدّثين، ممّن لا يخرجهم الرضا عن الصّدق، ولا يدفعهم البغض إلى الجور في إصدار الحكم. وأنا ذاكر ههنا بعون الله تعالى ما أتوقّع أن يتمعّن القارئ فيه، ويحاول

استشفاف ما وراء الأقوال والأفعال التي صدرت من معاوية وحملت غيره على توجيه سهام النّقد إليه.

قال القاضي عبد الجبار في(المغني في أبواب العدل والتوحيد): أظهر معاوية أنّ ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذرا في ما يأتيه ويوهم أنّه مصيب فيه، وأنّ الله جعله إماما و ولاّه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أميّة[١].

أقول: هذا أمر تجاهله المتكلّمون من أبناء الجمهور، لكونه يقدح في حكم معاوية، والقدح فيه مستلزم إبطال نظريّة عدالة جميع الصّحابة. وعبارات معاوية في هذا المعنى مبثوثة في كتب التاريخ والأدب، يكفينا منها قوله كما في مصنف ابن أبي شيبة:[..] عن سعيد بن سويد قال: صلّى بنا معاوية الجمعة بالنخيلة في الضحى، ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، وقد أعرف أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون[٢].

يقول معاوية: قد أعطاني الله ذلك! إذًا فالله تعالى هو الذي حارب[٣]عليّ بن أبي طالب حبيبه وحبيب رسوله(ص) ،وهو سبحانه وتعالى الذي قتل آلاف الأبرياء ودفن بعضهم أحياء!

(١) رسائل العدل و التوحيد ج٢ص٤٦.
(٢) المصنف ، ابن أبي شيبة الكوفي ج ٧ ص ٢٥١ الحديث رقم ٢٣.
(٣) حديث " يحب الله و رسوله ويحبّه الله و رسوله " يوجد في صحيح البخارى ج ٤ص ٢٠وصحيح مسلم ج٥ ص١٩٥.

والذي يستوقف الباحث عن الحقّ ههنا، هو التّناقض الصريح بين ما كان يهتف به معاوية أيّام رفع المصاحف، وما يصرّح به هنا، وهو أنّه قاتلهم ليتأمّر عليهم. فلماذا كان يتحدّث عن دم عثمان المظلوم؟ لم يكن التباكي على عثمان إذاً سوى وسيلة للوصول إلى الحكم، وهذا عند أفضل القرون!!

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ومعاوية مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله، يرمى بالزّندقة. وقد ذكرنا في نقض "السفيانية "على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاميّة عنه من الإلحاد والتعرض للنّبيّ (ص) ، وما تظاهر به من الجبر والإرجاء، ولو لم يكن شيء من ذلك، لكان في محاربته الإمام ما يكفي في فساد حاله، لا سيما على قواعد أصحابنا، وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النّار والخلود فيها، إن لم تكفّرها التوبة[1].

ولم تثبت لمعاوية توبة، بل ثبت قوله "لا والله إلاّ دفنا دفنا " كما أخرجه الزّبير بن بكار في الموفّقيّات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة. قال محمّد بن عقيل الشافعي: ومما يدلّ على استخفاف معاوية بمقام النّبوّة، ما نقله أبو جعفر الطّبريّ بسنده قال: حدّثني عبد الله بن أحمد قال حدّثني أبي قال: حدّثني سليمان قال: قرأت على عبد الله عن فليح قال أخبرت أنّ عمرو بن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر، فقال لهم عمرو: انظروا إذا دخلتم على ابن هند فلا تسلّموا عليه بالخلافة، فإنّه أعظم لكم في عينه، وصغّروه ما استطعتم. فلمّا قدموا عليه قال معاوية لحجّابه: كأنّي أعرف ابن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ، ج ١ص ٣٤٠.

النّابغة وقد صغّر أمري عند القوم، فانظروا إذا أدخل الوفد فتعتعوهم أشدّ تعتعة تقدرون عليها، فلا يبلغني رجل منهم إلاّ وقد همّت نفسه بالتّلف. فكان أوّل من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخيّاط وقد تعتع فقال: السّلام عليك يا رسول الله! وتتابع القوم على ذلك، فلمّا خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله، نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة، فسلّمتم عليه بالنّبوة[1].

أقول: ليس في وسع أحد أن يدافع عن معاوية في مثل هذا المقام، فإنّ النبوّة منصب إلهيّ لا يمكن أن يدخل في نزاعات النّاس وقضاياهم الشخصية، لا جدّا ولا هزلا. ولو كان لدى معاوية احترام للمقام لاستغفر الله تعالى وقال للمصريين: ما أنا إلاّ رجل من قريش؛ لكنّه لم يفعل، بل تمادى وتعامل مع المسألة وكأنّ الكلام في محلّه. وهل يرضى موحّد قرأ سورة الأحزاب[2]أن يخاطبه النّاس بقولهم" السّلام عليك يا رسول الله " ؟! هذا مع أنّ معاوية يروي حديث "من أحبّ أن يتمثل له النّاس قياما.."؛ قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: عن عبد الله بن بريدة قال سمعت معاوية يقول قال رسول الله(ص) من سرّه أن يستجم له بنو آدم قياما وجبت له النّار[3]. وفي معجم الصحابة:[..]عن أبي مجلز عن معاوية قال: قال رسول الله(ص) :

---

(١) النّصائح الكافية ، محمّد بن عقيل الشافعي، ص ١٢٤.

(٢) * المقصود قوله تعالى : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (الأحزاب ٤٠).

(٣) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ج ١٣ص١٩٥.

من أحبّ أن يتمثّل له الرّجال قياما فليتبوّأ مقعده من النار[1]. ومعاوية في القصّة السابقة لم يقنع بأن يتمثّلوا له قياما، بل زاد على ذلك أن تعتعهم حتى خاطبوه بالرّسالة وقالوا بما لا يحتمل التأويل: "السّلام عليك يا رسول الله" ولم ينكر عليهم، ولم يُذكر أنّ أحدا في مجلسه أنكر ذلك.

قال محمّد بن عقيل الشّافعيّ:وأخرج الزّبير بن بكّار في الموفّقيّات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليّ ويذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتمّا! فانتظرته ساعة وظننت أنّه لأمرٍ حدث فينا، فقلت مالي أراك مغتمّا منذ اللّيلة؟ فقال يا بنيّ جئت من عند أكفر النّاس و أخبثهم[!] قلت وما ذاك؟ قال: قلتُ له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا فقد كبرت. ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات! هيهات! أيّ ذكر أرجو بقاءه ؟ ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتّى هلك ذكره إلاّ أن يقول قائل أبو بكر. ثمّ ملك أخو عديّ فأجتهد وشمّر عشر سنين فما عدا أن هلك حتّى هلك ذكره إلاّ أن يقول قائل عمر. وإنّ ابن

---

(١) معجم الصحابة ، عبد الباقي بن قانع ، ج٣ص٧٢ .

أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات أشهد أنّ محمّدا رسول الله، فأيّ عمل يبقى وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك؟ لا والله إلا دفنا، دفنا [١].

قال ابن عقيل بعد ذكر الخبر: الزّبير بن بكار هذا هو قاضي مكّة وهو مشهور في المحدّثين، ومن رواة الصّحيح، وهو غير متّهم على معاوية لعدالته وفضله، مع أنّ في الزّبير كما علمت بعض انحراف عن عليّ كرم الله وجهه لما عرف من الأسباب؛ ألا ترى أنّ عبد الله بن الزبير على نسكه وعبادته كان منحرفا عن عليّ وأهل بيته. فقد روى عمر بن شبّة وابن الكلبيّ و الواقديّ وغيرهم من رواة السّير أنه مكث أيّام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلّي فيها على النّبيّ(ص) وقال لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها (انتهى كلام ابن عقيل).

وأقول: إنّ هذه الواقعة تستحقّ أن يُتوقّف عندها، لأنّها تضمّنت أمورا توقظ النّائم وتنبّه الغافل، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيي عن بيّنة. فأوّل ما فيها شهادة المغيرة بن شعبة على معاوية أنّه أخبث النّاس وأكفرهم؛ هذا مع أنّه شريكه في كثير من الجرائم، وعلى وجه الخصوص في سبّ وشتم ولعن عليّ(ع) . ولا يختلف اثنان منصفان في أنّ المغيرة بن شعبة من أعدى أعداء أهل البيت(ع) . فهذه شهادة لا سبيل إلى إنكارها. ومادام محمّد بن الحسن الشّيباني صاحب أبي حنيفة يعتبر المغيرة إماما من أئمة المسلمين، فلا مناص له من قبول شهادته.

---

(١) النصائح الكافية، محمّد بن عقيل الشّافعيّ، ص ١٢٣ .

ثمّ إنّ المغيرة يقول لمعاوية: لو بسطت عدلا، ومثل هذا الكلام لا يقال إلاّ لظالم، إذ لو كان هناك عدل لكان كلام المغيرة فاقدا لمعناه مستحقّا لذمّ صاحبه، وليس معاوية ممن يفوّت ذلك. فشهادة المغيرة على معاوية أنّه ظالم تنضمّ إلى شهادته عليه أنّه أكفر النّاس و أخبثهم. والكافرون هم الظّالمون.

قال المغيرة لمعاوية: "ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم" ومثل هذا الكلام لا يقال إلاّ لقاطع رحم، وإلاّ لكان في ذلك تهمة لمعاوية بقطيعة الرّحم وهي من الكبائر، وقد توعّد الله تعالى من يتعمّد قطيعة رحمه ويشهد لذلك قوله تعالى(**فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض تقطّعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم**). وكان من جواب معاوية للمغيرة بن شعبة أيضا أن قال له: "وإنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرّات أشهد أنّ محمّدا رسول الله!" وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم:(**لا تجعلوا دعاء الرّسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا**). فمعاوية لا يكتفي بمخالفة القرآن الكريم، وإنّما يذكر النّبيّ(ص) بما كانت تذكره به قريش أيام محاربتها له تروم بذلك انتقاصه والحطّ من شأنه. فمعاوية لا يخفي استخفافه بالنّبيّ(ص) أمام المغيرة لأنّه يعرفه تمام المعرفة، ولولا معرفته بسوابقه لما ولاّه الكوفة فبقي واليا عليها إلى أن مات. مثل هذا الكلام لا يقوله معاوية إلاّ أمام من يعلم أنّهم على شاكلته. ويفهم من سياق الرّواية أنّ المطرف بن المغيرة بن شعبة حدّث بهذا في زمن متأخّر عن أيّام معاوية والمغيرة، وبعيد جدّا أن يحدّث به في حياة معاوية فيعرّض نفسه للتّلف. وباختصار فإنّ هذه الرّواية قد تضمّنت شهادة على

معاوية أنّه أكفر النّاس و أخبثهم وقاطع رحم ومستخفّ بمقام النّبيّ(ص) ،والشّاهد أحد المقرّبين.

قال ابن أبي الحديد: قلت: قال شيخنا أبو القاسم البلخيّ رحمه الله تعالى: قول عمرو له:"دعني عنك" كناية عن الإلحاد، بل تصريح به، أي دع هذا الكلام لا أصل له، فإنّ اعتقاد الآخرة أنّها لا تباع بعرض الدّنيا من الخرافات! وقال رحمه الله تعالى: وما زال عمرو بن العاص ملحدا، ما تردّد قطّ في الإلحاد والزّندقة وكان معاوية مثله، ويكفي من تلاعبهما بالإسلام حديث السّرار المرويّ، وأنّ معاوية عضّ أذن عمرو، أين هذا من سيرة عمر؟ وأين هذا من أخلاق عليّ(ع) ، وشدّته في ذات الله، وهما مع ذلك يعيبانه بالدّعابة[1]!

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: وفدنا إلى معاوية مع زياد ومعنا أبو بكرة[2]فدخلنا عليه فقال له معاوية حدّثنا حديثا سمعته من رسول الله(ص) عسى الله أن ينفعنا به، قال: نعم؛ كان نبيّ الله(ص) يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها، فقال النّبيّ (ص) ذات يوم: أيّكم رأى رؤيا؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله. إنّي رأيت رؤيا رأيت كأنّ ميزانا دلي من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر، ثمّ وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع

---

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٦٥ .

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥: أبو بكرة الثقفي الطائفي رضي الله عنه مولى النّبيّ(ص) . اسمه نفيع بن الحارث ، وقيل : نفيع بن مسروح . تدلّى في حصار الطائف ببكرة ، وفرّ إلى النّبيّ (ص) ، وأسلم على يده ، وأعلمه أنّه عبد ، فأعتقه . روى جملة أحاديث . حدث عنه بنوه الأربعة : عبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، وأبو عثمان النّهديّ ، والحسن البصريّ ، ومحمّد بن سيرين .

الميزان. فاستاء لها رسول الله(ص) ثم قال: خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء. فغضب معاوية فزخّ في أقفائنا: وأخرجنا فقال زياد لأبي بكرة: أما وجدت من حديث رسول الله(ص) حديثا تحدّثه غير هذا؟ قال: والله لا أحدّثه إلا به حتى أفارقه. قال فلم يزل زياد يطلب يأمر حتى أذن لنا فأدخلنا، فقال معاوية: يا أبا بكرة حدّثنا بحديث عن رسول الله(ص) لعل الله أن ينفعنا به. قال فحدّثه أيضا بمثل حديثه الأوّل فقال له معاوية: لا أبا لك، تخبرنا أنّا ملوك، فقد رضينا أن نكون ملوكا[1].

مادام أبو بكرة يحدّث عن النّبيّ(ص) فليس لمعاوية أن يعلّق بتلك الطريقة، وما ذنب أبي بكرة إن كان الكلام لرسول الله(ص) ؟! إنّما هو مجرّد ناقل.

و عن ابن عمر قال: ثمّ دخلت على حفصة و نسواتها تنطف قلت: قد كان من أمر النّاس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء. فقالت: الحق فإنّهم ينتظرونك وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة. فلم تدعه حتى ذهب. فلما تفرّق النّاس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلّم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحقّ به منه ومن أبيه [!] قال حبيب بن مسلمة: فهلاّ أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحقّ بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام. فخشيت أن أقول كلمة تفرّق بين الجمع، وتسفك الدّم، ويحمل ذلك، فذكرت ما أعدّ الله في الجنان! قال حبيب: حفظت وعصمت. قال محمود عن عبد الرّزاق ونوساتها[2].

---

(١) مسند أبي داود، ص ١١٦ .

(٢) صحيح البخاري، ج٤ص١٥٠٨ الحديث رقم ٣٨٨٢ .

كلام معاوية صريح في أنّه يعتبر نفسه أحقّ بالخلافة من أبي بكر وعمر، ولم يعترض عليه عبد الله بن عمر، لأنّه خشي أن يقول كلمة تفرّق بين الجمع وتسفك الدّم ، لكنّه لم يخش ذلك يوم راح يخذّل النّاس عن بيعة عليّ بن أبي طالب(ع) بعد قتل عثمان! وشاهدنا من الحديث قول معاوية الذي لا يقبله أهل السّنّة والجماعة، فإنّهم لا يختلفون في أنّ أحقّهم بالأمر الخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم.

٢ـ عقيدة معاوية في الإسراء والمعراج:

قال ابن كثير: " وقد حكى ابن إسحاق فقال: حدّثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أمّ المؤمنين أنها كانت تقول: ما فقد جسد النّبيّ(ص) ولكنّ الله أسرى بروحه. قال: وحدّثني يعقوب بن عتبة : أنّ معاوية كان إذا سئل عن مسرى النّبيّ(ص) قال: كانت رؤيا من الله صادقة. قال ابن إسحاق: فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك(**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**)وكما قال إبراهيم(ع) : (**يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك**) وفي الحديث: " تنام عيناي وقلبي يقظان ". قال ابن إسحاق: فالله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله تعالى، على أيّ حالة كان نائما أو يقظان كل ذلك حقّ وصدق. قلت: وقد توقّف ابن إسحاق في ذلك وجوّز كلاًّ من الأمرين من حديث الجملة، ولكنّ الذي لا يشكّ فيه ولا يتمارى أنّه كان يقظان لا محالة لما تقدّم، وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أنّ جسده(ص) ما فقد، وإنّما كان الإسراء بروحه أن يكون مناما كما فهمه ابن إسحاق، بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقة وهو يقظان لا نائم، وركب البراق، وجاء بيت المقدس، وصعد السماوات، وعاين ما عاين حقيقة ويقظة لا مناما. لعلّ هذا مراد

عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، ومراد من تابعها على ذلك. لا ما فهمه ابن إسحاق من أنّهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم "[١].

وقد ذكر ابن كثير بعد ذلك أقوال من أرادوا الجمع بين الرّوايات المختلفة التي لا تناسب ما جاء في الآية الشريفة. كل ذلك ليصوّب كلام معاوية كما هي عادته وعادة غيره من الشاميّين، أمثال أستاذه ابن تيمية ونظيره ابن قيّم الجوزية والذّهبيّ وابن حجر العسقلاني وغيرهم. على أنّ القرآن الكريم يذكر عبارة عبده ويقصد بها العبد لا روح العبد كما يدعي معاوية، فمن ذلك قوله تعالى في سورة الكهف:(**فوجدا عبدا من عبادنا**) فإنّهما وجدا العبد لحما ودما وعظما، ولم يجدا روحه في المنام! ومنه أيضا قوله تعالى: (**وإنّه لّما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**) فقد قام بتمام نفسه روحا وبدنا يدعو الله تعالى ولم يكن ذلك في المنام!

وأورد القرطبيّ أيضا ذلك في تفسيره وقال بعده: " وقد اعترض قول عائشة ومعاوية إنّما أسري بنفس النّبيّ(ص) بأنّها كانت صغيرة لم تشهد ولا حدّثت عن النّبيّ(ص) . وأما معاوية فكان كافرا في ذلك غير مستشهد للحال، ولم يحدّث عن النّبيّ(ص) ، ومن أراد الزّيادة على ما ذكرنا فليقف على كتاب الشّفاء للقاضي عياض يجد من ذلك الشّفاء "[٢].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ج٣ ص ١٤١.

(٢) تفسير القرطبي، ج١٠ ص٢٠٩.

وقال الطّبريّ في تفسيره:" وقال آخرون بل أسري بروحه ولم يسر بجسده. ذكر من قال ذلك حدّثنا ابن حميد [..] أنّ معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله قال كانت رؤيا من الله صادقة"[1].

وجمهور المسلمين على أنّ الإسراء كان بالجسد والرّوح لا كما يدّعي معاوية[2]، وبعيد أن يكون معاوية قال برأيه هذا في حياة الإمام عليّ(ع) والسابقين من المهاجرين والأنصار، وإنّما يكون قاله في زمن دولته بعد استبعاد الصالحين وتقريب الوضّاعين.

٣ـ عقيدة معاوية في النبيّ(ص) :

قال ابن أبي الحديد: وروى الزّبير بن بكّار في" الموفّقيّات " ـ وهو غير متّهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشّيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليّ(ع) ، والانحراف عنه-: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتمّا فانتظرته ساعة، وظننت

(١) تفسير الطبري، ج١٥ ص ١٦.

(٢) قال القنوجي في " قطف الثّمر في بيان عقيدة أهل الأثر " ج١ص١١٤: وأجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار أن النّبيّ أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بنص القرآن، ثم عرج به إلى السماء واحدا بعد واحد حتى إلى فوق السموات السبع، وإلى سدرة المنتهى بجسده وروحه جميعا؛ ثم عاد إلى السماء إلى مكة قبل الصبح، وفيه أيضا دليل على علو الرب تعالى وكونه فوق العرش[!] مستويا عليه كما قال سبحانه في مواضع من كتابه الرحمن على العرش استوى. فمن قال إنّ الإسراء في ليلة والمعراج في أخرى فقد غلط ومن قال إنه منام وأنه لم يسر بعبده فقد **كفر**. (اهـ)وقريب منه ما جاء في شرح العقيدة الطحاوية ج١ص٢٤٩.

أنّه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتمّا منذ الليلة ؟ فقال: يا بنيّ، جئت من عند أكفر النّاس وأخبثهم، قلت وما ذاك ؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات!أيّ ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتّى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عديّ، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر؛ وإنّ ابن أبى كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرّات: "أشهد أنّ محمّدا رسول الله"، فأيّ عمل يبقى، وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك! لا والله إلاّ دفنا، دفنا"[1].

٤ـ معاوية و التبرك:

في طبقات فحول الشعراء (ج١ص ١٠٣): . . . فكساه رسول الله [أي كسا الشّاعر كعب بن زهير] بردة اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمال كثير قد سمّي، فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في العيدين . زعم ذلك أبان.

وفي تاريخ دمشق: كان [معاوية] يقول رحم الله عبدا دعا لي بالعافية، وقد رميت في أحسني وما يبدو منّي، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي. ولما اعتلّ قال: وددت أنّي لا أعمّر فوق ثلاث فقيل إلى رحمة الله ومغفرته! فقال: إلى ما شاء

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٥ ص ١٢٩.

وقضى، قد علم أنّي لم آل وما كره الله غيّر. وكان عنده قميص النّبيّ(ص) وإزاره ورداؤه وشعره فأوصاهم عند موته فقال كفّنوني في قميصه، وأدرجوني في ردائه، وآزروني بإزاره، واحشوا منخري وشدقي بشعره، وخلّوا بيني وبين رحمة أرحم الرّاحمين. كان حليما وقورا ولي العمالة من قبل الخلفاء عشرين سنة، واستولى على الإمارة بعد قتل عليّ عشرين سنة، فكانت الجماعة عليه عشرين سنة من سنة أربعين إلى سنة ستّين. فلمّا نزل به الموت قال: ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى، وأنّي لم أل من هذا الأمر شيئا [1]!

أين هذه الكلمة من قول عليّ بن أبي طالب(ع) "فزت وربّ الكعبة".

٥ ـ معاوية وشهداء أحد:

قال محمد بن سعد: أخبرنا شهاب بن عباد العبديّ قال أخبرنا عبد الجبّار بن ورد عن الزّبير عن جابر بن عبد الله قال: لمّا أراد معاوية أن يجري عينه التي بأحد كتبوا إليه: "إنّا لا نستطيع أن نجريها إلاّ على قبور الشّهداء". قال فكتب: انبشوهم! قال فرأيتهم يحملون على أعناق الرّجال كأنّهم قوم نيام وأصابت المسحاة طرف رجل حمزة بن عبد المطلب فانبعثت دما. . [2].

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٥٩ ص ٦١.
(٢) الطبقات الكبرى، محمّد بن سعد، ج ٣ ص ١١.

وقال أيضا: " لما أجرى معاوية كظامه، نادى مناديه بالمدينة من كان له قتيل بأحد فليشهد. فخرج النّاس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا يتثنّون، وكان قبر سعد بن الرّبيع وخارجة بن زيد معتزلا فترك وسوّي عليه التّراب"(١).

أقول: المعلوم أنّ النّبي(ص) هو الذي صلّى على حمزة ودفنه، فلو كانت الأرض ملكا لآل أبي سفيان أو غيرهم لما دفنه فيها. والمعلوم أيضا أنّ للمدفون على ما دفن عليه حمزة سيّد الشّهداء حرمة فلا ينبش قبره. ومسألة حرمة نبش القبر محلّ إجماع عند الإماميّة ، وأمّا ما استثني فلا يدخل فيه ما أقدم عليه معاوية. هذا على فرض أن يكون حمزة واحدا من عوامّ المسلمين؛ أمّا وهو شهيد قتل في سبيل الله تعالى بين يدي النّبي(ص) فالأمر أشدّ؛ يقول السيّد الكلبايكاني (من علماء الإماميّة): يحرم نبش قبر الميت المسلم، وإن كان طفلا أو مجنونا، إلاّ إذا علم أنّ بدنه قد بلي وصار ترابا. وقبور الشّهداء والعلماء وأبناء الأئمة والصّلحاء يحرم نبشها مطلقا وإن طال عليها الزّمن(٢).

نعم، لا حرمة لشهداء أحد إذا تعلّق الأمر بعين يجريها معاوية، مع أنّه بإمكانه أن يجري العيون في غير أحد؛ ولا ندري إن صحّت القصّة كيف أعيد دفن الشّهداء، وهل أعيدوا إلى أماكنهم أم تغيّر مكان دفنهم. ولئن كانت هند(أمّ معاوية) قد بقرت بطن حمزة ولاكت كبده ثم لفظتها، فإنّ معاوية قد سار على دربها، واستخرجه من

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٣ ص ٥٢٤ .

(٢) مختصر الأحكام، السيد الگلپايگاني ص ٤٤ ، وانظر تحرير الوسيلة للسيد الخميني ج١ص٩٣ = = وكتاب الطهارة للسيد الخوئي ج ٩ص٢٣٩ والعروة الوثقى للسيد اليزدي ج١ص٤٤٩ ومستدرك العروة للسيد الحكيم ج ٤ص٢٦٧ وهداية العباد للطف الله الصافي ج١ص٧٦ .

قبره الشّريف، ظلما وعلوّا، وأسال الدّم من جسده الشّريف؛ ولا ندري بالضّبط ما الذي حدث بعد ذلك.

٦ـ معاوية وهجاء الأنصار:

قال ابن سلام الجمحي: قال أبو يحيى أرسل إليه يزيد [أي إلى الأخطل] أن اهجهم، فقال: كيف أصنع بمكانهم؟ أخافهم على نفسي. قال لك ذمّة أمير المؤمنين وذمّتي! فذلك حين يقول: ذهبت قريش بالسّماحة والنّدى. . واللؤم تحت عمائم الأنصار. فجاء النّعمان بن بشير الأنصاريّ إلى معاوية فقال: يا أمير المؤمنين بلغ منّا أمر ما بلغ منّا مثله في جاهليّة ولا إسلام! قال: من بلغ ذاك منكم؟ قال: غلام نصرانيّ من بني تغلب. قال: ما حاجتك فيه؟ قال لسانه قال: ذاك لك. وكان النّعمان ذا منزلة من معاوية[!] وكان معاوية يقول: يا معشر الأنصار تستبطئونني وما صحبني منكم إلاّ النّعمان بن بشير، وقد رأيتم ما صنعت به؛ وكان ولاّه الكوفة وأكرمه، فأخبر الأخطل فصار إلى يزيد فدخل يزيد إلى أبيه فقال: يا أمير المؤمنين ، هجوني وذكروك فجعلت له ذمّتك وذمّتي على أن ردّ عنّي. فقال معاوية للنّعمان: لا سبيل إلى ذمّة أبي خالد[1].

وفي البيان والتّبيين: قال أبو عبيدة قال أبو الوجيه حدّثني الفرزدق قال: كنّا في ضيافة معاوية بن أبي سفيان ومعنا كعب بن جعيل التّغلبي فقال له يزيد: إنّ ابن حسان يريد عبد الرحمن قد فضحنا فاهج الأنصار! قال أرادّي أنت إلى الإشراك بعد

---

(١) طبقات فحول الشعراء ج٢ ص ٤٦٣.

الإسلام؟ لا أهجو قوما نصروا رسول الله ولكنّي أدلّك على غلام منّا نصرانيّ كأنّ لسانه لسان ثور يعني الأخطل[1]!

قلت: هذا مبلغهم من العلم، يمتنع كعب بن جعيل من هجاء الأنصار لكنّه يدلّ يزيد بن معاوية على من يهجوهم، وينسى أنّ الدّالّ على الشّرّ كفاعله. وربّ عذر أقبح من ذنب. ما زاد ابن جعيل على أن أناب غيره في الهجاء!

و فيه أيضا: " لمّا اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثمّ قال: هذا أمير المؤمنين وأشار بيده إلى معاوية، فإن مات فهذا وأشار بيده إلى يزيد، فمن أبي فهذا وأشار بيده إلى سيفه. فقال معاوية: أنت سيّد الخطباء"[2].

ووفد ابن أبي محجن على معاوية فقام خطيبا فأحسن فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له: أنت الذي أوصاك أبوك بقوله:

إذا متّ فادفنّي إلى جنب كرمة ** تروّى عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفننّي في الفلاة فإنّني ** أخاف إذا ما متّ أن لا أذوقها

قال: بل أنا الذي يقول أبي :

لا تسأل النّاس ما مالي وكثرته — وسائل النّاس ما جودي وما خلقي

أعطي الحسام غداة الرّوع حصّته — وعامل الرّمح أرويه من العلق

وأطعن الطّعنة النّجلاء عن عرض — وأكتم السرّ فيه ضربة العنق

---

(١) البيان والتّبيين للجاحظ ج١ص١٠٣ .

(٢) نفس المصدر ج١ص١٥٨ .

يعلم النّاس أنّي مـن سـراتهم إذا سما بصر الرّعديد بـالفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن، وأمر له بصلة وجائزة(١).

وفي البيان والتّبيين: نظر معاوية إلى النخّار بن أوس العذريّ الخطيب النّاسب في عباءة في ناحية من مجلسه فأنكره وأنكر مكانه زراية منه عليه فقال من هذا؟ فقال النّخار: يا أمير المؤمنين إنّ العباءة لا تكلّمك إنّما يكلّمك من فيها(٢).

وقال ابن حبان: "أخبرنا عمرو بن محمّد الأنصاريّ حدّثنا محمّد بن عبيد الله الجشمي حدّثنا المدايني قال: قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عمّر دهرا أخبرني بأحسن شيء رأيته قال عقل طلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة"(٣).

ولا شكّ أنّ معاوية فهم فحوى الخطاب، فإنّ العقل شيء والشّيطنة شيء آخر.

٧ـ معاوية وإبطال الحدود:

قال ابن كثير: "وقال القاضي الماورديّ في الأحكام السّلطانيّة: وحكي أنّ معاوية أتي بلصوص فقطعهم حتّى بقي واحد من بينهم، فقال:

يميني أمير المؤمنين أعيذها بعفوك أن تلقى مكانا يشينها

(١) المستطرف في كلّ فن مستظرف ج١ص١٣١.

(٢) البيان والتّبيين ج١ص١٣١.

(٣) روضة العقلاء ـ ابن حبّان ج١ص١٩.

يدي كانت الحسناء لو تمّ سترها ولا تعدم الحسناء عيبا يشيبها
فلا خير في الدّنيا وكانت حبيبة إذا ما شمالي فارقتها يمينها

فقال معاوية: كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابك ؟ فقالت أمّ السارق : يا أمير المؤمنين ! اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها . فخلّى سبيله فكان أوّل حدّ ترك في الإسلام"[1].

أقول: وما جاء في آخر كلام القاضي الماوردي ليس محلّ تسليم، فإنّ حدودا أخرى تركت قبل ذلك على عهد أبي بكر وعمر وعثمان، فقد ترك أبو بكر إقامة الحدّ على خالد بن الوليد في قضيّة مالك بن نويرة بعد أن قال عمر لخالد ما قال، وترك عمر إقامة الحدّ على المغيرة بن شعبة وأقامه على الشهود! وترك عثمان إقامة الحدّ على عبيد الله بن عمر بن الخطاب . قال ابن سعد: "أخبرنا محمّد بن عمر قال حدّثني محمّد بن عبد الله عن الزّهريّ قال لمّا استخلف عثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال: أشيروا في قتل هذا الذي فتق في الدّين ما فتق فأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجّعون عثمان على قتله. وقال جلّ النّاس أبعد الله الهرمزان وجفينة يريدون يتبعون عبيد الله أباه، فكثر ذلك القول فقال عمرو بن العاص:يا أمير المؤمنين إنّ هذا الأمر قد كان قبل أن يكون لك سلطان على النّاس، فأعرض عنه! فتفرّق النّاس عن كلام عمرو بن العاص. أخبرنا محمّد بن عمر

١ـالبداية والنهاية ، ابن كثير، ج ٨ ص ١٤٥ .

قال فحدّثني ابن جريج أنّ عثمان استشار المسلمين فأجمعوا على ديتهما ولا يقتل بهما عبيد الله بن عمر، وكانا قد أسلما وفرض لهما عمر، وكان عليّ بن أبي طالب لما بويع له أراد قتل عبيد الله بن عمر فهرب منه إلى معاوية بن أبي سفيان. فلم يزل معه فقتل بصفّين "[١].

وهذه القصّة قد تضمّنت ما تضمّنت إذا تجرّد المطّلع عليها من التّعصّب، فإنّه يذكر فيها أنّ المسلمين أجمعوا على ديتهما وألاّ يقتل بهما عبيد الله بن عمر؛ فهل دخل عليّ بن أبي طالب(ع) في هذا الإجماع؟! أم أنّهم لا يعدّونه من المسلمين؟! وكيف يكون ذلك وابن سعد نفسه يذكر في طبقاته ما يلي:" أخبرنا محمّد بن عمر قال حدّثني كثير بن زيد عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب قال: قال عليّ لعبيد الله بن عمر: ما ذنب بنت أبي لؤلؤة حين قتلتها قال فكان رأي عليّ حين استشاره عثمان ورأي الأكابر من أصحاب النّبيّ على قتله. لكنّ عمرو بن العاص كلّم عثمان حتى تركه فكان عليّ يقول: لو قدرت على عبيد الله بن عمر ولي سلطان لاقتصصت منه"[٢]. أقول: القضيّة تتعلّق بحدّ من حدود الله تعالى، وعبيد الله بن عمر قد قتل على الظّنّ لا أكثر، وإنّ الظّنّ لا يغني من الحقّ شيئا! وقد رجح رأي عمرو بن العاص عند عثمان على موقف الأكابر من الصّحابة، لأنّ المهمّ عنده أن يفتتح عهد حكمه بعافية ولو على حساب الحدود الشّرعيّة. وقد أنزل الله حكم القصاص واختلق عمرو بن العاص حكما من عنده، فاتّبعه عثمان وترك حكم الله تعالى وراء ظهره، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. ولا يصحّ اجتهاد في حدود الله، وحتّى

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٥ ص١٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، ج٥ص ١٦ .

على فرض شيء من ذلك فليس عمرو بن العاص من أهل الاجتهاد، وإنما هو من أهل المكر والدهاء والخبث؛ فإنه لم يتردّد في كشف عورته بين جيشين لينجو بجلده. والعجيب أنّ ابن سعد يذكر في الصّفحة التي قبلها يذكر ما يلي:" أخبرنا محمّد بن عمر [. .] عن أبي وجزة عن أبيه قال رأيت عبيد الله يومئذ وإنّه ليناصي عثمان، وإنّ عثمان ليقول قاتلك الله قتلت رجلا يصلّي وصبيّة صغيرة وآخر من ذمّة النّبيّ(ص) ما في الحقّ تركك. قال: فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه، ولكن عرفت أنّ عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلفته عن رأيه[١].

٨ ـ معاوية والصلاة:

قال الشّوكانيّ[٢]: روى الشافعيّ بإسناده عن أنس بن مالك قال: صلّى معاوية بالنّاس بالمدينة صلاة جهر فيها بالقراءة فلم يقرأ (بسم الله الرّحمن الرّحيم) ولم يكبّر في الخفض والرّفع، فلمّا فرغ ناداه المهاجرون والأنصار: يا معاوية نقصت الصلاة، أين (بسم الله الرّحمن الرّحيم) ؟ وأين التكبير إذا خفضت ورفعت؟ فكان إذا صلّى بهم بعد ذلك قرأ (بسم الله الرّحمن الرّحيم) وكبّر[٣].

أقول: رواية الشافعيّ في كتاب المسند بإسنادين، وهما كما يلي[٤]: (١)أخبرنا إبراهيم بن محمد حدّثني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة

(١) الطبقات الكبرى، ج٥ ص ١٦.
(٢) نيل الأوطار، الشوكاني ، ج ٢ ص٢١٧ .
(٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم .
(٤) كتاب المسند ، الإمام الشافعي، ص ٣٧ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

عن أبيه أنّ معاوية قدم المدينة فصلّى بهم ولم يقرأ بسم الله الرّحمن الرّحيم ولم يكبّر إذا خفض وإذا رفع، فناداه المهاجرون حين سلّم والأنصار:أي معاوية سرقت صلاتك، أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التّكبير إذا خفضت وإذا رفعت ؟ فصلّى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه. (٢) أخبرنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن معاوية والمهاجرين والأنصار مثله أو مثل معناه لا يخالفه وأحسب هذا الإسناد أحفظ من الإسناد الأوّل.

قال الشّوكانيّ: وروى الطّبريّ عن أبي هريرة أنّ أوّل من ترك التّكبير معاوية ، وروى أبو عبيد أنّ أوّل من تركه زياد، وهذه الرّوايات غير متنافية ، لأنّ زيادا تركه بترك معاوية، وكان معاوية تركه بترك عثمان، وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء؛ وحكى الطّحاويّ أنّ بني أميّة كانوا يتركون التّكبير في الخفض دون الرّفع وما هذه بأوّل سنّة تركوها[١] .

قال: [باب "جهر الإمام بالتكبير ليسمع من خلفه وتبليغ الغير له عند الحاجة"]: عن سعيد بن الحرث قال : صلّى بنا أبو سعيد فجهر بالتّكبير حين رفع رأسه من السّجود، وحين سجد، وحين رفع، وحين قام من الرّكعتين وقال: هكذا رأيت النّبيّ(ص) . رواه البخاريّ وهو لأحمد بلفظ أبسط من هذا. الحديث يدلّ على مشروعيّة الجهر بالتّكبير للانتقال، وقد كان مروان وسائر بني أميّة يسرّون به[!]، ولهذا اختلف النّاس

(١) نيل الأوطار ، الشوكاني، ج ٢ص ٢٦٦ .

لمّا صلّى أبو سعيد هذه الصّلاة فقام على المنبر فقال: إنّي والله ما أبالي اختلفت صلاتكم أم لم تختلف، إنّي رأيت رسول الله(ص) هكذا يصلّي. وقد عرفت ممّا سلف أنّ أوّل من ترك تكبير النّقل أي الجهر به عثمان، ثمّ معاوية، ثمّ زياد، ثمّ سائر بني أميّة "[1].

قال الشّوكانيّ: وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد قال: أوّل من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصّلاة مروان. وقيل: أوّل من فعل ذلك معاوية، حكاه القاضي عياض وأخرجه الشّافعيّ عن ابن عبّاس بلفظ "حتى قدم معاوية فقدم الخطبة". ورواه عبد الرّزّاق عن الزّهريّ بلفظ " أوّل من أحدث الخطبة قبل الصّلاة في العيد معاوية ". وقيل: أوّل من فعل ذلك زياد بالبصرة في خلافة معاوية، حكاه القاضي عياض أيضا. وروى ابن المنذر عن ابن سيرين أنّ أوّل من فعل ذلك زياد بالبصرة قال: ولا مخالفة بين هذين الأثرين وأثري مروان، لأنّ كلاّ من مروان وزياد كان عاملا لمعاوية، فيحمل على أنّه ابتدأ ذلك وتبعه عمّاله. قال العراقيّ: الصّواب أنّ أوّل من فعله مروان بالمدينة في خلافة معاوية، كما ثبت ذلك في الصّحيحين عن أبي سعيد الخدريّ. قال: ولم يصحّ فعله عن أحد من الصّحابة، لا عمر ولا عثمان ولا معاوية ولا ابن الزّبير(انتهى كلام العراقي). وقد عرفت صحّة بعض ذلك فالمصير إلى الجمع أولى. وقد اختلف في صحّة صلاة العيدين مع تقدّم الخطبة، ففي مختصر المزنيّ عن الشافعيّ ما يدلّ على عدم الاعتداد بها. وكذا قال النوويّ في شرح المهذّب: إنّ ظاهر نصّ الشافعيّ أنّه لا يعتدّ بها، قال وهو

---

(١) نيل الأوطار، الشّوكانيّ، ج ٢ص ٢٦٩ .

الصّواب"[١].

و في التاريخ الكبير: [..]عن محمّد بن يوسف مولى عثمان بن عفّان قال: سمعت أبى أنّ معاوية صلّى بهم فقام في الرّكعتين فسبّح النّاس، فأبى أن يجلس حتى جلس للتّسليم فسجد سجدتين ثمّ قال: رأيت رسول الله(ص) فعل هذا، وقال لي ابن أبى مريم أخبرنا يحيى بن أيّوب أخبرنا ابن عجلان سمع محمّد بن يوسف مولى عثمان عن أبيه ـ بهذا، وقال ابن جريج اخبرني محمّد بن يوسف عن أبيه ـ بهذا [٢]. وفيه أيضا: [.] عن إياس بن أبي رملة الشامي قال: سمعت معاوية يسأل زيد بن أرقم: هل شهدت العيد مع النّبيّ(ص) والجمعة ؟قال نعم، صلّى العيد ثمّ أتى الجمعة [٣].

قال الشّوكانيّ: وروى الطّبريّ عن أبي هريرة أنّ أوّل من ترك التّكبير معاوية ، وروى أبو عبيد أنّ أوّل من تركه زياد وهذه الرّوايات غير متنافية ، لأنّ زيادا تركه بترك معاوية ، وكان معاوية تركه بترك عثمان ، وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء، وحكى الطّحاويّ أنّ بني أميّة كانوا يتركون التّكبير في الخفض دون الرّفع ، وما هذه بأوّل سنّة تركوها[٤].

أقول : وعثمان تَرَكَهُ بترْك من؟!

قال السّائب بن يزيد: صلّيت الجمعة في المقصورة، فلما سلّم الإمام قمت في مقامي فصلّيت. فلمّا دخل معاوية أرسل إليّ فقال: لا تعد لما فعلت إذا صلّيت

---

(١) نيل الأوطار، الشوكاني، ج٣ ص ٣٦٣.
(٢) التاريخ الكبير، البخاري، ج١ص٢٦٣.
(٣) التاريخ الكبير، البخاري، ج ١ص ٤٣٨.
(٤) نيل الأوطار، الشّوكانيّ، ج ٢ ص ٢٦٦.

الجمعة فلا تصلها بصلاة حتّى تتكلّم أو تخرج، فإن النّبيّ(ص) أمر بذلك ألاّ توصل الصّلاة حتى يتكلّم أو يخرج[١].

أقول: إذا كان لا يجوز وصل الجمعة بصلاة أخرى قبل الخروج من المسجد، ومعاوية نفسه يروي ذلك، فكيف سمح لنفسه هو أن يقدّم الجمعة ويصلّيها يوم الأربعاء، والقرآن الكريم يقول (**إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة**) ولم يقل "من يوم الأربعاء" ؟!

٩ـ موقف معاوية من السنّة

قال ابن قيّم الجوزيّة: روى ابن وهب أخبرني سفيان بن عيينة عن عمر بن سعيد أخي سفيان بن سعيد الثوري عن أبيه عن عباية قال: ذُكر ابن الأشرف عند معاوية فقال ابن يامين كان قتله غدرا، فقال محمّد بن مسلمة: يا معاوية، أيغدّر عندك النّبيّ(ص) ولا تنكر، والله لا يظلّني وإيّاك سقف بيت أبدا، ولا يخلو لي دم هذا إلاّ قتلته[٢].

وقال ابن عقيل[٣]: أخرج ابن عساكر والحسن بن سفيان وابن منده عن محمّد بن كعب القرظي قال: غزا عبد الرّحمن بن سهل الأنصاريّ في زمن عثمان ومعاوية أمير على الشّام فمرّت به روايا خمر ـ لمن هي؟ لمعاوية كما يدلّ عليه السّياق وصرّح به البعض ـ تُحمل، فقام إليها عبد الرّحمن برمحه فبقر كلّ راوية منها، فناوشه غلمانه حتّى بلغ

(١) إعلام الموقعين، ابن القيّم، ج٣ ص١٤٧ .
(٢) أحكام أهل الذّمّة، ابن قيم الجوزية، ج٣ص١٤٤٨ .
(٣) النّصائح الكافية،محمّد بن عقيل الشّافعيّ، ص ١٢٣.

شأنه معاوية فقال: دعوه فإنّه شيخ قد ذهب عقله! فقال: كذب، والله ما ذهب عقلي ولكنّ النّبيّ(ص) نهانا أن ندخله بطوننا وأسقيتنا، وأحلف بالله لئن بقيت حتّى أرى في معاوية ما سمعت من النّبيّ(ص) لأبقرنّ بطنه أو لأموتنّ دونه[١].

أقول: إنّ أعجب ما في هذا هو أنّ معاوية نفسه يروي في الخمر. قال ابن القيّم: في سنن ابن ماجه أيضا عن يعلى بن شدّاد بن أوس قال: سمعت معاوية يقول سمعت النّبيّ(ص) يقول كلّ مسكر حرام على كلّ مؤمن. قال ابن ماجه وهذا حديث العراقيّين[٢].

وقال الأبشيهي: ذكر السّلاميّ أنّ رسول الله كان يتختّم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله تعالى عنه إلى اليسار وأخذ الأمويّة بذلك[٣].

وفي صحيح البخاري عن الزّهري قال: كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدّث أنّه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص يحدّث أنّه سيكون ملك من قحطان فغضب معاوية فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثمّ قال أمّا بعد فإنّه بلغني أنّ رجالا منكم يتحدّثون أحاديث ليست في كتاب الله تعالى ولا تؤثر عن رسول الله(ص) فأولئك جهّالكم فإيّاكم والأماني التي تضلّ أهلها فإني سمعت رسول الله(ص) يقول إنّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله على وجهه

(١) الحديث موجود أيضا في الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤ص٣١٣.
(٢) حاشية ابن القيّم، ج١٠ ص٨٦.
(٣) المستطرف، ج٢ ص٦٢.

ما أقاموا الدين[١]. ولا يخفى ما في هذا من تهمة معاوية للصّحابة بوضع الأحاديث، لأنّها إذا لم تكن في كتاب الله ولا تؤثر عن رسول الله(ص) فمن أين جاءت؟

وعن يعلي بن أميّة: طفت مع عمر فلمّا بلغنا الرّكن الغربيّ الذي يلي الأسود جررت بيده ليستلم فقال ما شأنك؟ فقلت: ألا تستلم؟ فقال: ألم تطف مع رسول الله(ص) ؟ فقلت: بلى. قال: أفرأيته يستلم هذين الركنين الغربيّين؟ قال: لا. قال: أليس لك فيه أسوة حسنة؟ قلت: بلى. قال: فانفذ عنك. قال وجعل معاوية يستلم الأركان كلّها فقال له ابن عبّاس: لم تستلم هذين الرّكنين ولم يكن رسول الله(ص) يستلمهما؟ فقال معاوية ليس شيء من البيت مهجورا فقال ابن عبّاس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقال معاوية: صدقت[٢].

و عن يحيى بن سعيد أنّه سمع سعيد بن المسيّب يقول: قضى عمر بن الخطّاب في الأضراس ببعير بعير. وقضى معاوية بن أبى سفيان في الأضراس بخمسة أبعرة ، خمسة أبعرة . قال سعيد بن المسيّب: فالدّية تنقص في قضاء عمر بن الخطاب وتزيد في قضاء معاوية. فلو كنت أنا لجعلت في الأضراس بعيرين بعيرين. فتلك الدّية سواء وكلّ مجتهد مأجور![٣].

---

(١) صحيح البخاري، ج٣ص١٢٨٩ الحديث رقم (٣٣٠٩) ، دار ابن كثير بيروت ١٤٠٩ تحقيق د. مصطفى ديب البغا .
(٢) إعلام الموقعين ، ابن قيّم الجوزيّة ، ج٢ص٢٩٣ .
(٣) موطإ مالك، ج ٢ ص ٨٦١ .

١٠ ـ استلحاق زياد

ومن أعمال معاوية التي خالف بها القرآن والسّنّة علانية، ما أقدم عليه في شأن زياد بن عبيد، ومات ولم يتراجع عن ذلك ولا ندم عنه. قال ابن خلدون: ثمّ استعمل عليّ زيادا على فارس فضبطها، وكتب إليه معاوية يتهدّده ويعرّض له بولادة أبي سفيان إيّاه، فقام في النّاس فقال: عجبا لمعاوية يخوّفني دين ابن عمّ الرّسول في المهاجرين والأنصار. وكتب إليه عليّ: إنّي ولّيتك وأنا أراك أهلا، وقد كان من أبي سفيان فلتة من آمال الباطل وكذب النّفس لا توجب ميراثا ولا نسبا، ومعاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذر ثمّ احذر والسّلام[1].

ولا يختلف اثنان في أنّ سورة الأحزاب أبطلت التبنّي، وأنّ النّبيّ(ص) قال بصريح العبارة بما لا يحتمل التّأويل: "الولد للفراش و للعاهر الحج"، ووردت عنه(ص) أحاديث بخصوص هذا الباب تقطع الطّريق على كل متأوّل متنطّع، فمن ذلك ما في سنن ابن ماجه: عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله(ص) " من انتسب إلى غير أبيه، أو تولىّ غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين "[2]. وفيه أيضا عن عمرو بن خارجة أنّ النّبيّ(ص) خطبهم وهو على راحلته، وإنّ راحلته لتقصع بجرّتها وإنّ لغامها ليسيل بين كتفيّ ، قال " إنّ الله قسم لكلّ وارث نصيبه من الميراث، فلا يجوز لوارث وصيّة. الولد للفراش وللعاهر الحجر . ومن ادّعى إلى غير أبيه، أو تولّى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين. لا يقبل منه صرف ولا عدل

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج٣ ص ٧.

(٢) سنن ابن ماجة، ج ٢ ص ٨٧٠ الحديث رقم٢٦٠٩ .

" (أو قال: عدل ولا صرف)"[١].

ولا يخفى أنّ ذيل هذا الحديث ينطبق على زياد بن أبيه، وإنّما حمله على ذلك معاوية فهو شريكه في اللّعن، وهذا أمر يتحاشاه المحدّثون وكتّاب التّراجم والسّير ويتجنّبون التّطرّق إليه لما يلزمهم من ترتيب الآثار والحكم على معاوية بما يستحقّ.

وفي سنن أبي داود عن إبراهيم التّيميّ، عن أبيه عن عليّ رضي الله عنه قال: ما كتبنا عن النّبيّ(ص) إلاّ القرآن، وما في هذه الصّحيفة، قال: قال رسول الله(ص) : " المدينة حرم ما بين عائر إلى ثور، فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف، وذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف، ومن والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبل منه عدل ولا صرف "[٢].

وفيه سنن أبي داوود عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله(ص) يقول: (من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة) [٣].

وفي سنن الترمذي: خطبنا عليّ فقال : من زعم أنّ عندنا شيئا نقرؤه إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب، وقال فيها: (قال رسول الله(ص) : المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، ومن

---

(١) سنن ابن ماجة، ج ٢ ص ٩٠٥ الحديث رقم ٢٧١٢.

(٢) سنن أبي داود السجستاني ج ١ص ٤٥١و٤٥٢.

(٣) سنن أبي داوود ، ج ٢ ص ٥٠٢.

ادّعى إلى غير أبيه أو تولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، وذمّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم) [(١)].

وبعد هذا فهل كان للقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف حرمة عند معاوية؟!

إنّ معاوية يتحدّى حكما شرعيّا معلوما بالضّرورة نزل بخصوصه قرآن يتلى، ولا خلاف في كفر من أنكر حكما معلوما بالضّرورة طائعا غير مكره ولا بذي شبهة، لكن حينما يتعلّق الأمر برجل كان الآمر النّاهي في زمانه، تنفتح أبواب التّأويل والمعاذير، ويصبح منكر المعلوم من الدّين بالضّرورة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه!

قال ابن خلدون: وكان عبد الله بن عامر يبغض زيادا وقال يوما لبعض أصحابه من عبد القيس: ابن سميّة يقبّح آثاري ويعترض عمّالي، لقد هممت بقسامة من قريش أنّ أبا سفيان لم ير سميّة؛ فأخبر زياد بذلك فأخبر به معاوية، فأمر حاجبه أن يردّه من أقصى الأبواب. وشكا ذلك إلى يزيد فركب معه فأدخله على معاوية، فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيته. فقال يزيد: نقعد في انتظاره. فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول وقال: إنّي لا أتكثّر بزياد من قلّة، ولا أتعزّز به من ذلّة، ولكن عرفت حقّ الله فوضعته موضعه! فخرج ابن عامر وترضّى زيادا ورضي له معاوية[(٢)]!!

وهذا شيء يهتزّ له ابن خلدون طربا، غير عابئ بما وراءه من انتهاك لحرمة الشّريعة واستخفاف بمبلّغها الذي لعن من ادّعى لغير أبيه. على أنّ عبد الله بن عامر

---

(١) سنن الترمذي، ج ٣ ص ٢٩٧ .

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص ٨ .

ليس أوّل من ساء زيادا في نسبه المفترى، فإنّ يزيد بن معاوية نفسه كان يحطّ من شأنه ويذكّره شؤمه بمحضر أبيه؛ ذكر الزّمخشريّ في ربيع الأبرار أنّ زيادا قدم على معاوية بهدايا فيها سقط جوهر، فأعجب به معاوية، فقال زياد: دوّخت لك العراق، جبيت لك برّها، ووجّهت إليك بحرها؛ فقال يزيد:" إن تفعل ذلك يا زياد فإنّا نقلناك من ثقيف إلى قريش، ومن القلم إلى المنابر، ومن عبيد إلى حرب بن أميّة. فقال معاوية: حسبك فداك أبوك". أقول : هذا جزاء من ادّعى إلى غير أبيه، بل هذا أوّل آثار اللّعن، وإنّ الحرّ الأبيّ شريف النّفس ليفضّل الموت على أن يسمع مثل ما سمع زياد من يزيد بمحضر معاوية. وما قيمة حرب بن أميّة حتى يفخر به يزيد وأبوه؟ إن هو إلاّ أحد فروع الشّجرة الملعونة في القرآن لو كان زياد ممّن يفقه في الدين أو ألقى السمع وهو شهيد.

وعن مالك ، أنّه بلغه أنّ مروان بن الحكم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يذكر أنّه أتي بسكران قد قتل رجلا. فكتب إليه معاوية : أن اقتله به "[1].

أقول: لماذا يسأل مروان معاوية وعنده في المدينة سيّدا شباب أهل الجنّة أو أحدهما إن كانت الواقعة بعد سنة ٥٠، وعنده أيضا عبد الله بن عبّاس حبر الأمّة الفقيه في الدّين ؟!

---

(١) موطأ مالك، ج ٢ ص ٨٧٢.

قال الشّوكانيّ: وعن معاوية قال: قلت لأمّ حبيبة : هل كان يصلّي النّبيّ(ص) في الثّوب الذي يجامع فيه ؟ قالت : نعم، إذا لم يكن فيه أذى. رواه الخمسة إلاّ التّرمذي "[1].

أقول: لقد كان بإمكان معاوية أن يكلّف غيره ليسأل هذا السّؤال، فإنّ الحياء يمنع الرّجل أن يتطرّق إلى مثل هذه العبارات مع أخته ـ التي هي في نفس الوقت أمّه إن كان من المؤمنين ـ. لكن يبدو أنّه ليس لآل أميّة نصيب من الحياء، والحياء من الإيمان. ولا يقال ههنا إنّه لا حياء في المسائل الشرعيّة، فإنّ المقصود من ذلك هو ألاّ يمنع الحياء الرّجل أو المرأة من السؤال، لا أن يهتك ما بينه وبين أقاربه من الأدب الحشمة، والعرف والوجدان يشهدان بذلك.

١١ ـ معاوية والحديث النبوي:

لمعاوية مع الحديث النّبويّ قصّة يجهلها كثير من أبناء المسلمين، وخصوصا منهم الذين لم يلتحقوا بالمدارس لأسباب الاستعمار و غيرها. وقد ساعد على استمرار الجهل بها كون أئمّة المساجد لا يتطرّقون إلى ذلك من قريب أو بعيد. وقد حاولت هنا أن أثير النّقطة لدى من يبحث عن الحقيقة، وعليه أن يطلب التّفصيل في محلّه، وبالله التّوفيق. والأمر يدور بين اتّجاهين مهمّين تفرّعت عنهما كثير من المصائب التي استعصت على علماء الحديث والرّجال، ولا زالت آثار ذلك إلى يومنا يستغلّها المستشرقون والمغرضون، والعلمانيّون، ومن جمعهم الحقد على الإسلام وإن

(١) نيل الأوطار، ج ٢ص ١١٨ .

اختلفت أهواؤهم ومبانيهم. يتجلّى الاتّجاه الأوّل في تبنّي الدّولة منع رواية أحاديث فضائل أهل البيت(ع) ، كما يتجلّى الثاني في تشجيع اختلاق أحاديث فضائل لكلّ من عادى أهل البيت النبويّ وخالفهم وأساء إليهم. قال ابن أبي الحديد: "وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ رحمه الله تعالى - وكان من المتحقّقين بموالاة عليّ(ع) ، والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتّفضيل عامّا شائعا في البغداديّين من أصحابنا كافّة، إلاّ أنّ أبا جعفر أشدّهم في ذلك قولا، وأخلصهم فيه اعتقادا - أنّ معاوية وضع قوما من الصّحابة وقوما من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ(ع) تقتضي الطّعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة؛ ومن التّابعين عروة بن الزّبير"[1].

وبعد أن أحكم معاوية ما يريد، وضمن أحاديث من رواتها أبو هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب ، راح يحوط إنجازه بما يوحي للبسطاء بتشدّده في مسألة الحديث، ويصوّره بمنزلة الحريص على حديث رسول الله(ص) من الزيادة والنقصان! أورد الذّهبيّ عن ابن علية عن رجاء بن أبي سلمة قال: بلغني أنّ معاوية كان يقول عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر فإنّه كان قد أخاف النّاس في الحديث عن النّبيّ (ص) "[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٤ ص ٦٣.

(٢) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ١ ص٧ .

ولو أنّ معاوية قال"عليكم من الحديث بما كان في عهد النبيّ(ص) " لصدّقه كل من يبلغ سمعه هذا الكلام، لكن قد صرّح عمر نفسه في حديث المتعتين أنّ عهده غير عهد النّبيّ(ص) ، فقد قال "متعتان كانتا على عهد رسول الله(ص) وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما "[1]، فإمّا أن تكون الأحاديث زادت عمّا كانت عليه زمان النّبيّ(ص) ، وإمّا أن تكون قد نقصت. وفي كلتا الحالتين بلاء عظيم. أمّا القول أنّها لم تزد ولم تنقص فمدفوع بأحاديث صحيحة ووقائع تاريخيّة لا يدفعها إلاّ مكابر. والمقصود في هذا البحث الإشارة إلى ذلك لا التّفصيل فيه. فإذا كان الصّحابة جميعهم عدولا فلماذا يخصّ عهد عمر دون غيره[2]؟! وكيف صار عهد عمر مقدّما على عهد النبيّ(ص) ؟!

١٢ـ معاوية والغدر:

قال محمد بن الحسن الشيباني في كتاب السّير: ودلّ على هذا قوله تعالى (**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّى يسمع كلام الله ثمّ أبلغه مأمنه**). واستدلّ عليه بحديث معاوية، فإنّه كان بينه وبين الرّوم عهد فكان يشير نحو بلادهم كأنّه يقول:

---

(١) الحديث في السنن الكبرى للبيهقي، ج٧ص٢٠٦، ومسند أحمد ج١ص٥٢، وعلل الدارقطني، ج٢ص١٥٦، وميزان الاعتدال ج٣ص٥٥٢.

(٢) قال جابر فيما رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٣٨: تمتعنا مع النّبيّ(ص) فلما قام عمر قال إنّ الله **كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء** وإنّ القرآن قد نزل منازله، فأتموا الحجّ والعمرة لله كما أمركم الله وابتّوا نكاح هذه النّساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجمته بالحجارة *وعبارة "**كان يحلّ لرسوله** " تتضمّن أمرا خطيرا، لأنّها تعارض حديث " حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة. . " ولأنّ الله تعالى كان يحلّ لرسوله ولكلّ من يأتمّ به فيما عدا الخصائص.

حتّى نفي بالعهد ثمّ نغير عليهم. يعني أنّ العهد كان إلى مدّة، ففي آخر المدّة سار إليهم ليقرب منهم حتّى يغير عليهم مع انقضاء المدّة. قال: وإذا شيخ يقول: الله أكبر! وفاء لا غدر، وفاء لا غدر. وكان هذا الشّيخ عمرو بن عنبسة السّلميّ. تبيّن له بما قال أنّ في صنعه معنى الغدر، لأنّهم لا يعلمون أنّه يدنو منهم يريد غارتهم وإنّما يظنّون أنّه يدنو منهم للأمان. فقال معاوية: ما قولك وفاء لا غدر؟ قال سمعت رسول الله(ص) يقول: أيّما رجل بينه وبين قوم عهد فلا يحلّنّ عقدة ولا يشدّها حتّى يمضي أمدها وينبذ إليهم على سواء"[1].

قال الشّيبانيّ: وقد حكي أنّ مثل هذه الحادثة وقع في زمن معاوية. وكان الذي يسعى في طلب الأمان للجماعة قد آذى المسلمين. فقال معاوية رضي الله عنه: اللهمّ أغفله عن نفسه. فطلب الأمان لقومه وأهله ولم يذكر نفسه بشيء. فأخذ وقتل. ثمّ الإنسان في مثل هذه الحالة قد يسعى في استنقاذ أهله من غير أن يقصد نفسه بذلك[!] إمّا لانقطاع طمعه بأنّه لا يؤمن إن طلب ذلك لنفسه، أو لأنّه ملّ من نفسه لفرط الضّجر[2]! فباعتبار المقصود الدّليل مشترك، وباعتبار اللّفظ لا ذكر له[3].

هذا كلام الفقيه الكبير صاحب أبي حنيفة، وقد كنت أودّ ألاّ أعلّق هنا بشيء، وأن أدع الأمر للقارئ يحكم بما يراه؛ فالقضيّة فقهيّة بالدّرجة الأولى، ومذاهب الفقه متشعّبة؛ لكنّ ضميري لم يطاوعني في غضّ الطرف عن الحيلة التي يمارسها الشّيبانيّ وأمثاله باسم الإسلام من أجل تبرير عمل معاوية وأمثاله؛ فهل يعقل أن

(١) السير (الكبير)، محمد بن الحسن الشيباني ، ج ١ص ٢٦٥.
(٢) ما أقبح وجود مثل هذه التخمينات التافهة في التراث الإسلامي.
(٣) السير الكبير-محمد بن الحسن الشيباني ، ج ١ ص ٣٢٦.

يسعى رجل في فكاك أهله وقومه ولا يعني بذلك نفسه معهم؟ ونحن نرى في زماننا هذا مفوّضين وسفراء وممثّلين يدخلون في مفاوضات تخصّ شعوبهم، ولو ذكّر أحدهم بوجوب دخوله في ما يتفاوضون في شأنه لاستهجنه العقلاء ونسبوه إلى الحماقة. فهل كان النّبيّ(ص) يمضي قول الشّيباني هذا ويصوّب ما أقدم عليه معاوية؟ أيسوغ في عقل من يخاف الله تعالى أن يبني الفقه على الحيلة والمكر ليتلقّف المستشرقون والعلمانيّون نتائج ذلك ويحتجّوا بها على المسلمين؟!

نعم، حينما يحكم الطّلقاء باسم الأنبياء تستباح الدّماء المعصومة، وتنتهك الحرمات وتضيّع الحقوق، وليس الرّوميّ السّاعي في الأمان لقومه في القصّة السّابقة أعظم حرمة من حجر بن عديّ، وعمرو بن الحمق، ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة، وقد غدر بهم معاوية جميعا ولم يرقب فيهم إلاّ ولا ذمّة. إنّ مثل هذه الأعمال تؤكّد ـ في نظري ـ صحّة ما ذهب إليه الحمانيّ الكوفيّ يحي بن عبد الحميد من أنّ معاوية " مات على غير ملّة الإسلام ".

وقال ابن حجر العسقلاني: " ثمّ كان من مسير معاوية بن أبي سفيان إلى مصر لّما أراد المسير إلى صفّين فرأى ألاّ يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة خلفه، فسار إليهم في عسكر كثيف. فخرج إليهم ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه من دخول الفسطاط، فأرسل إليهم: إنّا لا نريد قتال أحد وإنّما نطلب قتلة عثمان. فدار الكلام بينهم في الموادعة، واستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصّلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وخرج مع جماعة منهم عبد الرّحمن بن

عديس[1] وكنانة بن بشر وأبو شمر بن أبرهة بن الصّباح. فلمّا بلغوا به غدر بهم عسكر معاوية وسجنوهم إلى أن قتلوا بعد ذلك. قال العسقلاني بعده: قال أبو أحمد الحاكم خدع معاوية محمّد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى العريش في ثلاثين نفسا فحاصره ونصب عليه المنجنيق حتى نزل على صلح فحبس ثمّ قتل"[2].

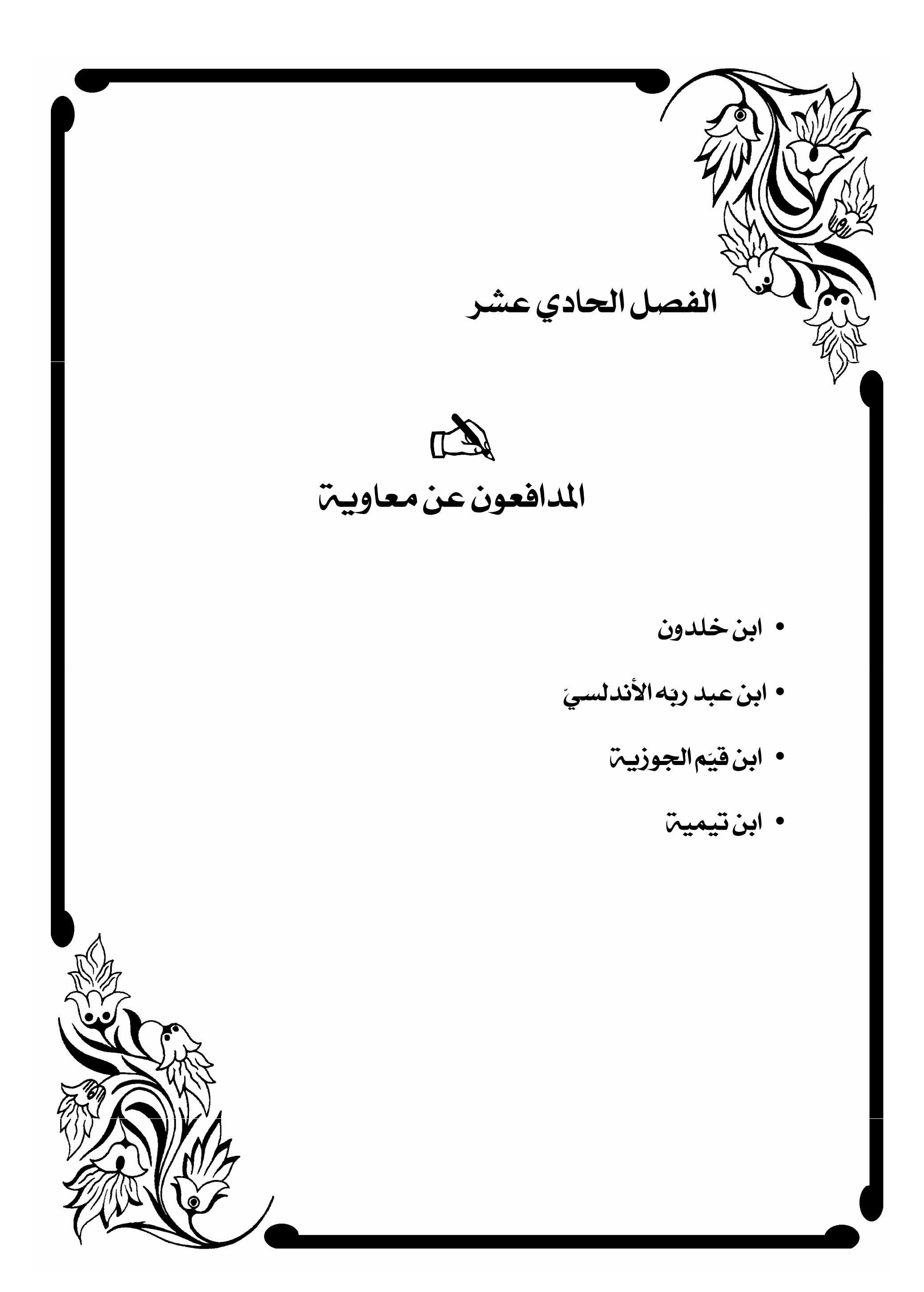
قلت: يدخل في الغدر نكث العهود وجحودها، وقد ثبت أنّ معاوية قال في الكوفة بعد صلح الحسن "كلّ شرط شرطته للحسن فتحت قدميّ هاتين". وقد قال النبي(ص): "من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمّتي يضرب برّها و فاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس منّي ولست منه"[3]. وقد فعلها معاوية جميعا، فقاتل بغير حقّ إمام الأمّة وغدر بكثيرٍ من الصّحابة والتابعين، وأثار العصبيّة بين العدنانية والقحطانية وأشعل نيران الفتنة بشتّى الوسائل لا يستثني من ذلك شعر الشّعراء ووضع الأحاديث. فينطبق عليه قوله(ص) " فليس منّي ولست منه ".

---

(١) عبد الرحمن بن عديس البلوي صحابي ممن بايع تحت الشجرة.

(٢) الإصابة، ابن حجر العسقلاني ، ج ٦ ص ١٠.

(٣) صحيح مسلم ؛ ج ٦ ص ٢٠و٢١ حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا جرير(يعنى ابن حازم) حدثنا غيلان ابن جرير عن أبى قيس بن رياح عن أبى هريرة عن النبي (ص) أنه قال : من خرج. . الحديث



الفصل الحادي عشر

المدافعون عن معاوية

- ابن خلدون
- ابن عبد ربه الأندلسي
- ابن قيم الجوزية
- ابن تيمية

المدافعون عن معاوية :

١ـ ابن خلدون [١]

قال ابن خلدون مدافعا عن معاوية:" فإيّاك أن تظنّ بمعاوية رضي الله عنه أنّه علم ذلك من يزيد فإنّه أعدل من ذلك وأفضل، بل كان يعذله أيّام حياته في سماع الغناء وينهاه عنه، وهو أقلّ من ذلك، وكانت مذاهبهم فيه مختلفة؛ ولمّا حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصّحابة حينئذ في شأنه، فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك، كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتّبعهما في ذلك، ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به، لأنّ شوكة يزيد يومئذ هي عصابة بني أميّة وجمهور أهل الحلّ والعقد من قريش وتتبع عصبيّة مضر أجمع، وهي أعظم من كلّ شوكة ولا تطاق مقاومتهم،

---

(١) قال العقاد: [. . فالدولة الأموية في الأندلس أنشأت للشرق الإسلاميّ تاريخا لم يكتبه مؤرخوه ولا يكتبونه على هذا النحو لو أنهم كتبوه، وجاءت تلك الدولة الأندلسية بمؤرخين من الأعلام ينصبون الميزان راجحا لكل سيرة أموية لا يقصدونها بالمحاباة ولكنهم لا يستطيعون أن يقصدوها بالنّقد والملامة لأنّهم مصروفون بهواهم عن هذا الطّريق. من هؤلاء أناس في طبقة ابن خلدون يضع معاوية في ميزانه فيكاد يحسبه بقيّة الخلفاء الرّاشدين و يتمحّل المعاذير له في إسناد ولاية العهد إليه مع فسوقه وخلل سياسته وكراهة النّاس لحكمه حتى من أبناء قومه. ولا يهولنّ قارئ التّاريخ اسم ابن خلدون فيذكره وينسى الحقائق البديهيّة التي لا تكلّفه أكثر من نظرة مستقيمة إلى الواقع الميسّر لكلّ ناظر في تواريخ الخلفاء الراشدين وتاريخ معاوية. فما في وسع ابن خلدون أن يخرج من هذه التّواريخ بمشابهة بعيدة تجمع بين معاوية والصّدّيق والفاروق وعثمان وعليّ في مسلك من مسالك الدّين أو الدّنيا وفي حالة من أحوال الحكم أو المعيشة، وإنّه لفي وسع كلّ قارئ أن يجد المشابهات الكثيرة التي تجمع بين معاوية ومروان وعبد الملك وسليمان وهشام، فلا يفترقون إلا بالدّرجة والمقدار، أو بالتّقديم والتّأخير. وإذا كان هذا شأن ابن خلدون ، فقل ما شئت في سائر المؤرخين وسائر المستمعين للتواريخ، من مشارقة شهدوا زمان الدّولة ومشارقة لم يشهدوه، ومن مغاربة عاشوا في ظلّ تلك الدّولة، وتعلّقت أقدارهم بأقدارها، وأيقنوا أنّهم لا ينقصون منها شيئا ثمّ يستطيعون تعويضه من الأندلس بما يغنيهم عنه، وما زال العهد بالمنبتّ عن أرومته أن يلصق بها أشدّ من لصوق القائمين عليها. [موسوعة أعمال عباس محمود العقاد، المجلد الرابع ص٣٢٥ ـ ٣٢٦، دار الكتاب اللبناني .

فأقصروا عن يزيد بسبب ذلك وأقاموا على الدّعاء بهدايته، والرّاحة منه، وهذا كان شأن جمهور المسلمين. والكلّ مجتهدون ولا ينكر على أحد من الفريقين فمقاصدهم في البرّ وتحرّي الحقّ معروفة ، وفّقنا الله للاقتداء بهم "[(١)].

وقد استجيبت دعوة ابن خلدون ووفّق للاقتداء بمعاوية ويزيد، فمات يبغض أهل البيتعليهم السلام ويعظّم بني أميّة ويترضّى عمّن لعنه رسول اللهصلى الله عليه وآله، ويبغض من أحبّه رسول اللهصلى الله عليه وآله، فهنيئا له ما اختار! ويبدو لي مهمّا أن تقدّم نبذة عن شخصيّة وحياة ابن خلدون قبل مناقشة كلامه ومواقفه حتّى لا يكون في الحديث عنه غبن له، وللقارئ الكريم أن يدقّق في التّناسب بين الشّخصيّة والمواقف ليحدّد مدى توافق ذلك أ استبعاده . قال الشّوكانيّ في ترجمته:

"عبد الرّحمن بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن جابر بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحيم وليّ الدّين الإشبيليّ الأصل التّونسيّ ثمّ القاهريّ المالكيّ المعروف بابن خلدون. ولد في أوّل رمضان سنة ٧٣٢اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس، وحفظ القرآن و الشاطبيّتين ومختصر ابن الحاجب الفرعيّ والتّسهيل في النّحو، وتفقّه بجماعة من أهل بلده، وسمع الحديث هنالك وقرأ في كثير من الفنون، ومهر في جميع ذلك لاسيما الأدب وفنّ الكتابة . ثمّ توجّه في سنة ٧٥٣ إلى فاس، فوقع بين يدي سلطانها. ثمّ امتحن واعتقل نحو عامين، ثمّ ولي كتابة السّرّ، وكذا النّظر في المظالم. ثمّ دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأوّل سنة ٧٦٤ وتلقّاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية، فقام بالأمر الذي ندب إليه. ثمّ توجّه في سنة ٧٦٦ إلى بجاية ففوّض إليه صاحبها تدبير مملكته مدّة، ثمّ استأذن في الحجّ فأذن له فقدم

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ١ص٢١٢ .

الـدّيار المـصريّة فـي ذي القعـدة سـنة ٧٨٤ فحـجّ ثـم عـاد إلـى مـصر فتلقّـاه أهلهـا وأكرموه وأكثروا من ملازمته والتودّد إليه، وتصدّر للإقراء في الجامع الأزهـر مـدّة، ثم قرّره الظّاهر برقوق في قضاء المالكيّة بالدّيار المـصريّة فـي جمـادى الآخـرة سـنة ٧٨٦ وفتك بكثير من الموقعين، وصار يعزّر بالصّفع ويسمّيه الزّجّ، فـإذا غـضب علـى إنسان قال زجّوه فيصفع حتّى تحمرّ رقبته! وعزل ثمّ أعيد، وتكرّر له ذلك حتّى مات قاضيا فجأة في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سـنة (٨٠٨) ثمـان وثمـان مائـة، ودفن بمقابر الصّوفية خارج باب النّصر. ودخـل مـع العـسكر فـي أيّـام انفـصاله عـن القضاء لقتال تيمور، فقدّر اجتماعه به وخادعه وخلص منه بعد أن أكرمه وزوّده. قـال بعض من ترجمه: إنّه كـان فـي بعـض ولاياتـه يكثـر مـن سـماع المطربـات ومعاشـرة الأحداث [!] وقال آخر:كان فـصيحا مفوّهـا جميـل الـصّورة حسن العشرة إذا كـان معزولا، فأمّا إذا ولي فلا يعاشر ، بل ينبغي أن لا يرى؛ وقال ابـن الخطيـب إنّـه رجـل فاضل جمّ الفضائل، رفيع القدر، أصيل المجد، وقـور المجلـس، عـالي الهمّـة، قـويّ الجأش، متقدّم في فنون عقليّة ونقليّـة، متعـدّد المزايـا، شـديد البحـث، كثيـر الحفـظ صحيح التّصوّر، بارع الخطّ، حسن العشرة، وأثنى عليه المقريزيّ. وكان الحـافظ أبـو الحسن الهيثميّ يبالغ في الغضّ منه، قال الحافظ ابن حجر: فلمّا سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنّه بلغه أنّه قال في الحسين الـسّبط رضي الله عنـه إنّـه قتـل بـسيف جـدّه، ثـمّ أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يبكي. قال ابن حجر: لم توجد هـذه الكلمـة في التّـاريخ الموجـود الآن، وكأنّـه كـان ذكرهـا فـي النّـسخة التـي رجـع عنهـا. قـال: والعجب أنّ صاحبنا المقريزيّ كان يفرط في تعظيم ابن خلـدون لكونـه كـان يجـزم بصحّة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر ، ويخالف غيره في ذلك، ويـدفع مـا نقل عن الأئمّة من الطّعن في نسبهم ويقول: إنّما كتبوا ذلك المحضر مراعـاة للخليفـة العبّاسيّ. وكان المقريزيّ ينتمي إلى الفاطميين كما سبق، فأحبّ ابن خلـدون لكونـه

أثبت نسبهم، وجهل مراد ابن خلدون فإنّه كان لانحرافه عن العلويّة يثبت نسبة العبيديّين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم، وكون بعضهم نسب إلى الزّندقة وادّعاء الإلهيّة كالحاكم، فكأنّه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطّعن ؛ هكذا حكاه السّخاويّ عن ابن حجر والله أعلم بالحقيقة. وإذا صحّ صدور تلك الكلمة عن صاحب التّرجمة فهو ممّن أضلّه الله على علم. وقد صنّف تاريخا كبيرا في سبع مجلّدات ضخمة، أبان فيها عن فصاحة وبراعة، وكان لا يتزيّى بزيّ القضاة بل مستمرّ على زيّ بلاده. وله نظم حسن فمنه :

أسرفن في هجري وفي تعذيبي ❊ وأطلن موقف عبرتي ونحيبي

وأبين يوم البين وقفة ساعة ❊ لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

وترجمه ابن عمّار أحد من أخذ عنه فقال: الأستاذ المنوّه بلسانه سيف المحاضرة، كان يسلك في إقرائه للأصول مسلك الأقدمين كالغزالي والفخر الرّازيّ، مع الإنكار على الطّريقة المتأخّرة التي أحدثها طلبة العجم ومن تبعهم من التّوغّل في المشاحّة اللّفظيّة، والتّسلسل في الحدّيّة والرّسميّة، اللّتين أثارهما العضد وأتباعه في الحواشي عليه، وينهى النّاقل غضون إقرائه عن شيء من هذه الكتب مستندا إلى أنّ طريقة الأقدمين من العرب والعجم وكتبهم في هذا الفنّ على خلاف ذلك، وأنّ اختصار الكتب في كلّ فنّ والتقيّد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات المتأخّرين، والعلم وراء ذلك كلّه. قال: وله من المؤلّفات غير الإنشاءات النّثريّة والشّعريّة التي هي كالسّحر التّاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم والبربر، حوت مقدّمته جميع العلوم"[1].

ثمّ إنّه يكاد ينفرد بطريقته في التّرضّي عن الصّحابة، وكأنّما يستكثر في آل

---

(١) البدر الطالع، الشّوكانيّ، ج١ص٣٣٧.

النبي صلى الله عليه وآله التّرضّي فضلا عن الصّلاة، وأنا مورد هنا بعض ما يتجلّى فيه ذلك كي لا تغيب البيّنة. قال ابن خلدون: " وبنو ربيعة بن عبد شمس منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ومن عتبة ابنه الوليد وقتل يوم بدر كافرا، وأبو حذيفة صحابيّ وهو مولى سالم قتل يوم اليمامة، وهند بنت عتبة أمّ معاوية رضي الله عنها"[1]. فانظر إلى قوله عن أبي حذيفة " قتل يوم اليمامة "دون أن يترضّى عنه، علما أنّ الذين قتلوا يوم اليمامة شهداء في ظاهر أمرهم، لأنّهم كانوا يحاربون مسيلمة الكذّاب وجنوده، ولا خلاف بين المسلمين في كفر مسيلمة وأنّ محاربته جهاد صحيح. وانظر كيف يترضّى عن آكلة الأكباد صاحبة الرّاية ذات الأمر المشهور، ويكفي لتحقّق ذلك منها مطالعة أشعار حسّان بن ثابت التي كان يهجو بها المشركين ذبّا عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّها مشحونة بالحديث عن رسوخ هند بنت عتبة في الفجور؛ ولو كان حسّان متّهما لها في ما ذكر لما أقرّه النّبيّ صلى الله عليه وآله عليه؛ ثمّ إنّه ساوى بين سيّدة نساء العالمين عليها السلام وبين آكلة الأكباد، وهذا ممّا يؤذي قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم.

وقال: " أبو العاصي بن الربيع بن عبد العزى صهر النّبيّ وكانت له منها أمامة تزوّجها عليّ بعد فاطمة رضي الله عنها "[2]. وأنت ترى أنّه إضافة إلى تجاهل الصّلاة على النبي صلى الله عليه وآله ترضّى عن اثنين لا أكثر، فلم يترضّ عن أمامة ولا عن أبي العاص بن الرّبيع، وكان بإمكانه أن يضع ميم الجمع فتكون(هم) بدل(هما)، ولكن يبدو أنّ لابن خلدون هوى في من يبغض عليّا وآل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن تتبّع أسلوبه ونسق كلامه لم يخف عليه ما ذكرت فإنّه في تاريخه كثير.

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ج 2 ص 328 [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان 1393 هـ].

(2) نفس المصدر السابق، ج2ص328.

ثمّ يقول في ذكر بني أميّة الأكبر في نفس الصّفحة: " وأبو سفيان بن حرب بن أميّة وأبناؤه معاوية أمير المؤمنين ويزيد وحنظلة وعتبة وأمّ حبيبة أمّ المؤمنين". فهو لا يشكّ في أنّ معاوية خليفة شرعيّ وأمير للمؤمنين، وموقف النّبيّ ﷺ من معاوية معلوم، والأحاديث في ذلك لا تخفي على المنصفين، من بينها أنّ معاوية يموت على غير ملة الإسلام[1]؛ على أنّ ابن خلدون نفسه يذكر معاوية بن أبي سفيان فيما بعد في المؤلّفة قلوبهم، والمؤمن لا يحتاج إلى ذلك، ولكن ما يضرّ ابن خلدون أن يردّ تلك الأحاديث ويحكم عليها بالضّعف تارة وبالوضع أخرى وهو الذي شكّك في حديث المهديّ عليه السلام الذي تسالم عليه أهل القبلة.

لقد كان ابن خلدون معجبا ببني أميّة، مبالغا في مديحهم بما ليس فيهم، ميّالا إليهم، غاليا في تمجيدهم مع كلّ ما صدر منهم في حقّ أهل بيت النبيّ ﷺ، وهذا كاف لتصنيفه ضمن النّواصب الكبار. وقد ثبت أنّ النّبيّ ﷺ قال: إنّ أشدّ قومنا لنا بغضا بنو أميّة وبنو مخزوم[2]. ومع ذلك لا يتورّع ابن خلدون عن مديحهم والمبالغة فيه. ومن أمثلة ذلك قوله:

---

(١) الحديث رواه البلاذري بسندين في ترجمة معاوية من كتاب أنساب الأشراف : ج ٢ الورقة ٧٥ / أ / من مخطوطة تركيا قال :[حدثني عبد الله بن صالح حدثني يحيي بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ فقال : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملّتي . قال [عبد الله]: وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع فطلع معاوية. وحدّثني إسحاق قال :حدثنا عبد الرزاق بن همام أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص . .]لكنّ أيدي الرقابة امتدّت إليه وتلاعبت بالمفردات، وقد تناول القضيّة الحافظ أحمد بن الصّدّيق المغربي وقال من بين ما قال : (ومن أعجب ما تسمعه أنّ هذا الحديث خرّجه كثير من الحفّاظ في مصنّفاتهم ومعاجمهم المشهورة ولكنهم يقولون : فطلع رجل ولا يصرّحون باسم اللّعين معاوية سترا عليه وعلى مذاهبهم الضّلاليّة في النّصب وهضم حقوق آل البيت ولو برفع منار أعدائهم، فالحمد لله الذي حفظ هذه الشّريعة رغما على دسّ الدسّاسين وتحريف المبطلين).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، ج٤ ص ٥٣٤ .

"واستعمل يزيد بن أبى سفيان على الشّام وطال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة فولّى مكانه أخاه معاوية، وأقرّه عثمان من بعد عمر، فاتّصلت رياستهم على قريش في الإسلام برياستهم قبيل الفتح التي لم تحل صبغتها ولا ينسى عهدها، أيّام شغل بنو هاشم بأمر النّبوّة ونبذوا الدّنيا من أيديهم بما اعتاضوا عنها من مباشرة الوحي وشرف القرب من الله برسوله. وما زال النّاس يعرفون ذلك لبنى أميّة؛ وانظر مقالة حنظلة بن زياد الكاتب لمحمّد بن أبي بكر: إنّ هذا الأمر إن صار إلى التّغالب غلبك عليه بنو عبد مناف "[1].

ولكنّ هذا القول من ابن خلدون يردّه قول علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه إلى معاوية كما في نهج البلاغة: " ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرّعيّة وولاة أمر الأمّة ؟ غير قدم سابق ولا شرف باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشّقاء. وأحذّرك أن تكون متماديا في غرّة الأمنية، مختلف العلانية والسّريرة "[2].

ونحن مهما اعتبرنا ثقافة ابن خلدون ومنزلته العلميّة فإنّه ليس بوسعنا أن نقدّم كلامه على كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لا من جهة كون عليّ صحابيّا مشاهدا للأحداث بنفسه معاينا لتفاصيلها فحسب، بل لأنّ بين أيدينا أحاديث نبويّة تقصي ابن خلدون وتثبت كلام عليّ عليه السلام منها حديث "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار" وحديث " أنا مدينة العلم وعلي بابها"[3]، وأمثال هذه الأحاديث تجعل عليّا عليه السلام حاكما على أقوال الآخرين وأفكارهم، مصحّحا لأخطائهم. وعليه تكون

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص ٣.

٢ ـ نهج البلاغة، ج٣ ص١١ تحت رقم١٠.

٣ ـ هذا الحديث حديث شكك في صحّته النّواصب وردّ عليهم الحافظ أحمد بن الصّدّيق المغربيّ وفنّد مزاعمهم في كتابه " فتح الملك العليّ بصحّة باب مدينة العلم علي ".

دعوى ابن خلدون باطلة لا تصلح للاستدلال، لكنّها تساعد على بيان ومعرفة حقيقة ابن خلدون من جهة ميله إلى بني أميّة وانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام. ومن حقّنا أن نعجب من كلام ابن خلدون حين يقول:"وما زال النّاس يعرفون ذلك لبنى أميّة "! فإن كان ابن خلدون يقصد بالنّاس " الأمّة " و" الرّعيّة " فإنّ استفهام عليّ عليه السلام السّابق استنكاريّ يفيد النّفي. ثمّ إنّ ذلك الشرف لم يخرج من بني هاشم قبل السّقيفة، توارثوه كابرا عن كابر[1]. وإن كان يقصد ما بعد السّقيفة فإنّها قيادة غير شرعيّة لا يعتدّ بها، لأنّها أسّست على المؤامرة ولم تخل من الكيد والمكر، والوحيد الذي سعت إليه الخلافة ولم يسع إليها هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّ النّاس هجموا عليه في بيته يريدونه للبيعة، ولم يقبل بادئ الأمر، وحينما أصرّوا عليه أشار إلى المسجد وقال قولته الشهيرة التي لا تزال تؤرّق أصحاب الكواليس والسّقائف:"إنّ بيعة مثلي لا تكون سرّا "! وقد تخلّف عن بيعته من تخلّف من أهل الأهواء والمطامع، فلم يكره منهم أحدا ولا هدّد بتحريق البيوت عليهم بالنّار. على أنّ المتخلّفين عن بيعته ندموا في أواخر أيّام حياتهم ألاّ يكونوا حاربوا معه الفئة الباغية، و لات حين مندم.

ويدافع ابن خلدون عن معاوية في كلّ المواقف، ويتّخذ من تصويب أقواله وأفعاله دينا يدين به، وينسب تخميناته وما توسوس به نفسه إلى الإسلام، ومن ذلك قوله في المقدّمة: " ولما لقي معاوية عمر بن الخطّاب رضي الله عنهما عند قدومه إلى الشّام في أبّهة الملك وزيّه من العديد والعدّة استنكر ذلك وقال أكسرويّة يا معاوية ! فقال: يا أمير المؤمنين، إنّا في ثغر تجاه العدوّ وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة؛ فسكت ولم يخطّئه لمّا احتجّ عليه بمقصد من مقاصد الحقّ والدّين. فلو كان القصد رفض الملك من أصله لم يقنعه الجواب في تلك الكسرويّة وانتحالها، بل كان

---

(١) فضل بني هاشم على كل العرب قبل الإسلام معلوم، لم يدفعه أحد، خلافا لما يدّعيه ابن خلدون.

يحرّض على خروجه عنهما بالجملة، وإنّما أراد عمر بالكسرويّة ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظّلم والبغي وسلوك سبله، والغفلة عن الله، وأجابه معاوية بأنّ القصد بذلك ليس كسرويّة فارس وباطلهم، وإنّما قصده بها وجه الله، فسكت "[1].

زعم ابن خلدون أنّ معاوية أراد بالأبّهة وجه الله تعالى، وهذا كلام لا يقوله من يعرف حرمة وجه الله تعالى، فإنّ الأبّهة غير الزّينة، وإنّما هي سيرة الفراعنة والمستكبرين. والزّينة نفسها منها محمود ومنها مذموم. وعلى فرض صحّة ما رامه ابن خلدون، فإنّ الذي يريد وجه الله تعالى يريده في كلّ الأحوال، فهل تتّفق أعمال معاوية وجرائمه مع إرادة وجه الله تعالى؟ أم أنّ ابن خلدون يذرّ الرّماد في العيون! وهل عزب عن ابن خلدون أنّ معاوية لعنه النّبيّ ﷺ وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه؟! وكيف يأمر النّبيّ ﷺ بقتل رجل يريد وجه الله تعالى؟

على أنّ معاوية في كلامه هذا مجانب للصواب، لأنّه فيما بعد صالح ملك الرّوم ليتفرّغ لحرب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأين المباهاة التي ذكر لعمر؟! وهل يجوز في الإسلام مصالحة الكفّار للتّفرّغ لمحاربة المسلمين؟! وهل يكون من ابتغاء وجه الله تعالى أن يصالح الكفّار ليحارب المسلمين؟!

وقال:" وجاء الأشتر فنزل على صاحب الخراج بالقلزم فمات هنالك، وقيل إنّ معاوية بعث إلى صاحب القلزم فسمّه على أن يسقط عنه الخراج، وهذا بعيد ! "[2].

أقول: لم يكون هذا بعيدا بعد أن قتل معاوية بالسمّ الحسن بن عليّ عليهما السلام وسعد بن أبي وقّاص ؟ أيكون الأشتر أعزّ منهما أم أنّ معاوية توقّف فجأة عن الاغتيال بالسّمّ؟

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ج١ص٢٠٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٢ ص١٨١.

إنّ ابن خلدون بقوله هذا من دون تقديم دليل يؤكّد أنّه من أرباب التّحكّم، الذين لا يلتفتون إلى أدلّة الخصم ولا يلقون بالا إلى ما يخالف مبانيهم ، وما ذلك إلاّ نتيجة هوى بني أميّة. وينسى ابن خلدون أو يتناسى أنّ معاوية نفسه كان يقول "إنّ لله جنودا منها العسل "، وينسى أو يتناسى المؤرّخين وكتّاب التّراجم الذين ذكروا أنّ معاوية سمّ الأشتر على يد دهقان من الدّهاقين وأظهر السرور حين بلغه موته. ولو أنّ ابن خلدون ذكر سبب الاستبعاد حين قال " هذا بعيد " لكان في سعة من أمره، ولما وسع مخالفه إلاّ أن يعذره في ما ذهب إليه، لأنّ الباحث يصيب ويخطئ، لكنّه رأى نفسه فوق تقديم الدّليل وبيان وجه الاستبعاد، ولو فتح هذا الباب لكلّ باحث لاستوت الأنوار والظّلم.

قال ابن خلدون: "ولمّا وقعت الفتنة بين عليّ ومعاوية وهي مقتضى العصبيّة، كان طريقهم فيها الحقّ والاجتهاد، ولم يكونوا في محاربتهم لغرضٍ دنيويّ، أو لإيثار باطل، أو لاستشعار حقد كما قد يتوهّمه متوهّم وينزع إليه ملحدٌ[!] وإنّما اختلف اجتهادهم في الحقّ، وسفّه كلّ واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحقّ فاقتتلوا عليه، وإن كان المصيب عليّا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل إنّما قصد الحقّ وأخطأ، والكلّ كانوا في مقاصدهم على حقّ. ثمّ اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثارا لواحد به، ولم يكن معاوية أن يدفع عن نفسه وقومه[1] فهو أمر طبيعيّ ساقته العصبيّة بطبيعتها، واستشعرته بنو أميّة ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحقّ من أتباعهم، فاعصوصبوا عليه واستماتوا دونه. ولو حملهم معاوية على غير تلك الطّريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقعوا في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهمّ عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة . وقد كان عمر بن عبد

(١) كذا .

العزيز رضي الله عنه يقول إذا رأى القاسم بن محمّد بن أبي بكر: لو كان لي من الأمر شيء لولّيته الخلافة! ولو أراد أن يعهد إليه لفعل. ولكنّه كان يخشى من بني أميّة أهل الحلّ والعقد لما ذكرناه، فلا يقدر أن يحوّل الأمر عنهم لئلاّ تقع الفرقة"[١].

يزعم ابن خلدون أنّ الذي يظنّ من معاوية وحزبه طلب الغرض الدّنيويّ وإيثار الباطل ملحد! وبين أيدينا كثير من كلمات الصّحابة تشهد على معاوية أنّه نازع عليّاً عليه السلام ظلما وعلوّا واستكبارا بغير الحقّ، مستغلاّ كثرة أعداء عليّ عليه السلام؛ والنّبيّ صلى الله عليه وآله نفسه شهد على معاوية وجماعته أنّهم الفئة الباغية. بل إنّ معاوية (الحفيد) بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان نفسه يشهد على جدّه أنّه نازع الأمر أهله بغير حقّ. فهل يكون ابن خلدون أشدّ سفيانية من حفيد معاوية؟! وهل يرضى ابن خلدون أن يكون الصّحابة والتّابعون في عداد الملاحدة كما هو لازم كلامه؟! أوليس في محاولته نفي صفة البغي عن معاوية وجماعته تكذيب صريح للنّبيّ صلى الله عليه وآله؟!

وقد شهد عليّ بن أبي طالب عليه السلام على معاوية وأصحابه أنّهم ليسوا أهل دين ولا قرآن، وهو الذي صحبهم صغارا وكبارا فكانوا شرّ صغار وشرّ كبار ما آمنوا مذ كفروا، فهل يكذّب ابن خلدون عليّا عليه السلام وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله " عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار"[٢]؟ وكيف يطلب معاوية الحقّ في مخالفة عليّ عليه السلام والحقّ مع عليّ لا يفارقه؟ وكيف يفارق عليّ الحقّ وهو مع القرآن والقرآن معه ولن يفترقا حتّى يردا على النبيّ صلى الله عليه وآله الحوض؟! ولم لا يعتمد ابن خلدون شهادة معاوية على

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١ ص٢٠٥ .

(٢) هذا الحديث نفى ابن تيمية في منهاج السنة أن يكون رواه أحد بسند صحيح أو ضعيف، والحال أنّه ورد في عشرين مصدرا من المصادر المعتبرة بأسانيد بعضها صحيح وبعضها ضعيف، والواقع يشهد لعليّ عليه السلام أنّه كان دائما مع الحقّ.

نفسه أنّه قاتل أهل العراق ليتأمّر عليهم لا غير، وزعم أنّ الله آتاه ذلك؛ قال ابن كثير في البداية والنهاية: وقال يعقوب بن سفيان حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وسعيد بن منصور قالا:حدّثنا أبو معاوية حدّثنا الأعمش عن عمرو بن مرّة، عن سعيد بن سويد. قال:صلّى بنا معاوية بالنخيلة ـ يعني خارج الكوفة ـ الجمعة في الضّحى ثمّ خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلّوا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، قد عرفت أنّكم تفعلون ذلك، ولكن إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون "[1].

فهذا معاوية يقرّ أنّه حارب ليتأمّر، والعبارة واضحة وضوح الشمس، وابن خلدون ينفي ذلك ويدفعه مكابرة، فهل يعتبر الذي يقاتل المسلمين ليتأمّر عليهم مجتهدا ؟ وهل هو من العقل والدّين أن يقدّم اجتهاد ابن خلدون بشأن معاوية على إقرار معاوية على نفسه؟!

يقول ابن خلدون بعد ذلك:[ثمّ اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به] ونحن نسائل ابن خلدون عن طبيعة الملك كما يسمّيها فنقول له: هذه الطّبيعة التي ذكرتها هل هي تخضع لمعايير وقيم أخلاقيّة إسلاميّة أم أنّها فوضى وهمجيّة لا يحكمها إلا القوّة والعناد؟ فإن كانت طبيعة الملك محكومة بقيم إسلاميّة فأين هذه القيم في سلوك معاوية؟ ولماذا بقي يلاحق عليّا عليه السلام بالسّبّ واللّعن والشّتم بعد شهادته؟ ولماذا يفخر بنقضه العهد حين تلفّظ بتلك العبارة المشئومة قائلا: ألا وإنّ كلّ شرط شرطته للحسن تحت قدميّ هاتين؟ألم يقل النّبيّ صلى الله عليه وآله "المسلمون عند شروطهم " ؟ ألم يقل القرآن الكريم " يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود "؟ ألم يقل النّبيّ صلى الله عليه وآله فيما رواه مسلم عن أبي هريرة " من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٠[دار إحياء التراث العربي ١٤٠٨هـ].

مات ميتة جاهليّة، ومن قاتل تحت راية عميّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهليّة، ومن خرج على أمّتي يضرب برّها و فاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس منّي ولست منه "[١]؟وهذه الأوصاف كلّها تنطبق على معاوية، فالنّبيّ ﷺ يتبرّأ منه بمقتضى قوله " فليس منّي ولست منه ".

ولماذا يتحدّث ابن خلدون عن الملك في الإسلام وقد علم أنّ النّبيّ ﷺ لم يكن ملكا بل ذمّ ملوك بني أميّة وسمّى حكمهم ملكا عضوضا؟ لا شكّ أنّ ابن خلدون لا يقيم لكلام النّبيّ ﷺ وزنا إلاّ حين يوافق هواه، فكأنّه معنيّ بقول الله تعالى " أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون "[٢]. ونحن إنّما نعتمد قول من يستند إلى ما صحّ عن النبيّ ﷺ في كلّ حال، لا في حال دون حال حسبما يقتضيه المزاج.

قال ابن خلدون : ولقد انفرد سليمان وأبوه داود صلوات الله عليهما بملك بني إسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك من الانفراد به، وكانوا ما علمت من النبوّة والحقّ، و**كذلك** عهد معاوية إلى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانت بنو أميّة لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم . فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه، مع أن ظنّهم كان به صالحا ولا يرتاب أحد في ذلك، ولا يظنّ بمعاوية غيره؛ فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق، حاشا الله لمعاوية من ذلك ؛ وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وإن كانوا ملوكا، لم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي، إنّما كانوا متحرّين لمقاصد الحقّ جهدهم إلاّ في ضرورة تحملهم على

---

(١) صحيح مسلم ، ج ٦ص ٢٠.

(٢) النور : ٥٠.

بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو أهمّ لديهم من كلّ مقصد؛ يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتّباع والاقتداء وما علم السّلف من أحوالهم ومقاصدهم، فقد احتجّ مالك في الموطإ بعمل عبد الملك. وأمّا مروان فكان من الطبقة الأولى من التّابعين وعدالتهم معروفة. ثمّ تدرّج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدّين بالمكان الذي كانوا عليه! وتوسّطهم عمر بن عبد العزيز فنزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصّحابة جهده ولم يهمل»[1].

قلت: لا يتورّع ابن خلدون أن يشبّه معاوية بداوود عليه السلام، ويزيد بن معاوية بسليمان بن داوود عليه السلام، والله سائله عن هذا التّشبيه الذي تشمئزّ لسماعه نفوس المؤمنين. وكيف يشبّه صاحب القرود والفهود شارب الخمر المعلن بذلك والمجاهر بفسوقه ـ كيف يشبّه من هذه حاله ـ بسليمان الشّكور؟!

ويجعل ابن خلدون من احتجاج مالك في الموطّأ بعمل عبد الملك بن مروان دليلا يتوقّع أن يتقبّله أولو الألباب، ومتى نزل جبريل على مالك بن أنس حتّى تكون كلّ أقواله وأفعاله وتقريرا ته محلّ قبول ؟ على أنّ لمحمّد بن إسحاق صاحب السّيرة أقوالا في مالك بن أنس، لكنّ ابن خلدون مالكيّ ولذلك فهو يتصرّف كما لو كان كلّ من عليها على مذهب مالك. ولمحمّد بن إسحاق صاحب السّيرة النبوية كلام في مالك بن أنس وعلمه يحسن الاطّلاع عليه. على أنّ احتجاج مالك بعمل عبد الملك بن مروان لا يغني عن الأخير شيئا ولا يرفع له هامة، فقد غدر عبد الملك غدرته المشهورة بعمرو بن سعيد الأشدق بعد أن أعطاه العهود والمواثيق ثمّ ما لبث

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١ ص٢٠٦.

أن ذبحه بيده، والغدر معناه نقض العهد، وقد لعن الله تعالى الذين ينقضون عهد الله بعد ميثاقه في مواطن من القرآن الكريم، فكيف يكون عمل الغدّار حجة؟ (١)

قال ابن خلدون : " . . . لاسيما إذا كانت هناك داعية تدعو إليه من إيثار مصلحة أو توقّع مفسدة، فتنتفي الظّنّة في ذلك رأسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد؛ وإن كان فعل معاوية مع وفاق النّاس له حجّة في الباب[!] والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنّما هو مراعاة المصلحة في اجتماع النّاس واتّفاق أهوائهم، باتّفاق أهل الحلّ والعقد عليه حينئذ من بني أميّة إذ بنو أميّة يومئذ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش وأهل الملّة أجمع، وأهل الغلب منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظنّ أنّه أولى بها، وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصا على الاتّفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهمّ عند الشارع، وإن كان لا يظنّ بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك [!] وحضور أكابر الصّحابة (٢) لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الرّيب فيه، فليسوا ممّن يأخذهم في الحقّ هوادة وليس معاوية ممّن تأخذه العزّة في قبول الحقّ، فإنّهم كلّهم أجلّ من ذلك وعدالتهم

---

(١) تفاصيل القصة ذكرها ابن كثير في تاريخه في أحداث سنة تسع وستين (البداية والنهاية ج٨ص٣٣٧ وما بعدها ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٠٨ هـ) وهي جديرة بالمطالعة، ومن بين ما جاء فيها : " وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعثي إليّ بكتاب الأمان الذي كنت كتبته لعمرو ، فقالت : إني دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله " .

(٢) تجاهل ابن خلدون لآلاف الصحابة الذين حاربوا معاوية وشهروا في وجهه السيوف وصرّحوا بكفره = = من أمثال خزيمة بن ثابت وعمّار بن ياسر وحجر بن عديّ دليل على قلّة ورع هذا المؤرّخ وبعده عن الحقّ ورسوخه في الباطل، فإنّه يتحدّث عن سكوت تحت سيف مشهور ويسميه اتّفاقا، ويقول بكل وقاحة: "ليس معاوية ممّن تأخذه العزّة في قبول الحقّ"، ضاربا عرض الحائط بأقوال علي عليه السلام وخيرة البدريّين.هكذا كتب تاريخ المسلمين بأيدٍ ملوّثة مضاهية في افتراءاتها أفعال اليهود.

مانعة منه. وفرار عبد الله بن عمر من ذلك إنّما هو محمول على تورّعه من الدّخول في شيء من الأمور مباحا كان أو محظورا كما هو معروف عنه. ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتّفق عليه الجمهور إلاّ ابن الزّبير[!] وندور المخالف معروف. ثم إنّه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحقّ ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أميّة والسّفّاح والمنصور والمهديّ والرّشيد[1].

قلت: أوّلا، لقد أساء ابن خلدون ودلّس حين حصر خلاف يزيد بن معاوية في عبد الله بن الزبير، فلماذا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام إذاً؟ ولم كانت وقعة الطفّ ووقعة الحرّة؟

ثمّ لا يعجب القارئ لمثل هذه الأمور، فإنّ ابن خلدون ينتمي إلى مدرسة تعمل بالمصالح المرسلة وسدّ الذرائع حتى مع توفّر النصّ الجليّ. وابن خلدون بعباراته السّابقة يتجاهل أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله في ما يخصّ تولية الرّجال، والقضيّة تتعلّق بشأن المسلمين جميعا لا بولاية مدينة أو ناحية. والذي يتّفق مع ما يميل إليه العقلاء على اختلاف ثقافاتهم وأديانهم هو أن يكون على رأس الدّولة من هو حريص على مصالحها وأمنها وأمانها وتيسير سبل النّجاة لها. ولذلك تراهم مدحوا من حسنت سيرته في الرّعيّة وإن بعد العهد وذمّوا من أساء التّصرف والمعاملة ولو كان ابن شيخ العشيرة. وجلد عمر بن عبد العزيز رجلا قال بحضرته عن يزيد بن معاوية " أمير المؤمنين ". وأورد الزّيعليّ في نصب الراية حديثا في المعنى رواه الحاكم وغيره[2].

---

(٢) قال الزيعلي (توفي سنة ٧٦٢) في نصب الراية، ج ٥ ص ٣٧:

الحديث الثاني قال عليه السلام من قلّد إنسانا عملا وفي رعيّته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين قلت روى من حديث ابن عباس ومن حديث حذيفة فحديث ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الأحكام عن حسين بن قيس الحربيّ عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم من استعمل رجلا

فإذا كان عمر بن عبد العزيز يرى أنّ تسمية يزيد بن معاوية بأمير المؤمنين تستوجب التّعزير، وهو من قبيلته وقريب العهد به، فينبغي على ابن خلدون أن يراعي ذلك وأمثاله حين إصداره الأحكام، وليس عمر بن عبد العزيز ممّن يتّهم عند أهل السنّة والجماعة في معتقده وسلوكه وآرائه.

ولعمر بن الخطاب أيضا كلام في هذا المعنى رواه ابن عساكر عن عثمان بن مقسم قال: قال المغيرة بن شعبة لعمر أدلّك على القويّ الأمين؟ قال: بلى قال: عبد الله بن عمر! قال: ما أردت بقولك هذا والله لأن يموت فأكفنه بيديّ أحبّ إليّ من أن أوليّه وأنا أعلم أنّ في النّاس من هو خير منه[1]. فعلى فرض ضعف الحديث الذي رواه الحاكم وغيره، فإنّ لقول عمر عند من يأتمّ به شأن وأيّ شأن! وهو عند العامّة (أهل السّنّة والجماعة) قطعا أفضل من معاوية بحيث لا وجه للمقايسة، وابنه عبد الله بن عمر أيضا أفضل من يزيد بن معاوية بحيث لا سبيل إلى المقايسة ومع ذلك لم

على= =عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين (انتهى) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه شيخنا شمس الدّين الذهبيّ في مختصره وقال حسين بن قيس ضعيف (انتهى) قلت رواه بن عدي في الكامل وضعف حسين بن قيس عن النّسائيّ وأحمد بن حنبل ورواه العقيلي أيضا في كتابه وأعلّه بحسين بن قيس وقال إنّما يعرف هذا من كلام عمر بن الخطاب (انتهى) وأخرجه الطبراني في معجمه عن حمزة النصيبيني عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال: قال النّبيّ ﷺمن تولّى من أمر المسلمين شيئا فاستعمل عليهم رجلا وهو يعلم أنّ فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنّة رسوله فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين، مختصرا. وأخرجه الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد عن إبراهيم بن زياد القرشي عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا بلفظ الطبراني قال الخطيب وإبراهيم بن زياد في حديثه نكرة وقال ابن معين لا أعرفه (انتهى) وأما حديث حذيفة فرواه أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا أبو وائل خالد بن محمد البصري حدثنا عبد الله بن بكر السهمي حدّثنا خلف بن خلف عن إبراهيم بن سالم عن عمرو بن ضرار عن حذيفة عن النبي ﷺقال أيّما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس وعلم أنّ في العشرة من هو أفضل منه فقد غشّ الله ورسوله وجماعة المسلمين (انتهى).

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٣١ ص ١٧٨.

يرض عمر أن يولّي ابنه مع وجود من هو خير منه؛ ويلزم من هذا أن يخطّئ ابن خلدون الخليفة عمر في فعله وموقفه، لأنّه صوّب فعل معاوية ورأيه وهو على نقيض ذلك تماما.

قال ابن خلدون: ولا يعاب عليهم إيثار أبنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء، فإنّهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك، وكان الوازع دينيّا، فعند كلّ أحد وازع من نفسه فعهدوا إلى من يرتضيه الدّين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كلّ من يسمو إلى ذلك إلى وازعه. وأمّا من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبيّة قد أشرفت على غايتها من الملك، والوازع الدّينيّ قد ضعف، واحتيج إلى الوازع السّلطانيّ و العصبانيّ، فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبيّة لردّت ذلك العهد وانتقض أمره(١).

أقول: إنّ كلام ابن خلدون ههنا خال من النّفس الدّينيّ، مع أنّه يتحدّث عن أمر دينيّ ما سلّت السيوف لشيء مثل ما سلّت له، فكأنّك تستمع إلى أحد المستشرقين الذين يحلّلون ويوجّهون بهواهم غير متقيّدين بشرع؛ ويكفي لبيان ذلك أن يسأل ابن خلدون عن هذه العصبيّة هل هي محكومة بالإسلام أم هي حاكمة عليه؟ فإن كانت محكومة بالإسلام فإنّه ليس لها أن تردّ ما يرتضيه الإسلام، وليس لها أن تقدّم الانتماء القبليّ على الانتماء الدّينيّ. ولو كان ابن خلدون يلتزم بكلام رسول الله ﷺ لما خطّت يمينه ما سبق، ففي صحيح مسلم وغيره: "من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة، ومن قاتل تحت راية عميّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهليّة، ومن خرج على أمّتي يضرب برّها

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١ ص ٢١١.

و فاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس منّي ولست منه "[1]. وهذا الحديث صريح في نفي ما ذهب إليه ابن خلدون في ترجيح ما ترتضيه العصبية، بل هو يجعلها من الجاهلية ومن مات في الدّفاع عنها مات ميتة جاهلية!

قال ابن خلدون: والأمر الثالث شأن الحروب الواقعة في الإسلام بين الصحابة والتّابعين، فاعلم أنّ اختلافهم إنّما يقع في الأمور الدّينيّة، وينشأ عن الاجتهاد في الأدلّة الصّحيحة والمدارك المعتبرة، والمجتهدون إذا اختلفوا فإن قلنا إنّ الحقّ في المسائل الاجتهادية واحد من الطّرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فإنّ جهته لا تتعيّن بإجماع؛ فيبقى الكلّ على احتمال الإصابة، ولا يتعيّن المخطئ منها. والتأثيم مدفوع عن الكلّ إجماعا. وإن قلنا إنّ الكلّ حقّ وإنّ كلّ مجتهد مصيب فأحرى بنفي الخطإ والتأثيم، وغاية الخلاف الذي بين الصّحابة والتّابعين أنّه خلاف اجتهاديّ في مسائل دينيّة ظنّيّة، وهذا حكمه. والذي وقع من ذلك في الإسلام إنّما هو واقعة عليّ مع معاوية ومع الزّبير وعائشة وطلحة، وواقعة الحسين مع يزيد، وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك. فأمّا واقعة عليّ فإن النّاس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة عليّ. والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقّف حتّى يجتمع النّاس ويتّفقوا على إمام كسعد وسعيد، وابن عمر، وأسامة بن زيد، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن سلام، وقدامة بن مظعون، وأبي سعيد الخدريّ، وكعب بن مالك، والنّعمان بن

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه، ج٨ص٨٨ و١٠٥، ومسلم في صحيحه ، ج٦ص ٢٠، وهو في سنن النسائي، ج٧ص١٢٣، سنن البيهقي، ج٨ص١٥٦ و١٥٧، وسنن الدارمي، ج٢ص ٢٤١، و مجمع الزوائد، ج١ص ٣٢٤، وج ٥ص٢١٨، وما بعدها، وهو أيضا في مسند أحمد، ج١ص٢٩٧و٣١٠، ومسند أحمد، ج٢ص ٧٠و٨٣ و٩٣ و١٢٣ و١٥٤وج٣ص٤٤٥و ج٤ص ٩٦ ، ومسند أبي داوود ، ص٢٥٩، ومصنف =
= عبد الرزاق ، ج٢ص ٣٧٩ ، ومصنف ابن أبي شيبة، ج ٨ص٥٩٨ و٦٠٥، ومسند ابن راهويه، ج١ص١٩٢، تفسير القرطبي، ج١٤ ص٥٦ ، وتفسير ابن كثير، ج١ص٥١٨ ،والمعيار و الموازنة لأبي جعفر الإسكافي، ص٢٤، ومسند ابن الجعد، ص ٣٣٠ ، ومصادر أخرى. .

بشير، وحسّان بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، و فضالة بن عبيد وأمثالهم من أكابر الصّحابة. والذين كانوا في الأمصار عدلوا عن بيعته أيضا إلى الطّلب بدم عثمان وتركوا الأمر فوضى حتى يكون شورى بين المسلمين لمن يولّونه، وظنّوا بعليّ هوادة في السّكوت عن نصر عثمان من قاتله، لا في الممالأة عليه فحاشا لله من ذلك. ولقد كان معاوية إذا صرّح بملامته إنّما يوجّهها عليه في سكوته فقط.

ثمّ اختلفوا بعد ذلك فرأى عليّ أن بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخّر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبيﷺوموطن الصّحابة، وأرجأ الأمر في المطالبة بدم عثمان إلى اجتماع النّاس واتّفاق الكلمة، فيتمكّن حينئذ من ذلك. ورأى الآخرون أنّ بيعته لم تنعقد لافتراق الصّحابة أهل الحلّ والعقد بالآفاق ولم يحضر إلاّ قليل، ولا تكون البيعة إلاّ باتّفاق أهل الحلّ والعقد، ولا تلزم بعقد من تولاّها من غيرهم أو من القليل منهم، وإن المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون أوّلا بدم عثمان ثمّ يجتمعون على إمام. وذهب إلى هذا معاوية وعمرو بن العاص، وأمّ المؤمنين عائشة، والزّبير وابنه عبد الله، وطلحة وابنه محمّد، وسعد وسعيد، والنّعمان بن بشير، ومعاوية بن خديج، ومن كان على رأيهم من الصّحابة الذين تخلّفوا عن بيعة عليّ بالمدينة كما ذكرنا، إلاّ أنّ أهل العصر الثّاني من بعدهم اتّفقوا على انعقاد بيعة عليّ ولزومها للمسلمين أجمعين وتصويب رأيه فيما ذهب إليه وتعيين الخطإ من جهة معاوية ومن كان على رأيه، وخصوصا طلحة والزّبير لانتقاضهما على عليّ بعد البيعة له فيما نقل، مع دفع التّأثيم عن كلّ من الفريقين، كالشّأن في المجتهدين؛ وصار ذلك إجماعا من أهل العصر الثّاني على أحد قولي أهل العصر الأوّل كما هو معروف. ولقد سئل عليّ رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصفّين فقال "والذي نفسي بيده لا يموتنّ أحد من

هؤلاء وقلبه نقيّ إلاّ دخل الجنّة "[١] يشير إلى الفريقين نقله الطّبريّ وغيره. فلا يقعنّ عندك ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك، فهم من علمت، وأقوالهم وأفعالهم إنّما هي عن المستندات. وعدالتهم مفروغ منها عند أهل السّنّة إلاّ قولا للمعتزلة فيمن قاتل عليّا لم يلتفت إليه أحد من أهل الحقّ ولا عرّج عليه[!]

إذا نظرت بعين الإنصاف عذرت النّاس أجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصّحابة من بعد، وعلمت أنّها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمّة"[٢].

أقول: هذا كلام يفتقد إلى الصّواب، وهو بالوعظ أشبه منه بالتّحقيق التّاريخيّ، وإلاّ فكيف يقال إنّ الحقّ متعدّد بعد أن قال الله عزّ وجلّ "فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال"[٣]؟ وإذا كان أهل العصر الثّاني من بعدهم اتّفقوا على انعقاد بيعة عليّ ولزومها للمسلمين أجمعين، وتصويب رأيه فيما ذهب إليه، وتعيين الخطإ من جهة معاوية ومن كان على رأيه وخصوصا طلحة والزّبير لانتقاضهما على عليّ بعد البيعة له فيما نقل ، فما بال ابن خلدون يستمرّ في دفاعه عن معاوية في كلّ صغير وكبير من جرائمه؟!

والذي يتمعّن في كلام ابن خلدون يخطر بباله أنّ ربّ الصّحابة غير ربّ بقيّة العالمين، فالقتل حرّمه ربّ العالمين، لكن حينما يمارسه الصّحابة تتغيّر حقيقته فجأة ويصبح موضع اجتهاد للقاتل والمقتول! وبيعة السّقيفة تنعقد برجلين اثنين أبي عبيدة

---

(١)معاذ الله أن يتفوه علي عليه السلام بكلام ينافي كلام رسول الله صلى الله عليه وآله،فقد ثبت في محله أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام سلمك سلمي وحربك حربي، فمن حارب عليا عليه السلام بمنزلة من حارب رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف يقطع بدخول الجنة لمن حارب رسول الله صلى الله عليه وآله؟! وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون .

(٢)تاريخ ابن خلدون، ج١ص٢١٣ .

(٣)سورة يونس : ٣٢ .

بن الجراح وعمر بن الخطّاب، وهما لا يملكان أيّ تفويض أو وكالة من طرف الآخرين، أمّا بيعة عليّ عليه السلام التي اجتمع عليها المهاجرون والأنصار طائعين غير مكرهين فيكفي أن يتخلّف عنها الطّلقاء وأشباه الطلقاء حتى تفقد شرعيّتها وتصبح محلّ نظر! ويقول ابن خلدون عن الذين قاتلوا عليّا عليه السلام "وعدالتهم مفروغ منها عند أهل السّنّة إلاّ قولا للمعتزلة فيمن قاتل عليّا لم يلتفت إليه أحد من أهل الحقّ ولا عرّج عليه"وهو من أعلم النّاس بالحديث الذي يقول فيه النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: "سلمك سلمي وحربك حربي"[1]، فهل يعني ابن خلدون أنّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله لم يلتفت إليه أحد من أهل الحقّ ولا عرّج عليه؟!

قال ابن خلدون: واعلم أنّه إنّما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعا، وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الإمام العادل، وهو مفقود في مسألتنا، فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكّدة لفسقه، والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حقّ واجتهاد. والصّحابة الذين كانوا مع يزيد على حقّ أيضا واجتهاد! وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربيّ المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سمّاه بالعواصم والقواصم ما معناه "إن الحسين قتل بشرع جدّه " وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء[2].

قلت: هذا الكلام محلّ نظر بلحاظ القائل لا بلحاظ المضمون، فقد ذكر الشوكانيّ في ترجمة ابن خلدون ما يعارضه؛ قال الشوكاني:" وكان الحافظ أبو الحسن الهيثميّ

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٩٧: قد ثبت عنه (صلى الله عليه وآله في الأخبار الصحيحة أنّه قال: (عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور حيثما دار،) وقال له غير مرة: (حربك حربي وسلمك سلمى).

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١ص٢١٧.

(٢) البدر الطالع ، الشوكاني ، ج١ص٣٣٩.

يبالغ في الغضّ منه [أي من ابن خلدون] قال الحافظ ابن حجر: فلمّا سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنّه بلغه أنّه قال في الحسين السّبط رضي الله عنه إنّه قتل بسيف جدّه، ثم أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يبكى. قال ابن حجر: لم توجد هذه الكلمة في التّاريخ الموجود الآن وكأنّه كان ذكرها في النّسخة التي رجع عنها[!] قال: والعجب أنّ صاحبنا المقريزيّ كان يفرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحّة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر، ويخالف غيره في ذلك ويدفع ما نقل عن الأئمّة من الطّعن في نسبهم، ويقول إنّما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العبّاسيّ، وكان المقريزيّ ينتمي إلى الفاطميّين كما سبق فأحبّ ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم، وجهل مراد ابن خلدون فإنّه كان لانحرافه عن العلويّة يثبت نسبة العبيديّين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم وكون بعضهم نسب إلى الزّندقة وادّعاء الإلهيّة كالحاكم، فكأنّه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطّعن. هكذا حكاه السّخاويّ عن ابن حجر والله أعلم بالحقيقة، وإذا صحّ صدور تلك الكلمة عن صاحب التّرجمة فهو ممّن أضله الله على علم"[1].

وبعيد أن يتّخذ الحافظ الهيثميّ هذا الموقف من ابن خلدون دون تثبّت، فإنّه كان معاصرا له، وتوفّي قبله بسنة واحدة[2]. والذي تلقّى كلام الهيثميّ مشافهة هو ابن حجر العسقلانيّ أحد تلاميذ ابن خلدون، وهو يشهد بوجود نسخة سابقة لابن خلدون رجع عنها؛ وهذه مشكلة أخرى تنضمّ إلى مشاكل تراثنا الإسلاميّ ذي النّسخ المتعدّدة والمعدّلة. ويجدر التّأمّل في قول ابن حجر عن شيخه ابن خلدون: (وجهل مراد ابن خلدون فإنّه كان لانحرافه عن العلويّة يثبت نسبة العبيديّين إليهم لما

---

(١) البدر الطالع،الشوكاني، ج١ص٣٣٨.

(٢) توفّي الحافظ الهيثميّ سنة٨٠٧، وتوفّي ابن خلدون سنة٨٠٨.

اشتهر من سوء معتقدهم، وكون بعضهم نسب إلى الزّندقة وادّعاء الإلهيّة كالحاكم، فكأنّه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطّعن)، فإنّ فيه إخبارا عن قلّة نزاهة ابن خلدون وبعده عن الأمانة العلميّة، لأنّ الذي يثبت نسب الفاطميّين لا لصحّته ولكن للطّعن في العلويّة بعيد عن الأمانة، حقيق أن يُشكّ في كلّ ما يصدر عنه. وفي عبارة " انحرافه عن العلويّة " آية للمتوسّمين.

قال ابن خلدون:"وعبد الملك صاحب ابن الزبير أعظم النّاس عدالة وناهيك بعدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عبّاس وابن عمر إلى بيعته عن ابن الزّبير"[1].

يقول ابن خلدون عن عبد الملك بن مروان إنّه أعظم النّاس عدالة، ومن حقّ من يسمع هذا الكلام أن يحقّق فيه، إذ ليس هناك أحد فوق الحقّ لا مؤرّخ ولا فقيه ولا أصوليّ، وإنّما الكلام يدور مدار مطابقة الواقع، فإن كان كذلك فهو حقّ وإلاّ فهو باطل مهما هذّبنا العبارة وقلنا "اشتباه" أو"خطأ" أو"غلط" أو"وهم " أو "غفلة". وقد سبق الكلام عن عبد الملك بن مروان أعظم النّاس عدالة في نظر ابن خلدون، وكيف غدر بعمرو بن سعيد الأشدق بعد أن أعطاه الأمان بالعهود والمواثيق. هذا مع أنّ ابن خلدون نفسه ينقل في الصفحة ٢٠٧ من الجزء الأوّل من تاريخه عن المسعوديّ أنّ أبا جعفر المنصور الخليفة العبّاسيّ قال وقد حضر عمومته وذكروا بني أميّة: " أما عبد الملك فكان جبّارا لا يبالي بما صنع، وأمّا سليمان فكان همّه بطنه وفرجه، وأمّا عمر فكان أعور بين عميان، وكان رجلَ القوم هشام ". ولم يتعقّب ابن خلدون قول المنصور بشيء. فكيف يكون الجبّار الذي لا يبالي بما صنع أعظم النّاس عدالة؟!

قال ابن خلدون: " والكلّ مجتهدون محمولون على الحقّ في الظّاهر وإن لم يتعيّن في جهة منهما، والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قرّرناه يجيء على قواعد الفقه

(١) تاريخ ابن خلدون، ج١ص٢١٨.

وقوانينه، مع أنّه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحرّيه الحقّ. هذا هو الذي ينبغي أن تحمل عليه أفعال السّلف من الصّحابة والتّابعين، فهم خيار الأمّة وإذا جعلناهم عرضة للقدح فمن الذي يختصّ بالعدالة والنّبيّ ﷺ يقول "خير النّاس قرني[1] ثمّ الذين يلونهم مرّتين أو ثلاثا ثمّ يفشو الكذب" ، فجعل الخيرة وهي العدالة مختصّة بالقرن الأوّل والذي يليه "[2].

ثم يقفز ابن خلدون في نفس السّياق من سرد الوقائع التّاريخية ومحاولة بيان المخارج الشّرعيّة لها إلى الوعظ والإرشاد فيقول : " فإيّاك أن تعوّد نفسك أو لسانك التّعرّض لأحد منهم، ولا يشوّش قلبك بالرّيب في شيء ممّا وقع منهم، والتمس لهم مذاهب الحقّ وطرقه ما استطعت، فهم أولى النّاس بذلك؛ وما اختلفوا إلاّ عن بيّنة. وما قاتلوا أو قتلوا إلا في سبيل جهاد أو إظهار حقّ. واعتقد مع ذلك أنّ اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمّة ليقتدي كلّ واحد بمن يختاره منهم، ويجعله إمامه وهاديه ودليله، فافهم ذلك وتبيّن حكمة الله في خلقه وأكوانه، واعلم أنّه على كلّ شيء قدير وإليه الملجأ والمصير، والله تعالى أعلم.

وهذا الأسلوب يرفضه المنهج العلميّ، لأنّه وإن كان من حقّ ابن خلدون أن يبدي رأيه و يحبّذ و يشنّع، فليس من حقّه أن يلقّن القارئ ويصرفه عن عرض المقدّمات والتّوالي والخروج من ذلك بنتيجة اعتمد على نفسه في الوصول إليها. وهذا النّوع من الوصاية الفكريّة التي يمارسها ابن خلدون ومن على شاكلته يولّد التّعصّب والجمود، وربّما أدّى إلى إنكار الحقّ والتّنظير للباطل، وهي أمور نهى عنها

(١) في متتن هذا الحديث كلام وأيّ كلام، فقد جاء في صحيح البخاريّ في حديث الحوض : " ارتدوا على أدبارهم القهقرى " وأيضا : " لا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم ". فكيف يكون الهالكون خير القرون؟!!

(٢) نفس المصدر، ج ١ص ٢١٨.

الإسلام الحنيف وحذّر من مغبّتها دنيا وآخرة. وكان على ابن خلدون أن يحترم القارئ ويقرّر في ما بينه وبين ضميره أنّ الذي وهبه عقلا يستدلّ به وهب الآخرين أيضا عقولا يستدلّون بها، فلم لا يطرح القضايا أمامهم ثمّ يترك لهم الحرّية في اختيار المواقف التي تمليها عليهم ضمائرهم؟!

ولا يكتفي ابن خلدون بالدّفاع عن معاوية و بني أميّة، بل يرى فيه وفيهم رأيا مخالفا تماما لما صرّح به كثير من الصّحابة والتابعين ، ولا عجب في ذلك حين يصدر من ابن خلدون الذي يصرّح تلامذته بانحرافه عن ذرّية النّبيّ صلى الله عليه وآله، فهو يعتبر معاوية من الخلفاء الراشدين فيقول: " وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصّحبة ولا ينظر في ذلك إلى حديث الخلافة بعدى ثلاثون سنة فإنّه لم يصحّ والحقّ أنّ معاوية في عداد الخلفاء "[1]. ولا بدّ هنا من كلمة بخصوص حديث الخلافة الذي ادّعى ابن خلدون أنّه لا يصحّ، فقد قال الحافظ ابن حجر بخصوصه[2]: " أخرجه أحمد وأصحاب السّنن وصحّحه ابن حبّان وغيره من حديث سفينة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثمّ تصير ملكا عضوضا". وقال[3]: "المراد به خلافة النّبوّة وأمّا معاوية ومن بعده فكان أكثرهم على طريقة الملوك ولوسمّوا خلفاء والله أعلم". ورواه (الطّبرانيّ في المعجم الكبير ج١ص٨٩ وج٧ص٨٤، والهيثميّ في موارد الظّمآن ص٣٦٩) .

قال ابن خلدون: إلى أن ملك معاوية وخلع الحسن نفسه، واتّفقت الجماعة على بيعة معاوية في منتصف سنة إحدى وأربعين، عند ما نسي النّاس شأن النّبوّة

---

(١) تاريخ ابن خلدون ق٢، ابن خلدون ج ٢ ص ١٨٨ .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، ج ٨ ص ٦١ .

(٣) فتح الباري ، ابن حجر، ج ١٢ ص ٣٤٦ .

والخوارق ورجعوا إلى أمر العصبيّة والتّغالب[١]! وتعيّن بنو أميّة للغلب على مضر وسائر العرب ومعاوية يومئذ كبيرهم فلم تتعدّه الخلافة ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمه، واستفحل شأنه، واستحكمت في أرض مصر رياسته، وتوثّق عقده وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنة ينفق من بضاعة السّياسة التي لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يدا من أهل التّرشيح من ولد فاطمة وبنى هاشم وآل الزّبير"[٢].

وهذا صريح في أنّ ابن خلدون يقدّم معاوية على الحسنين سيّدي شباب أهل الجنّة وسعد بن أبي وقّاص الذي رشّحه عمر بن الخطاب للخلافة إذ جعله من السّتّة في قصّة الشّورى المعروفة. ولا شكّ أنّ عمل ابن خلدون في سلك القضاء لدى الحكّام قد أثّر في نظرته إلى السّياسة ومن يمارسها؛ ولأنّها ميدان سرعان ما يتلوّث الرّاكض فيه ويغدو يسمّي المداهنة مداراة، والكذب دبلوماسيّة، وخلف الوعد إستراتيجية، فليس بعيدا أن تكون المفاهيم عند ابن خلدون مطّاطيّة قابلة للضّيق والسّعة حسب ما يقتضيه المقام من دفاع عن بني أميّة وتحامل على ذرّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وأكتفي بهذا القدر من مناقشة كلام ابن خلدون، فإنّ في ما كتبه عن بني أميّة كلاما كثيرا، لا يرتاب صاحب الضّمير الحيّ في مخالفته للقيم التي جاء الإسلام لنشرها بين الناس. وقد كانت كلمة العقّاد بشأنه كافية وافية، وإشارات الشّوكانيّ والهيثميّ واضحة صافية، ولم يثبت أنّه تاب من نصبه ومعاداته لأهل البيت عليهم السلام، وخصوصا من كلمته الآثمة التي يتأذّى لها قلب النّبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه قال: "وشذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصّحابة

---

(١) من جهة يقول ابن خلدون " **كلهم عدول**" ، ومن جهة أخرى يقول " **نسوا شأن والخوارق ورجعوا إلى أمر العصبيّة والتّغالب** " ، وبين القولين بعد المشرقين!

(٢) تاريخ ابن خلدون ج٣ص٤.

بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمّة ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلّها أصول واهية "[١]. وهو كلام يبدو فيه الاستخفاف بكتاب الله تعالى صريحا، إذ لا يعقل أن ينسب الشذوذ إلى المطهّرين من طرف مصدّق بما نزل به الروح الأمين، وقد قال الله تعالى في حقّ أهل البيت عليهم السلام " إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا ". ولو أنّ ابن خلدون قال:" وشذّ شيعة أهل البيت. . "لكان أوسع له، فإنّ النّواصب الذين كفّروا محبّي النّبيّ وأهل بيته عليهم السلام لم يخل منهم عصر، وفتاواهم التّكفيريّة شاهدة تسوّد صحائفهم من عهد بني أميّة، لكنّه قال: "وشذّ أهل البيت" فنسب الشّذوذ إلى من صرّح القرآن بطهارته، فكان بذلك رادّا لكتاب الله تعالى منسلخا من آياته، فأتبعه الشّيطان فكان من الغاوين. وحقّ للشّوكانيّ أن يقول عنه "فهو ممّن أضلّه الله على علم "[٢].

عقيدة ابن خلدون في المهدي عليه السلام:

وقد لاحظت أثناء البحث في أقوال ابن خلدون ما يكشف عن انحراف فكريٍّ خطيرٍ، كأنّما يردّ فيه أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله بخصوص المهديّ عليه السلام؛ فهو يقول: فهذه جملةً الأحاديث التي خرجها الأئمّة في شأن المهديّ وخروجه آخر الزّمان، وهي كما رأيت[!] لم يخلص منها من النّقد إلاّ القليل، والأقلّ منه، وربّما تمسّك

---

(١) تاريخ ابن خلدون، ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) هذا القول من الشوكانيّ مشروط بصحّة نسبة الكلمة الكبيرة "قتل الحسين بسيف جدّه " إلى ابن خلدون. وقد كان معاصره الهيثميّ يعتقد بصحّة نسبتها إليه ويلعنه لأجلها، كما أنّ تلميذه ابن حجر لم ينف وجودها في النسخة التي رجع عنها. والقرائن تقوّي صدورها منه وإن كان يخطّئ ابن العربي في عبارة مشابهة، فإنّ دفاعه عن يزيد وطواغيت بني أميّة هو بذاته تهجّم على الحسين و آل النّبيّ صلى الله عليه وآله.

المنكرون لشأنه[(١)] بما رواه محمّد بن خالد الجنديّ عن أبان بن صالح بن أبي عياش عن الحسن البصري عن أنس بن مالك عن النّبيّ ﷺ أنه قال لا مهديّ إلاّ عيسى ابن مريم. اهـ

٢ـ ابن عبد ربّه الأندلسي:

قال المحقّق عزّ الدّين عمر موسى في مقدّمة كتاب "دررالسّمط في خبر السّبط ": نظم ابن عبد ربّه أرجوزته التي أسقط فيها خلافة عليّ واعتبر معاوية رابع الخلفاء، حتّى قيل إنّ تلك الأرجوزة قد شقّت على المعزّ الفاطميّ إلى أن عارضها شاعره الإياديّ التّونسيّ بأخرى. ولكنّ روح المحافظة السّنّيّة في المجتمع الأندلسيّ وإن تقبّلت الهجوم على الشّيعة سياسيّا فلم ترض عن انتقاص عليّ كخليفة، وقد ردّ منذر البلوطي قاضي الجماعة في قرطبة على ابن عبد ربّه ردّا عنيفا، ولم يعرّض ذلك منذرا لسخط النّاصر، ممّا يؤكّد أنّ القضية كلّها كانت موجّهة ضدّ فاطميّ إفريقية. وحسبك أنّ ابن حزم الذي تشيّع لأمراء بني أميّة ، ماضيهم وباقيهم بالمشرق والأندلس اعتقد بإمامة عبد الله بن الزّبير، ويرى أنّ مقتل الحسين من أكبر مصائب الإسلام "[(٢)].

قلت: لو كان في الأرجوزة المذكورة خير لبقي ينتفع به النّاس، (**فأمّا الزّبد فيذهب جفاء و أمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**). والرّد الذي ردّه القاضي منذر على ابن عبد ربّه ذكره المقرّي في نفح الطيب فقال في ترجمة خلف بن فتح الجبيريّ: "وعليه نزل

---

(١) لا شكّ أنّ ابن خلدون يقصد نفسه فإنّه لم يعرف من الأعلام في زمان ابن خلدون وقبله من ينكر المهدي. وقد ذكر في زماننا أيّام قصّة الجهيمان في الحرم المكّيّ أنّ الشيخ عبد العزيز بن باز استدلّ بحديث الجيش الذي يغزو مكّة من تبوك، وهذا دليل على إيمانه بحديث المهدي .

(٢) دررالسّمط في خبر السّبط لابن الأبّار القضاعيّ ص ٣٤. تحقيق عز الدين عمر موسى .

القاضي منذر بن سعيد بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثغور الشرقية، قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة، فأنزله في بيته الذي كان يسكنه، فكان إذا تفرّغ نظر في كتاب أبي على يديه كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربّه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليّا فيهم ثمّ وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرّحمن بن محمّد؛ فلما رأى ذلك منذر غضب وسبّ ابن عبد ربّه وكتب في حاشية الكتاب:

أو ما عليّ لا برحتَ ملعّنا يا ابن الخبيثة عندكم بإمام

ربّ الكساء وخير آل محمّد داني الولاء مقدّم الإسلام

قال أبو عبيد والأبيات بخطّه في حاشية كتاب أبي إلى السّاعة[١].

أقول: وذكر كتّاب الوحي في كتابه " العقد الفريد " فسمّى زيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان [!]، وحنظلة بن الرّبيع الأسديّ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي ارتدّ ولحق بمكّة مشركا، ولم يذكر عليّاعليه السلام الذي لم يفارق النّبيّصلى الله عليه وآله من قبل أن ينزل عليه الوحي إلى أن فارق الدنيا. ولم يثبت أنّ ابن عبد ربّه تراجع عن موقفه في مسألة الخلفاء[٢]، ومع ذلك يقول عنه ابن كثير:" كان من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأوّلين والمتأخّرين، وكتابه العقد يدلّ على فضائل جمّة، وعلوم كثيرة مهمّة، ويدلّ كثير من كلامه على تشيّع فيه، وميل إلى الحطّ على بني أميّة [!] وهذا عجيب منه، لأنّه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممّن يواليهم لا ممّن يعاديهم . قال

---

(١) نفح الطيب ، المقري التلمساني ، ج٢ص٩٨٤ .

(٢) أسقط ابن عبد ربّه اسم عليّ من الخلفاء في أرجوزته، لكنّه أورده في العقد الفريد في فصل تحت عنوان " خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه " وقال: وقتل يوم الجمعة بالكوفة، وهو خارج إلى المسجد لصلاة الصبح، لسبع بقين من شهر رمضان، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، صلى عليه ولده الحسن.

ابن خلكان: وله ديوان شعر حسن ، ثمّ أورد منه أشعارا في التغزّل في المردان والنّسوان أيضا"[١].

قلت: يبدو أنّ ابن كثير لم يطّلع على كثير من مؤلّفات ابن عبد ربّه، وإلاّ لما شكّ في مدحه لبني أميّة، فإنّ بعض قصائده فيهم تقارب الغلوّ؛ والأدباء واللّغويون يستشهدون بأشعاره في هذا الباب؛ بل إنّ له منظومة في أكثر من أربعمائة بيت يمدح فيها حاكم الأندلس في أيّامه! وكيف يكون شيعيّا من يقول في العقد الفريد: "الرّافضة يهود هذه الأمّة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النّصرانيّة"[٢] ؟!ولا يفوت التّذكير هنا أنّ الذّهبيّ ترجم للقاضي منذر بن سعيد البلوطيّ في سير أعلام النّبلاء في الجزء السادس عشر تحت رقم١٢٧ [٣]، وذكر تفاصيل عن حياته وكراماته، لكنّه تعمّد ترك قصّته مع أبيات ابن عبد ربّه، وهذه واحدة أخرى تنضمّ إلى سجلّ الذّهبي الذي يتحكّم فيه الهوى الأمويّ إلى درجة أن يمارس كتمان الحقيقة عمّن هو بحاجة إلى معرفتها.

٣ـ ابن قيّم الجوزية:

وأمّا ابن قيّم الجوزية فقد فاقهم جميعا، وراح ينفي الأحاديث الواردة في ذمّ بني أميّة، علما أنّ المفسّرين قد ذكروا أنّ قوله تعالى(**والشّجرة الملعونة في القرآن**)إنّما يقصد به بنو أميّة. قال ابن قيّم الجوزيّة في نقد المنقول في فصل أحاديث المناقب والمثالب: ومن ذلك الأحاديث في ذم معاوية .وكلّ حديث في ذمّه فهو كذب .

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير، ج ١١ ص ٢١٩

(٢) أورد الأمينيّ، رحمه الله تعالى، في موسوعته (الغدير) كثيرا من أقوال ابن عبد ربّه وافتراءاته على شيعة أهل البيت عليهم السلام وردّ عليه بما يثلج الصدر، وهذا أيضا ممّا يؤكّد غلط ابن كثير في نسبة الرّجل إلى التشيّع.

(٣) توجد ترجمة القاضي منذر بن سعيد في سير أعلام النبلاء ج١٦ من آخر الصفحة١٧٣ إلى آخر الصفحة ١٧٩.

وكلّ حديث في ذمّ عمرو بن العاص فهو كذب . وكلّ حديث في ذم بني أميّة فهو كذب . وكلّ حديث في مدح المنصور والسّفاح والرّشيد فهو كذب . وكلّ حديث فيه ذمّ يزيد بن معاوية فكذب، وكذلك أحاديث ذمّ الوليد وذمّ مروان بن الحكم . وكذا كلّ حديث في مدح بغداد وذمّها، والبصرة والكوفة ومرو وقزوين وعسقلان والإسكندرية ونصيبين وأنطاكية فهو كذب. وكذا كلّ حديث في تحريم ولد العبّاس على النّار فهو كذب . وكلّ حديث في ذكر الخلافة في ولد العبّاس. وكذا كلّ حديث في مدح أهل خراسان الخارجين مع عبد الله وولد العبّاس فهو كذب[1].

والواقع أنّ حال معاوية ويزيد وعمرو بن العاص لا تحتاج إلى أحاديث، فإنّ أخبارهم في كتب الماضين مسطورة ، وأعمالهم في محاولات هدم الإسلام مشهورة، ولو لم يكن سوى ضرب الكعبة بالمنجنيق واستباحة المدينة المنوّرة حرم النّبيّ صلى الله عليه وآله وقتل آل النّبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه لكفي ؛ كيف وقد امتلأت الأرض في أيّامهم ظلما حتى صار الصالحون من الأمّة بمنزلة العبيد، لا يستطيعون أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر. ولكنّ ابن قيّم الجوزيّة شاميّ أمويّ الهوى، وهو تلميذ ابن تيمية الناصبيّ الذي ردّ الأحاديث الصحيحة انتصارا لمذهبه، ومن يشابه أبه فما ظلم.

٤ـ ابن تيمية:

لا يتورع ابن تيمية عن إضفاء لقب الإمام على معاوية بن أبي سفيان إذ يقول في منهاجه: اضطرب النّاس في خلافة عليّ على أقوال ، فقالت طائفة إنّه إمام وإنّ

---

(١) نقد المنقول ، ابن قيّم الجوزيّة، ج١ص١٠٨ .

معاوية إمام وإنّه يجوز نصب إمامين في وقت إذا لم يمكن الاجتماع على إمام واحد، وهذا يحكى عن الكراميّة وغيرهم[(١)] ".

ثمّ راح يفنقل و يفذلك محاولا الجمع بين المتناقضات، فقال:" وقالت طائفة ثالثة بل عليّ هو الإمام، وهو مصيب في قتاله لمن قاتله، وكذلك من قاتله من الصّحابة كطلحة والزّبير، كلّهم مجتهدون مصيبون. وهذا قول من يقول كلّ مجتهد مصيب، كقول البصريّين من المعتزلة أبي الهذيل وأبي عليّ وأبي هاشم، ومن وافقهم من الأشعريّة كالقاضي أبي بكر وأبي حامد، وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعريّ. وهؤلاء أيضا يجعلون معاوية مجتهدا مصيبا في قتاله، كما أنّ عليّا مصيب، وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم ذكره أبو عبد الله ابن حامد"[(٢)] .

وقال:" وطائفة خامسة تقول إنّ عليّا مع كونه كان خليفة هو أقرب إلى الحقّ من معاوية "[(٣)].

أقول: إنّه لمن عمى البصيرة أن يقال لمن هو مع الحقّ والحقّ معه يدور معه حيث دار" إنّه أقرب إلى الحقّ ". وكيف يكون أقرب إليه وهو في قلبه!! فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور. لكنّ ابن تيمية تعوّد جحود الحقائق والتّنكّر للقيم إذا لم يكن ذلك يصبّ في هواه. لذلك تراه في الجزء الخامس من منهاجه أنكر أن يكون حديث " عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ " مرويّا في كتب المسلمين لا بإسناد صحيح ولا ضعيف! والحديث مرويّ بأسانيد صحيحة وأخرى

---

(١) منهاج السّنّة ، ابن تيمية، ج١ص٥٣٧ .
(٢) نفس المصدر السابق، ج١ص٥٣٨ .
(٣) نفس المصدر السابق، ج١ ص ٥٣٩ .

حسنة وأخرى ضعيفة، وأغنى صحيحها عن ضعيفها، وتحصّل بذلك كذب ابن تيمية. ومن أبغض الخلق إلى الله تعالى شيخ كذّاب.

قال ابن تيمية: "ومما يبيّن هذا أنّ الرّافضة تعجز عن إثبات إيمان عليّ وعدالته مع كونهم على مذهب الرّافضة، ولا يمكنهم ذلك إلاّ إذا صاروا من أهل السنّة، فإذا قالت لهم الخوارج وغيرهم ممّن تكفّره أو تفسّقه لا نسلّم أنّه كان مؤمنا بل كان كافرا أو ظالما، كما يقولون هم في أبي بكر و عمر، لم يكن لهم دليل على إيمانه وعدله[!]إلاّ وذلك الدّليل على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان أدلّ . فإن احتجّوا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده فقد تواتر ذلك عن هؤلاء، بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أميّة وبني العبّاس، وصلاتهم وصيامهم وجهادهم للكفّار! فإن ادّعوا في واحد من هؤلاء النّفاق أمكن الخارجيّ أن يدّعي النّفاق، وإذا ذكروا شبهة ذكر ما هو أعظم منها "[(١)] .

أقول: هذا كلام يتأذّى منه رسول الله صلى الله عليه وآله، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم. ولو كان ابن تيمية يقيم لحديث النّبيّ صلى الله عليه وآله وزنا لما استشهد بالخوارج كلاب النّار، ولراعى معتقد أبناء طائفته الذين يقرّون أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام رابع الخلفاء، وخامس أصحاب الكساء. ولو كان ابن تيمية صادقا في انتسابه إلى السنّة النبويّة التي عنون بها كتابه لرعى حرمة الله تعالى ورسوله في حبيب الله ورسوله، فإنّه قد صحّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قوله في حقّ عليّ عليه السلام : " يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله و رسوله "، وأين ما قدّمه ابن تيمية للإسلام بالنّسبة إلى قدّمه عليّ عليه السلام؟!وهؤلاء أبناء طائفته يشهدون عليه شهادات تجعله في عداد من لا قيمة لكلامه عند أولي الألباب.

---

(١) منهاج السّنّة النّبويّة، ج٢ص٦٢ .

ولا أطيل في بيان ما يخصّ ابن تيمية لأنّ القصد الإشارة لا التّفصيل، وفي كتاب الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(لابن حجر العسقلانيّ) أخبار حوله لمن أراد أن يطّلع أكثر.

٥ ـ شمس الدين الذهبيّ:

أما الذّهبيّ فإنّ طريقته تختلف عن طريقة ابن تيمية وابن قيّم الجوزية وابن كثير، والرّجل قد عاصرهم وتابع أحوالهم، ورأى تعامل النّاس معهم، وردود الفعل الصّادرة من فضلاء ذلك العصر، فلجأ إلى طريقة لا يتّضح فيها النّصب إلاّ بعد التمعّن، ولمن كان متحرّرا من التّعصّب المقيت. وفي اعتقادي أنّ النّصب الذي انطوى عليه باطن الذّهبيّ أضعاف ما كان عليه ابن تيمية، وإنّما اشتهر ابن تيمية بذلك دونه لكونه يصرّح به ويسيء في التّعبير. أمّا الذّهبيّ فإنّه يتخيّرالعبارات، وإذا أراد تسديد ضرباته هيّأ لذلك ومهّد له بقليل من المدح لمن يريد ضربه حتّى يمرّ الأمر بسلام، ومثل هذا العمل لا يصدر إلاّ عن باطن سقيم غير سليم، لأنّ فيه التّلاعب بمشاعر القرّاء واستغلال طيبتهم وحسن طويّتهم؛ وهو إضافة إلى أنّه أمر يرفضه الشّرع، عمل سيّء مستهجن عند العقلاء في كلّ الأديان والثّقافات. والذّهبيّ مع كلّ هذا يدّعي أنّه يتولّى عليّ بن أبي طالبعليه السلام كما في سير أعلام النبلاء إذ يقول:"وقد كان بين الطّائفتين من أهل صفّين ما هو أبلغ من السّبّ السّيف، فإن صحّ شيء فسبيلنا الكفّ والاستغفار للصّحابة، ولا نحبّ ما شجر بينهم ، ونعوذ بالله منه، ونتولّى أمير المؤمنين عليّا "[1]. لكنّ أعمال الذّهبيّ ومواقفه من أتباع عليّعليه السلام لا تنسجم مع ذلك المدّعى، وله قبل ذلك موقف خطير يدلّ تعبّده بكتمان العلم[2]؛ وأنا مورد ههنا

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج٣ ص٣٩.

(٢) يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء ج١٠ص٩٢:" قلت: كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية =

ما يدلّ على تحامله على أتباع أهل البيت بصورة جليّة بسيطة:

قال الذّهبيّ في ترجمة ابن مسدى :

ابن مسدى الحافظ العلاّمة الرّحّال أبو بكر محمّد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدى الأزديّ المهلبيّ الأندلسيّ الغرناطيّ ، أحد من عني بهذا الشّأن، كتب عن خلق بالأندلس في سنة نيف وعشر، وارتحل بعد العشرين ولحق بحلب أبا محمّد [ابن] علوان الأستاذ، وبدمشق أبا القاسم بن صصرى، وبمصر الفخر الفارسيّ، وبالثّغر محمّد بن عباد، وبتونس وتلمسان، وعمل معجما في ثلاث مجلّدات كبار رأيته وطالعته وعلقت منه كراريس، وله تصانيف كثيرة وتوسّع في العلوم وتفنّن، وله اليد البيضاء في النّظم والنّثر ومعرفة بالفقه وغير ذلك، وفيه تشيّع وبدعة. روى عنه الأمير علم الدّين الدّواداريّ ومجد الدّين عبد الله بن محمّد الطّبريّ وغير واحد وشيخنا الدّمياطيّ في معجمه. حكى لي المحدّث عفيف الدّين ابن المطريّ أنّه سمع التّقيّ المعمريّ يقول سألت أبا عبد الله بن النّعمان المزاليّ عن ابن مسدى فقال: ما نقمنا إلاّ أنّه تكلّم في أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها. ثمّ حدّثني العفيف أنّ ابن مسدى كان يداخل الزّيديّة بمكّة فولّوه خطابة الحرم، فكان ينشئ الخطب في الحال، وأكثر كتبه عند الزّيديّة، ثمّ أراني عفيف الدّين له قصيدة نحوا من ستّ مائة بيت ينال فيها من

= لا يلتفت إليه بل يطوى ولا يروى كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين وما زال يمرّ بنا ذلك في الدّواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب. وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيّه وإخفاؤه بل إعدامه لتصفو القلوب وتتوفر على حبّ الصّحابة والتّرضّي عنهم وكتمان ذلك متعيّن عن العامّة وآحاد العلماء، وقد يرخّص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العريّ من الهوى بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى.

معاوية وذويه[١]، ورأيت بعض الجماعة يضعّفونه في الحديث، وأنا قرأت لـه أوهاما قليلة في معجمه، وقد خرج لابن الحميريّ فوهم، خرج له من رابع المحامليات عن شهدة، وهذا خطأ. وممّن روى عنه أبو اليمن بن عساكر وعفيف الدّين[ابن] مـزروع، وكان شيخنا رضيّ الدّين بن إبراهيم إمام المقام ممّن يمنع الرّوايـة عنـه. و" مـسدى " بالفتح وياء ساكنة ومنهم من يضمه وينوّن. قُتل ابن مسدى [بمكّـة] غيلـة وطُـلّ دمـه في سنة ثلاث وستّين وستّ مائة عن نحو من سبعين سنة. كتب إلي الإمام عبد الله بن محمّد بن محمّد المكّيّ أنّه قرأ على أبي بكر ابن مسدى قصيدته هذه :

يا ذا الذي لم يزل في مـلكـه أزلا * ما ذا أقول و لا أحصى الثّناء ولا

علوت قدرا فما قدر العقول وقد * عقلتها فيك عن مـفهوم قول علا.

انتهى كلام الذّهبيّ[٢].

قلت :أورد العلاّمة ابن عقيل الشّافعيّ في كتابه " العتب الجميل على أهل الجـرح والتّعديل " كـلام الـذّهبيّ فـي حقّ ابـن مـسدى ثـمّ قـال:" وأقـول أسـخن الله عيـون النّواصب، وصبّ عليهم عذابه الواصب؛ ما نقموا من ابن مسدى إلاّ قربه من الزّيديّة، وحبّه العترة النّبويّـة، ووجـود كتبـه عنـدهم وذمّـه لعـدوّ الله وعـدوّ الإسـلام معاويـة، ويرحم الله الشّيخ عبد الغنيّ النابلسيّ حيث يقول :

إن كان في اليمن الفيحاء زيدية فإنّ في شامنـا هذا يزيـدية

قلـتُ: والـذي يرمـي إليـه الـذّهبيّ هـو أنّ ابـن مـسدى بذمّـه لمعاويـة يـسقط مـن الاعتبار، ولعلّه أراد ذلك بقوله في بداية كلامه "وفيه تشيّع وبدعة ". وذكر بعـد ذلـك أنّه" طُلّ دمه " ولـم يعلّق عليه بشيء بعد أن ذكر من علم الرّجل مـا ذكـر، والحـال أنّ

(١) هذه القصيدة المفقودة تصلح للرّدّ على أرجوزة ابن عبد ربه الأندلسي.

(٢) تذكرة الحفّاظ :ج ٤ ص ١٤٤٨وما بعدها .

دماء أهل القبلة معصومة. ولو كان ابن مسدى من الحامدين لسيرة معاوية لألبسه الذّهبيّ لقب الشّهيد، وصبّ على قاتليه وابلا من اللّعن وبيلا؛ إنّما الرّجل يبغض معاوية بن أبي سفيان في الله، وهذه عند الذّهبيّ جريمة لا تغتفر. يضاف إلى ذلك ما تضمّنته أبيات ابن مسدى السّابقة فإنّه يخالف ما يذهب إليه الذّهبيّ في مسألة العلوّ، وقد ألّف الذّهبيّ في العلوّ كتابه المشهور " العلو للعليّ العالي"، وتجسيم الذهبي لا يخفى على المتتبّعين.

وذكر الذّهبيّ في تذكرة الحفّاظ[1] قصّة النّسائيّ عن محمّد بن موسى المأمونيّ صاحب النّسائيّ قال: سمعت قوما ينكرون على أبى عبد الرّحمن كتاب الخصائص لعليّ رضي الله عنه وتركه تصنيف فضائل الشّيخين فذكرت له ذلك فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنّفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله، ثمّ إنّه صنّف بعد ذلك فضائل الصّحابة، فقيل له وأنا أسمع: ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال أيّ شيء أخرج؟ حديث: اللهمّ لا تشبع بطنه؟ فسكت السّائل.

قلت[2]: لعلّ هذه منقبة معاوية لقول النّبيّ ﷺ:اللهمّ من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة".

يقول الذّهبيّ عن حرمان معاوية من الشّبع " لعلّ هذه منقبة " مُصادرا كلّ ما عليه النّاس، العوامّ منهم قبل الخواصّ، فإنّ ألم الجوع يعلم بالغريزة. ثمّ إنّ لهيب الجوع مضرّ بالبدن والعقل إلاّ ما كان من الصّيام لأنّه تجويع اختياري بقصد العبادة، وليس جوعا؛ وفي وسع الصّائم أن يشبع بعد الإفطار. ومعاوية نفسه يتضجّر

(١) تذكرة الحفّاظ ، الذهبي ، ج٢ص٦٩٩ .

(٢) القائل هو الذّهبيّ.

و يتذمّر و يقسم أنّه لم يشبع وإنمّا تعب من المضغ. ولم يشغل أهل النّار ما هم فيه من العذاب أن نادوا أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله. بل إنّ من التّعذيب يوم القيامة ألاّ يشبع أهل النّار لأنّ طعامهم (**لا يسمن ولا يغني من جوع**). وبما أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أطلق في دعائه على معاوية فإنّه لا مانع أن يشمل الدّعاء الدّنيا والآخرة، فيكون معاوية من الذين لا يشبعون في الآخرة، وهم أهل النّار.

ويحتجّ الذّهبيّ لكلامه بحديث مفترى على النّبيّ صلى الله عليه وآله لتبييض وجوه سوّدها الله فيقول " لقول النّبيّ صلى الله عليه وآله اللهمّ من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة "، ولا يستحي أن ينسب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يلعن ويشتم من ليس أهلا لذلك، وهذا ما يترفّع غنه آحاد المؤمنين ، فكيف بمن هو صاحب الخلق العظيم. نعم، إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله يلعن من يستحقّ اللّعن، ولا يلعنه إلاّ بعد أن يكون قد استحقّ اللّعن في السّماء؛ ومن استحقّ اللعن من الله و رسوله فليس ينفعه " لعلّ و عسى " من الذّهبيّ.

ثمّ إن الذّهبيّ يذكر بخصوص النّسائيّ ما يلي : " قال محمّد بن المظفّر الحافظ سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهاد النّسائيّ في العبادة بالليل والنّهار، وأنّه خرج إلى الغزو مع أمير مصر، فوصف من شهامته وإقامته السّنن المأثورة في فداء المسلمين واحترازه عن مجالس السّلطان الذي خرج معه والانبساط في المأكل، وأنّه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج " [1].

قلت: المعلوم أنّ الذين قتلوا النّسائيّ هم أهل دمشق النّواصب، انتصارا منهم لمعاوية، لأنّ النّسائيّ ألّف كتاب خصائص أمير المؤمنين في فضل على بن أبي طالب عليه السلام، ورفض أن يكتب في معاوية؛ والذّهبيّ نفسه يقول بعد ذلك :[قال أبو

(1) تذكرة الحفّاظ ، الذهبي ، ج 2ص 700 .

عبد الله بن منده عن حمزة العقبيّ المصريّ وغيره إنّ النّسائيّ خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق فسئل بها عن معاوية وما جاء من فضائله، فقال ألا يرضى رأسا برأس حتى يفضّل ؟ قال فما زالوا يدفعون في خصيتيه حتّى أخرج من المسجد ثمّ حمل إلى مكّة فتوفّي بها. كذا في هذه الرّواية إلى مكّة، وصوابه [الرّملة] (اهـ). فمتى سكن الخوارج دمشق؟! ومتى كانوا ينتصرون لمعاوية؟!

وقال بعد ذلك:"قال الدّار قطنيّ: خرج حاجّا فامتحن بدمشق وأدرك الشّهادة، فقال احملوني إلى مكّة. فحمل وتوفّي بها وهو مدفون بين الصّفا والمروة. وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة. قال: وكان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرّجال"[1].

والدّار قطنيّ أقرب عصرا إلى النّسائي من الذّهبيّ.

أما المزّيّ فإنّه ذكر القصّة في كتابه "تهذيب الكمال" ثم أورد بعدها تعقيبا، قال: قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ: سمعت عليّ بن عمر يقول: كان أبو عبد الرّحمن النّسائيّ أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعرفهم بالصّحيح والسّقيم من الآثار، وأعلمهم بالرّجال، فلمّا بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرّملة، فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع. فقال: أخرجوني إلى مكّة، فأخرجوه إلى مكّة وهو عليل، وتوفّي بها مقتولا شهيدا. قال الحاكم أبو عبد الله: ومع ما جمع أبو عبد الرّحمن من الفضائل رزق الشّهادة في آخر عمره، فحدّثني محمّد بن إسحاق الأصبهاني قال: سمعت مشايخنا بمصر يذكرون أنّ أبا عبد الرّحمن فارق مصر في آخر عمره، وخرج إلى دمشق، فسئل بها عن معاوية بن أبي سفيان وما روي من

(١)تذكرة الحفّاظ ، الذهبي ، ج ٢ص ٧٠١.

فضائله، فقال: ألا يرضى معاوية رأسا برأس حتى يفضّل؟! فما زالوا يدفعون في حضنيه حتى أخرج من المسجد، ثمّ حمل إلى مكّة ومات بها سنة ثلاث وثلاث مئة وهو مدفون بمكّة. قال الحافظ أبو القاسم: وهذه الحكاية لا تدلّ على سوء اعتقاد أبي عبد الرّحمن في معاوية بن أبي سفيان، وإنّما تدلّ على الكفّ في ذكره بكلّ حال .

والذّهبيّ يرى كفر من يكفّر الشّيخين، لكنّه لا يرى ذلك بخصوص من يكفّر عليّاً عليه السلام ويلعنه ويسبّه ويشتمه، علما أنّه قد صحّ أنّ من سبّ عليّا فقد سبّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما روى الحاكم وغيره. ومعنى هذا أنّ الذّهبيّ يرى كفر من يسبّ الشيخين ولا يرى كفر من يسبّ النبيّ صلى الله عليه وآله ! ويرى الذّهبيّ أنّ من تكلّم في الشّيخين فهو غال مفتر، وقد ثبت أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتهما ولم تكلّمهما وأوصت ألاّ يصلّيا عليها، ولم تكن فاطمة عليها السلام ترى خلافة أبي بكر شرعيّة وهذا أعظم من التكلّم في الشيخين، ويؤول الأمر إلى أن تكون فاطمة عليها السلام في نظر الذّهبيّ غالية مفترية (مغترّة)، نعوذ بالله تعالى من سوء الظنّ في المطهّرين!

وقال الذّهبيّ في ترجمة أبي عروبة : " وقد ذكره ابن عساكر في ترجمة معاوية فقال: كان أبو عروبة غاليا في التّشيّع، شديد الميل على بني أميّة. قلت: كلّ من أحبّ الشيخين فليس بغال، بلى من تكلّم فيهما فهو غال مغتر، فإن كفّرهما والعياذ بالله جاز عليه التّكفير واللّعنة، وأبو عروبة فمن أين جاءه التّشيّع المفرط ؟ نعم قد يكون ينال من ظلمة بني أميّة كالوليد وغيره"[1]!

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج ٢ص ٧٧٥.

وللذّهبيّ صولات وجولات مع كلّ من يشتمّ منه رائحة الولاء لأهل البيت عليهم السلام وإن كان راضيا عن الشّيخين. وقد ضاق الذّهبيّ بحديث الطّير المشويّ وخشي أن يأتي بعده من أهل الفنّ من يستدرك عليه وينسبه إلى قلّة الحفظ فأقرّ ـ على مضض ـ أن يكون له أصل. قال في ترجمة الحاكم:"قلت: ثمّ تغيّر رأي الحاكم وأخرج حديث الطّير في مستدركه، ولا ريب أنّ في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصّحّة، بل فيه أحاديث موضوعة شان المستدرك بإخراجها فيه. وأمّا حديث الطّير فله طرق كثيرة جدّا قد أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل. وأما حديث " من كنت مولاه " فله طرق جيّدة وقد أفردت ذلك أيضا "[1].

وختم الذّهبيّ ترجمة الحاكم بكلام أملاه عليه هواه الأمويّ لا غير فقال: قال ابن طاهر: سألت أبا إسماعيل الأنصاريّ عن الحاكم فقال: ثقة في الحديث رافضيّ خبيث ـ ثمّ قال ابن طاهر: كان شديد التعصّب للشّيعة في الباطن، وكان يظهر التّسنّن في التّقديم والخلافة، وكان منحرفا عن معاوية وآله متظاهرا بذلك ولا يعتذر منه. قلت[2]: أمّا انحرافه عن خصوم عليّ فظاهر، وأما أمر الشّيخين فمعظّم لهما بكلّ حال فهو شيعيّ لا رافضيّ، وليته لم يصنّف المستدرك فإنه غضّ من فضائله بسوء تصرّفه "[3].

فالذّهبيّ يودّ إذاً لو أنّ الحاكم لم يصنّف المستدرك، حتى يتمّ للبخاريّ ومسلم ما أراداه من إخفاء الحقيقة عن طالبيها. ولاشكّ أنّ الحاكم قد قضى زمنا معتبرا في

---

(١) تذكرة الحفاظ، ج٣ص١٠٤٢.

(٢) القائل هو الذهبي.

(٣) تذكرة الحفاظ، ج٣ص١٠٤٥.

تصنيف المستدرك، والذّهبيّ يعلم ما يلاقيه المحدّث في تصحيح الأسانيد وتنقيح المتون، لكنّ ذلك لا يكون له شأن لديه إذا لم يكن مشفوعا بمحبّة آل أميّة. و لو أنّ المستدرك كان حافلا بمديح آل أبي سفيان وآل مروان وآل زياد لتلقّاه الذّهبيّ بالقبول .

ويربط الذّهبيّ مسألة استحقاق الإمامة بالتخلّف عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن ذلك ما ذكره في السير حيث يقول: وروى عمر بن الحكم عن عوانة قال دخل سعد على معاوية فلم يسلّم عليه بالإمرة، فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت. قال: فنحن المؤمنون ولم نؤمّرك، فإنّك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرّني أنّي على الذي أنت عليه وأنّي هرقت محجمة دم . قلت: اعتزل سعد الفتنة فلا حضر الجمل، ولا صفّين، ولا التّحكيم، ولقد كان أهلا للإمامة كبير الشّأن رضي الله عنه"[1].

وإذاً، فسعد بن أبي وقّاص في نظر الذّهبيّ أهل للإمامة كبير الشّأن لأنّه لم يحضر الجمل، ولا صفّين، ولا التّحكيم. وهذا يعني أنّ الذّهبيّ لا يبالي أين يكون الحقّ، لأنّ القرآن الكريم يقول:" فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله "ولم يستجب سعد بن أبي وقّاص للأمر الإلهيّ فلم يقاتل التي تبغي، فهو مقصّر، ومع ذلك أعجب به الذهبيّ ورآه بذلك التقصير مستحقّا للإمامة، لأنّ من ديدن الذّهبيّ أن يعجب بكلّ ما فيه مخالفة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. وللعلم، فقد ذكر القرطبيّ أنّ سعدا واجه معاوية بندمه على عدم قتال الفئة الباغية[2].

ومن الأمثلة على انحراف الذّهبيّ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما ذكره في ترجمة حابس اليمانيّ قال :. قال الدّار قطنيّ: وقد سأله عنه البرقانيّ فقال: مجهول متروك ،

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج ١ص ١٢٢ .

(٢) تفسير القرطبيّ، ج١٦ص٣١٩ .

قلت: ذا يقال له صحبة. روى عنه أبو الطّفيل و جبير بن نفير، وهو من كبار أمراء معاوية قتل يوم صفّين، موصوف بالعلم والتعبّد[١]. فالذّهبيّ يصف بالعلم من يحارب باب مدينة العلم، ويصف بالتعبّد من يحارب سيّد العابدين ويموت مصرّا على حربه، فإنّ الرجل قتل يوم صفّين. هذا موقف الذّهبيّ من أفراد الفئة الباغية التي شهد عليها النبيّ ﷺ وسمّاها فرقة القاسطين وقد قال الله تعالى: (وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا).

ومن أمثلة انحراف الذّهبيّ عن عليّ عليه السلام موقفه من حريز بن عثمان الذي كان علما في النّصب، وكان يصرّح ببغض عليّ ويشتمه. وإليك بعض ما جاء في حريز:

قال البخاري : حريز بن عثمان أبو عثمان الحمصيّ الرّحبيّ عن راشد بن سعد سمع منه الحكم بن نافع وقال محمّد بن المثنّى حدّثنا معاذ بن معاذ قال حدّثنا حريز بن عثمان أبو عثمان ولا أعلم أني رأيت أحدا من أهل الشام أفضّله عليه. وقال أبو اليمان كان حريز يتناول من رجل [!] ثم ترك ذلك[٢]. وقال يزيد بن عبد ربّه مات حريز سنة ثلاث وستين ومائة ومولده سنة ثمانين[٣].

وفي كتاب من تكلّم فيه (ج١ص٦٦ تحت رقم ٨٤): وقال الذهبي حريز بن عثمان الرّحبيّ [خ] ثقة متين تكلّم فيه لنصبه(اهـ).

و قال القرطبيّ في تفسيره: وقال سهل بن عمّار رأيت يزيد بن هرون في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أتاني في قبري ملكان فظّان غليظان فقالا: ما دينك؟ ومن ربّك؟ ومن نبيّك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت: ألمثلي يقال هذا وقد

(١) ميزان الاعتدال، ج١ص٤٢٨ في ترجمة حابس تحت رقم ١٥٩٤.
(٢) من هو الرجل الذي كان حريز ينال منه ؟
(٣) التاريخ الكبير، البخاريّ، ج٣ص١٠٣ تحت رقم٣٥٦ .

علّمت النّاس جوابكما ثمانين سنة؟ قالا أكتبت عن حريز بن عثمان؟ قلت: نعم. فقالا: إنّه كان يبغض عليّا فأبغضه الله[1].

والقرطبيّ في الأندلس، وحريز بن عثمان في الشّام.

والذّهبيّ نفسه يورد أقوالا في ترجمة حريز فيقول: الحافظ العالم المتقن أبو عثمان الرّحبيّ المشرقيّ الحمصيّ محدّث حمص، من بقايا التّابعين الصّغار ، سمع من عبد الله بن بشر رضي الله عنه، وخالد بن معدان، وراشد بن سعد، وعبد الرحمن بن ميسرة وحبيب بن عبيد وعدّة . حدّث عنه بقيّة بن الوليد، ويحيي القطّان، ويزيد بن هارون وحجّاج الأعور، وأبو اليمان الحكم بن نافع، وعليّ بن عيّاش، وآدم بن أبي إياس وأبو المغيرة، ويحيى بن صالح، وعليّ بن الجعد وخلق سواهم. حدّث بالشّام وبالعراق وحديثه نحو المئتين ويرمى بالنّصب! وقد قال أبو حاتم لا يصحّ عندي ما يقال في رأيه ولا أعلم بالشّام أحدا أثبت منه. وقال أحمد بن حنبل حريز ثقة، ثقة ، ثقة. لم يكن يرى القدر. وقال أبو اليمان كان ينال من رجل ثم ترك ذلك. . وروي عن عليّ بن عيّاش عن حريز أنّه قال أأنا أشتم عليّا؟ والله ما شتمته! وجاء عنه أنّه قال: لا أحبه لأنّه قتل من قومي يوم صفّين جماعة. وقال أحمد بن سليمان الرّهاوي حدّثنا يزيد قال كان حريز يقول : لنا إمامنا ولكم إمامكم، يعني معاوية وعليا رضي الله عنهما[!!]. قال عمران بن أبان سمعت حريزا يقول: لا أحبّه قتل آبائي. وقال شبابة سمعت رجلا قال لحريز بن عثمان بلغني أنّك لا تترحّم على عليّ. قال: أسكت رحمه الله مئة مرة . وقال عليّ بن عياش: سمعت حريز بن عثمان يقول والله

---

(١) تفسير القرطبيّ، ج٩ص٣٦٣[دار الشعب ـ القاهرة ١٣٧٣ هـ].

ما سببت عليّا قطّ. قلت[١]: هذا الشّيخ كان أورع من ذلك وقد قال معاذ بن معاذ لا أعلم أنّي رأيت شاميّا أفضل من حريز، وقال يحيى بن معين وجماعة ثقة[٢].

هكذا يحكم الذّهبيّ حكمه الفصل، ولا يلتفت إلى أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله عن مبغضي عليّ عليه السلام، ولو كان حريز ممّن لايقولون بإمامة الشّيخين لطرده الذّهبيّ من رحمة الله بكلّ سهولة، لكنّه يلتقي معه في الحطّ من شأن عليّ عليه السلام وموالاة عدوّه.

وإذا وجد الذّهبيّ في الحديث فضيلة لعليّ أو الحسنين سلام الله عليهم جميعا فإن همّه قبل كلّ شيء أن يقول عن الحديث إنّه كذب، ومن ذلك : قوله في الميزان: الحسن بن صابر الكسائيّ عن وكيع . قال ابن حبّان : منكر الحديث ، ثمّ ساق له عن وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة ـ مرفوعا ـ لما خلق الله الفردوس قالت : ربّ زيّنّي . قال : زيّنتك بالحسن والحسين . رواه عنه الفضل بن يوسف القصبانيّ. وهذا كذب [٣].

وليس القصد مناقشة الذّهبيّ في مجال تخصّصه، وإن كان له فيه تناقضات وتضاربات حتى قيل "ما سمّي الذّهبيّ إلاّ لذهاب عقله " ، ولكنّ الرّجل دائم المسارعة إلى نقض ما فيه فضيلة لعليّ وأولاده عليهم السلام،وقد ردّ عليه بكلّ جدارة وكفاءة الحافظ شهاب الدّين أحمد بن الصّدّيق الغماريّ المغربيّ في "فتح الملك العليّ" و"جؤنة العطار". ولو كان الذّهبيّ يعرف حرمة الحسنين ومنزلتهما عند الله تعالى لما استكثر فيهما هذا الحديث. لكنه قد سخّر وقته وبدنه وقلمه لمحاربة أهل البيت

---

(١) القائل هو الذّهبيّ.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ، ج٧ص٧٩ .

(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ج ١ ص ٤٩٦ في ترجمة ابن صابر الكسائيّ تحت رقم ١٨٦٦ .

عليهم السّلام. وكم ردّ الذهبي من حديث ونسب راويه إلى الكذب لا لشيء إلاّ لأنّ فيه فضيلة لأهل البيت عليهم السلام.

وهذا مثال آخر يكشف عن مدى تناقض الذّهبيّ وتهّربه من الاعتراف بالحقيقة حينما يتعلّق الأمر ببني أميّة ؛ ومن تدبّر ما كتبه الرّجل في صفحة واحدة يضرب بعضه بعضا وينقض أوّله آخره لم يخف عليه بعدها أنّ الذّهبيّ ممّن أضلّه الله على علم، وأنّه إنّما يصدر أحكامه عن هوى لا عن إنصاف. قال الذّهبيّ في ترجمة يزيد بن أبي سفيان: أخو معاوية من أبيه ويقال له يزيد الخير، وأمّه هي زينب بنت نوفل الكنانيّة، وهو أخو أمّ المؤمنين أمّ حبيبة. كان من العقلاء الألبّاء والشّجعان المذكورين؛ أسلم يوم الفتح ، وحسن إسلامه وشهد حنينا فقيل إنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضّة، وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الرّوم، عقد له أبو بكر ومشى معه تحت ركابه يسايره ويودّعه ويوصيه، وما ذاك إلاّ لشرفه وكمال دينه[1]؛ولما فتحت دمشق أمّره عمر عليها. له حديث في الوضوء رواه ابن ماجه وله عن أبي بكر. حدّث عنه أبو عبد الله الأشعريّ و جنادة بن أبي أميّة وله ترجمة طويلة في تاريخ الحافظ أبي القاسم وعلى يده كان فتح قيسارية التي بالشّام. روى عوف الأعرابي عن مهاجر أبي مخلد قال حدّثني أبو العالية قال غزا يزيد بن أبي سفيان بالنّاس فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل فاغتصبها يزيد [!]

---

(١) وجاء في صحيح مسلم ٧ ص١٧٢ أن أبا سفيان ـ وهو شيخ قريش ـ أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها . فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ! ؟ فأتى النبي (صلى الله عليه وآله فأخبره . فقال يا أبا بكر : لعلك أغضبتهم ! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك اهـ. والحديث موجود أيضا في وفي سير أعلام النبلاء (الذهبي) ج ١ ص ٥٤٠و تاريخ دمشق ج ١٠ ص ٤٦٣ . قلت : ومع ذلك فقد بقي أبو بكر مصرّا على تعظيم آل أبي سفيان، ومخالفته للنبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك واضحة.

فأتاه أبو ذرّ فقال: ردّ على الرّجل جاريته. فتلكّأ، فقال[أبو ذر]: لئن فعلت ذلك لقد سمعت النّبيّ ﷺ يقول أوّل من يبدّل سنّتي رجل من بني أميّة يقال له يزيد. فقال: نشدتك الله أنا منهم؟ قال: لا . فردّ على الرجل جاريته. أخرجه الروياني في مسنده[1].

فأنت ترى أنّ الذّهبيّ وصفه في بداية التّرجمة بأنّه من الألبّاء، و الألبّاء جمع لبيب، واللبيب صاحب اللّبّ. ولعلّ الألبّاء هم المقصودون في القرآن الكريم بـ(أولي الألباب)، ولم يذكرهم القرآن الكريم إلاّ بخير. ومن بين صفاتهم أنهم يتذكّرون (**إنما يتذكّر أولو الألباب**) وأنّهم مهتدون(**أولئك الذين هدى الله وأولئك هم أولو الألباب**﴾، فهل كان في يزيد بن أبي سفيان من هذا شيء؟

حسب الرواية التي أوردها الذّهبيّ فإنّ يزيد بن أبي سفيان اغتصب جارية وقعت في سهم أحد المجاهدين، وهذا معناه أنّ يزيد بن أبي سفيان استغلّ منصبه باعتباره قائدا للجيش ليقتطع حقّ امرئ مسلم ظلما وعدوانا. ولا يستطيع الذّهبيّ ومن في الأرض جميعا نفي صفة الظّلم عن هذا العمل الشّنيع، فهل هذا عمل العقلاء الألبّاء؟!

ثم تقول الرّواية: " فأتاه أبو ذرّ فقال: ردّ على الرّجل جاريته فتلكّأ . . "، فما معنى أن يتلكّأ وقد علم الذّهبيّ وغيره أنّ النّبيّ ﷺ وصف أبا ذرّ بصدق اللهجة ؟! لقد كان الأولى بيزيد بن أبي سفيان أن يعتذر إلى أبي ذرّ وإلى الرّجل الذي غصبه حقّه، لكنّه تلكّأ، ولم يذعن إلا بعد أن صدع أبو ذرّ بحديث سمعه من النبيّ ﷺ يضع يزيد بن أبي سفيان أمام الأمر الواقع، بحيث يصحّ أن يقال فيه بعدها إذا لم يعد الحقّ إلى أهله إنّه " أوّل من يغيّر سنّة النبيّ ﷺ "وهذا عنوان لا يرغب فيه أحد!

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١ص٣٢٩ .

ويقول الذّهبيّ عن يزيد بن أبي سفيان إنّه " كان من العقلاء الألبّاء "، فما بال العقل واللّبّ لم ينفعاه في المقام فغاب عنه رشده أمام جارية نفيسة ؟! وكيف يصلح لقيادة جيش المسلمين من هو ضعيف أمام الشّهوة إلى هذه الدّرجة[1]؟!

ويقول عنه الذّهبيّ إنه كان من " الشّجعان المذكورين " ولم يحسّ به أحد ولم يسمع له ركزا لا في بدر و أحد مع المشركين، ولا يوم حنين مع المسلمين!

ويقول عنه الذّهبيّ "حسن إسلامه " والحقّ أنّ هذه القصّة دليل على حسن إسلامه على طريقة الذّهبيّ في فهم الإسلام، لا على طريقة أبي ذرّ !!

وإنّما أوردت هذه الأمثلة حتى لا يتوهّم القارئ إجحافا في حقّ الرّجل، وليطّلع عليها من لم يكن مطّلعا عليها من قبل. وأختم الكلام عن الذّهبيّ بما خطّته يده بخصوص شيعة أهل البيت عليهم السلام، ولا أدري في أيّ دين يجوز أن يكتب مثل هذا بعد أن قال الله سبحانه و تعالى (ولقد كرّمنا بني آدم...)! نعم، أختمه بهذه الكلمة التي يجدها الذّهبيّ في صحيفته يوم يخسر المبطلون. قال الذّهبيّ في ميزانه في ترجمة عمران بن مسلم الفزاريّ : كوفيّ . عن مجاهد، وعطيّة. وعنه الفضل السينانيّ، وأبو نعيم. قال أبو أحمد الزّبيريّ : رافضيّ، كأنّه جرو كلب. قلت:خراء الكلاب كالرّافضيّ[2] !!

فالنّبيّ صلى الله عليه وآله يقول عن شيعة عليّ عليه السلام إنّهم " خير البريّة " الذين عناهم القرآن الكريم، والذّهبي يقول عنهم ما قال، والقولان كما ترى.

---

(١) مثل هذه القصة وقعت لخالد بن الوليد الذي كان على رأس الجيش أيضا من طرف أبي بكر، وانبهر بجمال امرأة مالك بن نويرة فقتله زعما منه أنّه ارتدّ، وتبيّن فيما بعد أنّ مالكا بن نويرة كان على الإسلام، ووداه أبو بكر (أي دفع ديته) ولكنّ خالدا احتفظ بامرأة مالك !!

(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي ، ج٣ص٢٤٢ .

٦ ـ ابن حجر الهيتمي:

انفرد ابن حجر الهيتميّ عن سابقيه بأنه ألّف كتابا في الدفاع عن معاوية بن أبي سفيان، سماه " تطهير الجنان واللّسان عن الخطور والتّفوّه بثلب سيدّنا معاوية بن أبي سفيان " وليس من شأن هذا البحث أن يتطرّق إلى كلّ تفاصيل الكتاب المذكور، وإنّما من حقّ القارئ أن يكون لديه صورة إجمالية عمّا ورد فيه، لأنّ ابن حجر الهيتميّ جاء فيه بالغثّ والسّمين، فوقع في التناقض والاختلاف وابتعد عن الموضوعيّة والإنصاف. و أنا مورد بعض ذلك من كتابه المذكور.

من ذلك قوله بخصوص فئة معاوية:"لكنّهم لا يسمّون قاسطين ولا مارقين، نعم جاء عن عمّار ما يخالف هذا الحمل لكنّ سنده ضعيف، أن عمّارا قال وهو يريد صفّين أمرني النّبيّﷺبقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين، وحينئذ فبتقدير صحّة هذا كالأوّل يؤول بكون معاوية وأصحابه كذلك بأنّهم ناكثون عن متابعة عليّ، ومارقون من طاعته، وقاسطون بانفرادهم عنه، وإن كان لهم تأويل منع إثمهم"[١].

هذا مع ما تسالم عليه علماء الجمهور من أنّ فئة النّاكثين تعني جماعة الجمل، وفئة المارقين تعني الخوارج، وفئة القاسطين تعني جماعة معاوية.

ويحار اللّبيب حين يقول ابن حجر الهيتميّ: ومنها ثناء عليّ كرّم الله وجهه عليه[!] بقوله:" قتلاي وقتلى معاوية في الجنّة "[٢]. رواه الطّبرانيّ بسند رجاله موثّقون على اختلاف في بعضهم[١].

(١) تطهير الجنان، ابن حجر الهيتمي، ص ٧١ .

(٢) تطهير الجنان ، ابن حجر الهيتميّ ، ص ٢٥ .

وقد ذكروا أنّ عليّاًعليه السلام كان يقنت بلعن جماعة منهم معاوية. وكلمات الإمام عليّ عليه السلام بخصوص موقفه من معاوية لا تزال بحمد الله محفوظة في كتب المسلمين. وقد ذكرت بعضها في فصل سابق تحت عنوان " أنصار معاوية ". فكيف يلعن عليّعليه السلام معاوية إذا كان قتلاه في الجنّة ؟!

ثمّ يقول ابن حجر الهيتميّ بعد ذلك:"فهذا من عليّ صريح لا يقبل تأويلا بأنّ معاوية مجتهد توفّرت فيه شروط الاجتهاد الموجبة لتحريم تقليد الغير[!]إذ لايجوز للمجتهد أن يقلّد مجتهدا بالاتّفاق سواء خالفه في اجتهاده، وهو واضح، أم وافقه لأنّ كلاً إنّما أخذ ما قاله من الدّليل لا غير "[2].

وهذا استنباط سخيف من جهة رجل مثل ابن حجر الهيتميّ، لأنّ الاجتهاد إنّما يكون عند غموض الأمر وفقدان الدّليل الواضح ، وليس الشّأن كذلك في قضيّة يحضرها عليّ بن أبي طالبعليه السلام لأنّه مع الحقّ والحقّ معه، ولأنّه باب مدينة العلم، ولأنّه أقضى الأمّة، ولأنّه مع القرآن والقرآن معه، وماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال. فإضافة إلى ضعف الإسناد كما صرّح به ابن حجر نفسه، فإنّ دعوى اجتهاد معاوية مردودة بأقوال وأفعال عليّ بن أبي طالبعليه السلام الذي لا يفارق القرآن. وابن حجر إنّما ينطلق في دعواه من وحي النّصب وسوء الاعتقاد، والدّعاوى إن لم تقيموا عليها**بيّنات أبناؤها أدعياء.

---

(١) إسناد الحديث كما في المعجم الكبير، ج١٩ ص٣٠٧ :حدّثنا الحسين بن إسحاق التّستري حدّثنا الحسين بن أبي السّريّ العسقلانيّ حدّثنا زيد بن أبي الزّرقاء عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصمّ قال: قال علي قتلاي وقتلى معاوية في الجنة".

(٢) تطهيرالجنان، ابن حجر الهيتمي، ص٢٥ .

قال ابن حجر: " وتأمّل كون عليّ كرم الله وجهه مع اعتقاده حقّيّة ما هو عليه وبطلان ما عليه معاوية حكم مع ذلك بإثابة معاوية وأتباعه[!] وأنّهم كلّهم في الجنّة، فعلم بصحّة ما ذكرته أنّ هذا من عليّ صريح لا يقبل تأويلا بأنّ معاوية وأتباعه مثابون غير مأثومين بما فعلوه من قتال عليّ، وإنّما قاتلهم مع ذلك لأنّ البغاة يجب على الإمام قتالهم، وهؤلاء بغاة إذ ليس من شرط البغي الإثم بل من شرطه التّأويل غير القطعيّ البطلان، ومن ثمّ قال أئمّتنا ليس البغي اسم ذمّ. . "[1].

أقول: الحمد لله الذي أنطق الهيتميّ بما يهدم بنيانه، فشهد على معاوية وأصحابه أنّهم بغاة وأورد وجوب قتالهم. فكيف يجتمع وجوب قتالهم والقطع بأنّهم من أهل الجنّة ؟ ويكفي هنا لإبطال تهافت ابن حجر قول الله تعالى في سورة الأعراف:(**قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحقّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**)، فالآية تصرّح بتحريم البغي، وتجعله قرين الإثم وتاليه في التّرتيب فالبغي محرّم ، فكيف يقال بعد ذلك عن البغي إنّه ليس بملازم للإثم؟

وعلى هذا النسق قال ابن حجر في كتابه أقوالا كثيرة دفعه إلى قولها حبّه لبني أميّة وبغضه لآل النّبيّ ﷺ، وهذا الصّنف من النّاس لا جدوى من الإطالة معه إلاّ بقدر ما تقوم به الحجّة، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. وحتّى يكون القارئ على علم بمرامي الرّجل من كلامه، أورد هنا ما ذكره في كتابه تطهيرالجنان فقد قال:

" ومنها ما جاء عن الأعمش **بسند فيه ضعف** أنه قال: لو رأيتم معاوية لقلتم هذا

---

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٢٦ .

المهديّ! والأعمش من أجلاّء التّابعين وعلمائهم. فشهادته بذلك لمعاوية تستدعي مدحا عليّا لمعاوية، وثناء جليلا عليه "[1].

أقول: إلى هذا المستوى هان قدر المهديّ عليه السلام عندهم، وإلاّ فكيف يشبّهون به من قال عنه صديقه وحليفه المغيرة بن شعبة إنّه " أخبث النّاس " ؟ وإنّ الذين يعرفون الأعمش وإجلاله لعليّ عليه السلام لا يخامرهم شكّ في أنّ هذا وأمثاله ممّا افتري عليه. ويكفي لذلك أنّ ابن حجر الهيتميّ نفسه يشهد على الإسناد أنّ فيه ضعفا، وليس ضعفا فقط كما يقول، وإنما هو وهن، وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت؛ فهذه الرّواية من الرّوايات المفضوحة لأنّ الأعمش ولد عام ٦١هـ على الأرجح، أي بعد موت معاوية بسنة[2]!! فكيف أدركه ومتى رآه حتّى يقول لو رأيتم معاوية؟! ثمّ هو من شيعة الكوفة، وشيعة الكوفة لا يذكرون معاوية بخير، وقد سبق قول يحي بن عبد الحميد الحمانيّ الكوفيّ " مات معاوية على غير الإسلام ".

وقد غلا أقوام في هوى معاوية حتى جعلوه علامة يحكمون من خلالها على صحّة معتقد المرء أو فساده، وأكثر ما كانت هذه الآفة متفشّية في المحدّثين. وليس عجيبا أن يفشو فيهم ذلك إذا علمنا أنّ ترقّي المحدّث أيّامها كان متوقّفا على القدح في شيعة أهل البيت عليهم السلام والتّعصب لمعاوية، وسيأتي لاحقا كلام لابن قيّم الجوزيّة يتبيّن منه أنّ النّاس في زمانه كانوا يعتقدون أنّ السّنّة تكمن في التّعصّب لمعاوية وابنه يزيد. ومن الأمثلة على غلوّهم في ذلك ما ذكره ياقوت الحمويّ في معجمه

---

(١) تطهير الجنان، ابن حجر الهيتميّ، ص٣٥ [دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ]

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٦ص٢٢٧ [وقيل ولد سنة ٦٠عاشر محرم يوم قتل الحسين عليه السلام] ومات سنة ١٤٨.

قال:جوبر بالرّاء قرية بالغوطة من دمشق وقيل نهر بها، وقد نسب إليها جماعة من المحدّثين وافرة منهم أبو الحسن عبد الرحمن بن محمّد بن يحيى بن ياسر التّيميّ الجوبريّ الدّمشقيّ. قال عبد العزيز الكنانيّ مات في سنة ٤٢٥لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر، ولم يكن يحسن يقرأ ولا يكتب! وكان أبوه قد سمعه وضبط عليه السّماع. وكان يحفظ متون الحديث الذي يحدّث به. حدّث عن أبي سنان والزّجّاج وابن مروان وغيرهم؛ ولما مضيت إليه لأسمع منه وجدت له بلاغا في كتاب الجامع الصّحيح، ووجدت سماعه في جميعه. فلمّا صرت إليه قال: قد سمعت الكثير، سمعني والدي ـ وكان والده محدّثا ـ ولكن ما أحدّثك أو أدري إيش مذهبك؟ قلت له: عن أيّ شيء تسألني من مذهبي؟ قال: ما تقول في معاوية؟ قلت وما عسى أن أقول في صاحب النّبيّﷺ! فقال: الآن أحدّثك. وأخرج إليّ كتبا لأبيه كلّها. .[1].

المهمّ في نظر هذا المحدّث الكبير الذي لا يحسن القراءة ولا الكتابة أن يكون سائله معظّما لمعاوية، هذا هو الشّرط الأوّل والآخر. وللباحث أن يتخيّل خفايا وبواطن من يكون تفكيره بهذا المستوى. والذي يحيّر المتدبّر في هذه القصّة ومثيلاتها أنّ معاوية وحده يشكّل معتقدا ومذهبا، ومعاوية نفسه لم يكن ليطمع في هذا ولا في عشره، وهذا ممّا يقوّي امتداد الأيدي اليهوديّة إلى التّراث وصرفها الأنظار والعقول عمّا هو أصيل مشار إليه في القرآن الكريم إلى مالا أصل له. فالموحّد لا ينكر أنّ مودّة أهل البيت عليهم السلام فرض أوجبه الله تعالى في كتابه الكريم[2] ،

(١) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج٢ص١٧٧ .

(٢) قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكور (الشورى ٢٣).

ومعاوية بن أبي سفيان كان يكفر بهذا الفرض قولا وعملا، وهذا المحدّث المسكين قد قلب الأمر وحرّف الكلم عن مواضعه فجعل مودّة معاوية مكان مودّة أهل البيت، وراح يحاسب النّاس عليها، وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون.

٧ـ الساكتون عن الحقّ:

وقد كان في الأمّة ولا يزال أناس يصدق أن يقال عنهم إنّهم " السّاكتون عن الحقّ " لأنّهم تردّدوا بين الحقّ والباطل وبقوا في تردّدهم مع تظافر الأدلّة من آي وحديث وسيرة عقلانيّة. فلو لم يكن سوى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام "تقاتل بعدي النّاكثين والقاسطين والمارقين " لكفي؛ لكن ما الحيلة حينما يكون الإنسان " أكثر شيء جدلا " ويكون المعنيّون بالقضيّة مصداق قوله تعالى " وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين " ؟

لقد طغت فكرة عدالة جميع الصّحابة على الأذهان حتى منعت النّاس من إبداء الرّأي الموافق للقرآن الكريم والسّنّة النّبويّة المطهّرة، وغدا الحقّ أسير المزاج والهوى. وفي اعتقادي أنّ معاوية بن أبي سفيان إنّما حظي بما حظي به من حصانة لأنّه تولّى الحكم وتربّع على الكرسيّ، وإلاّ فلو أنّه اندحر في صفّين وتفرّقت فلوله وتبخّر مشروعه لكان أولئك الذين يدافعون عنه اليوم هم أنفسهم يعلنون البراءة منه ومن أتباعه. لكنّه وصل إلى الحكم والنّاس مع من غلب، فلم يكتفوا بتصويب فعله بل جعلوا تعظيمه علامة التّمسّك بالسّنّة! وللقضيّة جذور تعود إلى عهد معاوية نفسه، فإنّ قوما من الصّحابة توقّفوا ولم يلتحقوا بعليّ بن أبي طالب عليه السلام في معاركه ومن بينها صفّين، ثمّ ندموا على تخلّفهم وصرّحوا بذلك. وجاء بعدهم من زعم أنّ ترك الخوض في ذلك أسلم وأقرب للتّقوى؛ قال أبو نعيم : حدّثنا محمد بن عبد الرحمن

حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن مكويه حدّثنا يونس بن عبد الأعلى حدّثنا الشافعيّ قال قيل لعمر بن عبد العزيز ما تقول في أهل صفّين قال:" تلك دماء طهّر الله يدي منها فلا أحبّ أن أخضب لساني فيها"(١). وقال شمس الدين الذّهبيّ: " وقد كان بين الطائفتين من أهل صفّين ما هو أبلغ من السّبّ السّيف، فإن صحّ شيء فسبيلنا الكفّ والاستغفار للصّحابة ولا نحبّ ما شجر بينهم ، ونعوذ بالله منه ونتولّى أمير المؤمنين عليّا "(٢).

والذّهبيّ هذا، الذي يدّعي أنّه يتولّى أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يتّخذ من ولاء الآخرين لعليّ عليه السلام جريمة لا تغفر، ويتهجّم على محبّي الحسن والحسين بألفاظ يترفّع عن التّفوّه بها كلّ من يربأ بنفسه عن بذيء الكلام وفاحشه، ويرى في كلّ حديث يشير إلى فضائل الحسنين عليهما السلام غلوّا وضلالا ؛ وقد أخذ عليه الحافظ المغربيّ ابن الصّدّيق الغماريّ في ذلك مآخذ لا ينفع معها التّبرير والتوّجيه، ودون تفنيدها خرط القتاد.

ولا يخفي أنّ موقف مدرسة أهل البيت عليهم السلام من معاوية بن أبي سفيان هو نفس موقف النّبيّ وأهل بيته، لا يزيد ولا ينقص. ومن زعم أنّه صدر من أحدهم مدح في حقّ معاوية جبهه الواقع بالرّدّ المناسب، فهذه كلماتهم محفوظة في كتب التّاريخ والأدب يرويها الموالي والمخالف. وكما لا يضرّ المسلمين ما يفتريه عليهم اليهود والنّصارى وغيرهم من خصوم رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك لا يضرّ شيعة أهل البيت عليهم السلام ما يفتريه عليهم خصومهم من النّواصب والخوارج ووعّاظ السّلاطين. لكنّ الأمر عند مدرسة الخلفاء مختلف عن ذلك بناء على أمور لا تمتّ إلى القرآن الكريم والسّنّة

---

(١) حلية الأولياء، ج٩ص١١٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذّهبيّ ، ج٣ ص ٣٩ .

النّبويّة بشيء، وإنّما اعتمدت فيها أقوال لأناس زعموا أنّ الدّين لا يتمّ إلاّ بالدّفاع عن جميع الصّحابة أحسنوا أم أساءوا. والجواب عن تلك المزاعم أنّ المسلم ليس ملزما بأقوال أناس لمجرّد أنّ لهم أتباعا، وأنّ أتباعهم يضفون عليهم من القداسة ما يستكثرونه في الأنبياء وصالحي المؤمنين. وأورد ههنا بعض تلك الأقوال التي يصدق فيها ـ في نظري ـ المثل القائل:" ربّ عذر أقبح من ذنب ".

قال الخطيب البغدادي : أخبرنا محمّد بن أحمد بن رزق [. .] أبو عمر وأحمد بن محمّد بن أحمد الحيري قراءة عليه بمكّة قال حدثنا عثمان بن سعيد قال سمعت الرّبيع بن نافع يقول معاوية بن أبي سفيان ستر أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم فإذا كشف الرّجل السّتر اجترأ على ما وراءه[1].

وقد بلغ بهم التّعصّب أنّهم يرون مباينة الرّجل لمعاوية موجبة لإسقاط حديثه، ولو صحّ زعمهم لوجب طرح كثير من أحاديث الصّحابة الذين لم يكتفوا بمباينة معاوية بل حاربوه، ولو تمكّنوا من قتله لما تردّدوا في ذلك. قال الخطيب: أخبرني محمّد بن عليّ الأصبهانيّ حدّثنا أبو عليّ الحسين بن محمّد الشّافعيّ بالأهواز حدّثنا أبو عبيد محمّد بن عليّ الآجريّ قال قلت لأبي داود أيّما أعلى عندك عليّ بن الجعد أو عمرو بن مرزوق فقال عمرو أعلى عندنا، عليّ بن الجعد وسم بميسم سوء قال "ما يسوؤني أن يعذّب الله معاوية " وقال " ابن عمر ذاك الصّبيّ "[2] .

وقال الخطيب:أخبرني محمّد بن الحسين بن الفضل القطّان أخبرنا محمّد بن عبد الله بن أحمد بن عتاب حدّثنا أحمد بن ملاعب قال حدّثني صديق لي يقال له

(١) تاريخ بغداد، ج١ص٢٢٣ .
(٢) تاريخ بغداد ، الخطيب البغداديّ ، ج ١١ص ٣٦٤ .

يوسف بن حسّان ثقة قال: قال أبو نعيم ما كتبت عليّ الحفظة أنّي سببت معاوية قال قلت أحكي هذا عنك قال نعم احكه عنّي[1].

قلت: إنّ معاوية بن أبي سفيان واحد من بني آدم، ولن يحيف الله عليه، فإن كان أهلا للعذاب وعذّبه الله تعالى فلا معقّب لحكم الله ، وكيف يعترض عبد مؤمن على حكم مولاه وقد قال تعالى في سورة المائدة (**قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كلّ شيء قدير**). وقال تعالى في نفس السورة[2]على لسان عيسى بن مريم عليهما السلام(**إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم**). وإن يكن معاوية من أهل النّجاة فإنّه لا يضرّه ما يكتب عنه ويروى من مثالبه وجرائمه. غير أنّنا ننتمي إلى دين يمجّد الفضيلة ويندّد بالرّذيلة، ويدعو إلى مكارم الأخلاق وينهى عن سفاسفها؛ ولم يمدح المولى سبحانه وتعالى نبيّهﷺبكثرة العبادة، وإنّما مدحه بالخلق العظيم. ولو كانت العبادة وحدها تصون صاحبها وترفع مقامه لكان إبليس من أرفع المصونين، لكنّ الدّين كلّ الدّين في الأخلاق الحميدة والانقياد للأوامر والنّواهي الإلهيّة وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه؛ وحين التمعّن في سلوك معاوية تبدو نقطة الاشتراك بينه وبين إبليس، فإنّ معاوية كان يجسّد كبر إبليس على الأرض تجسيدا لا يخفي على من كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد. لقد كان معاوية يظهر استخفافه بالدّين في كلّ شيء ولا يبالي بحرمة النبيّﷺفي ذويه وأصحابه والكتاب الذي جاء به والسنّة التي بثّها. وكان حقده على حبيب الله ورسوله لا يوصف، بل يصحّ أن يقال إنّ صدره قد انطوى على الشّرّ وراح يغذّيه إلى أن صار

---

(١) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ج ١٢ ص ٣٤٧

(٢) المائدة / ١١٨ .

هو نفسه كتلة من الشّرّ. والذين يدافعون عنه على الرّغم من كلّ ما جاء به إنّما يفعلون ذلك لخلوّ قلوبهم من محبّة الله ورسوله، إذ لو كان فيها من ذلك شيء لأحبّوا حبيب الله ورسوله ولأبغضوا من يؤذي الله ورسوله، ولتبرّؤوا من معاوية وأخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤويه. وعلامة الإيمان الصّحيح الحبّ في الله و البغض في الله، وما عدالة الصّحابة التي يتذرّع بها من يدافعون عن الجريمة وأصحابها إلاّ صنم ابتدعه من لا حرمة لله في قلوبهم فضربوا بالقرآن عرض الحائط وردّوا على الله تعالى محكم آياته فزعموا أنّ المؤمن والفاسق سواء وأنّ الطيّب والخبيث سواء ونسبوا ذلك إلى الله سبحانه وتعالى وقرآنه يدوّي في مسامع الزّمن " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ". والذين يدافعون عن معاوية و أمثاله لم يعرفوا علوّ الهمّة فيطلبوها ولم يذوقوا لذّة المحبّة في الله ولم يستشعروا النّشوة الرّوحيّة التي تسمو بصاحبها نحو الكمال فيحنّوا إليها ويهفوا نحوها، وإنّما رأوا الكمال في شيوخهم وما ورثوه عن قلوب أعماها النّصب حتى صارت تنكر ضوء الشّمس وتجد الحلاوة في الحنظل والمرارة في العسل، وإلاّ فإنّهم هم أنفسهم حينما يتعرّضون لقليل الأذى ـ وهو لا يساوي عشر العشر ممّا تعرّض له ضحايا معاوية ـ ينبرون للحديث عن الكرامة والحرمة والعرض!ويصبحون من دعاة حقوق الإنسان في كل زمان ومكان!إذا فما بالهم لا يرون لحجر بن عديّ وعمرو بن الحمق وعبد الرحمن بن عديس البلويّ وعبد الرحمن العنزي ومحمد بن أبي بكر حرمة؟ فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

معاوية في عالم الرؤيا

والواقع أنّ المدافعين عن معاوية أجهدوا أنفسهم في تحصين بنيان أسّس على شفا جرف هار، لذلك فإنهم عمدوا إلى عالم الرؤيا كما هي عادتهم حين تعييهم

الحيل في إصلاح ما أفسد الدهر، وتركوا البيّنات الواضحات وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا؛ ومن ذلك ما ذكره ابن قيّم الجوزية وأذكّر أنّ ابن القيّم وابن كثير وابن تيمية شاميّون، نموا وترعرعوا وكبروا في مجتمع كان يلعن فيه علي بن أبي طالب عليه السلام ليل نهار. قال ابن قيّم الجوزيّة في كتاب " الرّوح ": قال سعيد بن أبى عروبة عن عمر بن عبد العزيز رأيت النّبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر جالسان عنده فسلّمت فبينا أنا جالس إذ أتى بعليّ ومعاوية فأدخلا بيتا و أجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أن خرج عليّ وهو يقول قضي لي وربّ الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي وربّ الكعبة[1] .

قلت: للعاقل أن يتساءل لماذا أجيف الباب؟ ومن الذي أسّس الجلسات المغلقة على طريقة الدكتاتوريين ودول الحزب الواحد في يوم تبلى فيه السرائر؟ ومادامت القضيّة قد تمّت بسلام وقضي لعليّ عليه السلام وغفر لمعاوية فلماذا لم يخرجا معا متصافحين متعانقين يضحك أحدهما إلى الآخر ونزعنا ما في صدورهم من غلّ ؟!

والقصة نفسها في كتاب المنامات ج١ص٧٤، ولا أملك هنا إلا أن أردّد ما سبق أن قلته في كتاب(قراءة في سلوك الصحابة):"هؤلاء قوم وجدوا الطّرق الشّرعيّة مسدودة في وجوههم بعد أن خالفوا النّبيّ ﷺ مخالفة لا عذر لهم فيها، فعمدوا إلى عالمٍ صعبٍ تحديد معالمه، وانتهجوا في ذلك طريقة الدّراويش ".

كلام حول « صفين » :

ما هي أسباب قيام حرب صفّين وما هي نتائجها ؟

---

(١) الرّوح ، ابن قيّم الجوزيّة ، ج١ص٢٦ .

ما هي آثارها على الإسلام والمسلمين على مختلف المستويات؟

هذه أسئلة أطرحها رجاء أن يبحث القارئ بنفسه ويصل إلى نتيجة يمليها عليه ضميره. وفي اعتقادي – بعد الذي اطّلعت عليه – أنّ الذي يطالع الكتب التي اعتنت بوقعة صفّين ويتتبّع الأقوال التي وردت بخصوصها معبّرة عن مواقف الفقهاء والمؤرّخين والأصوليّين وغيرهم لا يرتاب في أنّ القضيّة كانت من الوضوح بحيث يصعب التّلفيق والتّمويه فيها إلاّ على من حرم نعمة البصيرة، وإنّما تحكّمت الانتماءات المذهبيّة فكمّمت الأفواه وقيّدت الأيدي ومورس الإرهاب الفكريّ باسم الدّين. ولأنّ ″ صفين ″ ذات أهمّية كبيرة في تاريخ المسلمين فقد اهتمّ بها المؤرّخون وغيرهم منذ العصر الأمويّ وألّفت فيها كتب منها ″ كتاب صفين ″ للوط بن يحي و″ وقعة صفين″لنصر بن مزاحم المنقريّ، و″ كتاب صفّين ″ لمحمد بن عمر الواقديّ و ″ إعلام النّص المبين في المفاصلة بين أهل صفّين ″ لعمر بن دحية و″ وقعة صفين ″ لعبد الله بن شبيب البصريّ و″ كتاب صفّين ″ لإسماعيل بن عيسى العطّار و ″ كتاب صفّين ″ لابن أبي شيبة المحدّث. وهذه جملة من أقوال كبار العلماء ممّن يخالف مدرسة أهل البيت عليهم السلام ولا يتّهم في الموقف من معاوية.

قال المناويّ:قال الإمام عبد القاهر الجرجانيّ في كتاب الإمامة: ″ أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريق الحديث والرّأي منهم مالك والشافعيّ وأبو حنيفة والأوزاعيّ والجمهور الأعظم من المتكلّمين والمسلمين أنّ عليّا مصيب في قتاله لأهل صفّين كما هو مصيب في أهل الجمل وأنّ الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكن لا يكفّرون ببغيهم وقال الإمام أبو منصور في كتاب الفرق في بيان عقيدة أهل السّنّة

أجمعوا أنّ عليّا مصيب في قتاله أهل الجمل طلحة والزّبير وعائشة بالبصرة وأهل صفّين معاوية وعسكره [(١)].

وقال ابن كثير (في البداية والنهاية ج٣ص٢٦٥): وهذا الحديث [حديث تقتلك الفئة الباغية] من دلائل النّبوّة حيث أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن عمّار أنّه تقتله الفئة الباغية، وقد قتله أهل الشّام في وقعة صفّين، وعمّار مع عليّ وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه. وقد كان عليّ أحقّ بالأمر من معاوية. ولا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم كما يحاوله جهلة الفرقة الضّالّة من الشّيعة وغيرهم لأنّهم وإن كانوا بغاة في نفس الأمر فإنّهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال [!] وليس كلّ مجتهد مصيبا بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر، ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية - لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة - فقد افترى في هذه الزّيادة على النّبيّ ﷺ، فإنّه لم يقلها إذ لم تنقل من طريق تقبل والله أعلم[٢]. وأما قوله يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار، فإنّ عمّارا وأصحابه يدعون أهل الشّام إلى الألفة واجتماع الكلمة، وأهل الشّام يريدون أن يستأثروا بالأمر دون من هو أحقّ به، وأن يكون الناس أوزاعا على كل قطر إمام برأسه ، وهذا يؤدّي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمّة فهو لازم مذهبهم وناشئ عن مسلكهم، وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم(اهـ).

---

(١) فيض القدير، المناويّ ، ج٦ص٣٦٦.

(٢) هذا خطأ فاحش من طرف ابن كثير إذ جزم بأنّه لم يقلها دون أن يورد في ذلك دليلا قاطعا ، والجزم لا يكون إلاّ عن يقين ، ثمّ إنّه إن كان يريد أن تنقل من طريق الذين حاربوا عليّا وسبّوه وشتموه ولعنوه بعد أن فارق الدنيا فإنّا لله و إنّا إليه راجعون وعلى العقول السّلام. ولاحظ بعدها اضطرابه وهو يحاول أن يعطي كلام النّبي (ﷺ معنى غير ما يتبادر، مع أنّ النّبي (ﷺ تكلّم بلسان عربيّ مبين، ومتى كانت الجنّة تعني الألفة واجتماع الكلمة؟!

أقول:وهذا الكلام وإن كان يصرّح بخطإ معاوية وحزبه وفئته الباغية ، إلاّ أنّه لم يخل من خلط وتشويش؛ فإنّ المجتهد إنّما يجتهد في غياب النّصّ ، أمّا في هذا المقام فالأمر على غير ما توهّمه ابن كثير والمدرسة الشاميّة، فإنّ النّبيّ ﷺ قال:"عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار" وقال أيضا:"عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض". فإذا كان عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ ، وقد شهد القرآن أنّه " ماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال " فأيّ اجتهاد يبقى بعد ذلك ؟! وأيّة إصابة يمكن تحقيقها في الضّلال؟! وإذا كان عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، فأية نتيجة صالحة يمكن تحصيلها خارج القرآن؟!

ولا يخفي ما في كلام ابن كثير من المغالطة بنفيه صفة البغي عن فئة معاوية وإضفاء رتبة المجتهد على الزّعيم والأتباع ، ويأبى عليه ذلك أحاديث عدّت من دلائل النّبوّة، وكلمات لصحابة عاشوا الأحداث عن كثب لا عن كتب، بل كانوا في قلبها، ومن ذلك ما رواه الخطيب البغداديّ قال: أخبرني الحسن بن عليّ بن عبد الله المقرئ حدّثنا أحمد بن محمّد بن يوسف أخبرنا محمّد بن جعفر المطيري حدّثنا أحمد بن عبد الله المؤدّب بسرّ من رأى حدّثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد حدّثنا شريك عن سليمان بن مهران الأعمش قال:حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا أتينا أبا أيّوب الأنصاريّ عند منصرفه من صفّين فقلنا له يا أبا أيّوب إنّ الله أكرمك بنزول محمّد صلى الله عليه وسلم وبمجيء ناقته تفضّلا من الله وإكراما لك حتى أناخت ببابك دون النّاس ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله فقال ياهذا إنّ الرّائد لا يكذب أهله وإنّ النّبيّ ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع عليّ بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين فأمّا الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزّبير وأمّا القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمرا وأمّا المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النّخيلات وأهل النّهروانات والله ما أدري أين هم ولكن لا بدّ من

قتالهم إن شاء الله قال وسمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لعمّار يا عمّار تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك يا عمّار بن ياسر إن رأيت عليّا قد سلك واديا وسلك النّاس واديا غيره فاسلك مع عليّ فإنّه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى، يا عمّار من تقلّد سيفا أعان به عليّا على عدوّه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من درّ ومن تقلّد سيفا أعان به عدوّ عليّ عليه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار، قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله حسبك رحمك الله [1].

ولأنّ المعاندين من مخالفي أهل البيت عليهم السّلام لا يستطيعون ردّ الأحاديث المثبتة ضلال الفئة الباغية فإنّهم راحوا يستعينون بالمنام والتّأويلات التي لا تقبلها العقول السّليمة، ولم يتورّعوا عن وضع أحاديث ونسبتها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونسوا أنّ الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السّماء؛ ومن ذلك ما جاء في كتاب إيثار الحقّ على الخلق (ج١ص٤١٠) قال فيه: الحديث السابع عن أبي هريرة نحوه رواه الطّبرانيّ في الأوسط من حديث سعيد بن مسلمة الأمويّ وعضدوا هذه الأخبار بما رواه زيد بن أبي الزّرقاء عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصمّ قال: قال عليّ قتلاي وقتلى معاوية في الجنّة. رواه الذّهبيّ في ترجمة معاوية من النّبلاء وجعفر ويزيد من رجال مسلم وزيد من رجال النّسائيّ قال في الكاشف صدوق. وكذلك قال في الميزان وفيه عن ابن معين لا بأس به ولم يورد فيه جرحا إلاّ قول ابن حبّان إنّه يغرب وليس ذلك بجرح وقال فيه إنّه صدوق مشهور عابد وإنّ ابن عمار قال ما رأيت في الفضل مثله ومثل المعافي وقاسم الجرمي رحمهم الله تعالى. وهذا

---

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، ج ١٣ ص١٨٨ .

من أحسن ما في الباب وإنّما أخّرته لأنّه موقوف ومع ذلك فله قوّة المرفوع والله أعلم بصحّة ذلك عنه(اهـ).

ومن الأحاديث التي أوردوها ليصحّحوا بها مواقف معاوية وأهل الشّام غافلين على أنّ في ذلك تكذيبا للنّبيّ صلى الله عليه وآله، ما أورده ابن عساكر قال[1]:وأمّا حديث الشعيثيّ فحدّثنيه أبو الفضل محمّد بن محمّد بن محمّد بن عطّاف الموصليّ الهمدانيّ الفقيه ببغداد وأنبأنا أبو جعفر محمّد بن أبي منصور بن أبي علي البزازي بالرّيّ أخبرنا أبو الوليد الحسن بن محمّد بن عليّ بن محمّد البلخيّ الحافظ بالرّيّ أنبأنا أبو بكر محمّد بن رزق الله المقرئ قراءة عليه بمنين أنبأنا أبو عمر محمّد بن موسى بن فضالة أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو القرشيّ أخبرنا أبي أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا محمّد بن عبد الله الشعيثي عن مكحول عن عبد الله بن حوالة الأزديّ وأمره معاوية وأبو الدرداء أن يجمع بالنّاس ففعل فقال في كلامه ما أنا أبو الخطيب . . ولا أحسن الخطبة ولكنّي سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول إنّكم ستجندون أجنادا جندا بالشّام وجندا بالعراق وجندا باليمن بعدي فقلت خر لي يا رسول الله إن أدركني ذلك قال عليكم بالشّام فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من غدره فإن الله تعالى قد تكفّل لي بالشام وأهله(اهـ).

أقول:تكفّل الله بالشّام الذي اتّخذ لعن حبيبه سنّة جارية حتى إذا نسي الخطيب يوما ذلك أو تناساه تعالت الهتافات من جنبات المسجد " السّنّة ، السّنّة "!

تكفّل الله بالشّام الذي خرج منه جيش استباح المدينة المنوّرة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وفعل فيها ما يندى له الجبين وتنفلق له الأكباد!

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر، ج١ص٦٤ .

تكفّل الله بالشّام الذي خرج منه جيش ليرمي الكعبة البيت الحرام بالمنجنيق في طاعة بني أميّة!

ومع كلّ الممارسات التي قام بها أبو هريرة والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص و النعمان بن بشير وسمرة بن جندب ومن معهم، فإنّه لم يفت أهل الفطرة السّليمة من الذين صدقوا نيّاتهم وكانوا مع معاوية جهلا بالحقيقة واندفاعا تحت تأثير الدّعاية الكاذبة ـ لم يفتهم ـ أن يستمعوا القول فيتّبعوا أحسنه. وقد كان قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لعمّار بن ياسر رضي الله عنهما " تقتلك الفئة الباغية " يتردّد في المسامع، فلما استشهد عمّار بن ياسر رضي الله عنهما بيّن الصّبح لذي عينين والتحق الذين يحترمون كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله بالفئة المهتدية. قال ابن عساكر في ترجمة زبيد بن عبد الخولانيّ: زبيد بن عبد الخولانيّ المصريّ له ذكر في كتب المصريّين وفد على معاوية وشهد معه صفّين ثمّ لحق بعليّ بن أبي طالب كتب إلي أبو الفضل أحمد بن يوسف بن الحسن بن سليم ثمّ حدثني أبو بكر اللّفتوانيّ عنه أنا أبو بكر الباطرقانيّ حدثنا أبو عبد الله بن منده قال: قال لنا أبو سعيد بن يونس: زبيد بن عبد الخولانيّ من بني يعلى شهد الفتح بمصر وكانت معه راية خولان بصفّين فلمّا قتل عمّار بن ياسر انكفأ إلى عليّ بن أبي طالب. قرأت على أبي محمّد السّلميّ عن أبي نصر بن ماكولا قال أمّا زبيد بضمّ الزّاي وفتح الباء المعجمة بواحدة وسكون الياء التي تليها فهو زبيد بن عبد الخولانيّ كانت معه راية خولان بصفّين مع معاوية بن أبي سفيان فلمّا قتل عمار بن ياسر انكفأ إلى عليّ بن أبي طالب قاله ابن يونس[1].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج١٨ ص٣٠٥ تحت رقم ٢٢٣٢ .

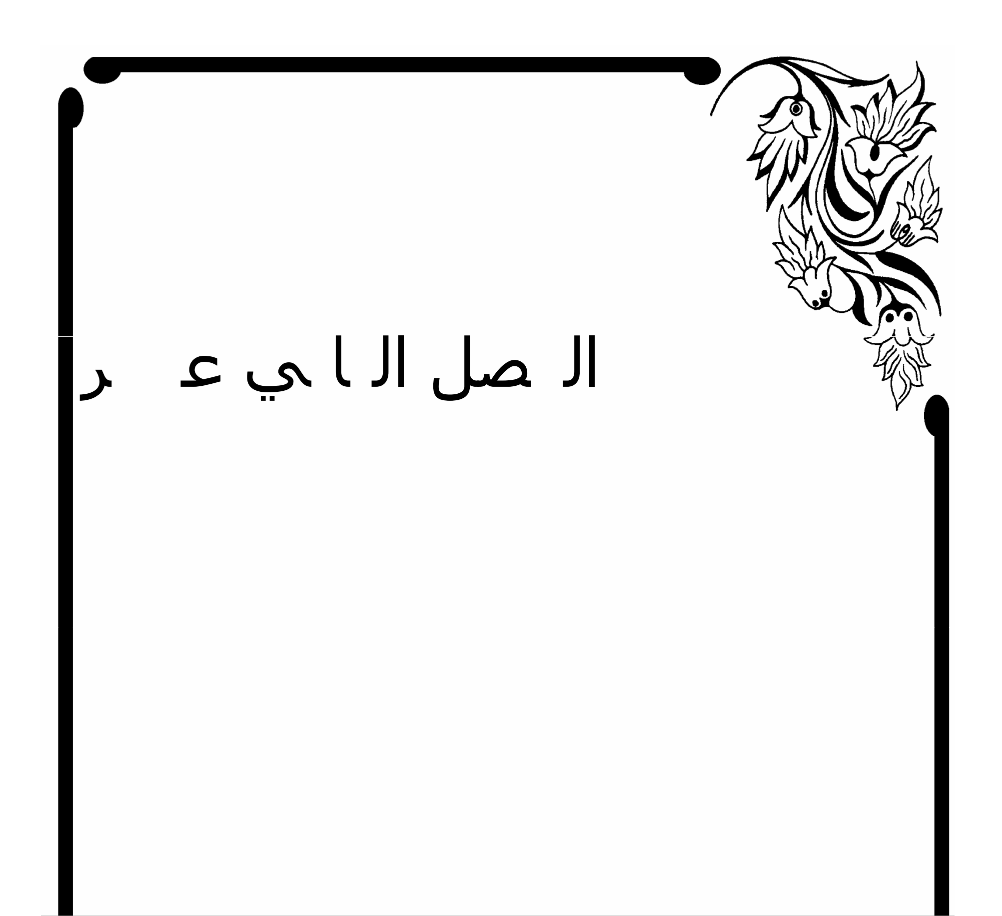
وقال القرطبي: ويروى أنّ معاوية رضي الله عنه لمّا أفضى إليه الأمر عاتب سعدا على ما فعل وقال له لم تكن ممّن أصلح بين الفئتين حين اقتتلا ولا ممّن قاتل الفئة الباغية فقال له سعد ندمت على تركي قتال الفئة الباغية[١].

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا لا ينفكّ يظهر ندمه على قتال عليّ عليه السلام في صفّين. قال ابن سعد " أخبرنا هشام أبو الوليد الطّيالسيّ قال حدّثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو ما لي ولصفّين ما لي ولقتال المسلمين لوددت أنّي متّ قبله بعشر سنين أما والله على ذلك ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم وما رجل أجهد مني من رجل لم يفعل شيئا من ذلك قال نافع حسبته ذكر أنّه كانت بيده الرّاية فقدم النّاس منزلة أو منزلتين "[٢] .

---

(١) تفسير القرطبيّ، ج١٦ص٣١٩ .

(٢) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٤ ص ٢٦٦ .





يزيد بن معاوية

١ـ يزيد بن معاوية

يؤسفني أنّه تعذّر عليّ الحصول على كتابين مهمّين ذكرهما مصطفى الرّوميّ الحنفيّ في كشف الظّنون، وكتاب آخر ألّف حديثا في الدّفاع عن يزيد قال الرّوميّ: " صنف الشيخ أبو عبد الله محمد بن العبّاس اليزيدي المتوفى سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة في أخبار يزيد بن معاوية خاصّة وصنّف أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ اللغويّ المتوفّى سنة سبعين وثلاث مائة في أخباره أيضا "[1]. ولئن فاتتني الفائدة المرجوّة من الكتابين فإنني لم آل جهدا في محاولة جمع ما أمكن جمعه من الأخبار المتعلّقة بالرّجل، المتفرّقة في كتب التاريخ والتّراجم والأدب ؛ ولن أتخلّى عن البحث عن الكتابين المذكورين لعلّي أوفق للحصول عليهما في وقت لاحق إن شاء الله تعالى، فإن التّصنيف في أخبار رجل يضمن بغية الباحث ويسهّل الدّراسة والتّحقيق للوصول إلى ما يطمئن إليه الضّمير. وقد تعالت في أيّامنا أصوات تنادي بتبرئة ساحة يزيد من أمور عظيمة تواتر أنّه أقدم عليها راغبا غير مكره، ولم يكترث لعواقبها وامتداداتها في عمق تاريخ المسلمين، وخرج من الدنيا ولم يتب منها. وعليه فإنّ النظر في شخصيّته وسيرته وعرض ذلك على النّاس لا يعدم مساهمة في إثراء النّقاش النّزيه، وقراءة التّاريخ قراءة موضوعيّة منصفة.

قال الخطيب البغدادي: كتب إليّ عبد الرحمن بن عثمان الدّمشقيّ يذكر أنّ أبا الميمون البجليّ أخبرهم قال: أخبرنا أبو زرعة عبد الرّحمن بن عمرو النّصريّ حدّثني

(١) كشف الظنون، ج ١ص٢٨٩ .

عبد الرّحمن بن إبراهيم عن عبد الرّحمن بن بشير عن محمّد بن إسحاق قال ولد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان سنة ستّ وعشرين[١].

إذاً، فقد ولد يزيد بن معاوية في الإسلام، لكنّ أمّه كانت نصرانيّة من بني كلب، وهي ميسون بنت بجدل الكلبية، وظاهر الأمر أنّها هي التي يستشهد النّحاة ببيت لها تقول فيه : ولبس عباءة وتقرّ عيني ** أحبّ إليّ من لبس الشّفوف

ومعلوم أنّ الأمّ النّصرانيّة ـ وإن أسلمت ـ تعجز عن منح الطّفل تربية إسلاميّة صحيحة، وقد أثبتت التّجربة أنّ رواسب المعتقدات السّابقة لا تزول إلاّ بعد زمن طويل، هذا إذا كان المعنيّ مهتمّا بمعتقداته الجديدة مداوما على التعلّم والاهتمام. وأمّا إن لم يكن كذلك فإنّ انتماءه الجديد لا يكون إلاّ شكليّا قابلا للزّوال، ولا يؤثّر في سلوكه وتصرّفاته.

وقد ذكر الذّهبيّ في سير أعلام النّبلاء قصّة فيها كلام جرى بين أبي ذرّ و يزيد بن أبي سفيان ـ عمّ يزيد بن معاوية ـ فقال أبو ذرّ ليزيد: لئن فعلت ذلك لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أوّل من يبدّل سنّتي رجل من بني أميّة يقال له يزيد[٢].

وقال محمّد بن سعد في الطبقات:" أخبرنا محمّد بن عمر [..] عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ عن أبيه قال أخبرنا ابن أبي ذئب عن صالح بن أبي حسّان قال حدّثنا سعيد بن محمّد عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عمّه عبد الله بن زيد وعن

(١) تاريخ بغداد، ج١٠ ص ٣٨٧.
(٢) القصّة أوردها الذّهبيّ في ترجمة يزيد بن أبي سفيان في سير أعلام النبلاء ج١ص٣٢٩.

غيرهم أيضا كلّ قد حدّثني قالوا لمّا وثب أهل المدينة ليالي الحرّة فأخرجوا بني أميّة عن المدينة، وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافه، أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتّقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السّماء ! إنّ رجلا ينكح الأمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصّلاة، والله لو لم يكن معي أحد من النّاس لأبليت لله فيه بلاء حسنا. فتواثب النّاس يومئذ يبايعون من كلّ النّواحي، وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك اللّيالي مبيت إلاّ المسجد، وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها من الغد يؤتى بها في المسجد يصوم الدّهر، وما رئي رافعا رأسه إلى السّماء "[1].

وقال الخلاّل:"قرئ على عبد الله بن أحمد وأنا أسمع قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو بكر بن عيّاش قال لم يبايع ابن الزّبير ولا حسين ولا ابن عمر ليزيد بن معاوية في حياة معاوية، فتركهم معاوية. رواته أنّه مرسل. وقال أخبرني محمّد بن عليّ قال حدّثنا مهنى قال: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان قال: هو فعل بالمدينة ما فعل! قلت: وما فعل؟ قال قتل بالمدينة من أصحاب النّبيّﷺ وفعل؛ قلت: وما فعل؟ قال نهبها. قلت: فيذكر عنه الحديث؟ قال: لا يذكر عنه الحديث ولا ينبغي لأحد أن يكتب عنه حديثا. قلت: ومن كان معه بالمدينة حين فعل ما فعل؟ قال: أهل الشّام. قلت له وأهل مصر؟ قال: لا، إنّما كان أهل مصر معهم في أمر عثمان رضي الله عنه؛ إسناده صحيح . قال الخلاّل: أخبرني أحمد بن محمّد بن مطر وزكريّا بن يحيى أنّ

---

(١) الطبقات الكبرى ، محمّد بن سعد ، ج ٥ص ٦٦ .

أبا طالب حدّثهم قال: سألت أبا عبد الله من قال لعن الله يزيد بن معاوية قال: لا أتكلّم في هذا. قلت: ما تقول فإنّ الذي تكلّم به رجل لا بأس به، وأنا صائر إلى قولك. فقال أبو عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن المؤمن كقتله. وقال: خير النّاس قرني ثم الذين يلونهم وقد صار يزيد فيهم[!] وقال: من لعنته أو سببته فاجعلها له رحمة. فأرى الإمساك أحبّ لي ؛ إسناده صحيح"[١].

وقد ذهب من جاء بعدهم إلى أبعد من ذلك، فلم يكتفوا بالإمساك عن ذكر يزيد بل ألّفوا في الدّفاع عنه، ونهوا عن تنقّصه: قال الذّهبيّ في سير أعلام النبلاء: "حكى ابن تيمية شيخنا قال: قيل: إنّ الخليفة النّاصر لمّا بلغه نهي عبد المغيث عن سبّ يزيد، تنكّر وقصده، وسأله عن ذلك، فتباله[٢]عنه، وقال:يا هذا إنّما قصدت كفّ الألسنة عن لعن الخلفاء، وإلاّ فلو فتحنا هذا لكان خليفة الوقت أحقّ باللّعن، لأنّه يفعل كذا، ويفعل كذا، وجعل يعدّد خطاياه، قال: يا شيخ ادع لي وقام"[٣].

والذي يبدو لي في هذه المسألة، هو أنّ الذين يدافعون عن يزيد بن معاوية ويتحاشون ذكره لا يقيمون لسيّد شباب أهل الجنّة حرمة، ولا يبالون بما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله ويجرح شعوره؛ ولو كان في قلوبهم شيء من الصّدق في حبّه وطاعته صلى الله عليه وآله لاعتبروا بقوله لعليّ وفاطمة والحسنين:" سلمكم سلمي وحربكم حربي " ، إذ كيف يسوغ الدّفاع عمّن هو حرب لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟! غير أنّ كثيرا من النّاس

---

(١) السّنّة للخلاّل ج ٣ص ٥٢٠ تحت رقم (٨٤٤) و(٨٤٥) و (٨٤٦).

(٢) تظاهر بأنّه أبله .

(٣) سير أعلام النبلاء الذّهبيّ ج ٢١ ص ١٦١ .

تستهويهم الأسماء البرّاقة والألقاب الرّنّانة، فيتعاملون مع القائل كأنّما نزل عليه جبريل، وينسون المودّة في القربى، ويفتحون على أنفسهم أبوابا لا يستطيعون سدّها فيما بعد، وينتهي بهم المآل إلى جمع المتناقضات والمتضاربات، ويبقون في ريبهم يتردّدون. وقد كنت فيما سبق أحاول أن أجد للمدافعين عن يزيد بن معاوية عذرا من باب أن يكونوا مجتهدين أو طالبي وفاق ووئام، فلم يسعني ذلك بعد التّحقيق والتّثبّت، ولم يطاوعني عليه ضميري، وإنّما استقرّ فيما بيني وبين الله تعالى أنّ يزيد كأبيه مات على غير ملّة رسول الله ﷺ، لا أشكّ في ذلك طرفة عين، وأنّ الدفاع عنه بمنزلة التهجّم على رسول الله ﷺ. وتحقّق لديّ أنّ الذين يدافعون عنه إنّما يفعلون ذلك ليغيظوا شيعة أهل البيت عليهم السلام، وإلاّ فمن منهم يحبّ أن يكون يزيد أباه أو جدّه؟! وحينما يكون الدافع إلى العمل والحافز عليه مجرّد غيظ الآخرين، تصبح المسألة قضية أمراض نفسية و سلوكات وسواسية، ولا علاقة للباحث بذلك، لأنه لا يزيد عن تضييع الوقت في ما لا طائل تحته؛ ولله درّ المتنبي حيث يقول:

ومن البليّة عذل من لا يرعوي ... عن غيّه وخطاب من لا يفهم

أخبار يزيد بن معاوية

جاء في معجم ما استعجم ما يلي: قال الزّبير: كان معاوية وجّه يزيد ابنه لغزو الرّوم فأقام يزيد بدير سمعان ووجّه الجيوش، وتلك غزوة الطوانة، فأصابهم الوباء فقال يزيد بن معاوية :

أهون عليّ بما لاقت جموعهم ... يوم الطّوانة من حمّى ومن موم

إذا اتكّأت على الأنماط مرتفقا ... بدير سمعان عندي أمّ كلثوم

قال فبلغ شعره معاوية فكتب إليه أقسم بالله لتلحقنّ بهم حتى يصيبك ما أصابهم فألحقه بهم [١].

والقصّة رواها ابن خلدون باللّفظ التّالي: (ثمّ) بعث معاوية سنة خمسين جيشا كثيفا إلى بلاد الرّوم مع سفيان بن عوف، وندب يزيد ابنه معهم، فتثاقل فتركه. ثمّ بلغ النّاس أنّ الغزاة أصابهم جوع ومرض، وبلغ معاوية أن يزيد أنشد في ذلك :

ما إن أبالى بما لاقت جموعهم * * بفدّ بيداء من حمّى ومن شوم

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا * * بدير مـران عندي أم كــلثوم

وهى امرأته بنت عبد الله بن عامر، فحلف ليلحقنّ بهم، فسار في جمع كثير جمعهم إليه معاوية فيهم ابن عبّاس وابن عامر وابن الزّبير وأبو أيّوب الأنصاريّ، فأوغلوا في بلاد الرّوم وبلغوا القسطنطينيّة، وقاتلوا الرّوم عليها فاستشهد أبو أيّوب الأنصاريّ ودفن قريبا من سورها، ورجع يزيد والعساكر إلى الشّام ثمّ شتى فضالة بن عبيد بأرض الرّوم سنة إحدى وخمسين وغزا بسر بن أرطاة الصّائفة (اهـ).

لكنّ الطّبرانيّ لا يوافق ابن خلدون في العبارة، والفرق بين العبارتين ليس طفيفا، بل يكشف عن تعمّد ابن خلدون للكذب دفاعا عن بني أميّة. قال ياقوت الحمويّ في معجم البلدان [٢]:قال الطّبرانيّ حدّثنا أبو زرعة الدّمشقيّ قال سمعت أبا مسهر

---

(١) معجم ما استعجم، ج١ص٥٨٦ .

(٢) معجم البلدان ، ج٢ص٥٣٤ .

يقول: كان يزيد بن معاوية بدير مران[1] فأصاب المسلمين سباء وقتل بأرض الرّوم فقال يزيد:

وما أبالي بما لاقت جموعهم ** بالغذقدونة من حمّى ومن موم

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا ** بدير مران عندي أم كلثوم

وأمّ كلثوم هي بنت عبد الله بن عامر بن كريز زوجته، فبلغ معاوية ذلك فقال: لا جرم ليلحقنّ بهم ويصيبه ما أصابهم وإلاّ خلعته؛ فتهيّأ للرّحيل وكتب إليه :

تجـــنّى لا تـزال تعـدّ ذنـبا لتقطع حبل وصلك من حبالي

فيوشك أن يريحك من بلائي نـزولي في الـــمهالك وارتـحالي

فابن خلدون يقول " بلغ النّاس أنّ الغزاة أصابهم جوع ومرض" والطّبرانيّ يقول: " فأصاب المسلمين سباء وقتل " وأين الجوع من السّباء والقتل ؟! ومعلوم أنّ من لم يهتمّ بشؤون المسلمين فليس منهم، ويزيد بن معاوية يصرّح أنّه لا يبالي بما أصابهم طالما سلمت له أمّ كلثوم والعيش الرّغيد. وابن خلدون أمويّ الهوى لا يتقبّل مثل

(١) قال ياقوت : في معجم البلدان ج ٢ ص ٥٣٣: دير مران : بضم أوله ، بلفظ تثنية المر ، والذي بالحجاز مران ، بالفتح ، قال الخالدي : هذا الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة ، وبناؤه بالجصّ وأكثر فرشه بالبلاط الملون ، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة ، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني ، والأشجار محيطة به ، وفيه قال أبو بكر الصنوبريّ: أمرّ بدير مرّان فأحيا......الأبيات.

هذا الكلام الذي يكشف عن سوء باطن يزيد ويؤكّد انحرافه، لذلك جنح إلى الحديث عن الجوع والمرض، وليست هذه أولى سقطات ابن خلدون ولا آخرها.

وفي طبقات ابن سعد: " موسى بن يعقوب عن عمّه قالوا: لمّا دخل مسلم بن عقبة المدينة وأنهبها وقتل من قتل، دعا النّاس إلى البيعة، فكانت بنو أميّة أوّل من بايعه. ثمّ دعا بني أسد بن عبد العزّى وكان عليهم حنقا إلى قصره فقال: تبايعون لعبد الله يزيد أمير المؤمنين ولمن استخلف بعده على أنّ أموالكم وأنفسكم خول له يقضي فيها ما شاء ! وقال بعضهم قال ليزيد بن عبد الله خاصة: بايع على أنّك عبد العصا! فقال يزيد: أيّها الأمير، إنّما نحن نفر من المسلمين لنا ما للمسلمين وعلينا ما عليهم، أبايع لابن عمّي وخليفتي وإمامي على ما يبايع عليه المسلمون. فقال: الحمد لله الذي سقاني دمك، والله لا أقيلكها أبدا! لعمري إنّك لطعّان وأصحابك على خلفائك، فقدّمه فضرب عنقه"[1].

وفي تاريخ خليفة: قال أبو الحسن: وقال عوانة: أتي مسلم بيزيد بن عبد الله بن زمعة فقال: بايع فقال:أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه؛ فأمر بقتله![2]

وهكذا يكون في دولة المسلمين التي يرأسها يزيد بن معاوية أنّ من يبايع على كتاب الله وسنّة نبيّه يستحقّ القتل؛ وعليه يكون عبد الرّحمن بن عوف وعثمان بن عفّان مستحقّين للقتل، لأنّ عبد الرحمن اشترط على عثمان العمل بكتاب الله و سنّة رسوله.

---

(١) الطبقات الكبرى (القسم المتمم) ج١ص١٠٤.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٨٣.

قال ابن قيّم الجوزية :"وكانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين، ويقال لها حرّة زهرة؛ وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل بها بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التّابعين وهم ألف وسبعمائة. وقتل من أخلاط النّاس عشرة آلاف سوى النّساء والصّبيان. وقتل بها من حملة القرآن سبعمائة رجل[1] من قريش سبعة وتسعون قتلوا جهرا ظلما في الحرب وصبرا. كذا ذكر القرطبيّ رحمه الله في التذكرة. وفي كتاب آكام المرجان في أحكام الجان للشيخ بدر الدّين محمّد بن عبد الله الشبليّ الصفديّ الحنفيّ قال: كانت وقعة الحرّة لثلاث ليال بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين على باب طيبة، واستشهد فيها خلق كثير وجماعة من الصّحابة. قال خليفة: فجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة وستّون وروي أن النّبيّ صلى الله عليه وسلم وقف على الحرّة وقال ليقتلنّ بهذا المكان رجال هم خيار أمّتي بعد أصحابي. وكان سببها أنّ أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية، وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أميّة، وأمّروا عليهم حنظلة بن عبد الله الغسيل، ولم يوافق أهل المدينة أحد من أكابر أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم الذين كانوا فيهم، فجهّز إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة فأوقع بهم. قال السّهيليّ: وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة وقتل من أخلاط النّاس عشرة آلاف. قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذّهبيّ: هذا خسف ومجازفة. والحرّة التي تعرف بها هذا اليوم يقال لها حرّة زهرة، وعرفت حرّة زهرة بقرية كانت لبني

---

(١) قتل هذا العدد الهائل من حفظة القرآن لا يكون من باب الصدفة و إنّما هو تخطيط دقيق من طرف بني أميّة.

زهرة قوم من اليهود. قال الزّبير في فضائل المدينة: كانت قرية كبيرة في الزّمن القديم، وكان فيها ثلاثمائة صائغ، وكان يزيد قد أعذر إلى أهل المدينة وبذل لهم من العطاء أضعاف أضعاف ما يعطي النّاس، واجتهد في استمالتهم إلى الطّاعة والتّحذير من الخلاف، ولكن أبى الله إلاّ ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون "[1] .

قلت : هذا الكلام لا يخلو من مغالطة في التّعليق، فإنّه يقول:"ولكن أبى الله إلاّ ما أراد "، وهذا غير صحيح، فإنّه سبحانه وتعالى نهى عن الظّلم وأخبر على لسان نبيهﷺأنّ المدينة حرم ما بين عائر وثور[2]، والفعل الذي فعله جيش يزيد لا مبرّر له لا في الإسلام ولا في غير الإسلام، فإن استباحة أعراض بنات الصّحابة لا يقرّه من في قلبه مثقال حبة خردل من إنسانية، فضلا عن الإيمان؛ ولا أدري لماذا يخنس المدافعون عن عدالة الصحابة حيال هذه الواقعة ولا ينبسون ببنت شفة! لأنّهم إن كانوا يحبّون الصحابة فعلا ويعظّمون حرمتهم فعليهم أن يغاروا على أعراضهم، وأن يتألّموا ـ على الأقلّ ـ لما جرى لبنات الصحابة من هتك على يد جند الشّام. ولكن، يبدو أنّ عدالة الصحابة لا تمثّل إلاّ ورقة " فيتو" تستعمل ضدّ مدرسة أهل البيتعليهم السلامظلما وعلوّا، وما عداه فلا وجود لعدالة جميع الصّحابة لا في القلوب ولا في العقول ولا في الوجدان، وسبحان ربك رب العزة عمّا يصفون.

---

(١) شرح قصيدة ابن القيم، ج٢ص٤ .
(٢) حديث " المدينة حرم " متفق عليه .

وقد كانت تحدث بين معاوية وذويه مناوشات وخصومات تفضي إلى أن تبدر من بعضهم كلمات تكشف عمّا أخفته الضّمائر، وعن مواقف بعضهم من بعض بحسب الواقع لا الظاهر. جاء في تاريخ مدينة دمشق ما يلي[1]:طلب سعيد بن عثمان بن عفان من معاوية أن يستعمله على خراسان فقال له: " إنّ بها عبيد الله بن زياد.فقال:أما والله لقد اصطنعك أبي ورقّاك حتّى بلغت باصطناعه المدى الذي لا تجارى إليه ولا تسامى، فلا شكرت بلاءه ولا جزيته بآلائه، وقدّمت هذا - يعني يزيد - وبايعت له، فوالله لأنا خير منه أبا وأمّا ونفسا.فقال له معاوية:أمّا بلاء أبيك فقد يحقّ عليّ الجزاء به، وقد كان من شكري لذلك أنّي طلبت بدمه حتى تكشّفت الأمور ولست باللاّئم لي في التّشمير، وأما فضل أبيك على أبيه، فأبوك والله خير منّي وأقرب من رسول الله، وأما فضل أمّك على أمّه فممّا لا ينكر: امرأة من قريش خير من امرأة من كلب، وأمّا فضلك عليه، فوالله ما أحبّ أنّ الغوطة دحست لي رجالا مثلك. فقال له يزيد: يا أمير المؤمنين ابن عمّك وأنت أحقّ من نظر في أمره، وقد عتب عليك فيّ ، فأعتبه، قال فولاّه حرب خراسان.... "(اهـ).

فهذا معاوية يصرّح أن الغوطة تدحس رجالا مثل سعيد بن عثمان بن عفّان لا تساوي يزيد المستخفّ بالحرمات، وما على الباحث إلا أن ينظر في علم الرجال ليطّلع على أقوالهم في سعيد بن عثمان و أقوالهم في يزيد بن معاوية!

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ، ج٨ص ٢٣١ .

وفي كتاب خزانة الأدب ذكر لبعض ما وصل إليه النّواصب في تقاليدهم الخاصة بيوم عاشوراء، وللقصيدة قصّة بين صاحبها ابن منير الطّرابلسيّ والشّريف الموسويّ نقيب الأشراف ببغداد، وما ورد فيها يستشهد به الأدباء في باب الهزل الذي يراد به الجدّ، قال ابن منير [(١)]:

وأقول إنّ يزيد ما	شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكفّ عن	أبناء فاطمة أمر
وحلقت في عشر المحرّم	ما استطال من الشّعر
ونويت صوم نهاره	وصيام أيّام أخر
ولبست فيه أجلّ ثوبٍ	للملابس يدّخر

ومضمون الأبيات السّابقة موجود في كلام ابن قيّم الجوزيّة في الصواعق المرسلة؛ إذ يقول: " ليست السّنّة بحبّ معاوية ويزيد ولا أنزل حبّ أبي بكر وعمر، ولا بإزعاج أعضائك بالصّلاة على السّفر، ولا بالاكتحال يوم عاشوراء والتّوسعة على العيال. السّنّة تتبّع طريق الرسول واقتفاء آثاره والوقوف عند مراسمه وحدوده، من غير تقصير ولا غلوّ، وأن لا يتقدم بين يديه" [(٢)].

---

(١) خزانة الأدب، ج١ص٣٢٥.

(٢) الصواعق المرسلة، ج١ص١٣٤٩ .

أقول: لو لم تكن هذه الشعائر معمولا بها في زمانه لما ذكرها!

وقال البلاذري في الأنساب[١]: قال هشام:وكان موسى شهوات منقطعا إلى [عبد الله] بن جعفر أيضا، وإنّما سمّي شهوات لأنّه قال في يزيد بن معاوية شعرا له :

يا مضيع الصّلاة للشّهوات...

وليزيد مواقفه من أصحاب النّبيّ ﷺ، ومن حقّه أن يصدر أحكاما في حقّهم فيمدح ويذمّ؛ فمن ذلك ما ذكره الذّهبيّ في تذكرته:قال ابن أبي مليكة سمعت يزيد بن معاوية يقول إنّ أبا الدّرداء من الفقهاء العلماء الذين يشفون من الداء"[٢]. وفي الأغاني: قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى(صوت): أمن رسم دار بوادي غدر* لجارية من جواري مضر* خدلّجة السّاق ممكورة *سلوس الوشاح كمثل القمر* تزين النّساء إذا ما بدت *ويبهت في وجهها من نظر. الشعر ليزيد بن معاوية والغناء لابن سريج[٣]. وفي البيان والتبيين[٤]:وقالوا الدّليل على أنّ من سقط جميع أسنانه أنّ عظم اللّسان نافع له قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الأنصار فقال أرادّي أنت إلى الكفر بعد الإيمان؟لا أهجو قوما نصروا النّبيّ وآووه، ولكنّي سأدلّك على غلام في الحيّ كافر كان لسانه لسان ثور يعني الأخطل!

---

(١)أنساب الأشراف، البلاذري ـ ص ٥٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ـ الذّهبيّ ـ ج ١ص ٢٥.

(٣) الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني، ج١ص٢٥٩ .

(٤) البيان والتبيين، الجاحظ ج١ص٤٨.

وفي البيان والتبيين:وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فأحسنوا فقال والله لأرمينّهم بالخطيب الأشدق قم يا يزيد فتكلم[١] .

وفي المستطرف:نهى أعرابي ابنه عن شرب النّبيذ فلم ينته وقال: أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت عليّ الآن طابت لي الخمر سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب إلى قلبي عقوقك والسكر. وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر"[٢].وقصّة نهي معاوية ابنه يزيد عن شرب الخمر معلومة لدى المؤرخين، وقد حاول ابن خلدون أن يجعل من ذلك فضيلة لمعاوية. ومعلوم أيضا أنّ عمر بن الخطّاب جلد ابنه عبد الرّحمن المعروف بأبي شحمة حدّا ثانيا في شرب الخمر كان سبب وفاته.

وفي كتاب السير الكبير عن مجاهد قال:قلت لابن عمر رضي الله عنهما: ما تقول في الغزو، فقد صنع الأمراء ما قد رأيت. قال: أرى أن تغزو، فإنه ليس عليك مما أحدثوا شيء. يعني ما أحدثوا ممّا تكرهه. وقد روي أنّه لمّا ولي يزيد بن معاوية قال ابن عمر: إن يكن خيرا شكرنا وإن يكن بلاء صبرنا، ثم قرأ قوله تعالى [من سورة النور] (**فإنّما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم**)[٣].

أقول: هذا الذي يؤلم قلب رسول الله ﷺ ويؤذن بمحو سنّته. أليس هو القائل:"...فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان؟! " وفي رواية "وليس وراء

(١) البيان و التبيين، الجاحظ، ج١ص٧٩ .

(٢) المستطرف الأبشيهي، ج٢ص٢٥ .

(٣) كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، ج ١ ص ١٥٨ .

ذلك حبة خردل من إيمان "؟! هل يرجو الشّيبانيّ أن يحتجّ الله تعالى على الخلق بعبد الله بن عمر الذي استنكف أن يبايع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ سارع فيما بعد إلى مبايعة الحجّاج بن يوسف؟ولقد كان في وسع ابن عمر أن يقول مثل هذا غداة بيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بدل أن يخذّل عنه ويثبّط، والله سائله عن ذلك.

ما الذي استفادته الأمّة من مواقف عبد الله بن عمر المخزية؟! وهل يستفيد من مواقفه غير أئمة الجور والفساد؟! على أنّ عبد الله بن عمر ذكر في أكثر من مناسبة أنّه تحسّر لكونه لم يحارب الفئة الباغية، وله بعد ذلك موقف يوم القيامة يجيب فيه على خذلانه آل النّبي صلى الله عليه وآله والتحاقه بأعدائه، ولن يكون المدافعون عنه اليوم قادرين على الدفاع عنه يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها. وخسر هنالك المبطلون.

إنّ رفض الظلم لا يشترط فيه الإسلام، وهذه أحداث العالم في أيامنا شاهدة على ذلك، فإنّ الإنسان مجبول على حب ممارسة حريته. والذين يتعدّون على حرية الآخرين ويحرمونهم من الاستفادة من نعمة الحياة التي وهبهم الله تعالى إنما يجنون على أنفسهم قبل أن يجنوا على غيرهم، لأنّهم في الحقيقة ينسلخون من إنسانيتهم بذلك المعنى الذي تتجلّى فيه القيم، ولا يبقى لهم إلا الشّكل. ولقد ثبت في تاريخنا المعاصر انحدار كثير من المجتمعات الخاضعة لقوى مستكبرة مستبدة إلى مستويات فظيعة من الانحلال والفوضى، وهي الأمور التي جاء الإسلام لمحاربتها لكي يعيد الإنسان إلى منزلته، منزلة التكريم[1].

(١) إشارة إلى قوله تعالى " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطّيّبات وفضّلناهم

ومع كل ما سبق، لا يتجرّأ ابن قيّم الجوزية أن يشهد شهادة حقّ دفاعا عن سبط النبيّ صلى الله عليه وآله، بل راح يضمّ صوته إلى أصوات المدافعين عن الباطل. وهذه كلماته شاهدة عليه فإنّه يقول: "خير هذه الأمّة القرن الأوّل وهم الصّحابة رضي الله عنهم وخيرهم العشرة الذين شهد لهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالجنّة وخير هؤلاء العشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهم، ونعتقد حب آل محمّد صلى الله عليه وسلم وأزواجه وسائر أصحابه رضوان الله عليهم، ونذكر محاسنهم وننشر فضائلهم، ونمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التطلّع فيما شجر بينهم[1] ونستغفر الله لهم ونتوسّل إلى الله تعالى باتّباعهم، ونرى الجهاد والجماعة ماضيا إلى يوم القيامة، والسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين واجبا في طاعة الله تعالى دون معصيته، لا يجوز الخروج عليهم ولا المفارقة لهم. ولا نكفّر أحدا من المسلمين بذنب عمله ولو كبر، ولا ندع الصلاة عليهم بل نحكم فيهم بحكم النّبيّ صلى الله عليه وسلم ونترحّم على معاوية[!] ونكل سريرة يزيد إلى الله تعالى"[2].

هذا هو اعتقاد ابن قيم الجوزية!! أن يكل سريرة يزيد إلى الله تعالى، ويضرب بأحكام الشّرع عرض الحائط لأن الهالة القدسيّة التي تحيط بكرسيّ الخلافة ذات حصانة دبلوماسية غير قابلة للنّقض، فلا ينبغي أن تتأثر بشيء، والخليفة لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون. يقول الله سبحانه وتعالى " قل لا أسألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في

على كثير ممّن خلقنا تفضيلا [الإسراء ٧٠].

(١) أقول :كما يفعل الشيطان الأخرس .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلاميّة، ابن القيّم ، ج١ص١٠٤ .

القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها....." ويؤذي يزيد القربى ويقطع الرّحم ويعرّض بنات النّبيّ صلى الله عليه وآله للسّبي ومع ذلك يكل سريرته إلى الله تعالى!

يقول الله جلّ شأنه بخصوص المسجد الحرام نقطة البداية ومحطّة الانطلاق في الإسراء والمعراج: " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم " ويضرب يزيد الكعبة بالمنجنيق، ويستخفّ بحرمات المسلمين، ولا يرى ابن قيّم الجوزيّة إلاّ أن يكل سريرته إلى الله تعالى!

يقول سبحانه وتعالى : " إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدّنيا والآخرة " ويسلّط يزيد جيشه على المدينة التي هي أحد الحرمين بإجماع المسلمين، ويؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله باستباحة الأموال والأعراض، و يفجر أفراد جيشه ببنات الصّحابة علنا واستخفافا بالدّين، ويقتل من الصّحابة والتّابعين في مدينة رسول الله، ومع ذلك لا يجد ابن قيّم الجوزيّة إلاّ أن يكل سريرته إلى الله تعالى!!

لكن حينما يتعلّق الأمر بفرد من أتباع أهل البيت عليهم السلام لا يرضى أن يتولّى من غضب الله عليه من أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا يرضى بسبّ من سبّه مخرج من الملّة، لا يكل ابن القيم سريرته إلى الله تعالى، بل يفتح عليه النّار من كلّ الجهات، وينزل عليه وابلا من الكلام الكاشف عن حقد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فإلى الله المشتكى، وعند الله تجتمع الخصوم، وخسر هنالك المبطلون. وكم أنتجت العقائد المدجّنة من الأفكار المستهجنة!

وقد صار حبّ معاوية ويزيد فيما بعد من السّنّة، وهو صريح في كلام ابن قيّم الجوزيّة إذ يقول: " يا أصحاب المخالطات والمعاملات عليكم بالورع؛ ويا أصحاب الزوايا والانقطاع عليكم بحسم موادّ الطّمع؛ ويا أرباب العلم والنّظر إيّاكم واستحسان

طرائق أهل العلم والخدع ليست السّنّة بحبّ معاوية ويزيد ولا أنزل حبّ أبي بكر وعمر، ولا بإزعاج أعضائك بالصلاة على السفر، ولا بالاكتحال يوم عاشوراء والتوسعة على العيال. السنّة تتبع طريق الرّسول واقتفاء آثاره، والوقوف عند مراسمه وحدوده من غير تقصير ولا غلو، وأن لا يتقدم بين يديه، ولا تختار لنفسك قولا لم يتبين لك أنه جاء به؛ فالسنة مقابلة أوامره بالامتثال ونواهيه بالانكفاف، وأخباره بالتصديق، ومجانبة الشبه والآراء، وكل ما خالف النقل وإن كانت له حلاوة في السّمع وقبول في القلب ...... "[1].

و عن أبي الشعثاء قال: دخل نفر على عبد الله بن عمر من أهل العراق فوقعوا في يزيد بن معاوية فتناولوه فقال لهم عبد الله: هذا قولكم لهم عندي، أتقولون هذا في وجوههم؟ قالوا: لا ، بل نمدحهم ونثني عليهم! فقال ابن عمر: هذا النفاق عندنا[2].

وشاهدنا من هذا أنّ ذمّ يزيد كان شائعا متداولا حتى في مجلس ابن عمر، وفي هذا ردّ على من ما يدّعيه ابن العربيّ في عواصمه وابن خلدون في مقدمته وإن كانت حال يزيد بن معاوية لا تحتاج إلى بيان عند من كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

وقد شهد على يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية أوّل ما بويع فقال كما في حياة الحيوان الكبرى للدّميري: ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه

---

(١) الصواعق المرسلة، ابن قيّم الجوزيّة ج١ ص١٣٤٩ .

(٢) صفة المنافق ، الفريابي، ص٦٦ .

على نفسه غير خليق بالخلافة على أمّة محمد، فركب هواه واستحسن خطاه، وأقدم على ما أقدم من جراءته على الله وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله، فقلّت مدّته وانقطع أثره، وضاجع عمله وصار حليف حفرته رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل على ما قدم وندم حيث لا ينفعه النّدم، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه؛ فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له، هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله، وذلك ظنّي ....

وشهد عليه عمر بن عبد العزيز بفعله، قال الذّهبيّ في سير أعلام النبلاء: "وروى محمد بن أبي السري العسقلاني، حدثنا يحيى بن عبد الملك ابن أبي غنية، عن نوفل بن أبي الفرات ، قال:كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل: قال أمير المؤمنين يزيد، فأمر به فضرب عشرين سوطا. توفي يزيد في نصف ربيع الأوّل سنة أربع وستين" [1].

وشهد عليه عبد الله بن حنظلة الغسيل.قال ابن حجر:"وقال خليفة بن خياط حدّثنا وهب بن جرير حدّثنا جويرية بن أسماء سمعت أشياخنا من أهل المدينة أن ممّن وفد إلى يزيد بن معاوية عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيه كل واحد عشرة آلاف، فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم. قال: فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة"[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج٤ص ٤٠ .

(٢) الإصابة ـ ابن حجر، ج٤ص٦٦ .

وقال ابن سعد في الطبقات: لما وثب أهل المدينة ليالي الحرة فأخرجوا بني أمية عن المدينة، وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافه، أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إن رجلا ينكح الأمهات والبنات والأخوات،ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسنا فتواثب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد، وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها من الغد، يؤتى بها في المسجد، يصوم الدهر، وما رئي رافعا رأسه إلى السماء إخباتا[١].

وشهد عليه الصّحابيّ معقل بن سنان ودفع ثمن ذلك حياته في وقعة الحرّة قال ابن سعد في ترجمته [٢]: كان معقل بن سنان قد صحب النّبيّ ﷺ وحمل لواء قومه يوم الفتح ، وكان شابّا ظريفا، وبقي بعد ذلك فبعثه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان على المدينة ببيعة يزيد بن معاوية، فقدم الشّام في وفد من أهل المدينة فاجتمع معقل بن سنان ومسلم بن عقبة الذي يعرف بمسرف، قال فقال معقل بن سنان لمسرف وقد كان آنسه وحادثه إلى أن ذكر معقل بن سنان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فقال إنّي خرجت كرها لبيعة هذا الرّجل وقد كان من القضاء والقدر خروجي إليه ، رجل

---

(١) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، ج ٥ ص ٦٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، ج ٤ص ٢٨٣ .

يشرب الخمر وينكح الحرم ثمّ نال منه فلم يترك. ثمّ قال لمسرف أحببت أن أضع ذلك عندك فقال مسرف أمّا أن أذكر ذلك لأمير المؤمنين يومي هذا فلا والله لا أفعل ولكن لله عليّ عهد وميثاق ألاّ تمكنني يداي منك ولي عليك مقدرة إلاّ ضربت الذي فيه عيناك. فلمّا قدم مسرف المدينة أوقع بهم أيّام الحرّة وكان معقل يومئذ صاحب المهاجرين فأتي به مسرف مأسورا فقال له: يا معقل بن سنان أعطشت؟ قال: نعم أصلح الله الأمير. فقال: خوضوا له شربة بلوز فخاضوا له فشرب، فقال له: أشربت ورويت؟ قال: نعم، قال: أما والله لا تستهني بها! يا مفرج ،قم فاضرب عنقه، قال ثمّ قال: اجلس. ثمّ قال لنوفل بن مساحق: قم فاضرب عنقه، قال فقام إليه فضرب عنقه ثم قال: والله ما كنت لأدعك بعد كلام سمعته منك تطعن فيه على إمامك .

وقال الدّميري في حياة الحيوان في باب " الفهد ": وكبار الفهود أقبل للتأديب من صغارها، وأوّل من اصطاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأكثر من اشتهر باللّعب بها أبو مسلم الخراساني. وقال أيضا : وفي هذه السنة أي سنة ستّين دعا عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما إلى نفسه بالخلافة بمكّة، وعاب يزيد بشرب الخمر واللّعب بالكلاب والتّهاون بالدين وأظهر ثلبه وتنقصه، فبايعه أهل تهامة والحجاز، فلمّا بلغ يزيد ذلك ندب له الحصين بن نمير السكوني وروح بن زنباع الجذاميّ، وضم إلى كل واحد جيشا واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة المرّيّ وجعله أمير الأمراء...اهـ. وشهد عليه ابن الزبير بشرب الخمر وترك الصلاة كما في تاريخ خليفة: حدثنا أبو الحسن عن بقية بن عبد الرحمن عن أبيه قال:لما بلغ يزيد بن معاوية أن أهل مكّة أرادوا ابن

الزبير على البيعة فأبى، أرسل النعمان بن بشير الأنصاري وهمام بن قبيصة النميري إلى ابن الزّبير يدعوانه إلى البيعة ليزيد، على أن يجعل له ولاية الحجاز وما شاء وما أحبّ لأهل بيته من الولاية، فقدما على ابن الزبير، فعرضا عليه ما أمرهما به يزيد، فقال ابن الزبير: أتأمراني ببيعة رجل يشرب الخمر ويدع الصّلاة ويتّبع الصيد؟ فقال همام بن قبيصة: أنت أولى بما قلت منه، فلطمه رجل من قريش، فرجعا إلى يزيد، فغضب وحلف لا يقبل بيعته إلا وفي يده جامعة[1].

ومن الذين يشهدون على يزيد بالانحراف عن الدّين الحافظ أبو القاسم الشيرازي. قال السمعاني: "وقال عبد العزيز النخشبي: أبو القاسم الحافظ الشيرازي كان يحفظ الغرائب، حسن الفهم حسن المعرفة، غير أنّه يلعن يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان وبني أميّة كلّهم، وجرت بيني وبينه مناظرة في ذلك"[2].

ويرى الذّهبيّ أنّ الله تعالى عجّل بهلاك يزيد لما فعله بأهل المدينة، وأمّا ما فعله بآل بيت رسول الله ﷺ فلا يخطر ببال الذّهبيّ ولا يرى له أثرا؛ قال في سير أعلام النبلاء: عقد له أبوه بولاية العهد من بعده فتسلّم الملك عند موت أبيه في رجب سنة ستين وله ثلاث وثلاثون سنة، فكانت دولته أقلّ من أربع سنين ولم يمهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعوه "[3].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط، العصفري، ص ١٩٣.

(٢) الأنساب، السمعاني، ج ٣ ص ٤٩٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج٤ص٣٦.

مصـادر الكتاب

أبجد العلوم، القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٨م.

١. الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصـم، دار الدراية، ١٤١١هـ .

٢. الآحاد والمثاني، الشيباني، دار الراية، الرياض، ١٤١١ هـ- ١٩٩١م.

٣. أحسن التقاسيم، محمد المقدسي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٠م .

٤. أخبار مكة، الفاكهي، دار خضر- بيروت، ١٤١٤هـ

٥. اختلاف الحديث، الإمام الشافعي، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٤٠٥هـ .

٦. أسد الغابة، ابن الأثير، انتشارات ـ إسماعيليان / طهران.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل ـ بيروت ١٤١٢ ط ١

٨. الإصابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، دار الجيل ـ بيروت، ١٩٩٢ م

٩. الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، الطائي الجياني، دار الجيل ـ بيروت، ١٤١١ـ ط ١

١٠. الأوائل، سليمان بن أحمد الطبراني، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان ـ بيروت ١٤٠٣ ـ ط ١

١١. الأوائل، ابن أبي عاصم، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت، تحقيق محمد بن ناصر العجمي .

١٢.البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٠٨م.
١٣.تاج العروس، الزبيدي، منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت .
١٤.تاريخ الإسلام، الذهبي، دار الكتاب العربي ـ بيروت - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ـ ط١.
١٥.تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. تدمرى، دار الكتاب العربي ـ بيروت - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ـ ط١،
١٦.تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٧ـ ط١.
١٧.تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٧ هـ .
١٨.تاريخ الخلفاء، السيوطي، مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٧١هـ /١٩٥٢م.
١٩.تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
٢٠.تاريخ خليفة بن خياط، العصفري، دار القلم ـ دمشق ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٧هـ .
٢١.تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٤١٥هـ .
٢٢.تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، دار الجيل ـ بيروت ١٣٩٣ هـ
٢٣.التعريفات، الجرجاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٥ ـ ط١.
٢٤.التمهيد والبيان، المالقي الأندلسي، دار الثقافة، الدوحة – قطر، ١٤٠٥ هـ ـ ط١.
٢٥.تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م .
٢٦.تهذيب الكمال، المزي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٠٦ هـ .

٢٧.**التوقيف على مهمات التعاريف**،المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ـ بيروت، دمشق ـ١٤١٠هـ

٢٨.**الجهاد**، عبد الله بن المبارك، دار المطبوعات الحديثة، الدار التونسية ـ تونس ١٩٧٢م .

٢٩.**الحدود الأنيقة**، محمد بن زكريا الأنصاري، دار الفكر المعاصر ـ بيروت١٤١١هـ ـ ط١.

٣٠.**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٥ هـ .

٣١.**الدرر الكامنة**، ابن حجر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، الهند ١٩٧٢م.

٣٢.**ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق**، الذهبي، مكتبة المنار ـ الزرقاء، ١٤٠٦هـ محمد شكور أمرير الميادينى.

٣٣.**الرياض النضرة**، محب الدين الطبري، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٩٩٦م.

٣٤.**سر السلسلة العلوية**، أبو نصر البخاري، انتشارات الشريف الرضي، ١٤١٣هـ .

٣٥.**السنن الكبرى**، أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١١هـ .

٣٦.**السنن الكبرى**، البيهقي، دار الفكر بيروت، مكتبة دار الباز ـ مكة ١٤١٤هـ .

٣٧.**سير أعلام النبلاء**، الذهبي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٣ هـ .

٣٨.**السيرة النبوية**، ابن هشام، مكتبة محمد علي صبيح و أولاده، ١٣٨٣هـ .

٣٩.**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي الدمشقي، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٤٠.**شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م .

٤١. **صحيح ابن حبان**، محمّد بن حبان، مؤسسة الرسالة ــ بيروت، ١٤١٤هـ .

٤٢. **صحيح ابن خزيمة**، محمّد بن إسحاق بن خزيمة، المكتب الإسلامي ــ بيروت، ١٩٧٠م.

٤٣. **صحيح البخاري**، البخاري، دار الفكر، بيروت، دار ابن كثير، اليمامة ــ بيروت ١٤٠٧هـ .

٤٤. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٩٩ هـ .

٤٥. **صفة الصفوة**، ابن الجوزي، دار المعرفة ــ بيروت ١٩٧٩م .

٤٦. **صفة المنافق**، الفريابي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ــ الكويت، ١٤٠٥هـ

٤٧. **الصواعق المحرقة**،ابن حجر الهيتمي، دار الكتب العلمية، مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٩٩٧ م .

٤٨. **الطبقات**، النسائي، دار الوعي ــ حلب، ١٣٦٩هـ ــ ط١ .

٤٩. **طبقات الحفاظ**، السيوطي، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٣ هـ .

٥٠. **طبقات الشافعية الكبرى**، السبكي،هجر للطباعة والنشر والتوزيع ــ الجيزة ، ١٩٩٢م.

٥١. **طبقات الشافعية**، ابن قاضي شهبة، عالم الكتب ــ بيروت، ١٤٠٧ هـ .

٥٢. **طبقات الفقهاء**، أبو إسحاق الشيرازي، تحقيق : خليل الميس، دار القلم ــ بيروت.

٥٣. **الطبقات الكبرى (القسم المتمم)**، محمد بن سعد، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤٠٨ هـ .

٥٤. **طبقات المفسرين**، الأدنروي، مكتبة العلوم والحكم ــ المدينة المنورة ١٩٩٧م.

٥٥. **طبقات المفسرين**، السيوطي، مكتبة وهبة ــ القاهرة ، ١٣٩٦ هـ .

٥٦. **طبقات خليفة**، خليفة بن خياط العصفري، دار طيبة ــ الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م.

٥٧.**العبر في خبر من غبر**، الذهبي، مطبعة حكومة الكويت ـ الكويت، ١٩٤٨م.

٥٨.**العبر في خبر من غبر**، الذهبي، مطبعة حكومة الكويت ـ الكويت، ١٩٤٨م.

٥٩.**العواصم من القواصم**، المعافري المالكي، دار الجيل ـ بيروت، ١٤٠٧ـ ط ٢ .

٦٠.**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، موفق الدين السعدي، دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

٦١.**غريب الحديث**، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨ هـ .

٦٢.**الفائق في غريب الحديث**، الزمخشري، دار المعرفة لبنان، الطبعة الثانية .

٦٣.**الفائق في غريب الحديث**،جار الله الزمخشري،دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٧ هـ .

٦٤.**فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ـ بيروت ١٣٧٩هـ .

٦٥.**الفتنة ووقعة الجمل**، سيف بن عمر الأسدي، دار النفائس ـ بيروت، ١٣٩١ هـ .

٦٦.**فتوح البلدان**، البلاذري، دار الكتب العلمية ـ بيروت،١٤٠٣ هـ .

٦٧.**فتوح الشام**، الواقدي، دار الجيل ـ بيروت .

٦٨.**فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٠٣ هـ ـ ط١ .

٦٩.**فضائل الصحابة**، النسائي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥ هـ ـ ط١ .

٧٠.**فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٣هـ

٧١.**فضائل المدينة**، المفضل الجندي، دار الفكر ـ دمشق، ١٤٠٧ هـ ـ ط١.

٧٢.**فضائل بيت المقدس**، المقدسي، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م ـ ط١.

٧٣.**الفهرست**، ابن النديم، دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٩٨هـ .

٧٤.**الكامل في التاريخ**، محمد بن محمد الشيباني، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٥ هـ .

٧٥.كتاب الأوائل، ابن أبي عـاصم، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ـ الكويت .
٧٦.كتاب الفتن، نعيم بن حماد، مكتبة التوحيـد ـ القـاهرة، ١٤١٢هـــ دار الفكـر ـ بيروت ١٤١٤هـ
٧٧.كشف الظنون،مصطفى الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٣هـ .
٧٨.لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأولى .
٧٩.مختار الصحاح، الرازي،مكتبة لبنان ناشـرون ـ بيـروت١٤١٥ هــ/١٩٩٥م، طبعـة جديدة
٨٠.مختار الصحاح، الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٥ هـ .
٨١.مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر ـ بيروت، مؤسسة قرطبة ـ مصر.
٨٢.مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٥٩م.
٨٣.المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي ـ بيروت، ١٤٠٣ هـ .
٨٤.معجم البلـدان، ياقوت الحموي، دار الفكر ـ بيـروت، دار إحيـاء التـراث العربـي ١٣٩٩هـ .
٨٥.معجم البلـدان،ياقوت الحموي، دار الفكر، دار إحيـاء التـراث العربـي ـ بيـروت، ١٩٧٩م.
٨٦.معجم الصحابة، ابن قانع، مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة، ١٤١٨ هـ ـ ط١.
٨٧.معجم ما استعجم، البكري الأندلسي، عالم الكتب ـ بيروت، ١٤٠٣هـ ط٣ .
٨٨.معرفة القراء الكبار، الذهبي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٠٤ هـ ـ ط١.
٨٩.مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، مؤسسة دار الكتاب .

٩٠.المقدمة، ابن خلدون، دار القلم ـ بيروت، ١٩٨٤م ـ ط٥.
٩١.المناقب، الموفق الخوارزمي، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم / إيران، ١٤١١هـ .
٩٢.المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٢هـ .
٩٣.المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، دار صادر ـ بيروت ١٣٥٨ هـ .
٩٤.النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، مؤسسة إسماعليان ـ إيران، ١٣٦٤هـ .
٩٥.وفيات الأعيان، ابن خلكان، دار الثقافة ـ بيروت ، ١٩٦٨م.

فهرست المحتويات

الفصل الرابع

أخبار معاوية

الفصل الخامس

أعمال معاوية المنافية للإسلام

الفصل السادس

أوائل معاوية

الفصل السابع

أقوال في معاوية

الفصل الثامن

معاوية وسب علي

الفصل التاسع

أثر معاوية في الحديث النبوي

الفصل العاشر

عقائد معاوية

الفصل الحادي عشر
المدافعون عن معاوية

الفصل الثاني عشر
يزيد بن معاوية